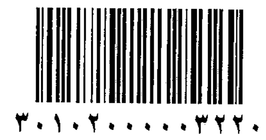
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية



الروايات التاريخية في كتاب "العقد الفريد" المتعلقة بالخلفاء الأمويين (٦٤ - ١٣٢ هـ)

(دراسة نقدية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي



إعداد الطالب
محمد حسين معلم علي

إشراف
فضيلة الدكتور / محمد بن صامل السلمي

١٤١٧ هـ / ١٤١٨ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

ملخص الرسالة

موضوع هذه الرسالة هو : الروايات التاريخية في كتاب العقد الفريد المتعلقة بالخلفاء الأمويين من سنة (٦٤ - ١٣٢ هـ) دراسة نقدية .

لما رأى الباحث قلة الدراسات النقدية للروايات التاريخية الواردة في المصادر الأدبية اتجهت همته إلى دراسة النصوص التاريخية الواردة في هذا النوع من المصادر ووقع الاختيار على كتاب العقد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة ، تحدثت في المقدمة عن قلة الدراسات التاريخية حول المصادر الأدبية ، ثم الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع ، والمصادر التي اعتمدت عليها .

وتناولت في التمهيد أهمية الكتب الأدبية بالنسبة للدراسات التاريخية إضافة إلى خطورة الاعتماد عليها دون فحص وتدقيق . وفي الفصل الأول تناولت حياة ابن عبد ربه وعصره ومصادر رواياته التاريخية ومنهجه في عرض الرواية التاريخية . والفصل الثاني كان بعنوان : الروايات التاريخية المتعلقة بالخلفاء الأمويين في الفترة من ٦٤ هـ حتى ١٣٢ هـ . وقد رتبته على حسب تسلسل الخلفاء ، مروان بن الحكم ثم عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد ابن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن الحكم المتوفى سنة ١٣٢ هـ ، ورتبت الروايات المتعلقة بكل خليفة ترتيباً تاريخياً . وفي الفصل الثالث ناقشت الروايات المتعلقة بالأمراء والولاة للخلافة الأموية في تلك الفترة مثل عبد العزيز بن مروان ، والحجاج بن يوسف الثقفي، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، وموسى بن نصير وغيرهم . وفي الفصل الرابع تناولت الروايات التاريخية المتعلقة بالحركات المعارضة للحكم الأموي ، كحركة عبد الله بن الزبير ، وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وحركات الخوارج ، وحركات الطالبيين .

وعند دراسة الروايات قارنت النصوص مع المصادر التاريخية والأدبية ، حيث بينت وجه الاتفاق أو الاختلاف بينها ، ثم ناقشت النصوص وما يرد فيها من الأخبار، إضافة إلى دراسة أسانيدها إذا كانت مسندة مستعيناً في ذلك بمنهج المحدثين .

وقد ترجمت للأعلام وعرفت بالأماكن التي وردت في البحث ، وعملت فهرساً للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها ، وآخر لموضوعات البحث .

ورغم ما واجهتني من الصعوبات في دراسة الموضوع إلا أنني توصلت إلى بعض النتائج مثل :

١ - ترجيح أن اسم الكتاب هو (العقد) دون ما اشتهر به من نعته بالفريد وذلك أن هذا النعت أضيف فيما بعد .

٢ - أن كتاب العقد غني بالروايات التاريخية المتعلقة بالعصر الأموي ، إذ يبلغ عددها نحواً من ثمانمائة رواية .

٣ - عدم اهتمام ابن عبد ربه بالإسناد عند عرضه للرواية التاريخية في أحيان كثيرة .

٤ - أهمية نقد النصوص والروايات التي ترد في هذا النوع من المصادر، وخطورةُ الاعتماد عليها دون فحصٍ .

وهذا العمل هو جهد المُقل ، والذي أرجو أن أكون قد وفقتُ فيه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الطالب :	المشرف :	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
محمد حسين معلم علي	د/ محمد بن صامل السلمي	د/ أحمد بن عبد الله بن حميد
	٢٠/ ٨/ ١٤١٨هـ	

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فعلى الرغم مما قدّمه الدارسون في التاريخ الإسلامي من بحوث ودراسات عن العصر الأموي بجوانبه السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية والحضارية ، إلاّ أنه ما زالت الدراسات تتوالى في هذا المجال ، وتُرَكِزُ عِنَايتَها في هذه الفترة ، وذلك نظراً لأهمية تاريخِ تلك الحِقْبَةِ التي تعتبر من أنصع عصور التاريخ الإسلامي ، وأكثرِها في تنوع الأخبار والأحداث بمختلف نواحي الحياة .

وتاريخُ هذه الفترةِ لازالَ عالقاً في ذاكرةِ كلِ مسلمٍ ، وتهفوا إليه نفسُ كل مؤمنٍ غَيُورٍ على دينه وعقيدته ، ويريد إبراز تاريخِ الأمةِ التي بنت أمجاداً شامخةً ، وحضارةً مشرقةً تلألأت في سماء الدنيا وأزاحت حَجَبَ الظلامِ وأنارت للبشرية معلماً وطريقاً إلى الخيرِ والتقدمِ .

والحقيقةُ أن معرفةَ تاريخِ هذهِ الفترةِ ودِراسَتِها تعني معرفةَ مجتمعِ ذلك العصرِ الذي كان إمتداداً لمجتمَعِ النبوةِ والخلافةِ الراشدةِ، والذي ورِثَ منه الشيءَ الكثيرَ، وعاش فيه بقيةٌ من أخيارِ هذه الأمةِ من الصحابةِ والتابعين .

لذلك فلا غرابةَ أن يتوجه الباحثون المخلصون ، والمهتمون بالتاريخ الإسلامي لدِراسةِ هذا العصر والعُكوفِ عليه ، لتقديم صُوَرٍ مشرقةٍ عنه .

كما لا نستغرب أن يُسَلِطَ الحاقدون أقلامهم على تاريخ هذه الأمةِ لتشويه وتزييف هذه الأمجادِ الناصعةِ التي حققها سلفُ الأمةِ ، لقد وصلت الدولةُ الإسلامية أقصى ما وصلت إليه ، واتسعت رُقْعَةُ الإسلامِ من خلالِ حركةِ الجهادِ والفتوحِ المستمرةِ طِوال هذا العصر .

وكانت رغبتي شديدةً منذ زمن في دِراسةِ التاريخ الإسلامي والتخصصَ فيه ، كما كان يراودني - دائماً - حلمٌ لمعرفة أحوال وأخلاق تلك الأمة الفاضلة لعلّنا نستفيدُ منه في إصلاح حاضِرنا .

وقد اتجه عدد من الباحثين المحدثين إلى الاقتداءِ بالمؤرخين المسلمين الأوائل من حيث تتبعِ الروايات التاريخية الموجودة في كتب الأَخباريين والمؤرخين ، وكذلك في كتب الجاميع والمصنَفاتِ الحديثيةِ ونقدها وتحليلها . في حين أننا لا نجد دراساتٍ مماثلة عن الروايات التاريخية الواردة في المصادر الأدبية مع أهميتها وتصويرها لجَوانبَ كثيرة من حياة المجتمع ، وكثرةِ قُرَّائِها ، ولذلك قيل الأدب مِرآةٌ لأحوال المجتمع .

ولكي أُسْهِمَ في هذا المجالِ وقع اختياري على القِيامِ بدِراسةٍ نقديةٍ للروايات التاريخية في كتاب " **العِقد** " المشهور بـ" **العِقد الفريد** " لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) وذلك عن العصر الأموي ، فإن كتاب العقد كتاب غني بالروايات التاريخية عن القرون الثلاثة الأولى .

وحَسَبَ علمي أنه لم يَسْبِق أحد إلى دِراسة روايات هذا الكتاب دراسة نقدية .

لقد كتب الدكتور / جبرائيل سليمان جبور دراسة تحت عنوان :

(ابن عبد ربه وعِقدُهُ) وهي رسالةٌ تقدم بها إلى دائرة الدروس العربية في كليةِ العلومِ والآداب بجامعة بيروت الأمريكية عام ١٩٣٢ م ، وهي تتناولُ الجَوَانِبَ الأدبيةَ عن الكتابِ ومؤلِفِهِ ، ولم تُعالِجَ الروايات التاريخية الموجودة في الكتاب .

ومن الجلي أن هذه النصوصَ الكثيرةَ تحتاج إلى دِراسةٍ دقيقةٍ ونقدٍ علميٍ للروايات والوقائع التاريخية التي تَضَمَّنَهَا الكتاب .

وقد وقع اختياري على الروايات التاريخية المتعلقة بالخلفاء الأمويين من سنة ٦٤ هـ حتى نهاية الخلافة الأَمَويّة سنة ١٣٢ هـ .

وكتابُ العِقد من الكتبِ الجامِعةِ وله أهميةٌ كبيرةٌ وفوائدُ تاريخيةٌ جمةٌ ، فيما يتعلق بالسياسة والأدب والإجتماع والإقتصاد في العصر الإسلامي ، لذلك رجع كثير من الباحثين في التاريخ الإسلامي إليه واستفادوا من رواياته ونُصُوصِهِ ،

ولاشك أن هذه الروايات والنُصُوصِ بحاجةٍ إلى نقدٍ وتحقيقٍ لمعرفةِ صحيحِها من ضعيفها ، ولذا فإنَّ الدِراسةَ النقديةَ سوف تُقَدِمُ خِدْمةً للباحثين في التاريخ الإسلامي .

ومن الجدير بالذكر أنَّ ابْنَ عبدِ ربه لم يُسْنِد رواياتِه في أحيانٍ كثيرةٍ ، ولم يَذْكُرْ الكثيرَ من مصادرِهِ ، ولكن الدِراسةَ المقارِنةَ ونقدَ متونِ النصوصِ تَكْشِفُ عن مَدى صحةِ هذه النصوصِ أو عَدَمِهِ .

وقد قمت بحصر الروايات والنصوص التاريخية المتعلقة بالعصر الأموي في كتاب " العقد " فوجدتها تربو على ثمانِمِائة رواية ، مما جعلني أقْتَصِرُ على دراسة الروايات التاريخية المتعلقة بالخلفاء المروانيين فقط وهي تُقَدَرُ بـ (ثمانين وأربعِمِائة) رواية .

خطة البحث :

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، تحدثت في المقدمة عن قلة الدراسات التاريخية حول المصادر الأدبية مع غزارة الروايات التاريخية لتلك المصادرِ التي ينتمي إليها كتاب العقد ، ثم ذكرت الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوعَ ، والمصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها ، وتناولت في التمهيد أهمية الكتب الأدبية بالنسبة للدراسات التاريخية إضافة إلى خطورة الإعتماد عليها دون فحص وتدقيق .

وفي الفصل الأول تناولت حياةَ ابن عبد ربه وعصرَه ومصادرَ رواياتِه التاريخية ومنهجَه في عرض الرواية التاريخية .

وجاء الفصل الثاني عن الروايات المتعلقة بالخلفاء الأمويين في الفترة من ٦٤ هـ حتى سنةِ ١٣٢ هـ ، بَدءاً بمروان بن الحكم ، وانتهاءاً بآخِرهم مروان بن محمد ، وكان الحديثُ عن كل خليفة بحسب الروايات الواردة في كتاب العقد ،

وقد رتبتها ترتيباً علمياً وتاريخياً قدْرَ الاستطاعةِ وجعلت لها عناوين بِحَسَبِ مضمون الروايات .

وفي الفصل الثالث ناقشت الرواياتِ التاريخيةَ المتعلقةَ بالأمراء والولاة للخلافة الأموية في تلك الفترة وهم : عبدُ العزيز بنُ مروان ، وبِشرُ بن مروان ، والحَجّاجُ ابن يوسفَ الثقفي ، وعروةُ بن الزبير ، ونافعُ بن علقمةَ ، وخالدٌ وعبدُ ا لله ، ابنا عبدِ ا لله ابن أسيد ، وهشامُ بن إسماعيل المخزومي ، وقتيبةُ بن مسلمِ الباهلي ، وخالدُ بن عبد ا لله القسري ، وموسى بن نصير ، ويزيد بن المُهَلَّبِ ، وعديٌّ بن أرطاةَ ، ومَسلمةُ بن عبدِ الملك ، ويزيدُ بن أبي مسلم .

وفي الفصل الرابع تناولتُ الرواياتِ التاريخيةَ المتعلقةَ بالحركات المعارضة للحكم الأموي ، مثل : حركةِ عبدِ ا لله بن الزبير ، وحركةِ المختارِ بن أبي عبيد الثقفي ، وحركاتِ الخوارج ، وحركاتِ الطالبيين .

وكان عملي في البحث : أولاً : قراءةُ كتابِ العقد كاملاً ، واستخراجَ الرواياتِ التاريخية التي تَخُصُّ البحثَ ، ثم صنفتُ الرواياتِ حَسَبَ موضوعاتِها وفقاً لخطة البحث . وإذا تكررت الروايةُ مرةً أو مراتٍ أشرت إليها ، وسجلت مواضِعَ تِكرَارِها في العقد . وربما أُقَسِّمُ الروايةَ الواحدة إلى قسمين أو أكثر حسب موضوعِها ، وأُلْحِقُ كلَ قسم بالموضوع الذي يتعلق به . وعند دراسة الروايات قارنتُ النصوصَ مع المصادر التاريخية والأدبية ، حيث بَيَّنْتُ وجهَ الاتفاق أو الاختلاف بينها ، أو من اختصارها أو ذِكْرِها بالمعنى أو إشارة إليها، ثم ناقشتُ النصوصَ وما يَرِدُ فيها من الأخبار إذا كانت تستوجبُ المناقشةَ، ودراسةَ أسانيدِها إذا كانت مسندةً، متبعاً لمنهج المحدثين في ذلك .

وترجمتُ للأعلامِ وعرفتُ بالأماكنِ التي وردت في البحث ، وعَمِلْتُ فهرساً للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها ، وآخر لموضوعات البحث .

وقد واجهتني خلال دراستي بعض الصعوبات مثل :

١ - كثرةُ الرواياتِ المطلوب دِراسَتُها .

٢ - أن هذه النصوصَ لم تكن مُنتَظِمةً ، بل كـانت متنـاثرةً في ثنايـا الكتـاب مما سَبَّبَ لي عناءً كثيراً في سبيل استِقصَائِها .

٣ - صعوبةُ معرفةِ المصادرِ التي استقى منها ابْنُ عبد ربـه وذلـك لكونـه لم يَعزُهـا أحياناً كثيرةً إلى مصادرها الأصلية .

٤ - صعوبةُ دِراسةِ أسانيدِ الروايةِ ، لأن المصنِـفَ في أحيـانٍ كثـيرةٍ ، يذكـر أسمـاءَ مُنفَرِدةً ومجردة عـن الكنـى أو الألقـاب مما يتعـذر أحيانـاً تميـيزَ بعضِهـا عـن بعض .

ومهما كان الأمر فقد اجتهدت في دراسة الموضوع حَسَبَ الخطـةِ المطلوبـةِ ، ومنَّ الله عليّ بمعرفة كثير منها وليس معنى ذلك أنني أدّعي اعطاء الصورة الكاملة للبحث كما يُرادُ له ، فإنَّ أعمالنا معرضة للزلل والخطأ ، وكل ما في البحـث مـن النقصان والشطط يقع على عاتِقي ، ومستعد للنصيحة والتوجيه .

عرض لأهم مصادر البحث :

أفاد الباحث أثناء دراسته من مصـادر كثيرة ومتنوعـة ، حسـب موضوعـات البحث وفصوله ، وتختلف هذه المصادر بين المصادر العامة والمصادر الخاصة .

ففي الفصل الأول المخصص عن ابن عبد ربه وعصره ، ومنهج كتابه " العقد" اعتمد البحث على المصادر الأندلسية ، وخاصة المتقدمة منها والقريبـة مـن عصر المؤلف .

مثل كتاب " تاريخ افتتاح الأندلس " لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيـز القرطبي (ت ٣٦٧ هـ) المعروف بابن القوطية ، نسـبة إلى الأمـيرة سـارة حفيـدة ملك أسبانيا غيطشة القوطي ، من طبقة المولدين الأسبان .

ويتناول هذا الكتاب الوقائع التاريخية الـتي مـرّت بشـبه جزيـرة الأيبيريـة منـذ افتتاحها حتى آخر فترة الإمارة الأموية عام ٣٠٠ هـ .

وأبو بكر بن القوطية يعرض أخباره حسب الترتيب الزمني دون أن يذكر الإسناد والمصادر التي أخذ عنها مادته العلمية .

وهذا الكتاب يعتبر من أهم المصادر في تاريخ الأندلس بل إن كبار المؤرخين الأندلسيين كانوا يستمدون منه أمثال : ابن حيان خلف بن حيان القرطبي صاحب كتاب " المقتبس من أنباء أهل الأندلس " ، ومن المعروف أن كتاب المقتبس هذا اعتمد عليه نخبة من المؤرخين الأندلسيين الذين جاؤوا بعد ابن حيان مثل أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبّار (ت ٦٥٨ هـ) صاحب كتاب " إعتاب الكتاب " وكتاب " الحلة السيراء " ، وابن عذارى : أحمد بن محمد المراكشي ، صاحب كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " . وكذا العلاّمة المؤرخ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) .

وقد أفاد الباحث من كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية بعض الأخبار التاريخية المتعلقة بعصر الإمارة الأموية في الأندلس ، وخاصة من فترة الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى عهد الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠ هـ) .

ومن المصادر الأندلسية : " تاريخ علماء الأندلس " لابي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المشهور بابن الفرضي المتوفى (سنة ٤٠٣ هـ) في قرطبة ، وهو من كتب التراجم ، حيث ترجم ابن الفرضي فيه عدداً من العلماء الأندلسيين .

وكتاب ابن الفرضي يعتبر أقدم كتاب تناول ترجمة ابن عبد ربه ، وهذه الترجمة مفيدة رغم اختصارها ، حيث ذكر ابن الفرضي نسب ابن عبد ربه كاملاً وبعض شيوخه ، كما ذكر شاعرية ابن عبد ربه ، وتاريخ وفاته وعمره ، ويعتبر ابن الفرضي الوحيد من القدامى الذي ذكر أن ابن عبد ربه دفن في مقبرة بني العباس في قرطبة .

ومن المصادر التي اعتمدها البحث كتاب " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب " لابي عبد الله محمد بن أبي نصر

الحميدي الأزدي الحافظ المشهور المتوفى سنة (٤٨٨ هـ) كان من أهل قرطبة من جزيرة مَيُورقَة ، وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع . وقد جمع كتابه هذا تراجم رجال الحديث والفقه والتاريخ ، مُزيناً بمقطوعات شعرية وأدبية ، غير أن جلّ اهتمامه كان منصباً على أصحاب الحديث والفقه .

وقد أفاد البحث من هذا الكتاب ترجمة ابن عبد ربه ، وحالة عصره ، حيث بدأ الحميدي كتابه " جذوة المقتبس " بمقدمة تاريخية تحكي أحوال بلاد الأندلس من عصر الولاة وعصر الإمارة والخلافة الأمويتين ، وعصر ملوك الطوائف التي عاصرها الحميدي . ثم أفرد صاحب الجذوة لابن عبد ربه ترجمة مفيدة تشمل نسبه وعلمه وعلاقته ببلاط الأمويين في الأندلس وشيء من أشعاره .

كما تناول أخبار ابن عبد ربه ، ويمتاز الحميدي أنه يقدم المعلومات مسندة إلى رواتها .

وأفاد البحث من بعض الدراسات المعاصرة فيما يتعلق بالفصل الأول المخصص عن ابن عبد ربه وعصره . ومن هذه الدراسات كتاب " ابن عبد ربه وعقده " لجبرائيل سليمان جبور ، الذي قدم دراسة أدبية أكاديمية لكتاب العقد ومؤلفه .

كما أفدت من كتاب " دراسة في مصادر الأدب " لأحمد مكي وخاصة في مبحث دراسته حول ابن عبد ربه وكتابه " العقد " ويظهر أن أحمد مكي استفاد من كتاب جبرائيل جبور رغم أنه لم يذكر ذلك .

أما المصادر العامة التي اعتمد عليها الباحث في باقي فصول الرسالة ، فهي كثيرة ومتنوعة حسب التخصصات من تاريخ وأدب وحديث وما شابهها ، ومن المصادر التاريخية :

- كتاب " الطبقات الكبرى " لمحمد بن سعد الزهري مولاهم المشهور بكاتب الواقدي ، ولد بالبصرة سنة (١٦٨ هـ) ومات ببغداد سنة (٢٣٠ هـ) ويعتبر كتابه أول كتاب وصل إلينا من كتب الطبقات ، وقد طبع الكتاب في ثمانية أجزاء

ثم ظهر جزء آخر متمم لطبقات التابعيين من أهل المدينة ، بتحقيق : زياد محمد منصور ، كما ظهر جزءان آخران من الطبقة الخامسة من الصحابة حققهما استاذي الدكتور محمد بن صامل السلمي ، كما ظهر جزءان آخران عن الطبقة الرابعة من الصحابة بتحقيق الدكتور عبد العزيز محمد السلومي ، وقد أفدت من المادة العلمية الغزيرة الزاخرة في الكتاب ، وإن كانت غير منظمة - وخاصة فيما يتعلق بتراجم الأمراء والخلفاء والوجهاء الذين ورد ذكرهم في البحث ، وقد أطال ابن سعد في ترجمة خليفتين هما : عبد الله بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهما .

ومن المصادر التاريخية التي اعتمد عليها البحث : تاريخ خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفريّ الملقب بـ" شباب " ت ٢٤٠ هـ ، بتحقيق : الدكتور أكرم ضياء العمري ، وقد نهج خليفة في كتابه نهج المحدثين حيث راعى الإسناد وخاصة في الأحداث التاريخية المهمة ، وهو مرتب على طريقة الحوليات .

وأفاد البحث منه معلومات تاريخية مهمة تغطي جلّ مراحل البحث ، ويمتاز تاريخ خليفة أنه يعتني بذكر أخبار الخلفاء منذ ولايتهم حتى وفاتهم بطريقة مختصرة ، كما يعتني بذكر أسماء الكتاب والولاة والشرط للخلافة الأموية ، وكذلك القضاة ، ويتابع حركة الفتوح والجهاد ومن تولى الصوائف ، وكذلك أمراء الحج في الموسم .

ومن المصادر أيضاً كتاب " المحبّر " لأبي جعفر محمد بن حبيب البغداديّ (ت ٢٤٥ هـ) ، وكتاب " المعرفة والتاريخ " ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧ هـ) ، وكتاب " الوزراء والكتاب " لابن عبد الله الجهشياريّ (ت ٣٣١ هـ) وقد أفدت من هذه الكتب مادة علمية ثرية ، ويمتاز كتاب " المحبر " وكتاب " الوزراء والكتاب " بذكر قوائم الولاة والأمراء والكتاب في بلاط الخلفاء الأمويين ، أما كتاب " المعرفة والتاريخ " فهو مرتب على نظام الحوليات في بعض الأحيان ، ومرتب حسب طبقات الرجال في البعض الآخر ،

وقد أفاد البحث من هذا الكتاب بعض تراجم خلفاء بني أمية وأمرائها ، وخاصة ترجمة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز .

ومن المصادر التاريخية " تاريخ الأمم والملوك " لأبـي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ، وقد ألف الطبري كتابه بطريقة الحوليات حيث ألزم نفسه بذكر الإسناد والمصادر التي استقى منها مادته العلمية ، وأخباره تختلف من حيث القبول والردّ ومن حيث القوة والضّعف بحسب المصادر التي ينقل منها ، وهذا الكتاب لا أحد يستطيع أن يستغني عنه وخاصة الدارسين للعصور الإسلامية الأولى .

ومن المصادر التاريخية التي أفاد البحث منها كتاب " تاريخ مدينة دمشق " للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) ، وهذا الكتاب أفاد البحث بمعلومات تاريخية كثيرة يصعب حصرها ، والكتاب له صلة وثيقة بالبحث ، فإنه مختص بالوقائع والأخبار التاريخية التي تخص بلاد الشام ، وخاصة مدينة دمشق ، حاضرة الخلافة الأموية وذلك من خلال تراجم العلماء والأمراء والأعيان الذين حواهم كتابه .

وقد اعتمدت على مخطوط الكتاب ومطبوعه ، كما اعتمدت على مختصر الكتاب المسمى " مختصر تاريخ دمشق " لابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، وتَكْمُنُ قيمةُ هذا المختصر في ترجمة الخليفة سليمان بن عبد الملك حيث قد سقطت من النسخ المخطوطة والمطبوعة لتاريخ دمشق المتداولة الآن .

ومن المصادر التاريخية التي أفاد البحث مؤلفات الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) لا سيما كتابه " سير أعلام النبلاء " وقد أفدت منه تراجم الخلفاء والولاة والأعيان الذين ورد ذكرهم في البحث ، وكانت المجلدات الثالث والرابع والخامس أكثر استفادتي منها .

كما أفدت من كتاب " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " وكتاب " العبر في خبر من غبر " ، فيما يتعلق بالعصر الأموي ، حيث ترجم الذهبي كثيراً من الأعيان ، كما أفدت من كتاب " دول الإسلام " رغم اختصاره .

والذهبي لم يكن مجرد ناقل للأخبار ، وإنما يقوم أحياناً كثيرة بعملية نقد وغربلة النصوص مع اعتنائه بالإسناد .

ومن المصادر التاريخية أيضاً كتاب " البداية والنهاية " للحافظ ابن كثير الدمشقيّ (ت ٧٧٤ هـ) ورغم تأخر ابن كثير إلا أنه يعتني بإسناد الأحاديث ويعزو الأخبار إلى مصادرها ، كما يعتني بمناقشة النصوص وفق المنهج العلمي الذي عرف عند المحدثين والمؤرخين الثقات ، حيث ردّ بعض الأخبار التي يشك في صحة ثبوتها ، مثل ما فعله مع الأخبار التي تحكي عن نهم سليمان بن عبد الملك وشرهه في الأكل حيث قال بأن هذه الأخبار : غريبة وأنها مبالغات الأعاجم التي كانوا يتقربون بها إلى بني العباس ، لأن سليمان كان نحيفاً جميلاً ، وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه[1] .

ومن المصادر العامة التي أفاد منها الباحث المصادر الأدبية وهي كثيرة وأهمها :

كتاب " البيان والتبيين " لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وكتاب " عيون الأخبار " وكتاب " المعارف " كلاهما لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) .

وكتاب " الكامل في الأدب " لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) وهذه الكتب تعتبر من المصادر التي اعتمد عليها ابن عبد ربه في تأليف كتابه " العقد " وكان من الضرورة الرجوع إليها ومقارنة النصوص بما ورد في كتاب " العقد " وهذا مما عمله الباحث في دراسته ، عند حديثه عن مصادر ابن

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ١٨٨ - ١٨٩ وانظر مناقشة هذه النصوص في مبحث سليمان والأكل من هذه الرسالة .

عبد ربه للرواية التاريخية في المبحث الثالث من الفصل الأول ، حيث وضع الباحث بعض الجداول والمقارنات .

كما أفاد الباحث من كتاب الكامل للمبرد معلومات قيمة تتعلق بحركات الخوارج ورجالاتها ، حيث بات الباحث عالة على هذا الكتاب وخاصة في المجلد الثالث الذي خصص المبرد فيه باباً لذكر أخبار الخوارج ونشاطهم .

ومن المصادر الأدبية أيضاً كتاب " الاشتقاق " لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، وكتاب " الأمالي " لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) وكذا ذيل القالي والنوادر ، كما أفاد البحث مصنفات أبي هلال العسكري (ت ٣٨٢ هـ) مثل كتاب " الأوائل " وكتاب " جمهرة الأمثال " وكتاب " الصناعتين " كما أفدت من بعض مصنفات أبي القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) مثل " المستقصى في أمثال العرب " وكتاب " ربيع الأبرار ونصوص الأخيار " .

وأفاد الباحث من نوع آخر من المصادر وهي كتب الأنساب مثل كتاب " نسب قريش " للمصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ) وهو مرتب على الأنساب مبتدئاً بذكر نسب معد بن عدنان ، ثم تناول أنساب بطون قريش ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب أخبار خلفاء بني أمية وكذلك أخبار بعض الأمراء والولاة القرشيين للخلافة الأموية ، ويمتاز مصعب الزبيري أنه يذكر أخبار الخلفاء والولاة ثم يذكر زوجاتهم وبناتهم ومن تزوجهن وأولادهن .

ومن كتب الأنساب التي أفادت البحث كتاب " أنساب الأشراف " لأبي الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) وهو مرتب على الأنساب والقبائل مبتدئاً بالحديث عن أنساب القبائل العدنانية ، وقد حوى كتاب البلاذري تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام حتى عصره ، وقد أطنب في أخبار الخلافة الأموية بما لا يوجد مثله في المصادر الأخرى ، وخاصة الجوانب الاجتماعية والسياسية والعسكرية .

واعتمد البلاذري كثيراً على المدائني (ت ٢٢٤ هـ) كما اعتمد على عوانة ابن الحكم (ت ١٤٧ هـ) وأبي مخنف (ت ١٤٨ هـ) والواقدي (ت ٢٠٧هـ) وأفدت من هذا الكتاب أخباراً تاريخية كثيرة مثل أخبار مروان وما دار بينه وبين الضحاك بن قيس في مرج راهط ، وخلافة عبد الله بن الزبير وأخبار جميع خلفاء بني أمية وما يدور في بلاطهم .

والبلاذري يركز اهتمامه على التحديد الزمنيّ للأحداث التاريخية .

وأفاد البحث من كتاب " جمهرة أنساب العرب " لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) ، ويبدوا أن ابن حزم استفاد من كتب الأنساب التي سبقته وأخذ منها معلومات مفيدة ، مما جعل كتابه من أهم كتب الأنساب حيث ذكر في كتابه أغلب الأخبار التاريخية مع حرصه بذكر المواطن التي جرت فيها الأحداث ، وأفاد البحث من هذا الكتاب أخبار الخلفاء الأمويين من خلال ذكر نسب بني عبد شمس بن عبد مناف ، كما أفاد البحث منه في ترجمة لكثير من الأشخاص الذين ورد ذكرهم في البحث .

ومن المصادر المهمة التي أفاد الباحث منها : كتب الحديث وعلومه ، وهذه الكتب لها أهمية كثيرة لدارسي تاريخ الإسلام ، وخاصة إذا عرفنا أن التاريخ الإسلامي بدأ منذ نشأته الأولى على يد المحدثين ، وهذا النوع من المصادر تتميز بعزو الأخبار إلى مصادرها مع دقة النقل وسلامة النص من أي تحريف أو تبديل في الغالب ، ولاشك أن الالتزام بالاعتماد عليها لها طابع خاص وميزة متفردة ، لذا فقد لجأ الباحث إليها ، ومن هذه الكتب : صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ، وصحيح مسلم مع شرح النووي له ، وأفدت من هذين الكتابين أخباراً تاريخية مهمة تتعلق ببيعة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وبيعة بنيه ومولاه سالم لعبد الملك بن مروان ، وأخبار خلافة عبد الله بن الزبير ، وكذا أخبار بعض خلفاء بني أمية مثل عمر بن عبد العزيز وكذا أخبار المختار بن أبي عبيد ، كما

أفاد البحث بعض معلومات من كتب السنة الأخرى مثل : سنن أبي داود وسنن الترمذي مع شرح تحفة الأحوذي وسنن ابن ماجة .

كما أفاد البحث من كتاب " المصنف والآثار " لأبي بكر بن أبي شيبة وخاصة فيما يتعلق بمقتل عبد الله بن الزبير ودفنه .

من ناحية أخرى فقد أفاد الباحث من كتب الرجال التي تعتني بيان الجرح والتعديل وذلك عند دراسة أسانيد الروايات التي ذكرها ابن عبد ربه ، وخاصة دراسة الروايات المتعلقة بالحجاج بن يوسف وما قيل فيه ، ومن هذه الكتب كتاب " الضعفاء الكبير " للعقيلي (ت ٣٢٢ هـ) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) و " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " للحافظ المزي (ت ٧٤٢ هـ) و " ميزان الاعتدال " للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) و " تهذيب التهذيب " و " التقريب " و " لسان الميزان " للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣ هـ) .

وأفاد البحث من كتب الملل والفرق ، وذلك عند دراسة الروايات التاريخية المتعلقة بحركات الخوارج في المبحث الثالث من الفصل الرابع ، ومن هذه الكتب " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين " لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٤ هـ) وكتاب " الفرق بين الفرق " لعبد القادر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) وكتاب " الملك والنحل " للشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) .

ومن المصادر التي أفاد البحث كتب البلدان والجغرافيا وذلك عندما يرد في أسماء الأماكن والبقاع غير المشهورة مثل كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " لأبي عبد الله المقدسي (ت ٣٨٧ هـ) وكتاب " معجم ما استعجم " للبكري (ت ٤٨٧ هـ) ، وكتاب " معجم البلدان " لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) وكتاب " الروض المعطار " للحميري (ت ٩٠٠ هـ) .

وأفاد البحث من الموسوعات العامة مثل :

كتاب " التذكرة الحمدونية " لأبي المعالي ابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) ورغم أن أغلب هذه الموسوعة مخطوطة إلا أن الأجزاء المطبوعة منها لها فوائد جمة ، وخاصة الجزء الذي حققه الدكتور إحسان عباس .

ومن الموسوعات أيضاً كتاب " نهاية الأرب في فنون الأدب " للنويري (ت ٧٣٣ هـ) وهذا الكتاب يضم أخباراً تاريخية كثيرة ، بل أن الجزء الحادي والعشرين كله أخباراً تاريخية وكذا الجزء العشرون ، وكتب مؤلفه على نمط كتاب " الكامل في التاريخ " للعلامة ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) .

ومن المصادر الموسوعة أيضاً كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " للقلقشندي (ت ٨٢١ هـ) .

ورجع الباحث إلى مراجع وبحوث معاصرة مثل :

كتاب " مجتمع الحجاز في العصر الأموي " لعبد الله بن سالم الخلق ، حيث أفدت منه في التمهيد ، وكذلك كتاب " العالم الإسلامي في العصر الأموي " لعبد الشافي محمد ، وكتاب " العراق في عهد الحجاج بن يوسف " لعبد الواحد ذنون طه .

وكتاب دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة " لأحمد محمد أحمد جلي ، وذلك عند دراسة فرق الخوارج .

وفي آخرِ هذا العرضِ أودُ أن أوجه الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل فضيلة الدكتور محمد بن صامل السلمي الذي أعطاني من وقته الغالي رغم مشاغله العديدة ، ومسئولياته الكبيرة ، وفتح لي قلبه الواسع قبل علمه وبيته ، وكان له الفضل الكبير بعد الله في إخراج هذا البحث بصورته التي ظهر بها ، بسبب توجيهاته النافعة ، ونصائحه المفيدة ، وقد كنت ازاحمه في عمله وبيته وَوَقْتِ راحتِهِ ، ولم أجد منه يوماً غضاضة في ذلك ، فكان يرحب بي دائماً وبكل سرور ، فجزاه الله خير الجزاء ، وبارك في عمره وعلمه ، كما أشكر استاذي عضوي لجنة المناقشة على تَجَشُمِهِمَا عناءَ قراءةِ هذا البحثِ وتقويمِه .

وأشكر لجامعة أم القرى في مهبط الوحي والتي كان لي شرف الإنتماء إليها في مرحلة دراستي الجامعية والعليا والشكر لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ولقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية .

كما أشكر لكل من ساهم بتزويدي ببعض المصادر المتعلقة بهذه الدراسة من أساتذتي الأفاضل ، وإخوتي الأعزاء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

الروايات التاريخية الواردة في كتب الأدب وأهمية نقدها :

التاريخ سجل مفتوح تقرؤه الأمم في كل عصر وزمان ، وتتوارثه الأجيال ؛ غير أن كل أمة لها تاريخها الخاص ، تحرص عليه وتُراعيه .

والأمة الإسلامية لها تاريخ حافل مشرق يتميّز عن غيره بالأصالة والإستمرار ، على الرغم من محاولات الأعداء المساس به والتزييف في حوادثه ، لأن الله قيض لهذه الأمة علماء وضعوا علوماً وقواعدَ تكشف ذلك التزييف والتحريف وهو علم الجرح والتعديل ، وعلم الرواية والإسناد .

والتاريخ الإسلامي له صنوف من المصادر في مختلف الفنون والميادين والعلوم .

ومن مصادره تلك المؤلفات التي كتبها الأدباء وصنفوها بطريقة تناسب علم الأدب الذي يعتني بالحكمة المرسلة والمثل السائر والشعر الفصيح والخبر النادر والطرفة المستحسنة والعبارة المشرقة ، والآداب مفخرة للشعوب ، وتراث للأمم .

ولكل أمة أدب تعتز به وتعبر من خلاله عما لديها من المشاعر والأحاسيس .

والعرب منذ جاهليتهم أمة غنية بالأدب ، منظومهِ ومنثورهِ .

والآداب العربية أغنى الآداب جمعاء ، كما يقول أحمد حسن الزيات[١] .

وبعد ظهور الإسلام برزت كتب ومصادر أدبية تترجم ما لدى القوم من العلوم والمعارف .

كما برز في الساحة الأدبية جهابذة من العلماء ، والحفاظ والأدباء تخصصوا في هذا المضمار .

وهذه المصادر قامت بدور كبير في النهضة العلمية التي واكبت العصور الإسلامية الزاهرة فكثر فيها الإبداع والإبتكار والتجديد في العديد من مجالات

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي ص ٧ .

المعرفة ، حتى نمت وانتعشت الحركة الفكرية والثقافية ، وكثر فيها التأليف والترجمة لمعارف الأمم الأخرى ، وأنتج المسلمون كثيراً من المصادر في مختلف الفنون والتخصصات .

وكانت الدولة الإسلامية قد سخرت للعلماء كل ما لديها من الإمكانيات في سبيل نشر العلم ، فأسست المدارس والمراكز العلمية ؛ وكان الساسة المسلمون يشجعون الشعراء والأدباء في إنتاج ما لديهم من المواهب ، وكانوا يغدقون عليهم الأموال والجوائز .

وإن كتب الأدب وبالأخص الجوامع القديمة منه تعتبر من المصادر المهمة التي يعتمد الباحثون عليها في كتاباتهم العلمية ، وهي مصادر لا يستغني عنها أي باحث يريد معرفة حقيقة أوضاع العرب والمسلمين السياسية والإقتصادية والإجتماعية والأدبية ، لما تحويه من الأخبار والروايات التاريخية النادرة والتي ربما لا نجد كثيراً منها في المصادر التاريخية البحتة .

وعلى الرغم من أن هذه المصادر يغلب عليها السمة الأدبية ، إلا أنها تضم صنوفاً كثيرة من الأخبار والروايات المتعلقة بالتاريخ الإجتماعي والثقافي .

وقد وجد مثل هذا النوع من المصادر إنتشاراً بين المجتمع وإقبالاً كبيراً من الناس ، ليس لدى المهتمين بالأدب فحسب وإنما لدى جميع المثقفين على مختلف مشاربهم وهواياتهم .

فمثلاً : مؤلفات ابن قتيبة الدينوري كانت مرغوبة ، حتى " كان أهل العلم بالأندلس يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه " (١) .

وهذه الكتب والمصادر الأدبية جمعت في ثناياها معارف علمية متنوعة من أدب وتاريخ وتراجم وقصص ونوادر ؛ مما رغب الكثير من الباحثين والقراء في مطالعتها واقتنائها .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١ / ٦١ .

وقد ورثت الأجيال هذه الثروة الضخمة التي خلفها لهم أسلافهم ، بل وأخذت الأجيال المتتابعة تدلي بدلوها ، وتساهم في تنمية ميراث الآباء والأجداد ، وتحذوا حذو الأولين في الإنتاج والإبداع .

ومن المعلوم أن كتب الأدب ترتبط إرتباطاً وثيقاً بوقائع الناس وأخبارهم وأيام العرب وأنسابهم فهي غنية من هذه الزاوية بالروايات التاريخية التي تحكي حياة المسلمين منذ شروق فجر الإسلام وعلى مَرّ الأزمنة المتعاقبة ، وتروي ذلك بأسلوب خلاب جَذّاب في منتهى الروعة والجمال . فيقصدها العالم وغير العالم ، والمختص وغير المختص لحلاوة أسلوبها ولطف معانيها ، وجزالة ألفاظها ورونق كلماتها ومكوناتها . فلها مذاق وطعم خاص .

بيد أن ذلك لا يبرر العكوف عليها واعتماد ما جاء فيها بدون فحص وتدقيق . بل لا بد أن يتعامل معها القاريء الباحث بصفة خاصة بكل التريث والتروي . وأن يوضع نتاجها في الميزان لمعرفة صحيحها من سقيمها ، وتمييز طيبها من خبثها ، كي نصل إلى حقيقة ما نصبوا إليه من تكوين فكرة صحيحة واقعية عن مجتمعات المسلمين الماضية .

قال الدكتور عبد الله الخلف مبيّناً أهمية تلك المصادر وخطورة الإعتماد الكلي عليها : " لا شك أن كتب الأدب والأخبار تضمنت ثروة علمية ضخمة من القصص والأخبار التي تكشف لنا عن جوانب كثيرة من حياة الشعراء والأدباء وغيرهم من الناس ، كما تكشف لنا عن كثير من مظاهر الحياة الإجتماعية في المجتمعات التي عاشوا فيها " [١] .

---

(١) مجتمع الحجاز في العصر الأموي ١ / ٢٩ . رسالة دكتوراة غير منشورة في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية بالرياض قسم الأدب .

والحقيقة أن الإعتماد على هذه المصادر دون مقارنتها بالمصادر الأخرى ربما يؤدي إلى انطباع خاص ، وأخذ صورة مشوهة رديئة بعيدة عن الحقائق مما تقدمه لنا هذه المصادر من المعلومات التي تتعلق بالمجتمعات الإسلامية الزاهية .

هذا " إذا كانت المصادر على درجة متساوية من الصحة والدقة ، فكيف إذا كانت المصادر المعتمد عليها مصادر غير موثوق بها والمصادر المتروكة هي المصادر الأوثق من حيث ما تتضمنه من أخبار وروايات " [1] .

لذلك ينبغي أن تستخدم هذه المصادر بحذر شديد وإتباع منهج علمي في مقارنة هذه المصادر بغيرها من المصادر الأخرى ، ونقد وتمحيص ما جاء فيها سنداً ومتناً ، وخاصة إذا كانت ما ترويه لنا مما يتعلق بالصحابة وخلفاء الإسلام والتابعين وغيرهم من أهل العلم والفضل .

علماً أن لدينا منهجاً نقدياً غاية في الدقة والثبات والعناية ، نستطيع من خلاله أن نخضع الروايات والأخبار لفحص ومراجعة حتى نصل إلى نتيجة مطمئنة .

وهذا المنهج هو إجراء الدراسة النقدية على الروايات نقداً خارجياً وداخلياً . بمعنى نقد السند أولاً ثم نقد المتن ومناقشتها مناقشة علمية مبنية على أسس مدرسة علماء الحديث ومنهجهم . يقول الدكتور عبد الله الخلف : " بيد أننا لا نستطيع أن نستفيد من تلك الأخبار في الوصول إلى نتائج علمية مقبولة إلا إذا تعاملنا معها بالمنهج العلمي الذي يعتمد على الإستقراء الكامل والتحقيق والتمحيص وتحكيم العقل والمنطق في قبول تلك الأخبار أو ردّها " [2] .

وممّا يؤكد أهمية التمسك بالمنهج الذي ذكرناه آنفاً بل وضرورته أن المصادر الأدبية يلاحظ عليها في أحيان كثيرة أنها تستند في سرد الأخبار إلى الأحاديث

---

(١) عبد الله الخلف : المرجع السابق ١ / ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٢٩ .

الموضوعة والمنكرة والضعيفة ، فعليها وعلى مثلها يبنون التاريخ ويستلهمون الأخبار ، مما يصعب معه الثقة بكل ما يذكرون من الأخبار إلا بعد دراستها دراسة علمية متزنة .

ومثال ذلك ما أورد الأصفهاني في كتابه الأغاني[١] من الأحاديث الموضوعة التي أكثر من إيرادها مثل الحديث الذي عزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما من أن النبي ﷺ مر على حسان بن ثابت وهو في ظل فارع[٢] وحوله أصحابه وجاريته سيرين تغنيه بِمَزْهَرِها[٣] :

هل عليّ ويحكما ان لهوت من حَرج

فضحك النبي ﷺ ثم قال : ((لا حرج إن شاء الله))[٤] .

وممن ابتلي بالإستكثار من الأحاديث الموضوعة وإيرادها أبو عثمان الجاحظ ، مثل الحديث الذي نسبه إلى النبي ﷺ : ((الجمعة حج المساكين))[٥] . ومثل الحديث : ((سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن))[٦] . ومثل : ((ان الأحاديث ستكثر عني بعدي كما كثرت عن الأنبياء من قبلي ، فما وجدتم فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو عني ، قلته أو لم أقله))[٧] .

---

(١) الأغاني ١٢ / ٨٤ .

(٢) فارع : حصن في المدينة (معجم البلدان ٤ / ٢٥٨) .

(٣) المِزهَرُ : العود الذي يضرب فيه . انظر : (اللسان ٤ / ٣٣٣) .

(٤) انظر : عبد الله الخلف : مجتمع الحجاز ١ / ٧٣ - ٧٤ حيث يورد بيان وضع هذا الحديث نقلاً عن مرعي بن يوسف المقدسي : الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ص ٩٩ .

(٥) انظر : البيان والتبيين ٢ / ٣٧ . وهو حديث موضوع ، انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١ / ٢٢٤ ، حديث رقم ٩ .

(٦) انظر المصدر السابق ٢ / ٢٨ . وهو حديث منكر ، انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١ / ٧٠ ، حديث رقم ٥٥ .

(٧) الجاحظ : المصدر السابق ٢ / ٢٨ .

فينبغي التعامل مع هذه المصادر بعناية كبيرة ولا سيما أنها تتناول أخباراً تتعلق بصدر الإسلام وبالقرون المفضلة الأولى . بل إن بعض هذه المصادر تتهم الصحابة وخلفاء الإسلام بأمور تقشعر لها القلوب وتلصق بهم ما لا يعقل أن يصدر من مثل هؤلاء الأفاضل في تلك العصور الذهبية[١] .

وحقيقة الأمر أن النيل من هؤلاء والطعن في أعراضهم وشرفهم يعتبر طعناً في النصوص القطعية التي شهدت لهم بالفضل والخيرية[٢] . ومن هذه النصوص : قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[٣] وقوله : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[٤] وقوله : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً** ﴾[٥] وقوله : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي**

---

(١) انظر : رسالة القيان ضمن رسائل الجاحظ ٢ / ١٤٩ - ١٥٥ حيث يورد أخباراً ينسبها إلى صحابة رسول الله ﷺ وخلفاء بني أمية والتابعين . وانظر : مشهور حسن آل سلمان : كتب حذر منها العلماء ٢ / ٤٥ .

ومن بين المطاعن التي يوردها الجاحظ في رسالته هذه : ما نسبه إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ((من أنه كان يؤتى بالجارية فيجردها من ثيابها بحضرة جلسائه ، ويَضَع القضيب على رَكَبها ، ثم يقول : انه لمتاع لو وَجَدَ متاعاً ! ثم يقول لصعصعة بن صوحان : خذها لبعض ولدك ، فإنها لا تحلُّ ليزيد بعد أن فعلت بها ما فعلتُ)) انظر : رسالة القيان ٢ / ١٥٥ .

(٢) انظر تفاصيل ما أورد محمد بن صامل السلميُّ في كتابه : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٢١٦ - ٢٢٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

وقال الخطيب البغداديّ : وهذا اللفظ وإن كان عاماً فالمراد به الخاص ، وقيل هو وارد في الصحابة دون غيرهم . انظر : الكفاية في علم الرواية ص ٤٦ .

(٥) سورة الفتح ، الآية ١٨ .

ا لله عنهم ورضوا عنه ﴾[١] وقال رسول ا لله ﷺ : ((خير أُمتي القرن الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم . قال أبو هريرة – راوي الحديث – ا لله أعلم أذكر الثالث أم لا ...)) وفي رواية أخرى : ((فلا أدْري مرتين أو ثلاثة))[٢] .

وقد حذرنا رسول ا لله ﷺ عن مثل هذا العمل الشنيع وقال : ((لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدِهِم ، ولا نصيفة))[٣] .

ومن الملاحظ أن الكتب الأدبية تخوض – وبدون برهان – فيما شجر بين الصحابة من الفتن والخلاف ، وتزيد في الأخبار أو تنقص منها حتى إنه ليخيل للناظر في تلك الروايات أن هؤلاء القوم لم يكن لديهم دين ولا خلق . ومصادرهم في ذلك الحكايات والأخبار الموضوعة من أعداء الإسلام من أصحاب الإتجاهات الفكرية المنحرفة مثل الباطنية والروافض والشعوبية والزنادقة .

ومن المعلوم أن العلماء المسلمين قد قرروا وجوب الكف عما شجر بين الصحابة والسلف الأولين .

قال الإمام أبو زرعة الرازي :

((إذا رأيت الرجل ينتقص من أصحاب رسول ا لله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول ا لله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة))[٤] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، الحديث رقم ٢٥٣٤ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في باب تحريم سبّ الصحابة رضي ا لله عنهم حديث رقم (٢٥٤٠) و (٢٥٤١) ، وانظر سعد الموسى : النصوص التاريخية في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن فترة الخلفاء الراشدين ص ٣٩١ .

(٤) الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ص ٤٩ .

وقال أيضاً للذي قال له إني أبغض معاوية : ((ولم ؟ قال : لأنه حارب علياً بغير حق . فقال له أبو زرعة : رب معاوية رب رحيم ، وخصمه خصم كريم ؛ فما دخلك بينهما ؛ أي أنت فضولي ، أدخلت نفسك فيما لا يعنيك ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[١] .

ومن يعتمد على مثل هذه المصادر عليه أن يعرف ميول مؤلفيها واتجاهاتهم الفكرية ونزعاتهم ، لأن الميول والأهواء تؤثر في نتاج أصحابها تأثيراً يكون سبباً في ظهور الروايات المنحرفة وقبول القصص الموضوعة بالإضافة إلى طبيعة هذه المصادر والمنهج المعتمد عندها والذي يهمل توثيق المعلومات ومحاكمتها وفق المنهج العلمي .

فأصحاب هذه المصادر ليسوا من الذين يحرصون على صحة الروايات ولا يتبعون فيما يروون بمنهج التمحيص والتحليل وتنقصهم معرفة قوانين الرواية وأصول الدراية للأخبار ، فتراهم ينقلون في مصادرهم أخباراً تاريخية غريبة شاذة ويروونها على علاّتها دون أدنى توقف أو تعليق . وهدفهم هو جمع الأخبار والقصص ، من غير تطبيق منهج نقدي ودراسة متزنة بعيدة عن التأثيرات الخارجية ، لأن الذي يهمهم هو جمع الأخبار والنوادر والفكاهات لأندية عصرهم ومجامع سمرهم .

وممن اشتهر بذلك من الأدباء الذين كانوا يحرصون على مجالس الخلفاء ويضعون لهم الحكايات : ابن خردادبة صاحب كتاب آداب السماع ، وكتاب اللهو والملاهي[٢] .

---

(١) محمد العربي التباني : تحذير العبقري من محاضرات الحضري ١ / ٤٠ انظر : مشهور حسن : المرجع السابق نقلاً عن التبالي .

(٢) انظر ابن النديم : الفهرست ص ٢١٢ - ٢١٣ .

ومنهم لقيط بن بُكير المحاربي ، صاحب كتاب في الأخبار وكتاب في النساء وكتاب في السمر ، وكتاب الخُرّاب واللصوص[١] . قال عنه الذهبي : « أخباري حاطب ليل يتشيع من نسب إلى لوط والشرقي بن قطامي »[٢] .

ومنهم ابن دلان وابن العطار .

« وكانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها مشتهاةً في أيام بني العباس ، وسيما في أيام المقتدر ، فصنف الوراقون وكذبوا . فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان ، واسمه أحمد بن محمد بن دلان ، وآخر يعرف بابن العطار ، وجماعة »[٣] .

كما أن الأصفهاني في أغانيه قد اعتمد على مثل هؤلاء الرواة : كمحمد بن مزيد بن أبي الأزهر[٤] ، وإسماعيل بن يونس بن ياسين أبو إسحاق الشيعي[٥] . وهشام بن محمد بن السائب الكلبي[٦] . والهيثم بن عدي الطائي الكوفي[٧] ، وأبو

---

(١) انظر ابن النديم : المصدر السابق ص ١٣٨ ؛ وياقوت : معجم الأدباء ١٧ / ٣٧ .

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٤١٩ .

(٣) الفهرست ص ٤٢٨ .

(٤) قال الخطيب البغدادي : « كذبه أصحاب الحديث ، وقالوا : كان كذاباً قبيح الكذب ظاهره » انظر : تاريخ بغداد ٣ / ٢٩١ .

(٥) قال فيه الخطيب : كان معروفاً بالشيعي انظر : تاريخ بغداد ٦ / ٢٩٩ .

(٦) قال الإمام أحمد بن حنبل فيه : إنما كان صاحب سمر ونسب ، ما ظننت أنّ أحداً يحدث عنه . وقال الدارقطني وغيره : متروك . وقال ابن عساكر : رافضي ليس بثقة . انظر ابن حجر : لسان الميزان ٦ / ١٩٦ .

(٧) قال فبه يحيى بن معين : ليس بثقة ، كان يكذب . انظر : العقيلي : الضعفاء الكبير ٤ / ٣٥٢ .

النضر محمد بن السائب الكلبي[١] . وعيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي المدني[٢] وغيرهم كثير[٣] .

وهؤلاء وأمثالهم قد اشتهروا بالكذب والانتحال ، وصاروا معروفين بإختلاق الأخبار والروايات ، ومع ذلك نجد أخبارهم مدونة في كتب الأدب .

وهذا الأمر يظهر إذا أسند أصحاب كتب الأدب حكاياتهم وأخبارهم ، لأن بعضهم قد يراعي نسبة الأخبار وعزوها إلى مصادرها .

غير أنك إذا تتبعت أسانيدهم وأمعنت النظر والفحص فيها سيظهر لك أن هذه الأسانيد لا تنفع غالباً وذلك لإنقطاعها أو لرداءة سلسلة رجالها كما هو الحال في روايات كتاب الأغاني .

هذا إذا أسندوا أخبارهم ورواياتهم ، وذلك قليل ، والكثير من الأخبار يذكرونَها مرسلة دون إسناد وبلا خطام ولا زمام . لذلك يصعب التصديق بما جاء فيها لعدم وجود إسناد لها يمكن نقده مما يوجب النظر والمقارنة بالمصادر الموثوقة حتى يتبيّن بالمقارنة صحة ذلك من عدمها .

قال أبو الفرج الأصفهاني :

((إني ذكرت ما روي عنه أنه غنى فيه على سوء العهدة في ذلك وضعف الصنيع لئلا يشذ عن الكتاب شيء قد روي وقد تداوله الناس))[٤] .

وعن أحد الأخبار التي يذكرها :

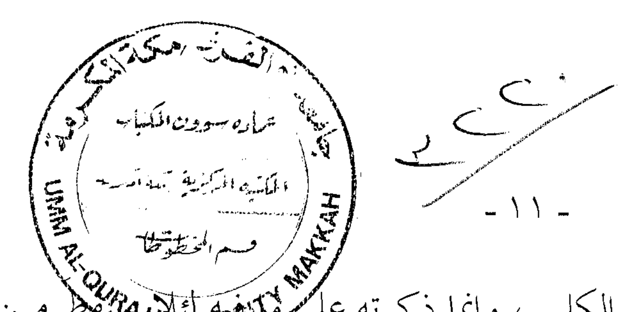
---

(١) قال فيه الذهبي : ((العلامة الاخبّاري المفسر ، كان رأساً في الأنسَاب إلا أنه كان شيعي متروك الحديث ...)) . انظر : (الذهبي : سير أعلام ٦ / ٢٤٨) .

(٢) قال البخاري وغيره : منكر الحديث ... وكان يضع الحديث كما كان يضع الشعر وأحاديث السمر كلاماً ينسبه العرب فسقط علمه وخفيت روايته . انظر : ابن حجر : لسان الميزان ٤ / ٤٠٨ .

(٣) انظر مشهور حسن : المرجع السابق ٢ / ٢٩ - ٣٠ حيث يورد أسماءً كثيرة .

(٤) د. عبد الله الخلف (المصدر السابق ١ / ٥٠) نقلاً عن كتاب الأغاني .



((... وهذا من أكاذيب ابن الكلبي ، وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناسُ وتداوَلُوه))[١].

وقال ابن عبد ربه :

((وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للإستخفاف والإيجاز ، وهرباً من التّثقيل والتّطويل ؛ لأنها أخبار مُمتعة وحكم ونوادر ، لا ينفعها الإسناد بإتّصاله ، ولا يَضُرّها ما حذف منها))[٢] .

فهذه النصوص تدل على عدم إهتمام هؤلاء الكتّاب بالإسناد ، وإنما هدفهم هو مجرد جمع النصوص والأخبار مهما كانت مصادرها ولا يهمهم صحة الأخبار مادام أنها تتسق مع منهجهم في جمع النوادر والملح والقصص للناس .

قال ابن قتيبة :

((سينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة ... الخ))[٣] .

فالكثير من المصادر الأدبية إنما تُركز على الجوانب الهزلية ، ومواطن الضعف بل والإنحراف من حياة الناس . وتغفل الحياة الجادة والإستقامة والرزانة في حياة العلماء والزهاد والمجاهدين وبطولاتهم ومواقف البذل والعطاء والأعمال المشرقة التي تبني الأمة وتبرز شخصيتها وحضارتها .

لذلك يجب على الباحث ومن يريد أن يصل إلى نتيجة صحيحة أن يفطن في تعامله مع هذه المصادر إلى طريقة أصحابها التي ساروا عليها في تلك المصنفات .

غير أنه مما يؤسف له أن كثيراً من الدارسين والمثقفين في عصرنا الحاضر يعكفون على تلك المصادر ، ويعتمدون عليها وكأنها بمثابة المرجع الأول والأساس في أخبار المجتمع الإسلامي في مختلف طبقاته ومستوياته في الأزمنة

---

(١) الأغاني ١٠ / ٤٧ .

(٢) العقد ١ / ٣ - ٤ .

(٣) عيون الأخبار ١ / ٥ مقدمة الكتاب .

الإسلامية الغابرة ؛ وكأن هذه المصادر النبع المعين الصافي الذي ليس فيه كَدرٌ ولا قَتَمٌ .

وخير شاهد على ذلك ما كتبه بعض الكتاب والأدباء المعاصرين فيما يتعلق بالأحوال الإجتماعية في العصور الإسلامية الزاهية ، حيث اعتمد هؤلاء في دراساتهم على الكتب والمصادر الأدبية فقط دون النظر إلى المصادر الأخرى وهي أوثق مما اعتمدو عليه[1] .

فأصبح نتاجهم نتاجاً مشوهاً بعيداً عن الحقيقة التاريخية ، وذلك نتيجة منهجهم الخاطي ، واعتمادهم على المصادر الأدبية فقط مثل كتاب الأغاني ، ومؤلفات الجاحظ وهي كتب أدب وليست كتب تاريخ .

ومن ناحية أخرى فإن أصحاب هذه المصادر ومؤلفيها أكثرهم ليسوا بثقات ، بل إن العلماء يتهمونهم في أمانتهم وعدالتهم ومنهم من يتهم بالتشيع والإنحراف الخلقي والعقدي ، لذا يجدر بالباحث ومن يريد الإستعانة بهذه المصادر أن يبلو الأخبار قبل اعتمادها ، وأن يضعها تحت منظار فاحص ، وخاصة تلك الروايات التي تحتوي في ثناياها على أخبار واهية تمس أخلاقيات الصحابة رضي الله عنهم وخلفاء الإسلام والعلماء والقادة المشهود لهم بالإستقامة والفضل .

---

(١) انظر أمثلة لذلك في مؤلفات أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٧٦ - ١٧٩ ، ضحى الإسلام ١ / ٨٨ - ٩٦ ، ١٠٨ ، ٣ / ٧٩ .

ومؤلفات شوقي ضيف : الشعر والغناء في مكة والمدينة ص ٤١ - ٥٠ ، ٩٤ - ١٠٧ .

التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ١٠١ - ١١٧ .

الشعر وطوابعه على مر العصور ص ٤٤ - ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٨ .

الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٥٤ - ٦٣ .

الفصل الأول

ابن عبد ربه ومنهجه في كتابه " العقد "

- حياة ابن عبد ربه .
- عصر ابن عبد ربه .
- مصادره في الروايات التاريخية .
- منهجه في عرض الروايات التاريخية .

أولاً : حياة ابن عبد ربه :

نسبه :

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان[١] .

ويتفق المؤرخون بأن كنيته أبا عمر[٢] ، ما عدا ابن أبي أصيبعة والذهبي حيث كنياه بأبي عمرو[٣] ولعلها تكون تحريفاً من أبي عمر .

وتفرد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بان كناه : أبا عبد الله[٤] .

وذكر أكثر المؤرخين بأن جدّه الرابع سالم كان مولى للأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل[٥] .

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ص ٣٨ ؛ الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص ١٠١ ؛ الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص ١٤٨ ؛ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ٤ / ٢١١ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١ / ١١٠ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٨٩ ؛ الذهبي : سير أعلام ١٥ / ٢٨٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١١ / ٢٠٦ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ٣ / ٤٦٦ ؛ جلال الدين السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٣٧١ .
انظر جبرائيل جبور : ابن عبد ربه وعقده ص ٢٣ وفيه فائدة .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) عيون الأطباء ص ٤٨٩ ؛ العبر في خبر من غبر ٢٩ / ٤ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ١ / ٥١٩ المسمّى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .
انظر مقال ابن عبد ربه وكتابه لمحمد خليفة التونسي ص ١٤ هامش رقم (١) مجلة (تراث الإنسانية) المجلد الثاني ومقال : النظرات التربوية في كتاب العقد لدكتور حسن عيسى أبو ياسين و د. وفاء فهمي السنديوني ص ١٤٨ من أعلام التربية العربية والإسلامية – المجلد الثاني – مكتب التربيّة العربي لدول الخليج .

(٥) راجع المصادر التي تناولت نسبه .

وأشار الذهبيّ بأن حُدير المرواني – وهو الجد الثالث لابن عبد ربه – : هو الذي كان مولى لأمير الأندلس هشام ابن عبد الرحمن الداخل[١] .

وقول الذهبي أنسب للتسلسل التاريخي ، إذ أن هشام بن عبد الرحمن ولد سنة (١٤٢ هـ) ، بينما كان مولد ابن عبد ربه سنة (٢٤٦ هـ) .

ومما لا شك فيه أن ابن عبد ربه كان من أهل قرطبة[٢] ، بها نشأ وترعرع ، وفيها تربى ، وجلّ حياته كانت فيها .

أُسرته ونشأته :

الحديث عن نشأة ابن عبد ربه وطفولته وشبابه صعب ، لأن المصادر لا تعطينا معلومات تفيدنا عن ذلك . حتى فيما يخص ذويه وأسرته ، فقد ذكر المؤرخون بأن أحد أجداده وهو حدير بن سالم – على الأرجح – كان مولى لهشام بن عبد الرحمن ، ثاني الأمراء الأمويين في الأندلس[٣] ويبدو أن أسرة ابن عبد ربه منذ تلك الفترة صارت توالي البيت الأموي .

وذكر بعض المؤرخين ابناً لابن عمه وهو : أبو عثمان سعيد بن إبراهيم[٤] ابن محمد بن عبد ربه المتوفى سنة (٣٤٢ هـ)[٥] وهو معاصر له ، وكان سعيد هذا أحد الأطباء النابغين في زمانه ، وكان له بعض اجتهادات في الطب وخاصة فيما يتعلق بمداواة الحميات[٦] ، وكان شاعراً أديباً[٧] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٧٣ .
انظر أيضاً ترجيح محمد خليفة التونسي بمقالته : ابن عبد ربه وكتابه ص ١٤ – ١٥ في مجلة تراث الإنسانية المجلد الثاني – جمهورية مصر .

(٢) ابن الفرضي : المصدر السابق ص ٣٨ .

(٣) راجع المصادر التي ذكرت نسب ابن عبد ربه .

(٤) في بعض المصادر باسم سعيد بن عبد الرحمن ، ومرة سعيد بن أحمد ، وما ذكرناه في المتن هو الأصح كما رجح ذلك صاعد بن أحمد في طبقات الأمم ص ٧٨ ، ٧٩ انظر مناقشة فؤاد سيد في هامش كتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ١٠٤ .

(٥) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص ١٠٤ – ١٠٥؛ الحميدي : جذوة المقتبس ص ٤٠٠؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٤٨٩ .

(٦) ابن جلجل : المصدر السابق ص ١٠٤ ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ص ٤٨٩ .

(٧) ابن جلجل : المصدر السابق ص ١٠٤ ؛ الحميدي : المصدر السابق ص ٤٠٠ ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ص ٤٨٩ .

ولا يوجد ما يفيد في وصف علاقة سعيد بن إبراهيم هذا وابن عبد ربه ، سوى أبيات بعث بها سعيد إليه معاتباً إياه في عدم حضور دعوته حينما دعاه ، وقد رَدّ عليه ابن عبد ربه بشعر مماثل[١] .

وقد نشأ ابن عبد ربه في مدينة قرطبة التي كانت تزخر بجمهرة من العلماء والأدباء سواء من علمائها الأصليين أو الذين وفدوا إليها من خارجها وخاصة من المشرق ، لأنها ((كانت قبة الإسلام ومجتمع العلماء الأنام ... وإليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء ، إذ كانت مَركز الكرماء ومعدن العلماء ...))[٢] والتقى ابن عبد ربه مع كبار العلماء الأندلسيين ودرس على أيديهم ، وأخذ عنهم مختلف فنون العلم والمعرفة ، وخاصة العلوم الشرعية والعربية ومنهم بقي بن مخلد[٣] ومحمد بن وضّاح[٤] ومحمد[٥] بن عبد السلام الخشنى[٦] .

و لم تقتصر طريقة ابن عبد ربه في طلبه للعلم على أسلوب التلقي من مجالس العلماء ، وإنما كان يمارس أيضاً القراءة والمطالعة الواسعة لأخبار الأوّلين وكان له

---

(١) انظر الشعر في ابن جلجل : المصدر السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، وابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٢) المقرى : أحمد بن محمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٣) بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ أحد علماء الأندلس ذو رحلة واسعة ، وكان ورعاً فاضلاً زاهداً مجاب الدعوة ، توفي بالأندلس سنة (٢٧٦ هـ) . انظر (ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٢٨٠ - ٢٨١) .

(٤) محمد بن وضاح بن بزيع ، أبو عبد الله المرواني ولاءاً ، ولد سنة ١٩٩ هـ وله رحلة إلى المشرق ، وكان عالماً متبحر ، وتوفي سنة ٢٨٧ هـ . انظر (الذهبي : سير أعلام ١٣ / ٤٤٥ - ٤٤٦) .

(٥) محمد بن عبد السلام الخشنى من أهل كورت جيّان ، وانتقل إلى قرطبة فسكنها ، إلى أن توفي بها ، وكان فصيح اللسان ، بصيراً بكلام العرب ، ورحل إلى المشرق فلقى المازنيّ ، وأبا حاتم والريّاشي ، وله تأليف في شرح الحديث . انظر (الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦٨) .

(٦) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص ٣٨ ؛ الذهبي : العبر ٤ / ٢٩ .
السيوطي : بغية الوعاة ١ / ٣٧١ نقلاً عن ابن الفرضى .

صبر طويل في هذا المضمار[١] . ويظهر لمن يقرأ كتابه العقد أن الرجل كان له علاقة كبيرة بما كتبه العلماء والأدباء الذين سبقوه أمثال : الجاحظ والمبرد وابن قتيبة ، وأبو عبيدة والطبري وغيرهم .

وصار ابن عبد ربه من ألمع رجالات عصره فقد شهد له بعض المؤرخين بأنه ((من أهل العلم والأدب والشعر))[٢] ووصفه بعضهم ((بالفقيه العالم))[٣] كما وصفه الذهبي بالعلاّمة[٤] ونعته الثعالبي : بأنه ((أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً وأدباً ونبلاً ...))[٥] .

ولابن عبد ربه حظ كبير في معرفة الشعر ومناحيه وفنونه ، وكان من مقدّمي شعراء بلاط الأمراء والخلفاء في قرطبة ؛ ولا غرو في ذلك لأن شعره ((في نهاية الجزالة والحلاوة وعليه رونق البلاغة والطلاوة))[٦] .

وكل من ترجم له أشار إلى كثرة شعره[٧] ، وهذا الشعر متناثر في ثنايا كتابه " العقد " وفي يتيمة الدهر للثعالبي مقطوعاً كثيرة[٨] .

---

(١) اليافعي : عبد الله بن أسعد : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢ / ٢٩٥ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٠١ .
الضبي : بغية الملتبس ص ١٤٨ .
ياقوت : معجم الأدباء ٤ / ٢١٣ .

(٣) الفتح بن خاقان : مطمح الأنفس ص ٢٧٠ ؛ المقرى : نفح الطيب ٧ / ٤٩ نقلاً عن الفتح بن خاقان .

(٤) العبر ٤ / ٢٩ .

(٥) يتيمة الدهر : ٢ / ٧٤ .

(٦) الثعالبي : المصدر السابق ٢ / ٧٤ .

(٧) انظر الحميدي : المصدر السابق ١٠١ ؛ الضبي : المصدر السابق ص ١٤٨ .

(٨) انظر أيضاً شعره في معجم الأدباء ٤ / ٢٢١ – ٢٢٥ ؛ ومطمح الأنفس ص ٢٧٠ – ٢٧٣ ؛ ونفح الطيب ١ / ٣٥٤ ، ٣ / ١٣١ ، ٣ / ٢٩٥ ، ٣ / ٤٣٥ ، ٣ / ٤٣٨ ، ٣ / ٤٤٤ ، ٣ / ٤٤٧ ، ٣ / ٥٦٤ ، ٣ / ٥٦٨ ، ٤ / ٣٢١ .

قال الحميدي : ((شعره كثير مجموع ، رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً (أي كراسة) ، من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر وفي بعضها بخطه))(١) .

ويبدو أن هذا الديوان ضاع وَفُقِدَ فلم يعثر عليه(٢) .

وقد ذاع صيت ابن عبد ربه في أصقاع الجزيرة الأندلسية ، وخارجها ؛ وأصبح من فحول شعرائها فناً وبلاغة ؛ حتى برز في روعة شعره ، وفصاحة لسانه ، ووصل خبره إلى المشرق الإسلامي .

أورد بعض المؤرخين أن الخطيب أبا الوليد بن عسّال حج ، فلما انصرف تطلع إلى لقاء المتنبّي واستشرف له ورأى أن لُقيته فائدة يكتسبها ، وحُلَّه فَخْر لا يحتَسِبُها ، فصار إليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلاً ، ثم قال : انشدني لمليح الأندلس ، يعني ابن عبد ربه ، فأنشده :

يالؤلؤ يَسْبي العقول أنيقاً ... وَرَشاً بتقطيع القلوب رفيقاً
ما إن رأيت ولا سَمعْتُ بمِثْلِهِ ... دُرّاً يعودُ من الحياء عقيقاً
وإذا نظرتَ إلى محاسن وَجْههِ ... أَبْصَرْتَ وجهكَ في سناه غَريقاً
يا من تَقَطّع خِصْره من رِقَّةٍ ... ما بالُ قلبكَ لا يكون رقيقاً

فلما أكمل انشاده استعادها منه ، ثم صفق بيديه وقال : يا ابن عبد ربه ، لقد يأتيك العراق حبواً(٣) .

---

(١) جذوة المقتبس ص ١٠١ ؛ انظر ياقوت : المصدر السابق ٤ / ٢١٥ نقلاً عن الحميدي .

(٢) ذكر اليافعي هذا الديوان ، ولكنه لم يذكر أنه اطلع عليه . وقد جمع الدكتور محمد رضوان الداية بعض أشعاره مع شرح وتحقيق في كتاب سماه " ديوان ابن عبد ربه " . دار الفكر - دمشق ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . كما جمع الدكتور محمد التونجي بعض أشعار ابن عبد ربه مع شرح في كتاب سماه أيضاً " ديوان ابن عبد ربه " . دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م بيروت - لبنان .

(٣) ياقوت : معجم الأُدباء ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ؛ الفتح : مطمح الأنفس ص ٢٧٣ ؛ المقرّى : نفح الطيب ٣ / ٥٦٤ - ٥٦٥ نقلاً عن الفتح .

وقبل أن ننهي الحديث عن شعر ابن عبد ربه ينبغي أن نذكـر هنـا أن الرجـل كان له باع طويل في الموشحات ، وفاق أقرانـه حتـى تميز بهـا ، وقـد أخـذ ابـن عبد ربه هذا الفن عن مقدّم بن مُعافى القبرى[١]، مخترع الموشحات في الأندلس[٢].

وقيل أن ابن عبد ربه هو أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات[٣] .

غير أن أروع ما تميز به ابن عبد ربه في الشعر هو أرجوزته الشعرية التي مـدح بها الخليفة الناصر ، ويبين فيها بعض أخبار الخليفة وجهاده ، وهي ملحمة تاريخية حولية للخليفة وغزواته[٤] ، وتعتبر جملة أشعار ابـن عبـد ربـه بمنتهـى الروعـة وفي الذّروة العليا[٥] .

وقد ذكر بعض الكتاب المعاصرين استنتاجاً من أشعار ابن عبد ربه بأنه كـان يتصف بالمجون وشرب الخمر وهو ما لم يعرف من سيرته وتاريخه[٦] .

وجُلَّ من ترجم له من المتقدّمين أشاروا إلى تدينه وعفته[٧] .

قال الحميدي : ((كان لأبي عمر بالعلم جلالة ، وبالأدب رئاسة وشهرة مـع ديانته ، وصيانته ...))[٨] .

وقال الفتح بن خاقان : ((وأما الأدب فهو - كان - حُجَّتـه ، وبـه غَمـرَتْ

---

(١) أحد شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني . (انظر : ابن سعيد : المقتطف ص ٢٥٥) .

(٢) ابن سعيد : المقتطف من أزهـار الطـرف ص ٢٥٥ ؛ الفتـح بـن خاقـان : المصـدر السـابق ؛ ابـن خلدون : المصدر السابق ١ / ٥١٨ - ٥١٩ ؛ المقرى : نفح الطيّب ٧ / ٦ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة في محاسـن أهـل الجزيـرة ١ / ٢ ص١ ؛ انظر عبـد العزيـز عتيـق : الأدب العربـي في الأندلس ص ٣٤٢ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد ٤ / ٥٠١ - ٥٠٢ . انظر ما كتبه جبرائيل جبـور : ابـن عبـد ربـه وعقـده ص ٣٩ - ٤٠ .

(٥) الذهبي : العبر ٤ / ٢٩ .

(٦) جبرائيل جبور : ابن عبد ربه وعقده ص ٤٦ ؛ أحمد أمين : ظهر الإسلام ٣ / ١٢٣ .

(٧) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٠١ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص ١٤٨ ؛ الفتـح : مطمـع الأنفـس ص ١٧٠ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٤ / ٢١٥ .

(٨) جذوة المقتبس ص ١٠١ .

الأفهام لُجَّته ، مع صيانةٍ وورع وديانة ...))[١] .

والذين كتبوا تأريخه لا تجد أحداً يتّهمه بأنه كان يشرب الخمر .

أما ورود ذكر الخمر في بعض أشعاره ، فلا يستدل منها أنه كان يتعاطاها ، بل ذكر أنه لا يشرب النبيذ فضلاً عن الخمر ، فقال :

أما النبيذ فإني لست أشربه ولست آتيك إلاّ كسرتي بيدي[٢]

يقول سعيد الأفغاني : ((نريد هنا أن ننبه إلى أن هذا شائع عند عامة الشعراء حتى الفقهاء منهم . فمن لوازم الشعر صفة النساءِ والخمر وإنا نخطيء كثيراً إذا اعتمدنا في درس حياة شاعر على ما يذكر في شعره من حب للنساء والخمر أو تمدح بالشجاعة وعفة النفس . والبون شاسع بين أقوال الشعراء عندنا وأفعالهم منذ الجاهلية حتى اليوم ، والذي يثبت شرب الخمر على صاحب العقد خبر مأثور أو رواية مشهورة))[٣] .

و لم نجد شيئاً من هذا في المصادر التي ترجمت لحياته . أما مجرد ذكر ذلك في الشعر فلا يكفي إذ الشعراء يقولون ما لا يفعلون .

وقد ورد في الشعر المنسوب إلى ابن عبد ربه قوله :

ديننا في السماع دين مدينيّ وفي شربنا الشراب عراقي

وهذه المسألة فيها إيهام وتزوير قديم على بعض أهل العلم سواء من أهل المدينة أو أهل العراق ، وشاعت في كتب الأدب مثل مؤلفات الجاحظ

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٠ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٠٢ ؛ الفتح : مطمح الأنفس ص ٢٧٠ - ٢٧١ ؛ الضبى : بغية الملتمس ص ١٤٩ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٤ / ٢١٦ - ٢١٧ ؛ يرجح الدكتور إحسان عباس ، عدم شرب ابن عبد ربه بالخمر على الرغم أنه أكثر ذكرها في شعره . انظر كتابه : تاريخ الأدب الأندلسي ص ١٨٤ .

(٣) انظر : مجلة المجمع العلمي العربي لمقالته وتقريظه لكتاب جبرائيل : ابن عبد ربه وعقده ص ٤٨٨ - ٤٨٩ المجلد الخامس عشر سنة ١٩٣٧ م دمشق .

والأصفهاني صاحب الأغاني ، وهذا غلط لا تصح نسبته لفقهاء المدينة بأنهم يبيحون سماع الأغاني[١] ، كما أن فقهاء العراق الذين نسب إليهم شرب النبيذ فالمراد به النبيذ المباح الذي لم يتغير ويصير خمراً .

والمتأمل يرى أن بين هذا البيت وبين الذي قبله تناقضاً ففي البيت الأول ينفي عن نفسه شرب النبيذ ؛ بينما في البيت الثاني يرى أن مذهبه في الشرب مذهب أهل العراق الذي زعم أنه يبيح النبيذ ، وهذا تناقض مما يدعو إلى الشك في صحة ذلك عنه ، أضف إلى ذلك عادة الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون .

والجدير بالذكر أن ابن عبد ربه في آخر حياته قد لام نفسه على شعره الأول ثم قال أشعاراً في الزهد والتوبة ، وذكر المؤرخون أن هذا النوع من الشعر سماه ابن عبد ربه المُمَحِّصات[٢] ، وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد محّصها بها ، كالتوبة منها ، والندم عليها[٣] .

وهذه التوبة ليست توبة عن المجون وشرب الخمر كما ظن ذلك بعض المعاصرين[٤] .

يقول إحسان عباس : « اعتقد أن توبته كانت توبة الفقيه المتحرج ، لا توبة اللاهي العابث ، وأعني بالفقيه المتحرج من يدركه الخوف من صغائر الذنوب في شيخوخته ومن ينظر إلى الغزل أو القول في الخمر أو إلى استماع الغناء والنظر إلى

---

(١) انظر عبد الله الخلف : مجتمع الحجاز في العصر الأموي ٢ / ٥٨٠ وما بعدها وفيه بحث مستفيض مفيد في المسألة . رسالة دكتوراه – قسم الأدب – كلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية عام ١٤٠٧ هـ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٠٢ ؛ الفتح بن خاقان : مطمح الأنفس ص ٢٧٥ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص ١٥٠ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٤ / ٢١٧ ؛ قال الخفاجي وهو يتكلم هذا النوع : سماها الممحصات ، تفاؤلاً بأن الله سبحانه يمحص بها ذنوبه . انظر كتابه : قصة الأدب ص ٦٣ .

(٣) انظر المصادر السابقة .

(٤) أمثال : جبرائيل جبور : المرجع السابق ص ٤٦ ؛ أحمد أمين : ظهر الإسلام ٣ / ١٢٣ .

الجواري الجميلات نظرة مخالفة لما كان يستبيحه من ذلك في شبابه ، ولعله أن يتوهم ذنوباً لم يقترفها))[١] .

وكانت حياة ابن عبد ربه حافلة بالأدب شعراً ونثراً حتى أصبح من كبار الأدباء في الأندلس ، وكان أهل الأندلس يفتخرون به ، كما فعل أبو الوليد الشقندي في مناظرته مع أبي يحيى ابن المعلم الطنجي حيث قال : ((وهل عندكم في رؤساء علم الأدب مثل أبي عمر بن عبد ربه صاحب العقد ؟))[٢] .

وقد كانت ثقافته متأثرة بالمشرق الإسلامي على الرغم من أنه لم يرحل من الأندلس[٣] ، ولكن هذا التأثير يأتي بواسطة شيوخه ، أمثال : بقى بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، محمد بن عبد السلام الخشنى الذين رحلوا إلى المشرق .

وهذه النزعة المشرقية واضحة جداً في كتابه " العقد " من حيث تصنيفه وتبويبه ، ومن حيث مواضعه وأبحاثه حتى حينما بلغ الصاحب بن عباد كتاب العقد وتأمله قال : ((هذه بضاعتنا ردّت إلينا ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم ، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا ، لا حاجة لنا فيه ، فردّه))[٤] .

إنتاجه العلمي :

لم يترك ابن عبد ربه نتاجاً علمياً كبيراً سوى ما اشتهر به وهو كتابه " العقد " إضافة إلى شعره المنثور ، وقد جُمِعَ شعره في ديوان ، كما ذكر

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – ص ١٨٤ .

(٢) المقرى : المصدر نفسه ٣ / ١٩٣ .

(٣) خلافاً لما ذكر أحمد أمين : في ظهر الإسلام ٣ / ٨٥ وأحمد هيكل : الأدب الأندلسي ص ٢٢٨ ومن الغريب أن أحمد أمين يحدد بعض الأماكن التي زارها ابن عبد ربه مثل مصر . أما أحمد هيكل فيؤكد زيارة ابن عبد ربه إلى المشرق مستدلاً بذكره بعض البلدان الشرقية مثل الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والقدس ، ولا يلزم من ذكره لها أن يكون قد زارها . وقد أطبقت كتب التراجم على أنه لم يرحل إلى المشرق .

(٤) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ٤ / ٢١٤ – ٢١٥ .

الحميدي أنه رأى منه نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر وفي بعضها بخطه[١] .

غير أنه يظهر أن هذا الديوان قد ضاع[٢] .

وذكر إسماعيل باشا البغدادي كتابين آخرين لابن عبد ربه ، هما : " اللباب في معرفة الآداب " و " الإرشاد في اللغة "[٣] ولم أجد من أشار لهذين الكتابين غيره .

ولعل أحدهما وهو " اللباب في معرفة الآداب " جزء من العقد نفسه ومن ضمن كتاب " الياقوتة في العلم والآداب "[٤] .

أما كتابه العقد فقد ذكر بعض الباحثين أن نعته بالفريد أُلْحِق به فيما بعد[٥] .

وجميع المصادر الأولية والتي ترجمت لابن عبد ربه لا تذكره إلا بلفظ : " العقد "[٦] ويرد إحتمال أنهم اقتصروا على ذكر العقد دون الوصف اختصاراً .

ويؤكد الباحث جبرائيل جبور أنه اطلع على نسخ مختلفة الأماكن لكتاب العقد وكلها تقتصر على هذا مما يؤكد أن تسمية الكتاب هو " العقد "[٧] فقط دون إضافة .

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٠١ .

(٢) راجع ص ١٨ هامش رقم (٢) .

(٣) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ٥ / ٦٠ .

(٤) انظر ظاهر أحمد مكي : دراسة في مصادر الأدب ص ٢٢٤ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٣ / ١٤٠ ؛ جبرائيل جبور : ابن عبد ربه وعقده ص ٤٧ .

(٦) مثل : الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٠١ ؛ الفتح : مطمح الأنفس ص ٢٧٠ ؛ الضبي : بغية الملتمس ص ١٤٨ ؛ القيرواني : اعلام الكلام ص ٢٦ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٤ / ٢١١ ؛ ابن خلدون : التاريخ ١ / ٥١٩ ؛ المقرى : نفح الطيب ١ / ٣٥٤ ، ٢ / ١١٨ وغيرهم .
وانظر : جبرائيل : مرجع سابق ص ٤٧ - ٤٩ . الجدير بالذكر أن د. طاهر أحمد مكي يرفض الجزم بأن كلمة الفريد أضيفت فيما بعد ، رغم أنه أشار إلى أن المصادر الأولية لم تضف إلى ذلك . انظر كتابه دراسة في مصادر الأدب ص ٢٢٥ .

وهذا الكتاب من أهم المصادر الأدبية ، وهو موسوعة علمية فريدة في ترتيبها وتنوع أخبارها ، وهو يحتوي على روايات تاريخية جمة في مختلف العصور التاريخية حتى عصر المؤلف[١] .

وقد قَسّم ابن عبد ربه موسوعته إلى خمسة وعشرين كتاباً ، وجعل كل كتاب في جزئين ، فذلك خمسون جزءاً (أي فصلاً) ، وسمي كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد ، فأولها : كتاب اللؤلؤة في السلطان ثم كتاب الفريدة في الحروب ثم كتاب الزبرجدة في الأجواد ، ثم كتاب الجمانة في الوفود ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك ، ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب ، ثم كتاب الجوهرة في الأمثال . وهكذا إلى آخر الكتاب .

---

(٧) انظر : ابن عبد ربه وعقده ص ٥٠ هامش رقم (٢) .

(١) وجد في العقد بعض روايات تاريخية دخيلة أضيفت بعده ، ومثال ذلك الأخبار التي تتعلق بالخلفاء العباسيين الذين جاؤوا بعد وفاته ، ومع ذلك دونت أخبارهم ضمن كتابه العقد ، ولعلّ النّسّاخ أضافوا إليه مثل ذلك انظر العقد ٥ / ١٢٩ - ١٣١ ، (٤ / ١٦٨) في الروايات المتعلقة بشأن بعض الخلفاء العباسيين الذين كانوا أحياءاً بعد وفاة ابن عبد ربه مثل : المتقي با لله ، والمستكفي ، والمطيع .

مرضه ووفاته :

بعد حياة حافلة بفنون متعددة من العلم ، أصيب ابن عبد ربه بمرض الفالج قبل موته بأعوام[١] ، وهو مرض خطير أثر في جسمه ولكنه لم يؤثر في عقله ولسانه ، واستمر ينتج أدباً رغم مصاحبة هذا المرض له ، ووصف ابن عبد ربه ذلك في آخر حياته ، وبالتحديد قبل وفاته بأحد عشر يوماً[٢] ، وقال :

كِلاَنى لما بى عاذليَّ كفانِى طوْيتُ زماني برهةً وطواني
بليتُ وأبلتْني الليالي وكرُّها وصِرفان للأيام مُعتوران
ومالي لا أبكي لسبعين حجّة وعشر أتت من بعدِها سنتان
فلا تسألانى عن تباريح علّتى ودونكما منى الذي ترَيان
وإني بحمد الله راجٍ لفضله ولي من ضمان الله خير ضمان
ولست أبالي عن تباريح علّتي إذا كان عقلي باقياً ولساني
هما ما هما في كل حالٍ تلُمّ بي فذا صارمي فيها وذاك سناني[٣]

وقد وافته المنية إثر هذا المرض عن عمر يناهز إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام[٤] .

وقال بعضهم اثنتان وثمانون سنة[٥] وهذا على طريقة جبر الكسر ، وصرح ابن عبد ربه بمقدار عمره قبل وفاته بأحد عشر يوماً كما جاءت في الأبيات الشعرية[٦] .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ص ٣٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ١١٢ .

(٢) الحميدي : المصدر السابق ص ١٠٣ . انظر عبد العزيز محمد عيسى : الأدب العربي في الأندلس ص ١٨٧ .

(٣) الحميدي : المصدر السابق ص ١٠٤ ؛ الضبى : المصدر السابق ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ص ٣٨ ؛ الحميدي : المصدر السابق ١٠١ ؛ الضبى : المصدر السابق ص ١٤٨ ؛ ياقوت : المصدر السابق ٤ / ٢١٢ ؛ السيوطي : المصدر السابق ١ / ٣٧١ .

وكانت وفاته يوم الأحد لثّنتي عشرة ليلة ، بقيت من جمادى الأولى سنة (٣٢٨ هـ)[١] .

ودفن يوم الإثنين في مقربة بنى العباس ، في قرطبة[٢] .

ثانياً : عصر ابن عبد ربه :

عاش ابن عبد ربه في الفترة من ولادته سنة ٢٤٦ هـ حتى وفاته سنة ٣٢٨ هـ ببلاد الأندلس .

وقد عاصر مرحلتين من مراحل الحكم الأموي بالأندلس :

المرحلة الأولى : عصر الامارة ، وقد عاصر في هذه الفترة ثلاثة من الأمراء الأمويين هم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[٣] (٢٣٨ -٢٧٣ هـ) والمنذر بن محمد[٤] (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) وعبد الله بن محمد[٥] (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) .

---

(٥) المقرى : نفح الطيب ٣ / ٢٩٥ ؛ الذهبي : العبر ٤ / ٢٩ .

(٦) الحميدي : المصدر السابق ص ١٠٣ .

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ص ٣٨ ، وفيه سنة (٣٨١) وهو خطأ . ولعله الناسخ حرفه وقلبه بدلاً من سنة (٣٢٨ هـ) ؛ الحميدي : المصدر السابق ص ١٠١ ؛ الضبى : المصدر السابق ص ١٤٨ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ٤ / ٢١٢ ؛ السيوطي : بغية الوعاة ١ / ٣٧١ ؛ حاجى خليفة : كشف الظنون ٢ / ١١٤٩ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ص ٣٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ١١٢ .

(٣) الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، كان يكنى أبا عبد الله ، وأمه أم ولد اسمها تهتز ، فاتصلت ولايته إلى أن مات في آخر صفر سنة ٢٧٣ هـ) . انظر : (الحميدي : جذوة المقتبس ص ١١) .

(٤) الأمير المنذر بن محمد أبو الحكم ، وأمه أم ولد اسمها أثل ، ولد سنة ٢٢٩ هـ ، ومات بباشتر محاصراً للثائر ابن حفصون سنة (٢٧٥ هـ) . انظر : (الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٢) .

(٥) الأمير عبد الله بن محمد ، يكنى أبو محمد ، ولد سنة (٢٣٠ هـ) أمه أم ولد اسمها عشام ، طال عمرها إلى أن ماتت قبل موته بسنة وشهر ... وتوفى مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠ هـ) . انظر : (الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٢) .

المرحلة الثانية : عصر الخلافة ، وعاصر ابن عبد ربه فيها الخليفة عبد الرحمن ابن محمد الملقب بالناصر[١] (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وأدرك من دولته ثمانية وعشرين عاماً منها اثنى عشرة سنة من اعلان الخلافة والذي كان في ذي الحجة سنة (٣١٦ هـ)[٢] .

وقد كانت بلاد الأندلس في هذه الفترة التي عاشها ابن عبد ربه غير مستقرة من الناحية السياسية ، فهناك العديد من الثورات والفتن الداخلية .

ومن هذه الثورات ثورة أهل طليطلة الذين ثاروا على عامل الأمير محمد بن عبد الرحمن في أول سنة من ولايته[٣] .

وكانت ثورة أهل طليلة تتجدد مرة بعد مرة ، حتى خرج الأمير محمد بنفسه مع جيش كبير لتأديبهم ، واستطاع الأمير أن ينزل فيهم هزيمة مريرة ، إلى أن دعا أهل طليلة إلى الأمان وذلك سنة[٤] (٢٤٠ هـ) .

ومن الثورات أيضاً ثورة عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى والتي امتدت من قرطبة إلى المغرب ، فكانت ثورته من أوائل الثورات وأكبرها في هذه الفترة ، وكان من المولّدين[٥] .

وقد أرسل الأمير محمد بن عبد الرحمن لتأديبه أخاه وَوَلِيَ عهده الأمير المنذر ابن عبد الرحمن ، إضافة إلى قائده الحربي هاشم بن عبد العزيز حتى اضطر ابن مروان إلى الاستسلام وأذعن لأمر الإمارة وذلك سنة ٢٦٢ هـ[٦] .

---

(١) الأمير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، يكنى أبا مطرف ، وأمه أم ولد اسمها مُزْنة ، وقتل أبوه على يد أخيه المطرف ، وتولى الحكم وعمره اثنتان وعشرين ، فكان حكمه أطول فترة لحكم بني أمية في الأندلس وتوفى سنة (٣٥٠ هـ) . انظر : (الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٢ - ١٣) .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار المغرب ٢ / ١٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٩٤ .

(٤) المصدر نفسه ٢ / ٩٦ .

(٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠١ .

(٦) ابن القوطية : المصدر السابق ص ١٠١ - ١٠٢ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١٠٢ .

ومن الثورات المبكرة في هذه الفترة ثورة لب بن منديل في جبل الجزيرة ببيشتر وثورة ابن أبي الشعراء ، وقد بعث الأمير محمد وزيره هاشم لإخماد هاتين الثورتين[١] .

غير أن أهم وأخطر الثورات كانت تتمثل في ثورة عمر بن حفصون ببيشتر من كورة ريّة[٢] ، وكان أبوه من مسالمة أهل الذمة ، وكان سبب ثورته ، أنه ضربه عامل ريّة بالسياط تأديباً له بعد أن ارتكب فساداً فَأُخِذَ فِيه – ولكن ابن حفصون هرب إلى تاهرت[٣] .

وقد توفى الأمير محمد قبل أن يقضي على هذا المارد .

ووصف ابن عبد ربه عمر بن حفصون بالمارق المرتدّ[٤] .

وكانت ثورة ابن حفصون مستمرة حتى شرع الأمير المنذر في تأديب هذا الثائر ، وأرسل إليه جيوشاً متلاحقة حتى استطاع الحصار عليه ، وفتح جميع الحصون والقلاع التي تحصن بها . وأجبره على إبرام الصلح ، ثم نكث العهد ، فكرّر الأمير الحصار عليه ومحاربته غير أن الأمير وافته المنية قبل إنهاء هذا التمرد[٥] .

ولما اعتلى عرش الإمارة الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠ هـ) ظهرت الفتن والثورات من جديد ، في مختلف مناطق الأندلس ، قال الحميدي : ((وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن ، وصار في كل جهة متغلب ، فلم يزل

---

(١) ابن القوطية : المصدر السابق ص ١٠٤ .

(٢) ريّة : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء وهي قبلى قرطبة ، وهي كثيرة الخيرات ولها مدن وحصون ورستاق واسع ذكر متفرقاً . (معجم البلدان ٣ / ١٣١) .

(٣) ابن القوطية : المصدر السابق ص ١٠٣ . انظر أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي ص ٥٧ .

(٤) العقد ٤ / ٤٩٦ .

(٥) ابن القوطية : المصدر السابق ص ١١٣ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١١٦ ، ١١٨ . انظر كيلاني : نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ص ١٨١ .

كذلك طول ولايته إلى أن مات ...))[١] .

وأهم هذه الثورات ثورة ابن حفصون الذي استفحل أمره من جديد ، والتف حوله أناس كثير[٢] .

ويعلل الذهبي : ظهور المتغلبين في كل قطر من الأندلس في هذا الوقت بسبب لين الأمير عبد الله وحبه العافية[٣] .

ومن هذه الثورات : ثورة سوّار بن حمدون ؛ وثورة سعيد بن جُودى ؛ وثورة العرب باشبيلية ؛ وثورة دَيْسَم بن إسحاق ؛ وثورة عبيدة بن أمية ؛ وثورة مُنْذِر بن إبراهيم بن محمد بن السَّليم ، وثورة محمد بن عبد الكريم ؛ وثورة خير ابن شاكر ؛ وثورة عمر بن مُضِمّ الهَتْرُوليّ ؛ وثورة بني هابل وهم مُنذر بن حُرَيْز ابن هابل أكبرهم ، وأخوه أبو كرامة هابل بن حُرَيز ، وأخوه عامر وأخوه عُمرَ حيث ثاروا في حيّان[٤] . وغيره من الثورات التي تمت في عهد الأمير عبد الله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) .

ولما تولى الحكم الأمير عبد الرحمن الناصر بن محمد (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) كانت الفتن والثورات تشتعل في كل الأندلس ، فقد توفى الأمير عبد الله وهو يحاول إخماد تلك الثورات ، ولكن دون جدوى .

وفور مجيئ الأمير عبد الرحمن الناصر إلى الإمارة بدأ يحارب المتغلبين واحداً تلو الآخر حتى استطاع السيطرة على الوضع ولكن تطلب ذلك منه جهوداً متواصلة طيلة خمس وعشرين سنة من ولايته[٥] .

ومن بين هذه الثورات ثورة المارد عمر بن حفصون الذي لقي نحبه

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص ٢٢ . انظر الذهبي : سير أعلام ٨ / ٢٣٥ .

(٢) ابن القوطية : المصدر السابق ص ١١٥ . انظر الذهبي : المصدر السابق ٨ / ٢٣٥ .

(٣) الذهبي : المصدر السابق ٨ / ٢٣٥ .

(٤) انظر تفاصيل هذه الثورات : ابن عذارى : البيان المغرب (٢ / ١٣٣ - ١٣٧) .

(٥) الحميدي : المصدر السابق ص ١٣ ؛ المقرى : نفح الطيب ١ / ٣٥٣ .

سنة (٣٠٥ هـ)[١] .

و لم يكن الذي يهدد أمن واستقرار الإمارة الأموية بالأندلس الثورات والفتن الداخلية فحسب ، وإنما كانت هناك أخطار خارجية تهدد كيان المسلمين في الجزيرة الايبيرية ، وهذا الخطر يتمثل في ممالك النصارى ، أمثال : مالك أُرْدُنّ بن إذْفُونْش صاحب جلّيقيَّة ، منذ ولاية الأمير المنذر (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) وكان هذا الملك يَمُدُّ المتمردين والخارجين على الإمارة مثل ثورة أهل طليطلة ، وكانت جيوشه تشترك في بعض المعارك ، ولكن ا لله نصر المؤمنين على أعدائهم في معركة وادي سليط سنة ٢٤٠ هـ[٢] .

وكان الأمراء الأمويّون يحسّون ما يحيكه أعداؤهم من غير المسلمين من المؤامرة للقضاء على وجودهم في الأندلس ، لذلك كانوا يبدأون بالغزو ، وربما كان يستمر هذا الغزو السنة وأكثر[٣] .

وأعطى المسلمون اهتماماً كبيراً لتطوير قوتهم العسكرية في البرّ والبحر للدفاع عن أنفسهم ، ومواصلة الجهاد في سبيل ا لله ، وإرساء منهجه في الأرض ، حيث أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن ببناء مراكب في نهر قرطبة ، وبعد انشاءه هذه المراكب حملها إلى البحر المحيط حيث ألتقوا بقرب صقيلة باسطول الروم[٤] ورغم كثرة الفتن والأخطار التي كانت تهدد الأمارة الأموية في الداخل والخارج إلا أن نفوذ سلطة الأمويين اتسعت وأعلن بنو رستم في تاهر وبنو مدرار في سجلماسة ولاءهم للأمير محمد بن عبد الرحمن ، كما هادنهم ملك الفرنجة وعمل معهم صلحاً قوياً[٥] فإنه في آخر عهد الأمير محمد ظلت الدولة قوية ، حتى

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١٧١ .

(٢) انظر ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ٩٤ - ٩٥ .

(٣) الذهبي : سير أعلام ٨ / ٢٦٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٧ / ٣٣٤ ؛ ابن خلدون : التاريخ ٤ / ١٣١ ؛ انظر محمد محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ص ٣١٤ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ٢ / ١٠٨ ؛ انظر أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي ص٥٢ .

امتدت ، وتوغلت في بلاد الروم ، وصار لها شأن عظيم[١] .

واستطاع الأمير عبد الرحمن أن يظفر على أعداءه من غير المسلمين[٢] وذلك عقب إخماده الثورات الداخلية .

والحقيقة كانت لهذه الإنتصارات الواسعة النطاق التي حققها الأمويّون - وخاصة الأمير عبد الرحمن - صدى كبيراً في الأندلس ، بل وطارت شهرته إلى خارج البلاد ، حتى هابه ملوك النصارى ((وأوفدوا إليه رُسُلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعنّ في مرضاته ...))[٣] .

وقد اتسعت رقعة نفوذ الإمارة حتى وصلت إلى المغرب الأقصى حيث سيطر على طنجة وسبته[٤] .

كما اتسع نفوذ الدولة في عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد إلى بلاد الروم ، حتى ((دوَّخهم ، ووضع عليهم الخراج ، ودانت له ملوكُها))[٥] .

ولذا فقد قرر الأمير عبد الرحمن بعد تلك الإنتصارات ، تحويل إسم إمارته إلى خلافة وتسمّى " بأمير المؤمنين " وتلقب بالناصر لدين الله[٦] .

وكان الأمراء الأمويون قبله منذ تأسيس إمارتهم في الأندلس حتى آخر السنة السابعة عشرة من ولايته سنة (٣١٦ هـ) يخطب لهم بالإمارة فقط[٧] .

---

(١) الذهبي : سير أعلام ٨ / ٢٦٣ .

(٢) انظر تفاصيل ما أورده المقرى في نفح الطيب ١ / ٣٦٣ .

(٣) المقرى : المصدر نفسه ١ / ٣٥٤ .

(٤) الذهبي : المصدر السابق ٨ / ٢٦٨ ؛ انظر المقرى : المصدر السابق ١ / ٣٥٤ ، ١ / ٣٦٣ .

(٥) الذهبي : سير أعلام ٨ / ٢٦٧ .

(٦) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٣ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١٥٧ .

(٧) الحميدي : المصدر السابق ١٣ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٨ / ٢٦٦ وفيه السنة السابعة وعشرين من ولايته .

ويذكر المؤرخون عدة أسباب أدت إلى إعلان عبد الرحمن الخلافة بالأندلس ومنها : ما آلت إليه الخلافة العباسية في العراق من الضعف والإضمحلال في زمن المقتدر ، بسبب تسلّط الأتراك عليها إضافة إلى توسع الشيعة الفاطميين في المغرب ، واستفحال أمرهم وتلقبهم بالخلافة[١] .

وأيّما كان الأمر ، فإن الأمير عبد الرحمن عمل هذا الإجراء بكلّ الثقة والإقتناع وأصدر أوامره في رسالة نافذة إلى العمال وقال فيها : ((قد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنّا وورودُها علينا بذلك ...))[٢].

وأول من امتثل لذلك أحمد بقى بن مخلد الخطيب بجامع قرطبة حيث استهل بذكر هذا اللقب للخليفة في خطبة الجمعة في شهر ذى الحجة من سنة (٣١٦ هـ)[٣].

ومنذ ذلك اليوم برزت شخصية الخليفة عبد الرحمن من جديد وازدادت ولايته علواً ومكانة ، في داخل قطر الأندلس وخارجه ، وتوافد إليه الوفود من مختلف البلاد ، حيث وفد إليه رسل من ممالك النصرانية مثل رسل صاحب القسطنطينية ، وملك الصقالبة ، وملك الألمان ، وملك الفرنجة وغيرهم[٤] .

وقد كانت علاقة ابن عبد ربه بهؤلاء الأمراء الأمويين وبلاطهم طيّبة ، وكان مقرباً لهم ، فقد مدح الأمير محمد بن عبد الرحمن[٥] وسجل لنا بعض تاريخ الأمير المنذر بن محمد وصفته ، ومدحه بشعر خفيف قال فيه :

بالمنذر بن محمد ... شرفت بلاد الأندلس
فالطير فيها ساكن ... والوحش فيها قد أنس[٦]

---

(١) الحميدي : المصدر السابق ص ١٣ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ٢ / ١٥٧ ؛ المقرى : نفح الطيب ١ / ٣٥٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ٢ / ١٩٨ .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ٢ / ١٥٧ .

(٤) المقرى : المصدر السابق ١ / ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٥) الحميدي : المصدر السابق ص ١٠١ ؛ الضبى : بغية الملتمس ص ١٤٨ .

(٦) الضبى : المصدر السابق ص ١٣٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ١١١ .

ومن خلال الأخبار التي ذكرها ابن عبد ربه عن الأمير المنذر ، فإنه يعرض أخباره بدون واسطة ، بينما عند حديثه عن أبيه الأمير محمد فإنه يأخذ الأخبار عن شيخه بقى بن مخلد[١] وكان من شعراء بلاط الأمير المنذر الخاصين[٢] كما مدح الأمير عبد الله بن محمد بشعر قال فيه :

يا مَلِكاً ذلّت له المُلوكُ   ليس له في مُلكِهِ شَريكُ
ثَبَّتْ لعبد الله حُسن بيته   وأعطفه بالفَضل على رعيّته[٣]

وقال أيضاً :

خلافة عبد الله حجّ على الورى   فلا رفث في عصرِهِ وفسوق[٤]

وقال ابن عبد ربه شعراً عبّر فيه عن مشاعره في مناسبة تولية الأمير عبد الرحمن بن محمد الإمارة ، فقال :

بدأ الهلال جديداً   والملك غَضٌّ جديد
يا نعمة الله زيدي   إن كان فيك مزيدُ
إن كان للصَّوْم فِطْر   فأنت للدهر عيدُ[٥]

ولابن عبد ربه أرجوزة شعرية مدح بها الخليفة عبد الرحمن الناصر ، يبيِّن فيها بعض أخبار الخليفة وجهاده[٦] .

واشتهر ابن عبد ربه بولائه للبيت الأموي ، كما كان آباؤه يوالون هذا البيت .

---

(١) انظر : العقد ٤ / ٤٩٤ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١٢٠ .

(٣) انظر : العقد ٥ / ٤٤٢ ؛ محمد رضوان : ديوان ابن عبد ربه ص ٢٤٤ ؛ ومحمد التونجي : ديوان ابن عبد ربه ص ٢١٣ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١٢١ .

(٥) ابن عذارى : المصدر نفسه ٢ / ٢٣٦ ؛ ابن سعيد وآخرون : المغرب في حلى المغرب ١ / ١٧٧ ؛ انظر المقرى : المصدر السابق ١ / ٣٥٤ .

(٦) انظر العقد ٤ / ٥٠١ - ٥٢٧ .

و لم يكن ابن عبد ربه وحده مقرباً من الأمـراء الأمويـين في الأندلـس ، وإنمـا كان غيره من العلماء والأدباء لهم علاقات طيبة وكان كثير من الرجال الصـالحين يتولّون بعـض المنـاصب الإداريـة أمثـال : محمـد بـن زيـاد وسـعيد بـن سـليمان ، وكذلك عمرو بن عبد الله المعـروف بالقبعـة ، وذلـك في عهـد الأمـير محمـد بـن عبد الرحمن[١] .

ومن حرص الأمير محمـد على العلمـاء عـرض علـى العـالم الفقيـه محمـد بـن عبد السلام الخشنى أن يتولى قضاء كورة جيّان ؛ كما عرض كذلك على إبان بن عيسى بن دينار قضاء جيان[٢] .

ومن اهتمام هؤلاء الأُمراء بالعلم والعلماء ، فقد نصر الأمير محمدُ العلامة بقى ابن مخلد ، واقتنى كتاب " مصنف أبي بكر بن أبي شيبة " الذي جاء به بقى مـن المشرق ، رغم معارضة جماعـة مـن أهـل الـرأي والتقليـد ، وانكـارهم علـى هـذا الكتاب ، وقال الأمير لابن مخلد : ((انشر علمك ، وارو ما عندك من الحديـث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك .. ونهاهم أن يتعرضوا له))[٣] .

وصارت قرطبة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمـن مـلاذاً وملجـأً للعلمـاء ، يلوذون بها حين يخافون على أنفسهم وعلمهم[٤] ، وقد نشطت الحركة الثقافية في قرطبة ، وأصبحت ((قبة الإسلام ، ومجتمع علماء الأنام))[٥] .

قال الإدريسي : ((لم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء وسادات الفضلاء))[٦] .

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٦ .

(٢) محمد بن حارث الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء افريقية ص ١٨ .

(٣) الحميدي : المصدر السابق ص ١١ ؛ ابن سعيد : حلّـى المغـرب ١ / ٥٢ ؛ ابـن عـذارى : البيـان المغرب ٢ / ١٠٩ - ١١٠ ؛ الذهبي : سير أعلام ٨ / ٢٦٢ ؛ المقري : نفح الطيب ٢ / ٥١٩ .

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٩٩ .

(٥) المقري : نفح الطيب ١ / ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٦) نزهة المشتاق ٢ / ٥٧٥ .

ولا غرو في أن تكون هذه البيئة بتلك الصورة المشرقة ، وأن ينطوي تحت لوائها بتلك الأعداد الهائلة من العلماء والفقهاء ، الذين أثرو الحياة العلمية في الأندلس حتى ازدهرت الحركة الفكرية فيها ، لأن أمراءها الأمويين كانوا يقّدرون العلم وأهله ، فقد كان الأمير محمد بن عبد الرحمن محباً للعلم والعلماء مكرماً ومعززاً لهم[١] .

ووصف ابن القوطية الأمير المنذر بأنه ((من أهل العقل والسخاء والإكرام لأهل العلم والصلاح والاصطناع لكل من أخذ بحظ من علم وأدب))[٢] .

((وكان الأمير عبد الله محباً للخير وأهله .. متفنّناً في ضروب العلوم ، بصيراً بلغات العرب فصيح اللسان ، حسن البيان ...))[٣] .

أما الأمير عبد الرحمن بن محمد فكان رجل علم وأدب وعالم متبحر في الشريعة والفلسفة[٤] .

لذلك فلا عجب إذا صارت قرطبة مركزاً لإشعاع العلوم وموطن الحضارة الإسلامية ، ومأوى العلماء في ربوع أوربا يَفِد إليها الناس من مختلف أنحاء المعمورة ، طلباً للعلم والمعرفة .

وينبغي أن نشير إلى أشهر العلماء والفقهاء الذين سطع نجمهم في سماء الأندلس في تلك الفترة وتفننوا بفنون المعرفة أمثال : بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، ومحمد بن عبد السلام الخشني ، والفقيه أبو عبد الله زياد عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشطبون، وأحمد بن بقي ومنذر بن سعيد البلوطي ومحمد ابن يحيى النحوي وأحمد بن زياد ، وخالد بن وهب وغيرهم كثير[٥] .

---

(١) ابن القوطية : المصدر السابق ص ٨٦ ؛ الذهبي : سير أعلام ٨ / ٢٣٣ .

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ص ١١٣ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ١٥٣ .

(٤) المقري : نفح الطيب ١ / ٣٢٥ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ٢ / ١٥٦ ، ١٦٧ ؛ الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ص ٥١ .

فأما مِن الناحية العمرانية ، فرغم قلة الإستقرار التي كانت تشهد البـلاد ، إلا أن أمراء الأمويين حرصوا على هذا المجال .

وخاصة في عهد عبد الرحمن الناصر ، عقب انتصاراته على أعدائه في الداخـل والخارج ، وبعد استتباب الأمن والاستقرار في البلاد فقد استطاع الناصر أن يحقق انجازاً كبيراً ؛ حيث بنى في المدة القليلة ما لم يبن الخلفاء في المدة الطويلة كما ذكـر ذلك ابن عبد ربه[١] .

ومن تشييده مدينة الزهراء[٢] ومدينة سالم[٣] .

وأقام دار السكة لضرب الدنانير والدراهم في قرطبـة[٤] وأمـر ببنـاء الصومعـة العظيمة المشهورة في سنة ٣٤٠ هـ[٥] وقام ببعض ترميمات بالمباني مثل زياداتـه في المسجد الجامع بقرطبة في سنة (٣٤٠ هـ)[٦] .

وقام الناصر بجلب الماء إلى القصور من أعلى الجبل ، وبنى المنتزهات[٧] .

وعمل في قرطبة داراً لصناعة آلات الحرب ، وحلّى الزينة ، وغير ذلك[٨] .

ثالثاً : مصادره في الروايات التاريخية :

تنوعت مصادر ابـن عبـد ربـه في الرويـات التاريخيـة الـتي عرضهـا في كتـاب " العقد " ؛ ومن تلك المصادر :

---

(١) العقد ٤ / ٥٠٠ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ٢٠٩ ؛ الذهبي : سير أعلام ٨ / ٢٦٨ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ٢ / ٣١٣ ؛ ابن خلدون : التاريخ ٤ / ١٤٤ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ٢ / ١٩٨ .

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ٢ / ٢٢٨ .

(٦) ابن عذارى : المصدر السابق ٢ / ٢٢٨ .

(٧) ابن خلدون : التاريخ ٤ / ١١٤ .

(٨) ابن خلدون : المصدر السابق ٤ / ١٤٤ .

١ – شيوخه :

أول هذه المصادر التي اعتمد عليها ابن عبد ربه خلال عرضه للمادة التاريخية، شيوخه الذين تتلمذ عليهم مثل : بقي بن مخلد ، ومحمد بن عبد السلام الخشني ، ومحمد بن وضاح[1] وقد سبق أن ذكرنا أن ابن عبد ربه التقى مع كبار العلماء الأندلسيين في عصره ودرس عليهم وأخذ عنهم مختلف فنون العلم والمعرفة ، وخاصة العلوم الإسلامية ، والعربية ، كما أخذ عنهم بعض الأخبار التاريخية ، كما يظهر من كتابه العقد .

ولعلّ هؤلاء الشيوخ والذين رحلوا منهم خاصة إلى المشرق كان لهم دور كبير في النزعة المشرقية التي تبدو في ابن عبد ربه من خلال ما قدمه في كتابه .

لأن هؤلاء العلماء جلبوا إلى الأندلس ثقافات ومعارف لم تكن موجودة من

---

(١) ومن ذلك ما أورده في عقده (٥ / ٩٥ – ٩٦) عن بقي بن مخلد من خطبة يزيد بن الوليد عقب مقتل الوليد بن يزيد يبيّن تبريره لقتل الوليد وعرض سياسته في الخلافة .

وأورد ابن عبد ربه في كتاب العقد (٤ / ٤٩٤) عن بقي بن مخلد أخبار تتعلق بالأندلس أيام الأمير محمد ابن عبد الرحمن .

الجدير بالذكر أن ابن عبد ربه أورد هذه الرواية باسم بقي بن محمد الفقيه وهو تحريف بقي بن مخلد . انظر جبرائيل جبور في كتابه ابن عبد ربه وعقده ص ٤٦ هامش رقم (٣) .

أما ما ذكر ابن عبد ربه عن شيخه محمد بن عبد السلام الخشني ، فقد نقل عنه عدة روايات مثل : الرواية التي تتناول بعض الأحوال الإجتماعية في الكوفة ، انظر العقد ٣ / ٣٩ .

كما أورد رواية في العقد ٣ / ٢٤٩ .

والرواية التي تحكي عن نزار بن مَعدٍّ بن عدنان وأولاده الأربعة . العقد ٣ / ٣٣٧ .

والروايات التي تتناول حول ما وقع يوم النباج وثيتل لتميم على بكر العقد ٥ / ١٨٥ وأما اعتماد ابن عبد ربه لبعض روايات شيخه محمد بن وضاح كثيرة ومختلفة .

ورغم أنه استفاد من شيخه بعض أمور دينية وخاصة الفقهية ، إلا أن إستفادته هذه لم تخل جانب التاريخي حيث روى عنه مثل الرواية التي رفعها إلى أبي هريرة فيما يتعلق بالأعرابي الذي بال في المسجد زمن النبي ﷺ انظر : العقد ٣ / ٤٧٨ .

قبل في البلاد[١] .

ويلاحظ في العقد أن ابن عبد ربه يعتمد على روايات خليفة بن خياط عن طريق شيخه بقي بن مخلد أحياناً[٢] .

ومن المعلوم أن مؤلفات خليفة بن خياط وصلت إلى الأندلس بواسطة بقي ابن مخلد ؛ وقد صرّح ابن عبد ربه هذا النوع من التلقي في مقدمة كتابه[٣] .

٢ - الكتب والمصنفات :

فقد أخذ ابن عبد ربه معلوماته التاريخية من الكتب التي تحمل روايتها أو أطلع عليها وكان أكثر اعتماده على كتب المشارقة التي وصلت إلى الأندلس بواسطة العلماء المشارقة الذين وفدوا إليها أو العلماء الأندلسيين الأصليين الذين زاروا المشرق ثم عادوا إلى بلادهم .

وتتفاوت هذه الكتب حسب رجوعه إليها من حيث الكثرة والأهمية وقد تركت في كتاب العقد أثراً كبيراً .

وقد عول على الكتب الأدبية أكثر من الكتب التاريخية .

ومصادره من الكتب والمؤلفات تنقسم إلى نوعين :

---

(١) على سبيل المثال :

انظر ما أورد الحميدي : بأنه لما دخل الأندلس أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بكتاب " مصنف " ابن بكر ابن أبي شيبة ، وقرئ عليه ، أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاق ، واستشنعوه ، وبسطوا العامة عليه ، ومنعوه من قراءته إلى أن اتصل ذلك بالأمير محمد ، فاستحضره وأياهم ، واستحضر الكتاب كلّه ، وجعل يتصحفه جزءً جزءً ، إلى أن أتى على آخره ، وقد ظنوا أنه يوافقهم في الإنكار عليه ، ثم قال لخازن الكتب : هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه ، فانظر في نسخة لنا ؛ ثم قال لبقي بن مخلد : انشر علمك ، وارو ما عندك من الحديث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك .. ونهاهم أن يتعرضوا له . انظر جذوة المقتبس ص ١١ .

(٢) انظر : كتاب العقد (٤ / ٩٥ - ٩٦) .

(٣) انظر العقد ١ / ٢ .

أ – المصادر الأدبية :

ومن المصادر التي اعتمدها ابن عبد ربه كتب الجاحظ ، وكان كتاب البيّان والتبيين أكثر كتاب رجع إليه ابن عبد ربه من مؤلفات الجاحظ .

وقد ينص ابن عبد ربه على اسم الكتاب الذي أخذ منه الرواية ، وفي بعض الأحيان لا يذكر اسم الكتاب الذي أخذ منه ، لكن المقارنة بين النصوص التي نقلها والكتاب المنقول عنه ، توضح ذلك حسب الجدول التالي :

كتاب العقد	كتاب البيان والتبيين
٤ / ١٢٦	٢ / ١٣٤ - ١٣٥
٤ / ١٢٦	٢ / ١٣٣ - ١٣٤
٢ / ١٧٩ - ١٨٠	٢ / ١٣٥ - ١٣٧
٤ / ١١٧	٢ / ٨٨
٤ / ١١٥	١ / ٦٩ ومثله ١ / ٢٠٦
٤ / ١٢٣	٢ / ٢٩٨
٣ / ٤٤٤	٤ / ٩٨
٢ / ١٣٤	١ / ١٩٥
٤ / ٩٥	٢ / ١٢٠ - ١٢١
٤ / ٤٢٤	٢ / ٢٠٣

كما أخذ نصوصاً من كتاب الحيوان[1] وكتاب المحاسن والأضداد[2] .

ومن مصادره مؤلفات ابن قتيبة :

وتُعَد مصنفات ابن قتيبة أكثر المصادر التي رجع إليها ابن عبد ربه من غيرها .

---

(١) انظر العقد ٥ / ٤٩ ونحوه ٢ / ٣٢٤ ، فيما يتعلق بطلب عبد الملك من الحجاج أن يصف نفسه، ثم قارن مع ما ورد في كتاب الحيوان ٣ / ١٤٦ .

(٢) انظر العقد ٥ / ١٣ ومثله ٦ / ١١٩ ثم قارن مع ما ورد في كتاب المحاسن والأضداد ص ١٥٨ فيما يتعلق بأم الحجاج فارعة وزوجها ثم ولادتها الحجاج .

وقد تأثر بكتاب عيون الأخبار وأكثر النقل عنه ، وبالمقارنة بين كتاب عيون الأخبار ، والعقد يظهر جليّاً مدى تأثر ابن عبد ربه واعتماده عليه ، فقد أخذ عنه كثيراً من مادة كتابه ، وخاصة المادة التاريخية ، بل أخذ منه التبويب والترتيب[1] .

ومن الصعب حصر كل الأخبار التي أخذها ابن عبد ربه عن عيون الأخبار ، وذلك لكثرتها ، لاسيما أنه لا يشير كثيراً إلى مصادره ، ولتوضيح ذلك فهذه بعض النماذج في الجدول الآتي :

كتاب العقد[2]	**كتاب عيون الأخبار**
١ / ٢٥٥	٣ / ١٢٤
١ / ٣٠٣ ومثله ٦ / ٢٢٣	١ / ٢٣٦
١ / ٤٠ ومثله ٤ / ٤٣٦	٤ / ١١٥
٤ / ٤٢٨ - ٤٢٩	١ / ١٠٣
٢ / ١٧٩ - ١٨٠	٢ / ٢١٢
٥ / ١٤	١ / ١٦
٢ / ٣٢٤ ، ٥ / ٤٩	٢ / ٨
٤ / ٤٢٦	٢ / ١٩٦ - ١٩٧
١ / ٣٢٢ ، ٥ / ٣٦	١ / ١٠
٣ / ٤٧٩ ، ٦ / ٤٣٣	٢ / ٥٧
٢ / ٣٥٤ ، ٥ / ٥٢ - ٥٣	١ / ٢٦٩ - ٢٧٠
٤ / ١٢٣ ، ٥ / ٤٦ - ٤٧	٢ / ٢٤٤

(١) لقد اقتبس ابن عبد ربه من كتاب عيون الأخبار بعض أسماء الكتب مثل : كتاب السلطان ، والحرب ، والطبائع ، والعلم ، والطعام ، والنساء .

(٢) نشير هنا إلى أن جبرائيل جبور عرض بعض الجداول يبيّن فيها نقل ابن عبد ربه عن عيون الأخبار ولكن مقارنته لا تميز بين الرواية التاريخية والأدبية ، كما أنه اكتفى بالأجزاء الأول والثالث . انظر ابن عبد ربه وعقده ص ٥٩ .

كتاب العقد	كتاب عيون الأخبار
٥ / ٤٩ ، ٤ / ١٢٤	٢ / ٢٤٥
٣ / ٤٤٤	٢ / ٣٦٦
٤ / ١٣٤	١ / ٩٣
٤ / ٤٥	٥ / ٢٤٦
٢ / ٢٧٩	٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠
٢ / ١٨٧	١ / ١٠٢
٢ / ٤٢٥	٣ / ٢٦٤
٢ / ٣٣٢	٢ / ٢١
٢ / ٢٠٢	١ / ١٩٩
٤ / ٩١ - ٩٢	٢ / ٢٤٧
٦ / ٣٠١ ، ٤ / ٤٣١ - ٤٣٢	٣ / ٢٢٧
١ / ٥٠ ، ٤ / ٢١٠ ، ٤ / ٤٦٤	١ / ١٩٧
٢ / ٩٨ ، ٣ / ٦٧	٧ / ١٢ - ١٣
٤ / ٤٦٠ ، ١ / ١١	١ / ٩٢
٤ / ٤٤٦	١ / ٢٤

ومن مصنفات ابن قتيبة التي أخذ عنها كتاب الأشربة[١] ، وكتاب فضل

---

(١) انظر كتاب الأشربة ص ٣٢ ، حيث نقل ابن عبد ربه من هذا الكتاب رواية تتعلق بإقامة الحدّ على عبد العزيز بن مروان (العقد ٦ / ٣٤٩) وكتاب الأشربة هو مصدر ابن عبد ربه عند حديثه فيما يتعلق بالخمر والنَّبيذ حيث يصرح بنقله عن الكتاب انظر ٦ / ٣٥٤ ثم قارن بما ورد في كتاب الأشربة ص ٩١ .

وانظر العقد ٦ / ٣٥٥ وقارن بما ورد في كتاب الأشربة ص ٩٥ والعقد ٦ / ٣٥٧ وقارن الأشربة ص ٢٣ وهكذا .

وأحياناً لا يذكر أنه نقل بعض الروايات التاريخية عن كتاب الأشربة ولكن الدراسة والمقارنة بيَّنت ذلك . فمثلاً انظر العقد ٦ / ٣٥١ وقارن بما ورد في كتاب الأشربة ص ٣٠ في قصة أعرابية شربت

⇐

العرب على العجم[١] والشعر والشعراء[٢] .

ومن مصادره مؤلفات المبرد فقد نقل ابن عبد ربه من كتاب الكامل في اللغة والأدب مواضع كثيرة في كتابه العقد .

ويظهر هذا عند إيراده لأخبار الخوارج وفرقهم .

ومن المعلوم أن المبرد خصص جزءاً كاملاً في كتابه عن الخوارج ، وبالتالي يعتبر كتاب الكامل أهم مصدر عول عليه ابن عبد ربه في أخبار الخوارج[٣] .

واستفاد ابن عبد ربه أخباراً تاريخية كثيرة أخرى من كتاب الكامل[٤] كما أخذ من مصنفات المبرد الأخرى بعض الأخبار مثل كتاب الروضة[٥] وكتاب

المسكر وانظر أيضاً العقد ٦ / ٣٥٣ وقارن بما ورد في كتاب الأشربة ص ٨٤ . فيما يتعلق بفعل حفص بن غياث من إخفاء النبيذ وستره في مجلس الأعمش حين استأذنه بعض طلبة العلم .

وانظر أيضاً العقد ٦ / ٣٥٥ وقارنه بما في كتاب الأشربة ص ٩٨ من قول بعض الناس في نفي نبيذ التمر خمراً احتجاجاً بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١) انظر العقد ٣ / ٤٠٨ و ٤١١ ، حيث يصرح بنقله من هذا الكتاب .

(٢) انظر ٢ / ٥٣٧ - ٥٣٨ وقارنه بما في العقد ٢ / ١٤٦ .

(٣) انظر العقد (٢ / ٣٩١) عند حديث ابن عبد ربه عن الخوارج وفرقهم وقارنه مع ما ورد في كتاب الكامل للمبرد ٣ / ٢٧٥ ، ٣٠٤ ؛ والعقد (١ / ٢١٩) وقارنه بما في كتاب الكامل ٣ / ٢٢٠ ؛ والعقد (١ / ٢١٩ - ٢٢٠) وقارنه بالكامل ٣ / ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٤) وهذه الأخبار لا يصرح ابن عبد ربه أنه نقلها من كتاب الكامل للمبرد مثل : خبر سخاء يزيد بن المصلب وإعطاء المال للأعرابية في البصرة انظر العقد ١ / ٣٠٦ ؛ ويبدوا أنه نقله من الكامل ١ / ١٣٨ وانظر أيضاً ما أورده ابن عبد ربه في عقده ٥ / ٢٩ - ٣٠ وقارنه بكتاب الكامل ١ / ٣٠٤ .

انظر أيضاً في العقد ٦ / ١٢٢ حول ما يتعلق بالحجاج وقصة زواجه بابنة عبد الله بن جعفر ، ثم قارن بما ورد في الكامل ١ / ٣٤٩ وانظر أيضاً العقد (٤ / ٤١٢ - ٤١٣) و (٤ / ١٠٩ - ١١٠) حول خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه مقتل مصعب بن الزبير . وقارنه بكتاب الكامل ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٥) نقل ابن عبد ربه عن كتاب الروضة حيث أشار له مرتين في العقد ٥ / ٣٩١ وأيضاً ٦ / ٧٧ حيث ذكر أخباراً تتعلق بالشعراء وخاصة الحسن بن هانئ .

الفاضل[١] ، وكتاب التعازي والمراثي[٢] .

ومن مصادره الأدبية كتب محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة (٢٣١ هـ) . فقد نقل ابن عبد ربه منه بعض الأخبار التاريخية[٣] ومن مصادره كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع ، فقد أخذ منه ابن عبد ربه ، ويسميه أحياناً كتاب الهند[٤] .

ومن مصادره أيضاً كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي المتوفى سنة (٢١٣ هـ) والمطلع على الروايات التاريخية ، وخاصة فيما يتعلق بأيام العرب ووقائعها - الموجودة في كتاب العقد - يلاحظ اقتباسات ابن عبد ربه من كتاب أيام العرب لأبي عبيدة على الرغم من أنه لم يصرح باسم الكتاب وإنما يكتفي بذكر المؤلف[٥] .

واعترف ابن عبد ربه بنقله عن كتاب التاج لأبي عبيدة في مواطن عدة[٦] .

---

(١) انظر في العقد (٢ / ١٨٥) فيما دار بين ابن هبيرة وخالد بن عبد الله القسري وهروب ابن هبيرة إلى دمشق ، ثم قارنه بما في كتاب الفاضل ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) انظر العقد (٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠) ثم قارن بما ورد في كتاب التعازي والمراثي ص ٥٩ فيما يتعلق بقول عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة الذي كان يغسل ويكفن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز . وانظر أيضاً العقد ٣ / ٣٠٩ ثم قارن بكتاب المراثي للمبرد ص ٩ بشأن وفاة ابن لسليمان بن عبد الملك وما قاله زياد بن عثمان بن زياد حين دخل عليه . وقد ذكر المدائني هذه الرواية في كتابه (التعازي) ص ٤٠ وربما أخذها ابن عبد ربه من كتاب المدائني مباشرة .

(٣) انظر العقد ٢ / ٤٥٦ - ٤٥٧ و ٤ / ٤٥٦ ونصَّ على اسمه ولكنه لم يحدد اسم مصدر .

(٤) ينقل من هذا الكتاب في أخبار للأمم السابقة وخاصة الأمة الهندية انظر العقد ١ / ١٠ ، ١ / ١٨ ويبدو أنه أخذ من هذا الكتاب مباشرة ويدل على ذلك قوله : « وقرأت في كتاب الهند » انظر العقد ١ / ١٨ .

(٥) انظر العقد الجزء الخامس صفحات ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ .

(٦) انظر العقد ١ / ٢٧ ، ١ / ٦٦ - ٦٧ ، ٣ / ٣٣١ ، ٣ / ٣٣٥ ، ٤ / ٣٣٩ .

ب – المصادر التاريخة :

كان جلّ اعتماد ابن عبد ربه على المصادر الأدبية ، و لم يكن للمصادر التاريخية أثر كبير في كتابه وذلك تبعاً لصفة كتابه العقد ، ولذا فإن مصادره التاريخية قليلة بالقياس إلى المصادر الأدبية فقد رجع ابن عبد ربه إلى كتاب السيرة والمغازي لابن إسحاق عن طريق ابن هشام وصرح بذلك في موضعين[١] .

ومن مصادره مصنفات خليفة بن خياط ، وبالأخص تاريخ خليفة ، وكان ابن عبد ربه يصرح بالنقل عنه[٢] وفي أحيان أخرى ينقل عن خليفة بواسطة شيخه بقي بن مخلد[٣] .

والمتتبع للروايات التاريخية الموجودة في كتاب العقد ، يلاحظ أن ابن عبد ربه كان يقتبس أحياناً من كتاب تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ويظهر ذلك بالمقارنة بين بعض الروايات التاريخية الموجودة في العقد بما في كتاب الطبري[٤] .

---

(١) انظر العقد ٣ / ٣٦٥ ؛ ٣ / ٢٦٦ .

(٢) انظر العقد (١ / ٥٠) حيث ينقل ابن عبد ربه أخباراً تتعلق بيزيد بن الوليد .
وانظر العقد (٣ / ٢٦٠) عند نقله من خليفة بن خياط فيما يتعلق بأخبار الأمراء من بني شيبان في رثاء بعض ذويها وقد قتلوا مع الضحاك الحروري .

(٣) انظر العقد (٤ / ٩٥ – ٩٦) حيث ينقل ابن عبد ربه عن خليفة ابن خياط بواسطة شيخه بقي بن مخلد ، فيما يتعلق بخبر تولية يزيد بن الوليد وخطبته في تولية الخلافة عقب مقتل الوليد ابن يزيد .

(٤) انظر العقد ٤ / ٤٢٤ ثم قارن بما ورد في تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٩٦ فيما يتعلق بالوليد بن عبد الملك ورجل من بني مخزوم أراد قضاء دين .
انظر أيضاً العقد ٤ / ٤٢٤ وقارن بما ذكر الطبري في تاريخه ٦ / ٤٩٦ فيما يتعلق بالوليد وتوجيهه لبقال يبيع الأطعمة .
انظر أيضاً العقد ٤ / ٤١١ ثم قارن بما ورد في تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٦١ فيما يتعلق بقول عبد الملك بن مروان في مصعب بن الزبير حين أتي برأسه .
انظر أيضاً العِقد ٤ / ٤٦٨ ثم قارن بما ورد في تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٤٤٣ فيما يخص قول أبي
⇐

٣ - القرآن والسنة الشريفة :

امتاز ابن عبد ربه بإعتمـاده في بعض الأحيـان علـى القـرآن الكريـم فنجـده يستدل لبعض الأخبار التاريخية ، وخاصة فيما يتعلق بالأمم السابقة[١] .

كما اعتمد ابن عبد ربه على الأحاديث النبوية في أحيان كثيرة[٢] .

٤ - التوراة والإنجيل والزبور :

ومما اعتمـد ابـن عبـد ربـه في الروايـات التاريخيـة كتـب أهـل الكتـاب مثـل التوراة[٣] والإنجيل[٤] ، والزبور[٥] وكان اعتماده فيما يخـص أخبـار الأمـم السـابقة وقد لا يسمى كتاباً بعينه وإنما يكتفى بالقول : في الكتب القديمة المنزلة[٦] .

العباس الضلالي لأبي العباس السفاح حين دخل عليه فقال : الحمد لله الذي أبدلنا بحمـار الجزيـرة وابن أمة النخع ابن عمر رسول الله ﷺ وابن عبد المطلب .

انظر أيضاً العقد ٤ / ١٥٦ ثم قارن بما أورد الطبري في تاريخه ٧ / ٣٦٩ - ٣٧٠ في رسالة نصـر بن سيار لمروان بن محمد وما تضمنه من الشعر وتوقيع مروان عليه .

(١) انظر العقد ٢ / ٤٤٠ وذلك حينما استدل المصنف في باب الاعتضاد بالولد بقوله تعالى :

﴿ **وزكريا إذ نادى ربّه ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين** ﴾ سورة الأنبياء الآية ٨٩ .

وقوله تعالى : ﴿ **وأني خفت الموَاليَ من ورائي وكانت امرأتي عاقراً ...** ﴾ سورة مريم الآية ٥ .

(٢) انظر العقد ١ / ٢٧٤ حيث يستدل المؤلف بأن الرسول ﷺ كان يلبـس خفّـين أسـودين أهداهمـا إليه النجاشي صاحب الحبشة .

واعتمد أيضاً على كتاب الموطأ من حديث زياد عن مالك بن أنس فيما يتعلق بأبي جعفر المنصور .

انظر العقد ١ / ٥٢ ، ١ / ٥٤ .

وكذلك ٦ / ٢٢٤ فيما يتعلق بغزوة بني أنمار وكذلك أيضاً ٦ / ٢٢٧ في قصة رجل ثـائر الـرأس واللحية دخل في المسجد ورسول الله ﷺ فيه .

(٣) انظر العقد ٣ / ٢٢ ، ٣ / ١٤٦ وتأتي اعتماده على التـوراة أحيانـاً عـن طريـق وهـب بـن منيـة ورغم تنصيصه بإعتماده على التوراة إلا أن ما يدل على الروايـة التاريخيـة نـادرة ، ويمكـن أن ابـن عبد ربه اعتمد على التوراة بالروايات التاريخية دون أن ينص عليها .

(٤) انظر : العقد ٢ / ٢٨٥ ، ٣ / ١٤٥ .

(٥) انظر العقد ٣ / ٥٧ .

(٦) انظر العقد ٣ / ١٤٥ .

٥ – المشاهدات :

ومن المصادر التي اعتمدها ابن عبد ربه في رواياته في كتاب العقد المشاهدة . حيث نرى المصنف يتحدث عن أخبار الإمارة الأموية في الأندلس بدون واسطة فهو شاهد عيان على كثير من الأحداث التي عاصرها ، وبذلك اكتسب كتابه أهمية كبيرة ، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ بني أمية في الأندلس وخاصة في الفترة التي عاصرها ابن عبد ربه .

فقد دون كثيراً من أخبار الأمراء الذين عاصرهم كما خص الخليفة عبد الرحمن الناصر بمنظومة سجل فيها جهاده وفتوحاته[1] .

رابعاً : منهجه في عرض الروايات التاريخية :

رغم أن كتاب العقد ، كتاب في الأدب والنوادر ، إلا أننا نجده غنياً بالمادة التاريخية عن مختلف العصور والعهود ، فنجد في الكتاب أخباراً عن الأمم السابقة ، وعن أحوال العرب قبل رسالة نبينا محمد ﷺ ، وعن تاريخ صدر الإسلام ، والخلافة الأموية ، وجزءاً من الخلافة العباسية ، كما تناول صاحب العقد شيئاً من تاريخ المسلمين في الأندلس ؛ منذ فتح الجزيرة حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر واتبع ابن عبد ربه منهجاً معيناً ألزم نفسه به خلال ترتيب الكتاب عامة ، وعن عرضه للرواية التاريخية خاصة؛ وأشار إلى بعض هذا المنهج في مقدمة كتابه وقال: « وقد ألّفت هـذا الكتاب وتخيَّرت جواهرَه من مُتَخيَّر جواهر الآداب ومحصول جوامع البَيان ، فكان جَوهَر الجَوْهَر ولباب اللُّباب ؛ وإنّما لي فيه تأليف الأخبار ، وفضل الاختيار وحسن الإختِصار ، وفرش في صَدْر كلِّ كتاب ؛ وما

(١) انظر العقد ٤ / ٤٩٣ – ٥٢٧ عند حديثه عن الإمارة الأموية في الأندلس وخاصة الأمراء الذين عاصرهم مثل الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وابنيه الأمير المنذر والأمير عبد الله وكذلك الأمير عبد الرحمن الناصر .

سِواه فمأخوذ من أفواه العُلَماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء ، واختيار الكلام أصعب من تأليفه ... الخ))[1] .

وسوف نقتصر هنا على ذكر منهجه في عرض الروايات التاريخية من خلال دراستنا لتلك الروايات .

ويتمثل منهجه في النقاط التالية :

١ - ربط الأحداث في كل كتاب من الكتب التي يتألف منها العقد ، فيذكر في تمهيد كل كتاب الإشارة إلى ما سلف من الأحداث ثم يربط ذلك بما سيأتي من الأخبار في هذا الكتاب . وهذا المنهج يجعل القارئ متابعاً للأحداث التاريخية مما يساعده على التذكر ووضوح الرؤية[2] .

٢ - حذفه أسانيد الروايات التي تخيرها ووضعها في كتابه غالباً ، وقد أعلن ذلك في مقدمة العقد ، موضحاً منهجه في ذلك قائلاً : ((وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للإستحفاف والإيجاز ، وهرباً من التثقيل والتطويل ؛ لأنها

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ١ / ٢ .

(٢) انظر كتاب الفريدة في الحرب ١ / ٩٣ ؛ وكتاب المرجانية في مخاطبة الملوك ٢ / ١٢٢ ؛ وكتاب الدرة في النوادب والتعازي والمراثي ٣ / ٢٢٨ ؛ وكتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب ٣ / ٣١٢ ؛ وكتاب التوقيعات والفصول والصدور ٤ / ١٥٥ ؛ وكتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبين والبرامكة ٥ / ٣ ؛ وكتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم ٥ / ١٣٢ وغير ذلك .

أخبار ممتعة وحكم ونوادر ، لا ينفعها الإسناد بإتصاله[١] ، ولا يضرها ما حُذفَ منها))[٢] .

واعتذر عن ذلك بأن غيره حذف أسانيد الحديث من سنة متبعة ، وشريعة مفروضة ، لذلك فليس عليه غضاضة بأن يحذف الإسناد من نادرة شاردة ، ومثل سائر ، وخبر مُستَطرَف[٣] .

لذلك تراه في الغالب يذكر الأخبار مباشرة دون أن يسندها ومن العجب أن يسلك ابن عبد ربه هذا المسلك مع أنه أورد في عقده أثراً يقول فيه : ((العلم ثلاثة : حديث مسند ، وآية محكمة ، ولا أدري))[٤] .

ومع هذا فإنه ذكر بعض الروايات بأسانيدها ، سواء كانت هذه الأسانيد متصلة أو منقطعة[٥] وربما يورد الخبر الواحد بأكثر من طريق ، مثل قوله : ((عروة ابن الزبير ، والقاسم بن محمد قالا ...))[٦] .

---

(١) هكذا انظر ابن عبد ربه إلى الأخبار التي نقلها في كتابه وهذا ليس صحيحاً فإن الخبر لا يعلم صدقه من كذبه إذا لم يكن له إسناد متصل حتى يحكم عليه بموجب ذلك ... لكن أصل الأدب ينظرون إلى كون الخبر ممتع أو حكمة نادرة . بصرف النظر عن صحته أو عدمها . وهذا يؤكد الدارسين المؤرخين ملاحظة هذا المنهج عند الأدباء وعدم التسليم بصحة كل ما يذكرون في كتبهم من أخبار ونوادر مستظرفة .

(٢) ابن عبد ربه : العقد ١ / ٣ - ٤ .

(٣) انظر ابن عبد ربه : المصدر نفسه ١ / ٤ ، وضرب ابن عبد ربه بعض أمثلة ليتقوى رأيه . ولكن الأمر غير ذلك .

(٤) انظر العقد ١ / ٢١٧ .

(٥) انظر أمثلة لذلك العقد ١ / ٤٢ حيث قال : أبو بكر ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مجالد عن الشعبي . وانظر أيضاً : الشيبان قال : حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن فضل الهاشمي عن قحطبة بن حميد قال . العقد ١ / ٢٨ . وانظر قوله : حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منية (العقد ٦ / ٢٣٠) .

(٦) العقد ٤ / ٢٦٤ ومثال آخر في ١ /١٦٦ حيث قال: ((أبو القاسم بن جعفر بن أحمد بن محمد ، وأبو الحسن علي بن جعفر البصري قالا ...)) .

وأحياناً يذكر اسم الشخص الذي أخذ عنه الخبر على صور مختلفة ، فيذكره مرة باسمه كاملاً ، ثم قد يذكره بعد ذلك مضيفاً إليه كنيته أو لقبه ، ويذكره مرة مختصراً مثال ذلك : محمد بن يزيد المبرد ؛ ومرة : محمد بن يزيد النحوي ، وأخرى : أبو العباس محمد بن يزيد النحوي ؛ وأحياناً : المبرد ؛ وأحياناً أخرى : أبو العباس النحوي[١] .

كما يذكر أحياناً كثيرة أسماء رجال السند مفردة مثل : ((أبو عبيد عن الحجاج عن أبي معشر قال ...))[٢] ومثل : أبو بكر عن غندر عن شعبة عن عمرو بن مرة[٣] .

وقد يصعب معرفة أحدهم بالتحديد ، إذا لم يوجد ما يميزه من غيره في اللقب أو الكنية وتزداد الصعوبة إذا اشترك في الاسم أو اللقب أو الكنية أكثر من واحد وخاصة إذا تعاصرا في الزمن .

٣ - عزو الأخبار إلى مصادرها :

يهتم ابن عبد ربه أحياناً بعزو الأخبار إلى مصادرها . فيذكر اسم الكتاب الذي أخذ عنه مع ذكر مؤلفه ، مثل قوله : ((ذكر هذا محمد بن يزيد في الكامل))[٤] وقوله : ((وذكر ابن قتيبة في كتاب الأشربة))[٥] وقوله : ((قال أبو عبيدة في كتاب التاج))[٦]. وقوله: ((قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب))[٧].

---

(١) انظر العقد ٢ / ٤٥٣ ، ٢ / ٣١٦ ، ٦ / ٥١ ، ٣ / ١٩٥ ، ٦ / ٣٨٢ .

(٢) انظر أمثلة في العقد ٤ / ٣٩٣ .

(٣) انظر العقد ٤ / ٣٤١ .

(٤) انظر العقد ٢ / ٢٣٥ .

(٥) العقد ٦ / ٣٥٣ .

(٦) العقد ٣ / ٣٣١ .

(٧) العقد ٣ / ٤٠٨ ، ٤ / ٤١١ .

وفي بعض الأحيان يكتفي بذكر المصدر دون ذكر مؤلفه ، مثل قوله : ((وفي كتاب الهند))[١] وقوله : ((وفي كتاب التاج))[٢] وقوله : ((وفي بعض كتب العجم))[٣] .

أو يذكر المؤلف دون المصدر مثل قوله : ((خليفة بن خياط قال ...))[٤] وقوله : ((قال أبو عبيدة ...))[٥] وقوله : ((ومما رواه عبد الله بن مسلم بن قتيبة ...))[٦] وقوله : ((أبو بكر بن أبي شيبة))[٧] .

وقد يسند ما يتلقاه من شيوخه مباشرة إليهم مثل قوله : ((حدث بقي بن مخلد))[٨] .

وأحياناً أخرى يذكر أخباراً لم يعاصرها ، وإنما يرسلها إرسالاً بدون واسطة أو على طريقة الخبر المعلق عند المحدثين الذين يحذفون أول السند ويكتفون بمن صدر عنه الخبر[٩] وفي نقله من المصادر ينقل النصوص بألفاظها وإن كانت طويلة[١٠] .

---

(١) العقد ١ / ٢١٣ .

(٢) العقد ١ / ٢٧ .

(٣) العقد ١ / ٩٩ .

(٤) انظر العقد ١ / ٥٠ ؛ ٣ / ٢٦٠ .

(٥) العقد ٥ / ١٤١ ؛ ٥ / ١٤٢ ؛ ٥ / ١٤٦ وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى ويثقل ابن عبد ربه من كتابه أيام العرب ولكنه لا يذكره .

(٦) العقد ٥ / ١٣ .

(٧) العقد ٤ / ٣٢٨ ؛ ٤ / ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ ٤ / ٣٤١ .

(٨) العقد ٤ / ٤٩٤ وفيه بقي بن محمد الفقيه وهو تحريف .

(٩) انظر على سبيل المثال عند عزوه إلى أناس لم يعاصره مثل :

محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) العقد ١ / ١٥٧ .

أبو مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧ هـ) العقد ٤ / ٣٥٤ .

علي بن عبد العزيز (ت ١٨٤ هـ) ٤ / ٣٧٦ ، ٥ / ٥٠ .

سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) ٣ / ٢٢١ ، ٤ / ٣٤٥ .

⇐

٤ - انتقاؤه من النصوص ما يتفق وغرض كتابه :

وفي اختيار النصوص التاريخية من المصادر تجده ينتقي من المادة التاريخية ما يتفق مع غرض كتابه رغم أن اختياره شمل جميع العصور التاريخية وأعطى معلومات عن جميع طبقات المجتمع وفي جميع نواحي الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والحربية .

وهذا الانتقاء الشمولي أكسب كتابه شهرة واسعة . قال في بيان منهجه : ((وقصدتُ من جُمْلة الأخبار وفنون الآثار أشرفَها جَوْهراً ، وأظْهرَها رَونقاً ، وألطفَها معنىً ، وأجزلها لفظاً ، وأحسنها ديباجة ، وأكثر طلاوةً وحلاوة))[1] .

ولم يكن ابن عبد ربه مجرد ناقل للنصوص كما هي وإنما ينتقي ما يناسب كتابه مع الإختصار المناسب .

قال ابن عبد ربه في بيان ذلك : ((وقد ألفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخيّر الجواهر ولباب اللباب ، وإنما لي فيه تأليف الإختيار وحسن الإختصار ...))[2] .

هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) ٢ / ٣٧٩ .

الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ) ٢ / ٢٩٠ ، ٤ / ٣٥٩ ، ٤ / ٣٧٢ .

أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٣ هـ) .

الأصمعي (ت ٢١٥ هـ) ١ / ٢٥٥ ، ٣ / ٢١٠ ، ٥ / ٣٧٨ .

أبو الحسن المدائني (ت ٢٢٤ هـ) ١ / ٥٣ ، ٤ / ٣٦٨ ، ٤ / ٤٦٥ .

العتبي (ت ٢٢٨ هـ) ١ / ١٧٩ ، ٤ / ٣٤٠ ، ٦ / ١٢٥ .

أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) .

(١٠) انظر نقله من تاريخ خليفة ص ٣٦٥ وقارن بما في العقد ٤ / ٤٦١ - ٤٦٢ .

(١) انظر العقد ١ / ٣ .

(٢) انظر العقد ١ / ٢ .

ويلاحظ في بعض الأحيان أن الإختصار للأخبار يقطعها عن أسبابها أو نتائجها فلا تعطى الصورة كاملة واضحة ، لأنَ ابن عبد ربه يكتفي بمكان الشاهد من الخبر[1] .

وفي مواضع أخرى يسرد الأخبار رغم طولها حتى تعطي الصورة كاملة[2] .

٥ - تكراره لبعض الأخبار تبعاً لتبويب كتابه :

وقد تجد الخبر التاريخي الواحد مكرراً عند ابن عبد ربه مرتين أو أكثر ولا يشير إلى ذلك ولكن عذره في ذلك هو مناسبة الخبر للباب الذي عقده في كتابه[3].

---

(١) انظر العقد ٢ / ١٨٧ عند حديثه عن عمر بن عبد العزيز ، حيث ترى لا يفيدك هل عفى الخليفة عن الرجل أم لا ، لأنه اختصر الخبر إلى حيث نقله الرواية من ابن قتيبة انظر مثلها في عيون الأخبار ١ / ١٠٢ ؛ وانظر أيضاً العقد ٢ / ١٥٦ فيما دار بين سليمان بن عبد الملك وخالد القسرى ، ولا يفيدك بأن سليمان عفى خالداً أم لا ، رغم أن المسعودي في مروج الذهب ٣ / ١٩٠ أشار إلى أن الخليفة عفى عن خالد حيث استرحمه واستعطفه .

(٢) انظر على سبيل المثال الروايات التالية :

وفود العرب على كسرى العقد ٢ / ٤ - ١٩ ؛ وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة ؛ وفود قيلة بنت مخرمة التميمية على النبي ﷺ العقد ٢ / ٤٢ - ٤٧ ؛ وفود جبلة بن الأيهم على عمر بن الخطاب العقد (٢ / ٥٦ - ٦٢) ؛ وفود عبد البر بن جعفر على عبد الملك انظر العقد ٢ / ٧١ - ٧٦ ؛ وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز ٢ / ٩١ - ٩٦ ؛ واحتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي ٥ / ٩٢ - ١٠١ .

(٣) انظر مثال ذلك ما يلي :

أ - الرواية التاريخية حول كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله بالعدل والإنصاف ، وذلك حين استأذنه العامل في بناء مدينة .

وهذا الخبر تكرر في ثلاثة مواضع انظر العقد (٦ / ٢٢٣) و (١ / ٣١) و (٤ / ٢٠٨) .

ب - وكذلك الرواية التاريخية التي تتعلق بموضوع يزيد بن الوليد إتصاله بمروان بن محمد ليبايعه . تكررت هذه الرواية في أماكن مختلفة في العقد انظر (١ / ٥٠) و (٤ / ٢١٠) و (٤/٤٦٤) .

ج - وانظر : العهد (٤ / ٤٨٢ - ٤٨٣) و (٤ / ٣٢) و (٥ / ٨٩ - ٩٠) و(٦/ ١٢٨) فقد كرر الرواية أربع مرات .

٦ - استدلاله بالسّنة الشريفة ، وأقوال العلماء وذلك حينما يتناول ما يتعلق بالأمور الدينية والتاريخية[١] .

٧ - استشهاده بالشعر :

من منهج ابن عبد ربه أنه يبرهن أحياناً كثيرة على بعض الأخبار التاريخية بشواهد من الشعر العربي[٢] .

كما ذكر ذلك عند توضيح منهجه حيث قال : ((وحلّيت كلّ كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها ، وتوافقها في مذاهبها ، وقرَنت بها غرائب من شعري ..))[٣] .

٨ - قلة نقده للنصوص والأخبار التي يوردها :

يلاحظ أنه لا يتدخل في النصوص ولا يبدي رأيه ، حتى وإن كان ما يرويه من الروايات الغريبة ، ومما لا يصدقه العقل ؛ بل يكتفي بنقل الأخبار على علاّتها دون أن يمحِّصها[٤] .

---

(١) ومثال ذلك استدلاله بالسنة فيما يتعلق بالتاريخ قول الرسول ﷺ : ((أن ادريس أول من خَطّ بالقلم بعد آدم ﷺ)) انظر ٤ / ١٥٧ .
واستدلاله بالسنة مثل قوله : ((وقدم على رسول الله ﷺ وفد من العرب فأعطاهم وفضّل رجلاً منهم ، فقيل له في ذلك ، فقال : كل القوم عِيالٌ عليه)) . انظر العقد ١ / ٢٧٦ ، وانظر مزيداً من الأمثلة في العقد ١ / ٧ و ١ / ٤٤ .

(٢) ومثال ذلك شعر دِعْبل بن عليّ الخزاعيّ بقتل طاهر الحسين محمداً . العقد ٢ / ١٩٦ وشعر طاهر بن الحسين في الفخر . انظر العقد ٢ / ١٩٧ ؛ وشعر البُحتريّ في رثاء ابنه لأحد بني حُميد . العقد ٣ / ٢٨٢ ؛ وشعر سهيل بن عمرو حين اختارت هند بن عتبة بأبي سفيان بن حرب بدلاً منه . انظر العقد ٦ / ٨٨ ؛ وشعر زفر بن الحارث في وقعة مرج راهط حين قتل ابناه . العقد ٤ / ٣٩٧ ؛ وشعر وعلة بن الجَرميّ ، حين انهزم يوم الكُلاب . العقد ٥ / ٢٣١ ؛ وشعر ابن دلامة الذي بعثه إلى العباس بن المنصور . العقد ١ / ٢٦٤ .

(٣) انظر العقد ١ / ٤ .

وفي بعض الأحيان ينقل ابن عبد ربه روايات مضطربة ومختلفة بل متضادة فتارة يروي خبراً ، ثم يورد ما يخالف هذا الخبر في مكان آخر دون أن يشير إلى ذلك[١] .

ولكنه في بعض الأحيان يوضح بعض الألفاظ الغامضة ، ويعلق على بعض النصوص ولكن هذا قليل في الجملة[٢] .

(٤) ومثال ذلك انظر العقد ٦ / ٢٣١ حيث يذكر المصنف : « ومن الناس من لا يسقط شعره ولا يتبدّل سنّه ، فمنهم عبد الصمد بن علي ، وذكروا أنه دخل قبره برواضعه » انتهى . والرواضع ما نبت من أسنان الصبي ثم سقط في عهد الرضاع ، انظر : (اللسان ٨ / ١٢٨) .
وقوله : « قالت الحكماء : الزنج شِرار الخلق وأردؤهم تركيباً ، لأن بلادهم سُخنت جداً فأحرقتهم في الأرحام » . انظر العقد ٦ / ٢٣٣ ، وانظر جبرائيل جبور ص ٧٦ ، وطاهر أحمد مكي ص ٢٣٠ . الجدير بالذكر أن جبرائيل يروي أمثلة أخرى تبين ما ذكرناه .

(١) والروايات التي تدل على ذلك ما رواه في العقد ٤ / ٣٧٢ « عن الهيثم بن عدّي قال : لما حَضرت معاويةَ الوفاةُ ، ويزيد غائب ، دعا الضحاكَ بن قيس الفِهريَّ ومسلم بن عُقبة المرّيِّ فقال ... » في حين تجده يورد خبراً يخالف ما سبق بعد بضع صفحات ، دون أن يشير إليه ، ومضمون هذا الخبر هو : « أن معاوية حينما كان يحتضر عند وفاته كان يزيد ابنه عنده فقال له ... » انظر العقد ٤ / ٣٨٧ .
أيضاً ما ورد في العقد ٤ / ٣٢٤ « من أن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر » ويورد في مكان آخر في العقد ٤ / ٣٩٩ « أنه ولد لسبعة أشهر » .
وأورد أن ولاية يزيد بن الوليد بن عبد الملك كانت خمسة أشهر وأثنى عشر يوماً (٤ / ٤٦٥ - ٤٦٦) وفي موضع آخر يذكر أنه لم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات . انظر العقد ٦ / ١٣١ .

(٢) انظر الرواية التي في العقد (٤ / ١٢٦ - ١٢٧) حيث يفسر ما ورد في النص من الكلمات مثل : " أبو سعيد " و " ابن دحمة " .
قال ابن عبد ربه : « قوله : أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة » ، وقوله : « ابن دحمة ، يريد يزيد بن المهلب » .
وانظر العقد ٦ / ٢٥١ عند تفسير ابن عبد ربه في قول سليمان بن عبد الملك : « .. لله دَرُّ قَسِيٍّ ، في أي عُشّ أودَعَ أفرُخَه ؟ » .
قال ابن عبد ربه : « يريد بقسِيٍّ ثقيفاً . كذلك كان اسمه » .

⇐

٩ - عدم دقته في النقل بعض الأحيان :

يلاحظ على ابن عبد ربه عدم دقته في النقل من النصوص التي ينقلها في بعض الأحيان[١] .

وانظر أيضاً قوله في العقد ٢ / ٢٨٩ ، وخاصة عند تعليقه قول الأحنف بن قيس في " السُّودد مع السَّواد " .

وقوله في العقد ٢ / ٤٤٠ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وإني خفت الموالي وكانت امرأتي عاقراً ..** ﴾ حيث قال ابن عبد ربه : ((الموالي هنا بنو العم)) .

وانظر العقد ٤ / ٤٢٥ حيث يفسر الكلمة " بتتهم " أي كساهم . وقال أيضاً : البتّ : الكسوة .

وانظر العقد ٦ / ٧٧ عند تعليقه وقيامه بالنقد والترجيح ، وذلك عندما يتحدث المبرد والجاحظ ، حيث ينتقد المبرد في اختياراته الأشعار في حين يمتدح الجاحظ ويشيد في اختياراته الشعرية .

(١) انظر على سبيل المثال ما ورد في العقد ٤ / ٤٢٦ ، ثم قارن مع ما ورد في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ١٩٦ - ١٩٧ في شأن قتيبة بن مسلم مع سليمان بن عبد الملك .

الفصل الثاني

الروايات المتعلقة بالخلفاء الأمويين (٦٤ - ١٣٢ هـ)

- مروان بن الحكم .
- عبد الملك بن مروان .
- الوليد بن عبد الملك .
- سليمان بن عبد الملك .
- عمر بن عبد العزيز .
- يزيد بن عبد الملك .
- هشام بن عبد الملك .
- الوليد بن يزيد بن عبد الملك .
- يزيد بن الوليد بن عبد الملك .
- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك .
- مروان بن محمد بن مروان .

١ - مروان بن الحكم : (٦٤ - ٦٥ هـ) .

ولادته :

١ - ولد مروان بن الحكم بن العاصى[١] بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . [٤ / ٣٩٨]

دراسة النص :

أورد المؤرخون بأن مروان بن الحكم ولد بمكة[٢] ويقال بالطائف[٣] والراجح القول الأول الذي عليه غالبية المؤرخين ، والقول الثاني جاء بصيغة التمريض .

وكان ذلك لسنتين خلتا من الهجرة ، لأن رسول الله ﷺ توفى وعمر مروان ثمان سنين[٤] .

بين مروان ووكيله :

٢ - اطّلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغُوطَة[٥] فأنكر شيئاً ، فقال لوكيله : ويحك ! إني لأظنك تخونني . قال : أفتظنّ ذلك ولا تَستَيقِنه ؟ قال :

---

(١) عند كتب الأنساب والتاريخ ابن أبي العاص بدلاً من ابن العاصى . انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٥ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٢٥ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٨٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ القسم الأول من الجزء ١٦ ص ٣٣٦ مخطوطة ؛ ابن قدامة : التبيين في أنساب القرشيين ص ١٨٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٩٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ٣ / ٢٢٨ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ / ٨٣ .

(٢) خليفة ص ٢٦٣ بمكة في دار ابن العاص ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق القسم الأول ١٦ / ٣٦٠ ؛ النووي : تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٨٧ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٣ / ٢٢٨ ؛ صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ص ١٥٨ .

(٣) انظر ابن عساكر : التاريخ القسم الأول ١٦ / ٣٦٠ ؛ ابن قدامة : المصدر السابق ص ١٨٣ ؛ النووي : المصدر السابق ٢ / ٨٧ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٣٦ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٣ ؛ ابن عساكر : التاريخ القسم الأول ١٦ / ٣٤٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٩٣ ؛ النووي : المصدر السابق ٢ / ٨٧ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ١٠ / ٨٤ وفيه قيل أربع ؛ صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ص ١٥٨ .

(٥) الغوطة : هي الكورة التي منها دمشق . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٢٤٨ .

وتَفْعله ؟ قال : نعم ، وا لله إني لأخونك ، وإنك لتخُون أميرَ المؤمنين ، وإن أميرَ المؤمنين ليخون ا لله ، فَلعن ا لله شرَّ الثلاثة . [١ / ٣٢]

دراسة النص :

هذه الرواية لم يُسندها ابن عبد ربه ، وذكر البلاذري نصاً قريباً منها[1] مُعَلقاً عن المدائني عن مسلمة بن محارب بن سلمة ، بصيغة مختلفة ، وفيه : ذي خشب بدلاً من الغوطة . ويظهر من سياقها أنها مكذوبة موضوعة .

ابطاءه بصلاة الجمعة :

٣ – أبو بكر بن أبي شيبة قال : قام أبو هريرة إلى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة ، فقال له : أتظلُّ عند ابنة فلان تُروّحك بالمَراوح وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يُصْهرون من الحرّ ! لقد هَممتُ أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم . [١ / ٥٥]

التعليق :

هذا النص لم أجد في مصنَّف ابن أبي شيبة المطبوع وغيره . وابن عبد ربه حذف الإسناد .

والحادثة المذكورة على فرض صحة وقوعها تكون في ولاية مروان على المدينة ، أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان ؛ لأن أبا هريرة توفى سنة (٥٩ هـ)[2] على المشهور ، وقيل سنة (٥٧ هـ) وقيل (٥٨ هـ)[3] .

من أقواله ومحاوراته :

٤ – قال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث : بلغنى أنّ كندة تدَّعيك ، قال : لا خيرَ فيمن لا يُتّقى رهبة ولا يُدَّعى رغبة . [٤ / ٣٣]

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ١٣٠ .

(٢) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٢٧ ؛ الذهبي: العبر ١ / ٤٦ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٨ / ١١٨ .

(٣) انظر ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ١١٨ .

٥ – قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلْجة[1] : إني أظنك أحمق ؛ قال : ما يكون الشيخ إذا أعمل ظنه . [٤ / ٣٣]

٦ – قال مروان لحُويطب بن عبد العُزَّى[2] – وكان كبيراً مسناً – : أيها الشيخ : تأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث ، فقال : الله المستعان ، والله لقد هممت بالإسلام غيرَ مرّة كل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ويقول : يضع من قدرك ، وتترك دين آبائك لدين محدث ، وتَصير تابعاً ، فسكت مروان . [٤ / ٣٣]

٧ – وعزّى رجل قوماً فقال : آجركم الله وأعظم أجوركم وأجركم . فقيل له في ذلك فقال : مثل قول مروان بن الحكم : بارك الله فيكم وبارك لكم وبارك عليكم . [٦ / ١٦١]

دراسة النصوص :

النص رقم (٤) ذكر البلاذري مثله[3] وكذا ابن الأثير منسوباً لعبد الملك بن مروان وبخلاف بسيط[4] .

النص رقم (٥) ذكر ابن قتيبة[5] والبلاذري[6] وابن الجوزي[7] مثله

---

(١) هو حبيش بن دلجة القيني وليس الحسن بن دلجة . وحبيش هذا أرسله مروان بن الحكم إلى المدينة فقتله الحنتق بن السَّجف الذي بعثه عبد الله بن الزبير . (ابن حزم : الجمهرة ص ٢٢٨) .

(٢) حويطب بن عبد العزّى بن أبي قيس بن عبدوُر ، له صحبة ، وهو الذي افتدت أمه يمينةُ في قسامة عبد المطلب، وكان من مُسْلمة الفتح، وكان أحدَ من دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأمه : زينب ابنة علقمة بن غزوان ، ومات في آخر خلافة معاوية عن عمر يناهز (١٢٠ سنة) . (مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٤٢٥ – ٤٢٦) وانظر : (ابن حزم : المصدر السابق ص ١٦٨ – ١٦٩) .

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٣٠٦ .

(٤) الكامل في التاريخ ٤ / ٣٤٠ .

(٥) عيون الأخبار ١ / ٣٦ .

(٦) المصدر السابق ٥ / ١٣٠ .

(٧) أخبار الأذكياء ص ١٣٦ .

وعندهما حبيش بن دجلة ، بدلاً من الحسن بن دجلة ، ولعله الصواب .

والنص رقم (٦) أورده ابن الجوزي[١] والنويري[٢] ، وهو من الجوابات المسكتة ؛ ولعلّ ذلك كان في امارة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي سفيان لأن حويطب توفى في آخر زمن معاوية وله عشرون ومائة سنة[٣] .

أما النص رقم (٧) فقد ذكر الجاحظ بأنه قول الخرداذى ، وقد ردّه الحاضرون في المجلس وقالوا له : ويلك إنّ هذا لا يشبه ذلك[٤] . لأنه قول لأحد المتطفلين الذين لا يراعون وضع أقوالهم في مكانها المناسب .

دولة مروان ووقعة مرج راهط :

٨ - كان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان ثم صار خليفة . [٤ / ١٦٨]

٩ - لما مات معاوية بن يزيد[٥] بايع أهل الشام كلُّهم ابنَ الزُّبير إلا أهل الاردن ، وبايع أهل مصر أيضاً ابن الزبير . واستخلف ابنُ الزبير الضحّاك بن قيس الفهرىّ[٦] على أهل الشام . فلما رأى ذلك رجالُ بنى أمية وناس من أشراف أهل الشام ووجوههم ، منهم روح بن زِنْباع[٧] وغيره ، قال بعضهم

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٦ .

(٢) نهاية الارب ٧ / ١٧٠ .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٤) البيان والتبيين ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥ وفيه عثمان بن الحكم بدلاً من مروان بن الحكم .

(٥) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبو ليلى القرشي الأموي . أمه أم هاشم بنت هاشم ، كان رجلاً صالحاً ، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه يزيد في ربيع الأول سنة (٦٤ هـ) ، ولكنه لم تظل مُدّته حيث كانت أربعين يوماً ، زاهداً فيها ورفض أن يعهد بعده لأحد . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٥ / ١١٠) .

(٦) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة الفهرى ، أبو قيس ، وله صحبة ، ولاه معاوية الكوفة ثم دمشق ، وكان الضحاك مع ابن الزبير ونائبه في دمشق حتى توفى في معركة مرج راهط سنة (٦٤ هـ) . انظر : (ابن حجر : الإصابة ٥ / ١٨٦ - ١٨٧) .

(٧) روح بن زنباع بن سلامة ، الأمير الشريف ، أبو زرعة الجذاميّ الفلسطيني ، كان سيد قومه ، ولّى جند فلسطين ليزيد بن معاوية ، وكان مروان بن الحكم في موقعة مرج راهط ، وفي عهد

⇐

لبعض : إنّ الملك كان فينا أهلَ الشام ، فانتقل عنّا إلى الحجاز ، لا نرضى بذلك ، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منّا فينظرَ في هذا الأمر ؟ فقال[١] : استخيروا الله ، قال : فرأى القومُ أنه غلامٌ حَدث السن[٢] ، فخرجوا من عنده ، وقالوا : هذا حَدث . فأتوا عَمرو بن سعيد بن العاص[٣] ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فرأوه حَدثاً حريصاً على هذا الأمر . فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حدث . فأتوا مروان بن الحكم ، فإذا عنده مصباح ، وإذا هم يَسمعون صوته بالقرآن ، فاستأذنوا ودخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا عبد الملك ، ارفع رأسَك لهذا الأمر . فقال : استخيروا الله واسألوا أن يختار لأمة محمد ﷺ خَيرها وأعدلها . فقال له روحُ بن زِنباع : إنّ معي أربَعمائة من جُذام[٤] ، فأنا آمرهم أن يتقدّموا في المسجد غدا ، ومُر أنت ابنك عبدَ العزيز[٥] أن يخطب الناسَ ويَدْعوهم إليه ، فإذا

عبد الملك بن مروان كان بمثابة الوزير . وتوفى سنة أربع وثمانين . انظر : الذهبي : سير أعلام (٤ / ٢٥١ - ٢٥٢) .

(١) أي روح بن زنباع .

(٢) يعني خالد بن يزيد بن معاوية .

(٣) عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أبو أمية الأموي المعروف بالأشدق ، ويقال كان له صحبة ، ولاه معاوية المدينة ثم ولاه يزيد أيضاً ، وجعل مروان بن الحكم عمرو وليّ عهده ثم نقض ذلك وجعل ولاية العهد لابنه عبد الملك ، وخرج عمرو بن سعيد على عبد الملك في دمشق وخلعه ، وذلك حين خرج عبد الملك إلى حرب مصعب بن الزبير، فلما رجع إليه عبد الملك أعطاه الأمان ثم غدر به فقتله وذلك سنة سبعين . انظر : ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ٢١٤ - ٢١٧ .

(٤) جُذام : قبيلة من قبائل اليمن من بنى كهلان بن سبأ ، لكنها هاجرت إلى الشام واستقرت بها . ومن بطون جذام : بنو الضبيب وبنو محرية وغيرهما ومن رجالها روح بن زنباع بن روح بن سلامة . (انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٠ - ٤٢١) .

(٥) عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو الأصبع المدنى أمير مصر قرابة عشرين سنة، وولى العهد بعد أخيه عبد الملك بأمر من أبيه مروان ، ومات قبل أن يتولى الخلافة سنة خمس ⇐

فعل ذلك تنادَوْا من جانب المسجد : صدقتَ صدقتَ ، فيظنّ الناسُ أن أَمرهم واحد . فلما اجتمع الناس قام عبدُ العزيز فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما أحدٌ أولى بهذا الأمر من مروان كبير قريش وسيّدها ، والذي نفسي بيده لقد شابت ذراعاه من الكِبَرِ .

فقال الجذاميون : صدقتَ صدقتَ . فقال خالد بن يزيد[1] : أمر دُبِّر بليل . فبايعوا مروان .

ثم كان من أمره مع الضحّاك بن قيس بمرج راهط[2] ما سيأتي ذكره بعد هذا في دولة بني مروان[3] . [٤ / ٣٩٣ - ٣٩٤]

١٠ - أبو الحسن[4] قال : لما مات معاوية بن يزيد اختلف الناس بالشام ، فكان أوّلَ من خالف من أمراء الأجناد النعمانُ بن بشير الأنصاري[5] ، وكان

وثمانين ، وقيل سنة ست وثمانين والأول أصح . (انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٤٩ - ٢٥١) .

(١) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة تزوجها مروان بن الحكم حين تولى الأمر ، وكانت أمه تُكنّى به ، ويتعصب لأخوال أبيه من كلب ويعينهم على قيس بن غيلان في الحرب . انظر : (مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٢٩) .

(٢) راهط : بكسر الهاء وطاء مهملة : موضع في الغوطة من دمشق في شرقية بعد مرج عذراء ، وراهط : اسم رجل من قضاعة ، ويقال له : مرج راهط . انظر : (ياقوت : مُعجم البلدان ٣ / ٢٣) .

(٣) انظر النص الآتي رقم (١٠) .

(٤) هو المدائني أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني . مولى بني عبد شمس ، ولد سنة ١٣٥ هـ وله مصنفات عديدة في مختلف الموضوعات التاريخية مثل كتاب أخبار النبي ﷺ وأخبار قريش والخلفاء والفتوح وغير ذلك ، وتوفي سنة (٢١٥ هـ) وقيل (٢٢٥ هـ) وله ٩٣ سنة . (ابن نديم : الفهرست ص ١٤٧ - ١٥٢) .

(٥) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة .. خلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي يُكنى أبا عبد الله ، وله صحبة ، وكان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً ؛ استعمله معاوية على الكوفة ثم على حِمص ، وكان من الذين دعوا إلى عبد الله بن الزبير لما مات معاوية ابن يزيد بن معاوية ، وتوفي سنة خمس وستين (ابن حجر : الإصابة ١٠ / ١٥٨ - ١٥٩) .

على حِمْص[١] ، فدعا لابن الزُّبير ، فبلغ خبرُه زفر بن الحارث الكلابي[٢] وهو بقنسرين[٣] ، فدعا إلى ابن الزبير أيضاً بدمشق سرّاً ، ولم يُظهر ذلك لمن بها من بني أمية وكلب . وبلغ ذلك حسّانَ بن مالك بن بحدل الكَلْبي[٤] وهو بفلسطين ، فقال لروح بن زِنباع : إنِّي أرى أمراء الأجناد يُبايعون لابن الزبير ، وأبناء قيس بالأردن كَثيرٌ ، وهم قومي ، فأنا خارج إليها وأقم أنت بفلسطين ، فإنّ جلَّ أهلها قومك من لخم وجُذام ، فإن خالفك أحدٌ فقاتله بهم .

فأقام رُوحٌ بفلسطين ، وخرج حسان إلى الأردن .

فقام ناتل بن قيس الجُذامي[٥] ، فدعا إلى ابن الزُّبير ، وأخرج رُوحَ بن زِنْباع من فلسطين ، ولحق بحسّان بالأردن . فقال حسان : يا أهل الأردن ، قد علمتم أنَّ ابن الزَّبير في شِقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقةٍ لجماعة المسلمين ، فانظروا رجلاً من بني حرب فبايعوه فقالوا : اختر لنا من شِئْتَ من بني حَرب وجَنِّبنا هذين الرجلين الغلامين : عبد الله[٦] وخالداً ، ابني يزيد بن معاوية ، فإنّا

---

(١) حِمص : بلدة بالشام بين دمشق وحلب في نصف الطريق (معجم البلدان ٢ / ٣٤٧) .

(٢) زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معان بن يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل الكلابي ، كان سيداً في زمانه ، وكان فارساً شجاعاً .... وكان منزله بالقرب من خساف وناحية بالس مع أولاده (ابن العديم : بغية الطلب ١ / ٥٤٨) .

(٣) قنسرين : هي كورة بالشام ، وبينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص (معجم البلدان ٤ / ٤٥٨) .

(٤) حسان بن مالك بن بحدل الكلبي ، كان له وجاهة ، ومنزلة عند بني أمية ، وكان مقدم بني كلب ورئيسهم ، وعمته ميسون بنت بحدل زوج معاوية وهي أم يزيد بن معاوية ، شهد مع معاوية صفين ... وكان أميراً على الأردن حين توفى يزيد بن معاوية . (ابن العديم : بغية الطلب ٥ / ٢٢٣٥ - ٢٢٣٦) .

(٥) ناتل بن قيس بن زيد بن حباء الجذامي من أهل فلسطين . أسلم أبوه على يد النبي ﷺ وكان سيداً في قومه ، كان موالياً لابن الزبير في وقعة مرج راهط ، فقتل هو وابنه مع عدد من أتباعه . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٦ / ٩٦ - ٩٨) .

(٦) عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كان يقال له " الأسْوَار " وأمه أم كلثوم بنت عبد الله ابن عامر بن كُرَيز بن ربيعة . وكان له من الأولاد أبو محمد ، ومحمد ، وحميدة ، وأمة الواحد ، وأم كلثوم ، ورمله وغيرهم . (مصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٢٩ - ١٣٢) .

نكره أن يدعوَ الناسُ إلى شيخ ، ونحن ندعو إلى صبيّ . وكان هَوَى حسّانَ في خالد بن يزيد ، وكان ابنَ أُخته ، فلما رَموه بهذا الكلام أمسك ، وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يُعظّم فيه بني أميّة وبلاءهم عنده ، ويذُم ابن الزبير ويذكر خِلافَه للجماعة ، وقال لرسوله : إقرأ الكتاب على الضحّاك بمحضر بني أُميّة وجماعة الناس . فلما قرأ كتابَ حسان تكلّم الناسُ فصاروا فرقتين ، فصارت اليمانية[١] مع بني أمية ، والقيسية زُبيريّةً ، ثم اجتلدوا[٢] بالنّعال ومَشى بعضهم إلى بعض بالسيوف ، حتى حَجز بينهم خالد بن يزيد ، ودخل الضحّاك دارَ الإمارة ، فلم يخرُج ثلاثة أيام . وقدِم عُبيدُ الله بن زياد[٣] فكان مع بني أُمية بدمشق . فخرج الضحّاك بن قيس إلى المرج - مرج راهط - فعسكر فيه ، وأرسل إلى أمراء الاجناد فأتَوه ، إلاّ ما كان من كلب ، ودعا مروانُ إلى نفسه ، فبايعته بنو أمية وكلب وغسان[٤] والسَّكاسك[٥] وطيئ[٦] ، فعسكر في خمسة آلاف .

---

(١) هم قبائل ترجع كلها إلى ولد قحطان . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩ .

(٢) اجتلدوا : تضاربوا . انظر : المعجم الوسيط ص ١٢٩ .

(٣) عبيد الله بن زياد بن أبيه ، أبو حفص أمير العراق ، ولي البصرة سنة (٥٥ هـ) وولى خراسان ، وله فتوح ، وقتل الحسين بن علي في العراق ، ولما توفى يزيد بن معاوية هرب إلى الشام ، وكان مروان بن الحكم أراد أن يبايع لابن الزبير لولا تدخل زياد وقتله المختار بن ابرعبيد سنة (٦٧ هـ) (الذهبي : سير أعلام ٣ / ٥٤٥ - ٥٤٩) .

(٤) غسان : هم طوائف نزلوا بماء يقال له غَسَّان ؛ فنسبوا إليه . وهم بطون شتى من الازد ، وقيل إن فيهم أيضاً من غير الازد . انظر : (جمهرة أنساب العرب ص ٤٦٢ ، ٤٧٢) .

(٥) السَّكاسك : قبيلة تنسب إلى حَميس السّكسك بن أشرس بن ثور ، وهو كندة بن عُنَير بن عدي ابن الحارث بن مرة ... بن كهلان بن سبأ . وهي بطن من الأزد ، ووادي السَّكاسك موضع بالأردن ، ومن بطونها : خداش ، صعب ، ضمام ، الاخور ، وهجقم . (السمعاني : الأنساب ٣ / ٢٦٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٣ / ٢٥٩ - ٢٦٠) وانظر عمر كحالة : معجم قبائل ٢ / ٥٢٧ .

(٦) طيء : احدى قبائل كهلان ، وهو طيء بن أدر بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان ، وكان له من الولد : فطرة ، والغوث ، وهم قبائل من اليمن ، غير أنهم نزحوا منه اثر خروج

⇐

وأقبل عبَّاد بن يزيد[١] من حوران[٢] في ألفين من مواليه وغيرهم من بني كلب ، فلحق بمروان .

وغلب يزيدُ بن أبى أنيس على دمشق ، فأخرج منها عاملَ الضحّاك . وأُمدّ مروان برجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك إلى أمراء الاجناد ، فقدم عليه زفر ابن الحارث من قنسرين ، وأمده النُّعمان بن بشير بشَرَحْبيل بن ذى الكلاع[٣] في أهل حمص ، فتوافَوا عند الضحاك بمرج راهط ، فكان الضحاك في ستين ألفاً ، ومروان في ثلاثة عشر ألفاً ، أكثرهم رِجّالةَ ، وأكثر أصحاب مروان رُكبان . فاقتتلوا بالمَرْج ، عشرين يوماً ، وصَبر الفريقان . وكان على ميمنة الضحاك زياد ابن عمرو بن معاوية العَقيلى[٤] ، وعلى ميسرته بَكْر بن أبى بشير الهلالىّ[٥] . فقال عُبيد الله بن زياد لمروان : إنك على حق وابنُ الزُّبير ومن دعا إليه على الباطل ، وهم أكثر منّا عَدداً وعُدَداً ، ومع الضحاك فُرسان قيس ، واعلم أنك لا تنال منهم ما تريد إلا بمكيدة ، وإنما الحرب خُدعة ، فادعهم إلى الموادعة ، فإذا أمنوا وكَفُّوا عن القتال ، فكُرّ عليهم . فأرسل مروانُ السُّفراء إلى الضحَّاك يدعوه إلى الموادعة ووَضْع الحرب حتى ينظر . فأصبح الضحّاك والقَيسية قد أمسكوا عن القتل ، وهم يطمعون أن يبايع مروان لابن الزُّبير ، وقد أعد مروان

الازد منه ، وبطونهم : ربيعة ، وزبيد ، وجرم ، وثعلبة . انظر : (السمعاني : الأنساب ٤ / ٣٥ - ٣٦ ؛ القلقشندى : قلائل الجمان في تعريف قبائل عرب الزمان ص ٧٢ - ٨٥) .

(١) عبّاد بن يزيد : لم أجد من اسمه بهذا ترجمته ، ولعله تحريف من عباد بن زياد بن أبي سفيان ، أبو حرب ، وكان عباد بن زياد قدم من البصرة إلى دمشق غير مرة ، وكان من ضمن من شهد وقعة مرج راهط مع مروان بن الحكم ، وتوفى عباد سنة مئة بجرود من عمل دمشق . انظر (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١١ / ٣١٥ - ٣١٦) .

(٢) حوران : كورة من أعمال دمشق من جهة القبلة . (معجم البلدان ٢ / ٣٦٤) .

(٣) شرحبيل بن ذى الكلاع الأكبر بن النعمان ؛ قتل أبوه ذو الكَلاَع يوم صفين مع معاوية ؛ وقتل شرحبيل يوم جازر ولم يبق منهم في صدر دولة بنى العباس إلاّ غلام واحد . انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٣٤ .

(٤) زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي : لم أجد ترجمته .

(٥) بكر بن أبى بشير الهلالىّ : لم أجد ترجمته .

أصحابَه ، فلم يشعر الضحاك وأصحابُه إلا والخيل قد شدَّت عليهم ، ففزع الناس إلى راياتهم من غير استعداد وقد غشيتْهم الخيلُ ، فنادى الناسُ : أبا أنيس ، أعَجْز[١] بعد كَيْس[٢] - وكنية الضحاك أبو أنيس - فاقتتل الناسُ ولزم الناسُ راياتهم ، فترجّل مروان ، وقال : قبّح الله من ولاّهم ظهرَه حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين . فقُتل الضحاك بن قيس[٣] ، وصَبرت قيسُ عند راياتها يقاتلون ، فنظر رجل من بني عُقيل[٤] إلى ما تَلْقى قيس عند راياتها من القتل ، فقال : اللهم العنها من رايات ! واعترضَها بسيفه . فجعل يَقْطعها ، فإذا سقطت الرايةُ تفرّق أهلها . ثم انهزم الناس ، فنادى منادى مروان : لا تَتبعوا من ولاّكم اليوم ظهره . فزعموا أنّ رجالاً من قيس لم يضحكوا بعد يوم المَرج حتى ماتوا جزعاً على من أصيب من فرسان قيس يومئذ .

فقتل يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء[٥] ثمانون رجلاً ، وقتل من بني سليم[٦] ستمائة ، وقتل لمروان ابنٌ يقال له عبد العزيز وشهد مع الضحاك يوم مرج راهط عبد الله بن معاوية ابن أبي سفيان[٧] . فلما انهزم الناسُ ، قال له

(١) العجز : الضعف وعدم القدرة . (انظر : لسان العرب ٥ / ٣٦٩) .

(٢) الكَيْسُ : الخفّة والتوقُّد . (انظر : لسان العرب ٦ / ٢٠٠) .

(٣) انظر الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧١ ، وذلك سنة ٦٤ هـ .

(٤) بنو عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كانوا يسكنون في البحرين ثم رحلوا إلى العراق ، حيث ملكوا الكوفة ، والبلاد الفُراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل ، ومنهم : بنو عامر ، وبنو المتفق وعُبادة وخفاجة . انظر (القلقشندى : قلائد الجمان ص ١١٩ - ١٢٢) .

(٥) المقصود بشرف العطاء هو المرتبة العالية التي تتحقق للمقاتل بشجاعته وبلائه في القتال كما ورد بذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتابه إلى عمرو بن العاص « ... وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته » انظر أبو عبيدة : كتاب الأموال ص ٢٨٩ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٢ ؛ انظر د/ عبد العزيز بن عبد الله السلومي : ديوان الجند ص ١١٩ .

(٦) بنو سليم من احدى قبائل قيس بن عيلان ، وهم أكثر القبائل عدداً ، وكانوا يسكنون في عالية نجد بالقرب من خيبر ، وتفرقوا إلى أراضى مصر وشمال افريقية ، ومنهم بنو زيد وبنو لبيد وبنو عوف وبنو مرواس وغيرهم . انظر : (القلقشندى : المصدر السابق ص ١٢٣ - ١٢٦) .

(٧) عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان أبو الخبر ، ويقال أبو سليمان ، وكان يُلقب بمُبَقّت ، وكان مضعَّف العقد . (انظر : ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٤ / ٧٥) .

عبيدُ الله بن زياد : ارتدف خلفي ، فارتدف ، فأراد عمرو بن سعيد أن يقتلَه . فقال عبيد الله بن زياد : ألا تكُفَّ يا لَطيمَ الشيطان[1] . وقال زفر بن الحارث ، وقد قُتل ابناه يوم المَرْج :

لَعمري لقد أبقتْ وقيعةُ راهطٍ ... بمروان صَدْعاً بيّناً مُتنائيا

فلم يُرَ منّي زلّةُ قبلَ هذه ... فراري وتركي صاحبيّ ورائيا

أيذهبُ يومُ واحدٌ إن أسأتُه ... بصالح أيامي وحسن بلائيا

أنترك كلباً لم تَنَلها رماحُنا ... وتذهب قَتْلى راهطٍ وهي ماهيا

وقد تَنْبُت الخَضراء في دِمَن الثَّدى ... وتَبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا

فلا صُلْح حتى نَدْعسَ[2] الخيلَة بالقَنا ... وتثأر من أبناء كَلْبٍ نسائيا

فلما قُتل الضحاك وانهزم الناس ، نادى مروانُ أن لا يُتبع أحد . ثم أقبل إلى دمشق فدخلها ونَزل دارَ معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة ، ثم جاءته بيعة الأجناد ، فقال له أصحابه : إنا لا نتخوّف عليك إلا خالد بن يزيد ، فتزوّج أُمه ، فإنك تَكْسره بذلك ، وأمه ابنة أبى هاشم بن عُتبة بن ربيعة . فتزوّجها مروان . [٤ / ٣٩٤ - ٣٩٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (٨) ذكر المؤرخون أن مروان كان كاتباً لعثمان بن عفان[3] ثم بعد موت معاوية بن يزيد بايعه بنو أمية وأنصارهم في الشام بالخلافة .

---

(١) لطيم الشيطان : يقال لمن به قوة أو شتر إذا سُبّ . (انظر الجاحظ : كتاب الحيوان ١ / ١٧٨) . وكان عمرو بن سعيد يسمى هذا اللقب انظر الكتبى : عيون التواريخ ٣ / لوحة ٢٥ مخطوط .

(٢) الدعس : هو الطَعن . انظر : (لسان العرب ٦ / ٨٣) .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٨٠ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١٣٨٧ ؛ ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك ٦ / ٤٨ ؛ ابن الأبار : اعتاب الكتاب ص ٤٩ ؛ ابن عساكر : التاريخ القسم الأول ١٦ / ٣٣٦ ؛ الذهبي : دول الاسلام ١ / ٤٨ ؛ ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ٩ / ٣١٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٥٩ .

وذلك بعد معركة مرج راهط في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذى القعدة سنة (٦٤ هـ)[١] .

ولا تُعتبر خلافته شرعية ، لأن غالبية الأمة بايعت قبله لعبد الله بن الزبير – كما سيأتي – ولذلك لم يَعد بعض المؤرخين مروان من الخلفاء[٢] .

أما خبر بيعة غالبية أهل الشام لعبد الله بن الزبير[٣] ، وبيعة أهل الأردن وفلسطين وبنى أمية وأنصارهم لمروان بن الحكم ، ثم ما جرى في موقعة مرج راهط من القتال ، ذكره المؤرخون بالتفصيل أكثر مما أورده ابن عبد ربه في عقده . فابن سعد أورده في طبقاته والبلاذري في أنسابه[٤] ، وكذلك الطبرى[٥] وابن عساكر[٦] وابن الأثير[٧] والذهبي[٨] وابن كثير[٩] والنويرى[١٠] .

هذا وقد أورد بعض المؤرخين الخبر موجزاً ومختصراً[١١] بينما أهمل أبو حنيفة

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٥ / ٥٣٤ ؛ ابن عساكر : التاريخ القسم الأول ١٦ / ٣٣٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٤٩ ؛ ابن ابار : المصدر السابق ص ٥٠ ؛ الذهبي : المصدر السابق ١ / ٤٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٤٥ .

(٢) انظر : السيوطي : تاريخ الخلفاء حيث يتحدث خلافة معاوية بن يزيد ثم عبد الله بن الزبير ثم عبد الملك بن مروان . وانظر أقوال العلماء والمؤرخين في ذلك مما أورده عبد الله بن عثمان : عبد الله بن الزبير والأمويون ص ١١٧ – ١١٨ .

(٣) تفصيل بيعة عبد الله بن الزبير سنتحدث عنها في مبحث عبد الله بن الزبير في الفصل الرابع .

(٤) الطبقات الكبرى (٢ / ١٩٦ – ٢٠٩) في ترجمة الضحّاك بن قيس ، تحقيق د. محمد بن صامل السلمى . انظر أيضاً : الطبقات الكبرى (٥ / ٣٩ – ٤٢) في ترجمة مروان بن الحكم ؛ أنساب الأشراف ٥ / ١٢٧ – ١٤٦ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٥٣١ – ٥٤٣ من طريق هشام الكلبى عن ابن عوانه وابن مخنف .

(٦) ابن عساكر : التاريخ القسم الأول ١٦ / ٣٤٩ – ٣٥٣ .

(٧) الكامل في التاريخ ٤ / ١٤٥ – ١٣٦ .

(٨) تاريخ الاسلام ٣ / ١٣٣ – ١٣٦ .

(٩) البداية والنهاية ٨ / ٢٤٣ – ٢٤٦ .

(١٠) نهاية الارب في فنون الادب ٢١ / ٨٣ – ٩٣ تحقيق محمد علي البجاوى .

(١١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٢٥٩ – ٢٦٠ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٥٥ – ٢٥٦ ؛ المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣ / ٩٥ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٦ / ٢٧ ؛ الذهبى : دول الاسلام ١ / ٤٧ – ٤٨ .

الدينورى ما جرى في معركة مرج راهط وذلك عند حديثه عن خلافة مروان بن الحكم[١] .

وكانت هذه الموقعة في النصف من ذى القعدة سنة (٦٤ هـ)[٢] .

ولتوضيح الأمر نناقش النقاط التالية :

أولاً : علاقة مروان بما حدث من الفتن :

أورد ابن عبد ربه في النص رقم (٩) أن رجلاً من بنى أمية وناس من أشراف أهل الشام ووجهائهم ألحو على مروان أن يبايعوا له بالخلافة ، وذلك لما رأو أن الملك ينتقل منهم إلى الحجاز ، واستمروا في هذا الالحاح حتى بايعوا له بالخلافة . في حين تروى بعض المصادر الأخرى ، أن عبيد الله بن زياد هو الذي عَدل رأى مروان الذي خرج إلى مكة ليبايع لابن الزبير هناك ، ويأخذ منه أماناً لبنى أمية ، وذلك لما حصل لابن الزبير من ولاء وطاعة من المسلمين في مختلف أصقاع البلاد الاسلامية ، ولما خرج مروان ومعه عمرو بن سعيد بن العاص ، لقيهم عبيدُ الله بن زياد بأذرعات قادماً من العراق ، فقال لمروان : أين تريد ؟ فأخبره مروان بما عزم عليه ، فقال عبيد الله :سبحان الله ! أرضيت لنفسك بهذا ، تبايع لأبى خبيب وأنت سيد بنى عبد مناف ! والله لأنت أولى بها منه . فقال : مروان : فما الرأى ؟ قال : أن ترجع وتدعو إلى نفسك وأنا أكفيك قريشاً ومواليها ولا يخالفك منهم أحد ، فقال عمرو بن سعيد : صدق عبيد الله ، إنّك لجذمُ قريش وشيخها وسيّدها[٣] .

---

(١) الأخبار الطوال ص ٢٨٥ . وانظر تفاصيل المعركة عند عبد الله بن عثمان : عبد الله بن الزبير والأمويّون ص ١٥٢ وما بعده .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦ / ٥٣ ؛ خليفة : المصدر السابق ص ٢٥٩ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٥ / ٥٣٤ ؛ الربعى : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧١ ؛ الذهبى : تاريخ الاسلام ٣ / ١٣٦ وفيه نصف ذى الحجة .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٤٠ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٣٨ ، ١٤١ من طريق أبي مخنف ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٥٤٠ - ٥٤١ من طريق ابى مخنف ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق القسم الأول ١٦ / ٣٥٣ ؛ المقريزي : كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ص ٤٧ .

ولعلّ عبيد الله بن زياد استعان في تنفيذ خطته بأناس من بنى أمية وأنصارهم من وجوه أهل الشام وأشرافهم ، وبهذه الطريقة استطاع أن يورط مروان في خوض هذه الفتنة .

وبهذا تجمع بين الروايتين .

ثانياً : ما ورد في النص رقم (٤) من قول حسان بن مالك لروح ابن زنباع : ((وأبناء قيس بالأردن كثير وهم قومى)) .

لنا أن نتساءل كيف يكون أبناء قيس قومه وهو كلبىّ والصّراع قائم بين القيسيين والكلبيين ؟

ولعلّ حسان يقصد قيساً أخرى غير التي التفت حول الضحّاك بن قيس ، وكان حسان ذا معرفة تامة لقبائل الأردن وفروعها حيث كان والياً عليها زمن يزيد بن معاوية ، وضم يزيد لحسان ولاية فلسطين أيضاً ، فَوّلاها حسان ، روح ابن زنباع[1] .

ثالثاً : قول حسان بن مالك لأهل الأردن في شأن عبد الله بن الزبير ، ووصفه بالنفاق والعصيان ومفارقة الجماعة .

وهذا القول فيه نكارة وتجنّ على ابن الزبير ، وقول بغير حق ، ولم يكن ابن الزبير مفارقاً للجماعة بل الجماعة معه وقد تمت له البيعة ودعى له على سائر منابر الحجاز ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وسائر الأمصار الإسلامية . ثم بعد ذلك اتبعه غالبية أهل الشام[2] .

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٥ / ٢٢٣٦ من طريق خليفة بن خياط ، ولم أجد في المطبوع من تاريخ خليفة ، ولعلها سقطت من بعض النسخ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٣٠٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٥٣٠ - ٥٣١ ؛ المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٦٦ ؛ الجُنْدي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ١٧٦ . انظر : جميل المصرى : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب ص ٥٠١ ؛ عبد الله بن عثمان بن عبد الكريم : عبد الله بن الزبير والأمويّون ص ١١٩ - ١٤٣ ، وفيه مناقشة فريدة في هذا الموضوع .

وكان دافع حسان بن مالك أن يشوّه سمعة ابن الزبير ، ويزيّن للناس بيعة خالد بن يزيد ، لأن هوى حسان كان مع حفيد اخته خالد بن يزيد[١] .

رابعاً : قول المصنّف : ((وقتل لمروان ابن يقال له عبد العزيز)) لم يعرف لمروان ابن بهذا الاسم غير عبد العزيز الذي ولاّه مصر بعد معركة مرج راهط ، وهو والد الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز .

وقد وَهِم ابن عبد ربه وغيره من المؤرخين حين ذكروا أن عبد العزيز بن مروان صرع في معركة مرج راهط[٢] . وأورد البلاذري[٣] أن عبد العزيز طُعن على يد رجل يسمى خالد بن الحضين الكلابي قبل معركة مرج راهط ، حيث أرداه ، ثم نجله برمحه . ولكنه لم يوضح قتله .

خامساً : ذكر المصنّف : أن بكر بن أبى بشير الهلالى كان على ميسرة الضحّاك ، وسمى البلاذري زَحْر بن أبي شمر الهلالى[٤] . وقد أورد المؤرخون غير هذا ، حيث سماه ابن سعد ركز بن أبى شمر الهلاّلى[٥] أما الطبرى فلم يصرح باسم الرجل ، وإنما اكتفى بقوله : ((وكان على ميسرة الضحاك رجل آخر لم احفظ اسمه))[٦] . وسماه ابن كثير زكريا بن شمر الهلاّلى[٧] ولعله قد وقع في بعضها تصحيف .

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٦٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٥٣٩ من طريق أبى مخنف . وانظر : محمد سيد الوكيل : الامويّون في المشرق والمغرب ٢ / ٣٠٩ .

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ١٤٠ .

(٤) المصدر السابق ٥ / ١٣٦ .

(٥) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٠٤ الطبعة الخامسة بتحقيق د. السلمى .

(٦) المصدر السابق ٥ / ٣٣٧ .

(٧) البداية والنهاية ٨ / ٢٤٦ .

عماله وكتابه :

١١ - وكان على شرطته يحيى بن قيس الشيباني[١] . وكاتبه سرجون بن منصور الرومى[٢] . وحاجبه أبو سهل الاسود[٣] ، مولاه . [٤ / ٣٩٨]

١٢ - كاتب مروان بن الحكم حُميد بن عبد الرحمن بن عوف[٤] .
[٤ / ١٦٤]

دراسة النصوص :

أورد المؤرخون بأن يحيى بن قيس كان على شرطة مروان[٥] كما أورد المؤرخون بأن أبا سهل - وقيل أبا سهيل - مولى مروان بن الحكم كان حاجبه[٦] .

أما كتّاب مروان فأورد المصنِّف كاتبان هما سرجون بن منصور الرومى ، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

---

(١) يحيى بن قيس : لم أجد له ترجمة .

(٢) سرجون بن منصور الرومى ، كان نصرانياً ، وكان يتقلّد كتابة ديوان الخراج لعدة من خلفاء بنى أمية . انظر : (الجهشياريّ : الوزراء والكتاب ص ٢٤ - ٤٠) .

(٣) أبو سهل - ويقال أبو سهيل - الاسود مولى مروان بن الحكم وحاجبه وكان يأذن عليه . انظر : ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٨ / ٣٤٣ .

(٤) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهريّ ، أبو عبد الرحمن ، كان فقيهاً ، نبيلاً ، شريفاً ، ثقة مات سنة (٩٥ هـ) بالمدينة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . (الربعى : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٠٣ ؛ انظر الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٩٣) .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٦٣ ؛ ابن حبيب : المحبّر ص ٣٧٣ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٣١ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٥٨ وفيه الغسانى بدلاً من الشيبانى ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٦٣ .

(٦) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٦٣ ؛ ابن حبيب : المحبّر ٢٥٩ وفيه أبو المنهال الأسود ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٨ ؛ المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٧٠ وفيه أبو سهيل الأسود ، وقيل أبو المنهال مولاه ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٨ / ٣٤٣ ؛ النويرى : نهاية الارب ٢١ / ٩٧ .

فأما سرجون فقد ذكرت المصادر أنه كان كاتباً لمروان[١] وأما حميد بن عبد الرحمن فلم أجد من ذكره من كتاب مروان ولعله كان يكتب له حينما كان مروان على إمارة المدينة لأن حميد مدنى ؛ وكان على ديوان المدينة في زمن يزيد ابن معاوية[٢] وكان لمروان كتّاب آخرون ، مثل : سفيان الأحْول ، وأبو زعيزعة[٣] وعبيد بن أوس الغسانى[٤] وكذلك سليمان بن سعيد الخشنى[٥] .

استيلاء مروان على مصر ثم وفاته وسببها وتاريخها :

١٣ – لما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد : أعِرنِى سلاحاً إن كان عندك ، فأعاره سلاحاً ، وخرج إلى مصر فقاتل أهلها وسبَى بها ناساً كثيراً ، فافتدوا منه . ثم قدم الشام . فقال له خالد بن يزيد : رُدّ علىّ سلاحى . فأبى عليه ، فألحّ عليه خالد . فقال له مَروان ، وكان فحّاشاً : يابن رطبة الاست[٦] . قال : فدخل إلى أُمه فبكى عندها وشكا إليها ما قال مروان على رؤوس أهل الشام . فقالت له : لا عليك ، فإنه لا يعود إليك بمثلها . فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياماً ، ثم جاء إلى أُمّ خالد فرقد عندها ، فأمرت جواريها فطرحْن عليه الوسائد ، ثم غَطّته حتى قتلته ، ثم خَرجن فصِحْن وشَقَقن ثيابهنّ : يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ! ثم قام عبد الملك بالأمر بعده ، فقال لفاختة[٧] أم

---

(١) خليفة : المصدر السابق ٢٦٣ ؛ المسعودى : المصدر السابق ص ٢٦٩ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٣ .

(٢) ابن حبيب : المصدر السابق ص ٣٧٨ .

(٣) الجهشيارى : المصدر السابق ص ٣٣ ؛ المسعودى : الاشراف والتنبيه ص ٢٦٩ ؛ النويرى : نهاية الارب ٢١ / ٩٧ .

(٤) المسعودى : المصدر السابق ص ٢٦٩ ؛ النويرى : المصدر السابق ٢١ / ٩٧ .

(٥) المسعودى : المصدر السابق ص ٢٦٩ .

(٦) رطبة : يقال جارية رطبة : رخصة . وغلام رطب : فيه لين النساء . انظر (لسان العرب ١ / ٤١٩) .

(٧) فاختة : أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وكانت تكنى أم خالد ، تزوجها مروان بن الحكم بعد يزيد بن معاوية . انظر : (مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٢٩) .

خالد : وا لله لو لا أن يقول الناس إني قتلت بابي امـرأة لقتلتـك بأمـير المؤمنـين .
[٤ / ٣٩٨]

١٤ - مـات - مـروان بـن الحكـم - بالشـام ، لثـلاث خلـون مـن رمضـان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاث وسـتين سـنة ، وصلـى عليـه ابنـه عبـد الملـك ابن مروان . [٤ / ٣٩٨]

دراسة النصوص :

أشارت بعض المصادر التاريخية إلى نقاط وأطراف من الرواية رقـم (١٣)[1] و لم أجد نص الرواية كاملاً إلا في كتاب " الامامة والسياسة " المنحول علـى ابـن قتيبة[2] . ولعله مصدر ابن عبد ربه في نقل الرواية . ويشتمل هـذا النـص علـى عدة أمور ينبغى الوقوف عندها :

أولاً : قول المصنّف : ((فقاتل أهلها وسبى بها ناساً كثيراً فـافتدوا منـه)) لم أجد من ذكر من المؤرخين مثل هذا القول ، عندما يتحدثون عن استيلاء مـروان على مصر . بل أن البلاذري والكندى وهما من أشهر مؤرخى مصر يذكران أن مروان بن الحكم صالح عبد الرحمن بن جحدم ، بعد قتال عنيف واستطاع مـروان أن يقنع ابن جحدم وأتباعه بالدخول في طاعته ، وتمّ هـذا الصلـح بواسـطة بعـض رجالات أهل مصر[3] و لم يرفض ذلك غير جماعة من المعافر ، الذيـن أصـروا علـى بيعة ابن الزبير ، فقتـل مـروان ثمـانين رجـلاً منهـم قدّمهـم رجـلاً رجـلاً فضـرب أعناقهم كما يذكر الكندى[4] . و لم يذكر الكندى الـذى تنـاول دخـول مـروان

---

(١) أبو حنيفة الدينورى : الاخبار الطـوال ص ٢٨٥ ؛ الطـبرى : تـاريخ الامـم والملـوك ٥ / ٦١١ ؛ المسعودى : مروج الذهـب ٣ / ٩٧ - ٩٨ ؛ الأصفهـاني : الأغـاني ١٧ / ٣٤٧ ؛ ابـن الاثـير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٩١ .

(٢) الإمامة والسياسة ٢ / ٢١٩ .

(٣) أنسـاب الأشـراف ٥ / ١٤٨ - ١٤٩ ؛ الـولاة والقضـاة ص ٤٤ - ٤٥ ومـن هـؤلاء الرجـال : كريب بن أبْرَهة وعابِس بن سعيد وزياد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المعافرى .

(٤) الكندى : المصدر السابق ص ٤٥ .

وسيطرته على مصر بالتفصيل أنه سبى أحداً من أهلها ، إذ كيف يسبيهم وهم مسلمون ؟

ثانياً : أما قول مروان لخالد : يابن رطبة الأست بعد ما ألح عليه خالد في إعادة سلاحه ، فإن المؤرخين يرون أن مروان قال هذه الكلمة لخالد في مناسبة أخرى .

فأبو حنيفة الدينوري يذكر أن مروان قاله لخالد حينما رآه يمشي مشية أنكرها[1] في حين أن الطبري وابن الأثير والنويري يذكرون أن مروان تزوج أم خالد حتى يصغّر من شأن خالد ، فدخل عليه يوماً وعنده جماعة كثيرة ، وهو يمشى بين الصفين ، فقال : أنه والله ما علمتُ لأحمق ، تعال : يابن الرَّطبة الأست[2] وذكر بعض المؤرخين : أن خالداً دخل عليه فكلمه وأغلظ له ، فغضب من ذلك وقال : اتكلمنى يا ابن الرطبة[3] . وذكر ابن عساكر : أنه حينما بلغ خالداً إن مروان همّ أن يجعل ولى عهده ابنه عبد الملك ، دخل خالد على مروان وسأله عن ذلك فقال مروان : يا ابن الرطبة[4] . وأشار المقريزي إلى قول مروان لخالد فقط[5] .

وبهذا يظهر أن جميع هؤلاء المؤرخين لم يشيروا إلى ما يتعلق بالسلاح .

ثالثاً : مقتل مروان بن الحكم على يد زوجته أم خالد .

ذكر ذلك أكثر المؤرخين ، إلاّ أنهم يختلفون في كيفية ذلك .

---

(١) الاخبار الطوال ص ٢٨٥ .

(٢) الطبرى : المصدر السابق ٥ / ٦١١ ؛ ابن الاثير : المصدر السابق ٤ / ١٩١ ؛ النويرى : المصدر السابق ٢١ / ٩٦ .

(٣) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ١٤٥ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٩٧ - ٩٨ ؛ البلخى : البدء والتاريخ ٦ / ١٩ - ٢٠ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، القسم الأول ١٦ / ٣٥٩ .

(٤) ابن عساكر : المصدر السابق ، القسم الأول ١٦ / ٣٥١ .

(٥) النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم ص ٤٨ .

فذهب البعض إلى أن أم خالد وضعت على نَفَسه وِسادةً وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات خَنقاً[١] . وهذا موافق لما ذكرت الرواية .

بينما ذهب الآخرون إلى أنها دسّت له سُمّاً في شرابه[٢] ويمكن الجمع بين القولين بأن وفاة مروان تمّت عن طريق دسّ السمّ والخنق معاً ، وذلك لما سقته السمّ وأبطأ عليه الموت وأحسّ مروان بذلك غطت عليه وِسادة حتى مات وهو ما يؤكّده ابن عبد البر[٣] والبلخي[٤] . وأورد ابن عساكر في تاريخه أنها غمته برفقه مصلته[٥] .

رابعاً : ما ذكره المصنف من قول عبد الملك لفاختة أم خالد : ((والله لو لا يقول الناس إني قتلت بابي إمرأة لقتلتك بأمير المؤمنين)) . لم أجد له شاهداً .

والظاهر أن عبد الملك بن مروان عفَى عن أم خالد ولم يقم عليها حد القتل لأن له الخيار في ذلك باعتباره ولى المقتول ، لا بسبب أنها امرأة ويعاب عليه أنه قتل امرأة بأبيه .

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره ، عند قوله تعالى : ((﴿ **ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً** ﴾[٦] أي سلطة على القاتل فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قوداً ،

---

(١) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٥ / ٦١١ ؛ المسعودى : المصدر السابق ٣ / ٩٨ ؛ الأصفهاني : الأغاني ١٧ / ٣٤٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، القسم الأول ١٦ / ٣٥٤ ؛ الذهبي : سير أعلام ٣ / ٤٧٩ ؛ النويرى : المصدر السابق ٢١ / ٩٧ دون أن يذكر جواريها .

(٢) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٨٥ ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ١٤٥ ، ١٥٩ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٥٧ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ٩٨ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، القسم الأول ١٦ / ٣٥١ .

(٣) الاستيعاب ٣ / ١٣٨٩ .

(٤) البدء والتاريخ ٦ / ٢٠ .

(٥) تاريخ دمشق ، القسم الأول / ٣٥٩ عن طريق أبى عبد الله البلخى .

(٦) سورة الإسراء ، الآية ٣٣ .

وإن شاء عفا عنه على الدية ، وإن شاء عفا عنه مجاناً))[١] .

ويبدو أن عبد الملك عفا عنها بعد ما كاد أن يقتلها ، وهذا هو الموافق لأحكام الشرع .

وذكر ابن عساكر أن عبد الملك لم يعاقب خالداً بشيء[٢] .

أما ما جاء في الرواية رقم (١٤) من وفاة مروان بن الحكم كانت بالشام لثلاث خلون من رمضان سنة (٦٥ هـ) ، فقد ذكرت المصادر ما يوافق ذلك[٣] .

وكان عمر مروان ثلاثاً وستين سنة[٤] . وقيل : ابن أربع وستين سنة[٥] . وصلى عليه ابنه عبد الملك[٦] . وقيل : صلى عليه عبد الرحمن بن أم الحكم وكان خليفته بدمشق[٧] .

مدة ولايته :

١٥ - وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . [٤ / ٣٩٨]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٨ .

(٢) تاريخ دمشق ، القسم الأول ١٦ / ٣٥٩ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٣١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٥٩ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٢٥٧ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٦١٠ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٩٧ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧٢ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، القسم الأول ١٦ / ٣٤٠ ؛ الذهبي : دول الاسلام ١ / ٤٨ ؛ سير أعلام ٣ / ٤٧٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٩١ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٢٦٢ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٤ ؛ أبو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٨٦ ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ١٥٩ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، القسم الأول ١٦ / ٣٤٠ .

(٥) الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧٢ .

(٦) خليفة : المصدر السابق ص ٢٦٢ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٥٩ - ١٦٠ من طريق الهيثم بن عدّي ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، القسم الأول ١٦ / ٣٦٠ ، ٣٦١ ؛ النويري : نهاية الارب ٢١ / ٩٧ .

(٧) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ١٥٩ من طريق المدائني .

دراسة النص :

هذا النص موافق لما في المصادر التاريخية[١] ، حيث كانت ولايته ابتداءاً من منتصف شهر ذى القعدة سنة (٦٤ هـ) إلى أن توفى سنة (٦٥ هـ)[٢] وقيل كانت ولايته عشرة أشهر وما يقاربها[٣] . وقال البلاذري : ((أن بين بيعته وموته سنة))[٤] .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٢٦٣ ؛ أبو حنيفة الدينورى : الاخبار الطوال ص ٢٨٥ ؛ اليعقوبى : المصدر السابق ٢ / ٢٥٧ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٥ / ٦١١ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ٩٨ ؛ التنبيه والاشراف ص ٢٦٩ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ص ١٣٨٩ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، القسم الأول ١٦ / ٣٦٠ ؛ العظيمى : تاريخ حلب ص ٤٦ ؛ الذهبي : سير أعلام ٣ / ٤٧٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٦٣ .

(٢) انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٤ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٥ / ٦١١ ؛ ابن عبد البر : المصدر السابق ص ١٣٨٩ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، القسم الأول ١٦ / ٣٥٠ ؛ الذهبى : دول الاسلام ١ / ٤٨ .

(٣) ابن عساكر : المصدر السابق ، القسم الأول ١٦ / ٣٦٠ انظر الروايات المتعلقة بوفاة مروان بن الحكم .

(٤) المصدر السابق ٥ / ١٤٥ وانظر ٥ / ١٥٩ وفيه أقوالاً أخرى .

٢ - عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) .

نسب عبد الملك بن مروان :

١ - هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية .

ويكنى : أبا الوليد . ويقال له : أبو الأملاك ؛ وذلك أنه ولى الخلافة أربعة من ولده : الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام . وكان تَدْمى لثته فيقع عليها الذُّباب ، فكان يُلَّقب : أبا الذّباب .

أمه عائشة[١] بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية .

[٤ / ٣٩٨ - ٣٩٩]

دراسة النص :

تتفق كتب الأنساب[٢] وكذا أكثر المؤرخين[٣] على سياق نسب عبد الملك ابن مروان ونسب أمه .

وليس هناك ثمة خلاف بين المؤرخين بأن كنية عبد الملك أبو الوليد[٤] وكناه بعضهم بأبي الذباب[٥] وأضاف الذهبي كنية ثالثة وهي : أبو الأملاك ، حيث

---

(١) عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص أم عبد الملك بن مروان ، أبوها هو الذي جدع أنف حمزة بن عبد المطلب ، وقتله النبي ﷺ بعد أحُدُ بثلاث . انظر : ابن قدامة : التبيين في أنساب القرشيين ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٨٧ ؛ ابن قدامة : التبيين في نسب القرشيين ص ١٨٢ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦٩ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦ / ٤١٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١١٠ ، ١١٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٥١٩ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٤٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٦٦ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٥ ؛ الطبري : تاريخ الامم والملوك ٦ / ٤١٩ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ٣٧ / ١١٤ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ٣٩ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ / ٩٧ .

(٥) ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٥ ؛ عيون الأخبار ٤ / ٦١ ؛ أبو هلال العسكرى : الأوائل ١ / ٣٥٠ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ٤ / ١٧٥ مخطوط ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٦٦ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر ١ / ٢٦٩ .

تولى أربعة من ولده الملك بعده[١] وقد اختلفوا في سبب تلقيبه بأبي الذباب . فيذكر النويري وابن كثير سبب ذلك بأن أسنانه كانت مشبكة بالذهب ، وكان أفوه مفتوح الفم ، فربما غفل فينفتح فمه فيدخل فيه الذباب[٢] ويرى الآخرون أن ذلك لشدة بخره[٣] .

والبخر ريح كريهة تخرج من الفم ، لعدم النظافة والعناية بالفم والأسنان ، وهذا مستبعد إلاّ أن يكون مرضاً عارضاً ، وذِكْر هذا اللقب من التنابز بالألقاب التي نهى ا لله عنه .

وقد روي أنه كان يحمل في يده إذا جلس للرعية تفاحة أو ريحانة أو طيب[٤] وهي من المواد المذهبة للرائحة الكريهة .

ولادته :

٢ - ولد عبد الملك بالمدينة سنة ثلاث وعشرين ، ويقال سنة ستٍ وعشرين ، ويقال ولد لسبعة أشهر[٥] . [٤ / ٣٩٩]

دراسة النصوص :

ذكر كثير من المؤرخين أن ولادة عبد الملك كانت في سنة (٢٦ هـ)[٦] . فما ذكره المصنف بصيغة التمريض هو الذي عليه أكثر المؤرخين ويذكر خليفة

---

(١) الذهبي : دول الإسلام ١ / ٦١ .

(٢) النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٩٨ تحقيق البحاوي ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٦٦ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٥ ؛ عيون الأخبار ٤ / ٦١ ؛ أبو هلال العسكري : الأوائل ١ / ٣٥٠ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ٦ / ٢٦ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٤٩ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ١/٢٦٩ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٩٨ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤ .

(٤) الاصفهاني : الأغاني ١٧ / ٢٧٦ ؛ الرقام : كتاب العفو والاعتذار ٢ / ٤٢٣ .

(٥) أي مدة الحمل ، راجع ابن الأثير ٤ / ١٩٢ وفيه تفصيل .

(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٢٢٤ ؛ خليفة : كتاب الطبقات ص ٢٤٠ ؛ الطبري : تاريخ الأمم الملوك ٦ / ٤١٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١١٤ من طريق ابن سعد ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٩ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٤٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٦٦ .

وابن عساكر أن ولادته كانت في سنة (٢٣ هـ)[١] .

وما جاء في النص برقم (٢) من أن عبد الملك ولد لسبعة أشهر فهو موافق لما في المصادر الأدبية[٢] .

وقد أورد ابن عبد ربه في مكان آخر أنه ولد لستة أشهر[٣] وهو ما ذكر به ابن الجوزي[٤] .

وهذا شاذ ، كما أنه مخالف للمعروف من أحوال الولاة[٥] .

أما مكان ولادته ، فالمصادر توافق ما ذهب إليه المصنف من أن ولادته كانت في المدينة[٦] .

عبد الملك بن مروان والنّساء :

٤ - الشيباني عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام[٧] . فأبت أن تتزوّجه .

وقالت : والله لا تُزوجني أبا الذِّباب ، فتزوجها يحيى بن الحكم[٨] ، فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفوه أشوه . فقال يحيى : أما إنها أحبت منّي ما

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٢٩٢ . انظر ابن عساكر : المصدر السابق ٣٧ / ١١٧ من طريق أحمد بن إسحاق .

(٢) الأصبهاني : الدرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة ١ / ٢٥٥ ؛ الميداني : مجمع الأمثال ١ / ٣٨٦ ؛ الزمخشريّ : المستقصى في أمثال العرب ١ / ١٨٨ - ١٨٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٩٢ .

(٣) العقد ٤ / ٣٢ .

(٤) المنتظم ٦ / ٣٩ .

(٥) انظر مناقشة ص ١٢٧ من هذه الرسالة .

(٦) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٢ . انظر ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١١٧ .

(٧) اسمها زينب ، وكانت جميلة ، ولحسن جمالها سميت الموصولة . انظر (مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣٠٧) .

(٨) يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، عم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وله عقب. انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٨٧) .

كرهت منك ، وكان عبد الملك ردئ الفم يَدْمي ، فيقع عليه الذباب ، فسُمي أبا الذِّباب (٦ / ٩٩) ونحوه (٤ / ٢٥)

٥ – قال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان[١] : صِف لي أحسنَ النساء ، فقال خذها يا أمير المؤمنين مَلساء القدمين[٢] ، دَرْماء الكَعبين[٣] ، مملوءة الساقين ، جَمّاء الركبتين[٤] ، لفاء الفخذين[٥] ، مقرمدة[٦] الرُّفغين[٧] ، ناعمة الأليتين ، منيفة[٨] المأكمتين[٩] بدّاء[١٠] الوركين[١١] ، مهضومة الخصرين[١٢] ، ملساء المتنين[١٣] ، مشرقة ، فَعمة[١٤] العَضُدين ، فخمة الذراعين ، رَخصة الكفّين ، ناهدة الثديين[١٥] حَمراء الخدين ، كَحلاء العينين ، زجاء الحاجبين[١٦] ، لمياء

---

(١) وفي لسان العرب شيخ من غطفان .

(٢) ملساء القدمين : لا شقّ فيها . انظر : (لسان العرب ٦ / ٢٢١) .

(٣) درماء الكعبين : أي لا تستبين كعوبها ، لأن الكعب مستو مع الساق . انظر : (اللسان ١٢ / ١٩٧) .

(٤) جماء الرُّكبتين : غفيراً ، لأنها تغطي العظام وتستر . (اللسان ١٢ / ١٠٩) .

(٥) لفاء الفخذين : ضخمة الفخذين . (اللسان ٩ / ٣١٨) .

(٦) المُقرمدة : المجتمع قصبها ، الضّيّقة . انظر : (اللسان ٣ / ٣٥٢) .

(٧) الرُّفغين : الابطين . (لسان العرب ٨ / ٤٣٠) .

(٨) منيفة : تامة الطول والحسن : (اللسان ٩ / ٣٤٢) .

(٩) المأكمة : العجيزة ، والمأكمتان : اللحمتان اللتان على رؤوس الوركَين . انظر : (لسان العرب ١٢ / ٢١) .

(١٠) كثيرة لحم الفخذين . (اللسان ٣ / ٨٠) .

(١١) الورك : ما فوق الفخذين . (اللسان ١٠ / ٥٠٩) .

(١٢) الخصران والخاصِرتَان : ما بين الحَرفقة والقُصَيرَى . (اللسان ٤ / ٢٤٠) .

(١٣) المتنتان : حبتا الظهر . (اللسان ١٣ / ٣٩٨) .

(١٤) فعمة : ممتلئة . (اللسان ١٢ / ٤٥٥) .

(١٥) نهد الثدي : إذا كعب وأشرف وارتفع عن الصدر وصار له حجم . انظر (اللسان٣/٤٢٩) .

(١٦) الزُّجُّ : جمع زجّاء وهو النعام ، ويقال الأزَجُّ من النعام : الذي فوق عينه ريش أبيض . انظر (لسان العرب ٢ / ٢٨٦) .

الشفتين[١] ، بَلجاء الجَبين[٢] ، شمّاء العِرنين[٣] شَنْباء الثغر[٤] ، حالكة الشعر ، غَيداء العُنق[٥] ، عيناء العَينين ، مكسَّرة البطن ، ناتئة الرَّكَب[٦] . فقال : ويحك ! وأين توجد هذه ؟ قال : تجدها في خالص العرب ، أو في خالص الفرس .
[٦ / ١٠٨]

٦ - قال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ، ومن أرادها للولد فيتخذها فارسيّة ، ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية
[٦ / ١٠٣]

٧ - أبو الحسن المدائني ، قال : كان عبد الملك بن مروان رأى في منامه أن عائشة بنت هشام بن إسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلقت رأسه فقطعته عشرين قطعة . فغمّه ذلك ، فأرسل إلى سعيد بن المسيّب[٧] ، فقصّها عليه . فقال سعيد : تَلد غلاماً يملك عشرين سنة . وكانت عائشة أم هشام حمقاء ، فطَلّقها عبدُ الملك لحُمقها ، وولدتْ هشاماً وهي طالق ، ولم يكن في ولد عبد الملك أكمل من هشام . [٤ / ٤٤٥ - ٤٤٦]

دراسة النصوص :

النص رقم (٤) أورَد الأصفهاني نصاً قريباً منه[٨] وأشار مصعب الزبيري إلى « أن عبد الملك بن مروان بعث إلى المغيرة بن عبد الرحمن أن يقدم عليه ؛ فقدم

---

(١) لمياء الشفتين : سمرة الشفتين . انظر (اللسان ١٥ / ٢٥٨) .

(٢) بلجاء الجبين : الأبيض الحسن الواسع الوجه . (انظر اللسان ٢ / ٢١٥) .

(٣) العِرنين : تحت مجتمع الحاجبين ، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشَّمَمُ . ويقال : هم شمّ العرانين . انظر (اللسان ١٣ / ٢٨٢) .

(٤) الشنب : نقط بيض في الأسنان ، وحدة الأنياب . (اللسان ١ / ٥٠٧) .

(٥) الغيداء : المرأة المتثنية من اللين . (اللسان ٣ / ٣٢٨) .

(٦) ناتئة : مرتفعة . (اللسان ١ / ١٦٤) ؛ الرَّكَب : لحم الفرج ، وقيل الفرج نفسه . (اللسان ١ / ٤٣٤) .

(٧) سعيد بن المسيّب بن حزن أبي وهب المخزومي ، وأمه سليمة ، ابنا أبا محمد ، فقيه الحجازي ، وأم أول الرؤيا . انظر ابن قتيبة : المعارف ص ٤٣٧ .

(٨) الأغاني ١٦ / ٢٩٦ .

المغيرة أيلَةَ ، وبها يحيى بن الحكـم، فخطـب إلى المغـيرة زينـب بنـت عبـد الرحمـن وهي أختُ المغيرة لأُمِّه وأبيه ، وجعل له أربعين ألف دينار ، فزوّجه إيّاها ؛ وكان عبد الملك بن مروان ، حين بعث إلى المغيرة ، أنما أراد أن يزوِّجه زينب ؛ فلما قدم المغيرة على عبد الملك ، خطب إليه زينب ؛ فقال له المغيرة : مـررت بعمِّـك يحيـى ابن الحكم ؛ فخطبها إليّ ؛ فزوَّجتُها منه ؛ و لم أعلم أن لك فيها حاجـة ، فغضـب عبد الملك على عمِّه ، وأخذ كل شيء له))[1] .

وكان يحيـى بـن الحكـم يقـول : ((لا أبـالي إذا وجـدتُ كعكتـين أكلهمـا ، وكانت عندي زينب))[2] .

فولدت زينب ليحيى ، وكانت قبلـه عنـد أبـان بـن مـروان بـن الحكـم أخـو عبد الملك بن مروان ، فولدت له أيضاً[3] .

أما ما جاء في آخر الرواية من أنه كـان ردئ الفـم ، فقـد ناقشـنا ذلـك عنـد حديثنا عن نسب عبد الملك ولقبه .

أما النص رقم (٥) فأورده ابن منظور في كتابه مختصراً[4] .

والنص رقم (٦) ذكر السيوطي[5] مثله نقلاً عن بن أبي شيبة في المصنف .

النص رقم (٧) أورد الزمخشري مثله[6] ما عدا الشق الأخير[7] .

وكانت عائشة بنت هشام بن إسماعيل من زوجات عبد الملـك ، فولـدت لـه ولداً سمّته باسم أبيها هشام ، فلم ينكر عبد الملك ذلك[8] ، وكـانت عائشـة هـذه

---

(١) نسب قريش ص ٣٠٧ .

(٢) المصعب : المصدر نفسه ص ٣٠٧ ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ١٦ / ٢٩٧ .

(٣) المصعب : المصدر السابق ص ٣٠٧ .

(٤) لسان العرب ٣ / ٣٥٢ نقلاً عن البُشتي .

(٥) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٦ ؛ ٢٢١ ، عن طريق ابن سفيان الحميري ، حدثنا خالد بن محمد القرشي.

(٦) ربيع الأبرار ٤ / ٣٣٩ .

(٧) بدءاً من ((وكانت عائشة أم هشام ...)) .

(٨) المصعب : نسب قريش ص ٤٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ١٢٤ .

حمقاء - على حد قول ابن الأثير - فطلّقها عبد الملك[١] . ولكنه ندم في تطليقها[٢] .

أمّا الرؤيا التي رأى عبد الملك في منامه ، ثم تفسير سعيد بن المسيب لها ، فلا عجب في ذلك فإن سعيد قد اشتهر بتعبير الرؤيا وتأويلها . وقد ذُكر أن رجلاً قال له : رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض ، ثم بطحته ، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد ؛ فقال سعيد : يخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة[٣] .

أولاده :

٨ - أولاد عبد الملك بن مروان :

الوليد ، وسليمان ، من العَبْسيَّة[٤] ، ويزيد ، وهشام ، والحجاج ، والمنذر ، ومروان الأكبر ، ومروان الأصغر - ولم يعقب مروان الأكبر - ومحمد ، ومعاوية، دَرَج[٥] .

٩ - أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسنّ ولد عبد الملك وكان يُحبه ، فتراخى في تأديبه لشدة حُبه إياه ، فكان لحّاناً .

وقال : أضرّنا في الوليد حُبّنا له . فلم يوجّهه إلى البادية .

[٤ / ٤٢٣ - ٤٢٤] بنحوه [٢ / ٤٣٩] ونحوه [٢ / ٤٨٠]

١٠ - وقال أضرّ بنا في الوليد حبُّنا له فلم نُؤَدِّبه به وكأن الوليد أدّبنا .

[٢ / ٤٣٩]

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ١٢٤ .

(٢) الزمخشري : المصدر السابق ٤ / ٣٣٩ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٤٣٧ .

(٤) وهي ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسّ . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٩١) .

(٥) درج : توفى قبل أن يعقب . انظر (لسان العرب ٢ / ٢٦٨) .

١١ - وقال : أضرّ بنا في الوليد حُبّنا له ، فلم نُلزمه البادية . وقد يستثقل الإعراب في بعض المواضع كما يستخفّ اللحن في بعضها . [٢ / ٤٨٠]

١٢ - زياد بن يحيى قال : حدثنا جبلة بن عبد الملك قال : سابق عبد الملك سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكم أن تحملوا هجناءكم ... على خيلكم يوم الرُهان فتدرك
وما يَستوي المرآن هذا ابن حُرّة ... وهذا ابن أخرى ظهرُها متشرّك
وتَضعف عضداه ويَقْصر سَوطُه ... وتَقْصر رِجلاه فلا يَتحرّك
وأدركنه خالاتُه فنزعْنه ... ألاَ إنّ عِرْق السَّوء لابُد يُدْرك

ثم أقبل عبد الملك على مَصْقلة بن هبيرة الشَّيباني[1] فقال : أتدري مَن يقول هذا ؟ قال : لا أدري . قال : يقوله أخوك الشَّنّيّ[2] .

قال مسلمة : يا أمير المؤمنين ما هكذا قال حاتم الطائي .

قال عبد الملك : وماذا قال حاتم ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتَهم ... ولكنْ خَطَبناها بأسيافنا قَسْرًا
فما زادها فينا السِّباءُ مَذلّةً ... ولا كُلِّفت خُبزاً ولا طَبخت قِدْراً
ولكن خَلَطناها خَير نسائنا ... فجاءت بهم بيضاً وجوهُهم زُهراً
وكائن تَرى فينا من ابن سَبيَّة ... إذا لِقي الأبطالَ يَطعنهم شَزراً
ويأخذ رايات الطِّعان بكفِّه ... فيوردها بيضاً ويُصدرها حُمراً
أغرّ إذا غبَّر اللئام رأيتَه ... إذا سرى ليلُ الدُّجىَ قمراً بدراً

فقال عبد الملك كالمُستحي :

وما شَرّ الثلاثة أُمّ عمرو ... بصاحبك الذي لا تَصبحينا

[٦ / ١٣٠]

---

(١) مصقلة بن هبيرة بن شِبْل بن يَثْربيّ بن امرئ القيس بن ربيعة من بني ثعلبة بن شيبان . ومصقلة أخو نُعَيم بن هبيرة . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٢١ .

(٢) الشَّنّيَ : لم أعرفه .

١٣ - كان عقيل بن عُلّفة المري[١] أشدَّ الناس حَمِيّة في العرب ، وكان ساكناً في البادية ، وكان يصهر إليه الخلفاء .

وقال لعبد الملك بن مروان إذ خطب إليه ابنته الجَرْباء[٢] : جَنِّبْني هُجْناء[٣] وَلدك . [٣ / ٤١٥]

دراسة النصوص :

النص رقم (٨) أورد اليعقوبي أسماء أولاد عبد الملك إلا أنه لم يذكر مروان الأصغر[٤] .

وذكر الطبري مثله ، وزاد : الحكم وأم كلثوم وفاطمة . كما ذكر أن أبا بكر اسمه بكّار . ويمتاز الطبري بأنه يورد أسماء أمهات أولاد عبد الملك[٥] .

وأورد حزم مثله ما عدا معاوية ومروان الأصغر ، وزاد : الحكم . وذكر ابن حزم أن كل أولاد عبد الملك يُعرف لهم أعقاب سوى الحكم ومحمد والمنذر[٦] .

النصوص رقم (٩ ، ١٠ ، ١١) تفسر سبب وقوع اللحن من الوليد حيث أن والده لم يخرجه إلى البادية لتعلم اللسان الفصيح .

وحينما رأى عبد الملك لحن الوليد في الكلام ، قال : أضرّ بالوليد حُبُّنا له فلم نوجهه إلى البادية[٧] ، وعلى كل فهذه النصوص لم أجدها مسندة حتى نستطيع أن نحكم عليها من خلال ذلك .

---

(١) عُقيل بن عُلّفة بن الحارث بن معاوية ، من بني يربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف . وأمه عمرة العوراء بنت الحارث بن عوف ابن أبي حارثة ، وعمه النابغة الذبيانيّ الشاعر . انظر (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٢) الجرباء : كانت ثَيِّباً من ابن عمها .

(٣) هُجْناء وهُجْين : غلبةُ البياض على ألوان الأولاد ، وأشباههم أمهاتهم ، لأنهن غير عربيات . والهجين : ولد العربي من غير العربية . انظر (ابن منظور : لسان العرب ١٣ / ٤٣١) .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٨١ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٦) جمهرة أنساب العرب ص ٩١ .

(٧) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٢٠٥ .

النص رقم (١٢) لم أجد من ذكره ، وفيه ما يدل على استهزاء الخليفة لابنه مسلمة وأم مسلمة ، وإذلالهما أمام الحاضرين في مجلسه ؛ وهذا مما يخالف سيرة عبد الملك أحد الفقهاء البارزين في المدينة .

النص رقم (١٣) أورد صاحب جمهرة أنساب العرب مثله[١]وكان عبد الملك بن مروان خطب إلى عقيل بن عُلَّفة بعض بناته - وهي الجرباء - لابنه يزيد بن عبد الملك : فولدت له ابناً مات صغيراً[٢] وكان عقيل يصهر إليه الخلفاء ، كما يصهر إليه الأمراء ، وغيرهم : مثل عثمان بن حيان أمير المدينة ، ويحيى بن الحكم بن أبي العاصي ، الذي تزوّج أم عمرو بنت عَقيل فمات عنها .

وسلمة بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّ ، فولدت له يعقوب ابن سلمة ، والد أم سلمة إمرأة أبي العباس السفّاح[٣] . وكان عقيل غيوراً ، كثير الغيرة[٤] .

ومما يدل على شدّة حمية عقيل بن عُلَّفة المُرّيِّ أنه أراد أن يضرب ابنته بالسيف غيرة عليها فمنعه منها أخوها[٥] . كما أنه ألقى أحد بني سلامان في حفرة ، نتيجة أنه خطب إليه[٦] .

وصاياه لبنيه :

١٤ - قال عبد الملك بن مروان لبنيه : كُفّوا الأذى ، وابذلوا المعروف ، واعفوا إذا سألتم ، فإنه من ضَيّق ضُيِّق عليه ، ومن أعطى أخلف الله عليه .

[٣ / ١٥٤]

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٣ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ١٢ / ٣٠٧ وفيه أن يزيد هو الذي خطب إلى عقيل ابنته . ابن حزم : المصدر نفسه ص ٢٥٣ .

(٣) ابن حزم : المصدر نفسه ص ٢٥٣ . انظر الأصفهاني : الأغاني ١٢ / ٢٩٧ .

(٤) ابن عبد البر : بهجة المجالس ١ / ٧٦٦ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٤٨ / ٢٩ .

(٥) انظر ابن عساكر : المصدر السابق ٤١ / ٢٩ .

(٦) ابن عبد البر : المصدر السابق ١ / ٧٦٦ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ٤١ / ٢٩ ؛ انظر عبد الله الخلف : مجتمع الحجاز في العصر الأموي ٢ / ٣٩٤ حيث وَهِمَ عند استدلاله هذه الحادثة .

١٥ - قال عبد الملك لبنيه : عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً . [٢ / ٤٢١]

١٦ - قال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ، وكان وليَّ عهده : يا بنيَّ ، اعلم أنّه ليس بين السُّلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الرعيّة إلا حَزْم أو تَوَانٍ . [١ / ٤٣]

دراسة النصوص :

دراسة النصوص رقم (١٤ ، ١٥ ، ١٦) تتضمن نصائح عبد الملك بن مروان ، لأولاده حيث يوصيهم بعدم الاعتداء على الآخرين كما يوصيهم بإنفاق المال ومساعدة المحتاجين ، والتخلق بآداب الإسلام .

وليس هذا غريباً على عبد الملك فإنه كان من فقهاء المدينة وعلمائها[(١)] ويروى أنه حين حَضرته الوفاة أوصاهم قائلاً : ((أوصيكم بِتقوى ا لله، فإنها عصمة باقية وجُنّة واقية . والتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ، وأحصن كهف ، وأزين حلية ، ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور . فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاء ، وهابتكم الأعداء . إياكم والتباغي والتحاسُدَ فإنّ بهما هلك الملوك الماضون وَذَوُو العِز المتكبرون ، انظروا يا بنيَّ ، مَسلَمةَ بن عبد الملك فاصدُروا عن رأيه ، فإنه نابُكم الذي تَفترُّون عنه ، ومِجَنّكم الذي تستجنُّون به . وأكرموا الحَجّاج ، فإنه الذي وطّأ لكم المنابر ، وكفاكم قَحْم تلك القناطر . كونوا أولاداً أبراراً ، وفي الحرب أحراراً ، وللمعروف مَناراً ، واحْلَولوا في مَرارة ، ولِينُوا في شِدَّة))[(٢)] .

---

(١) الفسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٦٣ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٤٨ .

(٢) المبرد : التعازي والمراثي : ص ١٢٣ .

بيعته ومدة ولايته :

١٧ - بويع عبد الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين .
[٤ / ٣٩٩]

١٨ - وكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان بَيعتَه لما قُتل ابنُ الزبير . وكان كتابه إليه يقول :

لعبد الملك بن مروان ، من عبد الله بن عمر :

سلامٌ عليك ، فإني أقدرتُ لك بالسَّمع والطاعة على سُنة الله وسنة رسوله ﷺ . وبيعةُ نافع[1] مولاي على مثل ما بايعتُك عليه . [٤ / ٤٠٠]

١٩ - وقال زُفر بن الحارث[2] لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذي نصرك على كره من المؤمنين . فقال أبو زُعيزعة[3] : ما كره ذلك إلا كافر . فقال زُفَر : كذبت ، قال الله لنبيّه : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون** ﴾[4] . [٤ / ٤٠٢]

انظر وصيّة شبيهة بذلك في ابن أعثم : الفتوح ٤ / ١٤٨ - ١٤٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٧٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥١٧ - ٥١٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢٧٨ .

(١) نافع : هو أبو عبد الله أحد الأئمة الكبار بالمدينة ، بربري الأصل وقيل نيسابوري وقيل كابلي وقيل ديلمي وقيل طالقاني ، روى عن عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة وبعث عمر بن عبد العزيز نافعاً إلى أهل مصر يعلمهم السنن ، وكان ثقة ، توفى سنة ١١٧ هـ وقيل سنة ١١٩ هـ ، وقيل ١٢٠ هـ . (الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ١٠ - ١١) طبعة مكتبة المقدس ، القاهرة ١٣٦٩ .

(٢) زفر بن الحارث : تقدمت ترجمته .

(٣) أبو زعيزعة : سالم أبو الزعيزعة الدمشقي الدمشقي مولى مروان بن الحكم وكاتبه وكاتب ابنه عبد الملك وصاحب حرسه (الذهبي : تاريخ الإسلام ٤ / ١١٨) .

(٤) سورة الأنفال الآية ٥ .

٢٠ - وبعث عبد الملك بن مروان إلى المدينة حُبيشَ بن دُلجة[١] القيسيّ في سبعةَ ألاف . فدخل المدينة وجلس على منبر رسول الله ﷺ ، فدعا بخُبز ولحم فأكل ، ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر[٢] ، ثم دعا جابرَ بن عبد الله صاحبَ النبي ﷺ فقال : تُبايع لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بعهد الله عليك وميثاقه ، وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه في الوفاء ، فإن خُنتنا فهراق الله دمك على ضلالة . قال : أنت أطوقُ[٣] لذلك منيّ ، ولكني أُبايعه على ما بايعتُ عليه رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، على السمع والطاعة . ثم خرج ابن دُلجة من يومه ذلك إلى الرَّبذة[٤] ، وقدم على أثره من الشام رجلان ، مع كل واحد منهما جَيشٌ ، ثم اجتمعوا جميعاً في الرَّبذة ، وذلك في رمضان سنة خمس وستين ، وأميرهم ابن دُلْجة .

دراسة النصوص :

النص رقم (١٧) أورد بعض المؤرخين ما يوافق قول المصنف في تاريخ بيعة عبد الملك بن مروان[٥].

---

(١) حُبَيش بن دُلجة القيني ، أحد وجوه أهل الشام شهد صفين مع معاوية وكان على قضاعة الاردن يومئذ ، وولاه يزيد بن معاوية على أهل الأردن . ولما بويع مروان ، كان على رأس جيش قوامه ستة آلاف واربع مئة إلى المدينة حيث انصار الزبير ، فقتل حبيش في هذه المعركة سنة (٦٥ هـ) انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ١٩٣ - ١٩٤) .

(٢) يعني غسل يديه .

(٣) أطوق : أقدر .

(٤) الرَّبذة : قرية من قرى المدينة المنورة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من قيدتزيد مكة . وبها دفن أبو ذر الغفاريّ رضي الله عنه . انظر : (معجم البلدان ٣ / ٢٧) .

(٥) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٥ دون ذكر الشهر ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٩٩ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧٢ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٢٨ - ١٢٩ .

النص رقم (١٨) أورد البخاري في صحيحه بيعة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وبيعة بنيه لعبد الملك بن مروان[١] .

وذكر بعض المؤرخين بيعة عبد الله بن عمر ومولاه نافع لعبد الملك[٢] وكانت عقب مقتل عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - على يد الحجاج بن يوسف في مكة ، وقد كان ابن عمر توقف في بيعة عبد الملك وقبله بيعة عبد الله ابن الزبير ، حرصاً على أن لا يخوض في الفتنة . وحينما استتب الأمر لعبد الملك واجتمع الناس عليه بايع لعبد الملك وارسل بيعته وبيعة مولاه نافع ، بل وكان ابن عمر يحرض ذلك على من توفق بيعة عبد الملك مثل محمد بن الحنفية[٣] .

أما ما جاء في النص رقم (١٩) من قول زفر بن الحارث لعبد الملك بن مروان فهو ترجمة لفعله حينما دخل في بيعة عبد الملك مجبراً حيث كان يوالى عبد الله بن الزبير وهو على إمارة قرقيسياء حتى حاصره عبد الملك ثم دخل في طاعته كرهاً[٤] واستدلاله بالآية الكريمة في محله ، لأنه ليس كل من كره شيئاً يكون كافراً بذلك الكره كما ظن أبو زعيزعة .

فقد كره فريق من المؤمنين لقاء العدو يوم بدر وتمنوا أن يلقوا العير فأنزل الله الآية[٥] .

وأما النص رقم (٢٠) فإن المصادر التاريخية تتفق بأن مروان بن الحكم بعث

---

(١) جامع صحيح البخاري مع فتح البارى ١٣ / ٢٠٥ كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس ، وأيضاً ١٣ / ٢٥٩ ، ٢٦١ كتاب الاعتصام بالسنة . انظر : يحيى بن ابراهيم اليحيى : الخلافة الراشدة والدولة الاموية من فتح البارى ص ٥٦٠ - ٥٦١ ، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الاسلامية بالمدينة .

(٢) ابن عساكر : التاريخ ٣٧ / ١٣٢ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٦ / ١٢٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٦٧ - ٦٨ .

(٣) انظر الذهبى : سير أعلام ٤ / ١٢٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٤١ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١١٢ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٥ .

(٥) انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٨٧ .

جيشاً إلى المدينة وعلى رأس هذا الجيش حبيش بن دلجة ، كما بعث عبيد الله بن زياد إلى المدينة[١] .

ويظهر أن مروان بن الحكم قد توفى قبل انجاز هذه الجيوش مهمتها ، وقرر ابنه عبد الملك تنفيذ البعثين كما خطط أبوه[٢] .

و لم أجد من ذكر الخبر بطوله إلاّ في كتاب الامامة والسياسة المنحول على ابن قتيبة[٣] .

والخبر فيه ألفاظ منكرة وهو لم يرد من طريق صحيح يعتد عليه .

أخلاقه وصفاته :

٢١ - قال الشعبى ، فيما يصف به عبد الملك بن مروان : وا لله ما علمتُه إلا آخذاً بثلاث تاركاً لثلاث آخذاً بحسن الحديث إذا حدّث ، وبحسن الاستماع إذا حُدث ، وبأيسر المؤونة إذا خُلف ، تاركاً لمجاوبة اللئيم ، ومماراة السَّفيه ، ومنازعة اللجوج[٤] . [٢ / ٤٢٧]

٢٢ - ومنهم[٥] عبد الملك بن مروان وكان يُسمّى " حمامة المسجد " لاجتهاده في العبادة قبل الخلافة . فلما افضت إليه الخلافة شرب الطِّلاء ، وقال له سعيد بن المسيّب[٦] : بلغنى يا أمير المؤمنين انك شربت بعدى الطلاء[٧] ؟ فقال : أى وا لله ، والدماء . [٦ / ٣٥٠ - ٣٥١]

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٥٠ - ١٥٢ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٥ / ٦١١ - ٦١٢ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٦ / ٣٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٩٠ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ١٩٤ ؛ وانظر عبد الله بن عثمان : عبد الله بن الزبير والأمويّون ص ١٨١ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٩٠ .

(٣) الامامة والسياسة ٢ / ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٤) اللجوج : المتمادى في الخصومة . المعجم الوسيط ٢ / ٨١٥ - ٨١٦ .

(٥) أى من فضح بالشراب واتهم بشرب الخمر ؟

(٦) سعيد بن المسيّب بن حزن بن ابى وهب المخزومى ، وأمه سليمة ، يكنى أبا محمد ، فقيه الحجاز ، ومؤل الرؤيا . انظر : ابن قتيبة : المعارف ٤٣٧ .

(٧) الطلاء : هو العنب إذا طبخ . انظر المعجم الوسيط ص ٥٦٥ .

٢٣ – العتبىّ[١] قال : كان عبد الملك بن مروان يدعو على المنبر : ياربّ ، إن ذنوبى قد كَثُرت وَجلّت عن أن توصف ، وهى صغيرة في جنب عَفْوك ، فاعفُ عنّى . [٣ / ٢٢١] بنحوه [٤ / ٩٠]

٢٤ – أبو الحسن المدائنى قال : كان يقال معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم . [٤ / ٤٠١]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢١) أورده ابن قتيبة[٢] وابن منظور[٣] . كما أورده المسعودىّ والحسين بن عبد الله العسكرى بمعناه[٤] .

أما النص رقم (٢٢) فأورده ابن قتيبة والنويري[٥] ، والنص ما يوافق ذلك . ويشير إلى مسألتين :

أولاهما : نسك عبد الملك وعبادته وزهده قبل استخلافه وهو ما تؤكده المصادر التاريخية والأدبية ، حيث كان عبد الملك قبل الخلافة زاهداً فقيهاً حتى عُدَّ من فقهاء المدينة[٦] كما كان ملازماً للصلاة وتلاوة القرآن في مسجد المدينة وبذلك لقب بحمامة المسجد[٧] ، وقد لقبه بذلك ابن عمر رضي الله عنهما[٨] .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان البصرى ، الشاعر الأديب ، صاحب تصانيف عديدة ، مثل كتاب الخيل وكتاب الاعاريب وأشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن ، وكتاب الاخلاق ، وكان العتبى من أفصح الناس ، وتوفى سنة (٢٢٨ هـ) . انظر : (ابن النديم : الفهرست ص ١٧٦) .

(٢) عيون الأخبار ١ / ٣٠٧ .

(٣) مختصر ابن عساكر ١٥ / ٢٢٢ .

(٤) مروج الذهب ٣ / ١٢٤ ؛ المصون في الأدب ص ١٣٧ .

(٥) كتاب الأشربة المنسوب له ص ٣٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٤ / ٩٢ .

(٦) ابن عساكر : التاريخ ٣٧ / ١٢٠ ؛ الذهبى : دول الاسلام ١ / ٦١ ؛ الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١ / ٦٤ .

(٧) ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٢ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٤ / ٩٢ ؛ الدميري : المصدر السابق ١ / ٦٥ .

(٨) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١ / ٦٥ .

ثانيهما : قول سعيد بن المسيّب لعبد الملك في شرب الطلاء ، وقد أورد بن قتيبة والنويري ما يوافق ذلك[١] .

وبعض المصادر التاريخية تورد أن الذي سأل عبد الملك في شرب الطلاء ، أم الدرداء التي كان عبد الملك يلزم جلساتها العلمية وهو خليفة[٢] .

والطلاء كما في القاموس : هو العنب إذا طبخ[٣] .

ولا يلزم أن يكون مسكر ، ولكن كره بعض أهل العلم ذلك من باب الورع ، وخوفاً من أن يفضى استعماله إلى استعمال المسكر .

النص رقم (٢٣) أورد بعض المؤرخين مثله[٤] وزاد ابن عساكر أن عبد الملك كان يكثر في خطبته بهذا الدعاء .

أما النص رقم (٢٤) أورده البلاذرىّ في أنسابه[٥] .

كما أورد ابن حمدون رواية شبيهة به[٦] . وله شاهد عن عامر الشعبى حيث قال : " ما رأيت رجلاً أفهم إذا حُدّث ، ولا أنصت إذا حدّث ، ولا أحكم إذ خولف من عبد الملك[٧] .

---

(١) كتاب الأشربة المنسوب لابن قتيبة ص ٣٣ ؛ نهاية الأرب ٤ / ٩٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٥٠ ؛ ٩ / ٧١ ؛ الذهبى : سير أعلام ٤ / ٢٤٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٥١ بسند فيه أبو محمد الاكفانى ، نا عبد العزيز المتانى ، أنا تمام بن محمد ، أنا محمد بن سليمان الربعى ، نا محمد بن الفيض ، نا ابراهيم بن هشام بن يحيى ، حدثنى أبى عن جدى قال السيوطى : تاريخ خلفاء ص ٢٠١ .

(٣) انظر : المعجم الوسيط ص ٥٦٥ .

(٤) ابن عساكر : التاريخ ٣٧ / ١٥٥ ؛ الذهبى : سير أعلام ٤ / ٢٤٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٧١ .

(٥) أنساب الأشراف ، القسم الرابع ص ٨٣ نقلاً من المدائنى .

(٦) تذكرة الحمدونية ص ٤٠١ .

(٧) المبرد : الفاضل ص ٨٩ .

سماحته :

٢٥ - دخل أبو الرَّيان[1] على عبد الملك بن مروان ، وكان عنده أثيراً ، فرآه خائراً ، فقال : يا أبا الريّان ، مالك خائراً ؟ قال : أشكو إليك الشرف يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك ؟ قال : نُسأل ما لا نقدر عليه ونعتذر فلا نعذر . قال عبد الملك : ما أحسن ما استمنحت واعْتَرَرتَ يا أبا الريّان . اعطوه كذا وكذا . [١ / ٢٥٤]

٢٦ - وَجَد عبد الملك بن مروان على رجل فجفاه وأطَّرحه ، ثم دعا به ليسأله عن شيء ، فرآه شَاحباً ناحلاً ، فقال له : مُذْ متى اعتلَلت ؟ فقال : ما مسَّنى سَقَم ، ولكنى جفوتُ نفسى إذ جفانى الأمير ، وآليتُ أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنى أمير المؤمنين فأعاده إلى حُسْنِ رأيه . [٢ / ١٥٦ - ١٥٧]

٢٧ - قال ابن شهاب الزهرىّ[2] : دخلتُ على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ، فرآنى أحدَثهم سِناً ، فقال لى : من أنت ؟ فانتسبتُ له ؛ فقال : لقد كان أبوك وعمّك نَعّاقين[3] في فتنة ابن الاشعث ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين إنّ مثلك إذا عفا لم يعدّد ، وإذا صَفح لم يُثَرب . فأعجبه ذلك ، وقال : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة قال : عند من طلبت ؟ قلت : سعيد بن المسيّب ؛ وسليمان بن يَسار[4] ، وقَبيصة بن ذُؤيب[5] ؛ قال : فأين أنت من عروة بن الزُّبير؟ فإنه بحر لا تُكدره الدلاء . فلما انصرفتُ من عنده لم أبارح عروة بن الزُّبير حتى مات . [٢ / ١٤٣ - ١٤٤]

---

(١) أبو الريّان : لم أجد ترجمته .

(٢) الزُّهرى : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القريشى الزهرى المدنى أبو بكر ، أحد أعلام المدينة وفقهاءها وحافظ زمانه ، نزيل الشام ، وتوفى سنة (٩٤ هـ) وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . (سير أعلام ٥ / ٣٢٦ - ٣٥٠) .

(٣) نعق : صاح بها وزَجَرها . (اللسان ١٠ / ٣٥٦) .

(٤) سليمان بن يسار المدنى ، أحد الفقهاء السبعة ، وأخو عطاء توفى سنة (١٠٧ هـ) . انظر : (الذهبى : العبر ١ / ١٠٠) .

(٥) قبيصة بن ذُؤيب : يكنى أبا إسحاق ، وهو من خزاعة ، وكان على خاتم عبد الملك بن مروان ، وتوفي بالشام سنة (٨٦ هـ) أو (٨٧ هـ) . انظر (الربعي : تاريخ مولد العلماء ص ٨٧ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٨٢) .

٢٨ - أُتِيَ عبد الملك بن مروان بأعرابيّ سَرَق ، فأمر بقطْع يده فأنشأ يقول :

يَـدِي يـا أمير المـؤمنين أُعيـذُها بعَفْـوك أن تَلْقـى مكانـاً يشـينُها
ولا خيرَ فـي الدُّنيا وكانت حبيبة إذا مـا شِـمـالى فارَقتْهـا يَمينُهـا

فأبى إلا قَطْعه ، فقالت أُمّه : يـا أمـير المؤمنـين : واحِـدى وكاسبِى ؛ قـال : بئس الكاسِب كان لك ، وهذا حَدٌّ من حُدود ا لله ؛ قـالت : يـا أمـير المؤمنـين ، اجعْله من بعض ذنوبك التى تستغفر ا لله منها ، فعفا عنه . [٢ / ١٦٧]

٢٩ - أمر عبد الملك بقتل رجل ؛ فقـال : يـا أمـير المؤمنـين ، انـك أعـزُّ مـا تكون أحَوجُ ما تكون إلى ا لله ؛ فعفا عنه . [٢ / ١٧٣]

٣٠ - أبو زيد قال : كان عطاء بن أبي رَبَاح[1] مع ابن الزُّبير ، وكان أملحَ الناس جواباً ، فلما قُتل ابن الزبير أمّنه عبد الملك بن مروان ، **فقدم عليـه ، فسـأل** الإذن ، فقال عبد الملك: لا أريده يُضحِكني، قد أمّنته فلينصرف . قال أصحابه: فنحن نتقدَّم إليه أن لا يفعل . فأذن له عبد الملك ، فدخل وسلّم عليـه، وبايعـه ، ثم ولّى ، فلم يصبر عبدُ الملك أن صاح به : يا عطاء ، أما وجدَتْ أُمُّـك اسمـاً إلاّ عطاء ؟ قال : قد وا لله استنكرتُ من ذلـك مـا استنكرتَه يـا أمـير المؤمنـين ، لـو كانت سّمتني بأمِّي المباركـة صلـوات ا لله عليهـا مريـم . فضحـك عبـد الملـك . وقال : اخرج . [٦ / ٤٢٩ - ٤٣٠] بنحوه نصف الأخير [٤ / ٣١]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٥) لم أجد من ذكره .

والنص رقم (٢٦) أورد ابن الأبار مثله[2] .

والنصان يشيران إلى سماحة عبد الملك بن مروان وعفوه وهو ما أشـارت إليـه بعض المصادر التاريخية ؛ بأن عبد الملك بن مروان كان سمحاً كثير العفو[3] .

---

(١) عطاء بن أبي رباح المكي مولى قريش ، وكان من مولّـدي الجنـد ، أسـود مُفلفـل الشـعر . سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس . انظر : (الذهبي : العبر ١ / ١٠٨) .

(٢) اعتاب الكتاب ص ٤٧ .

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣١٥ ؛ ابـن قتيبـة : عيـون الأخبـار ١ / ١٠٢ ؛ ابـن عسـاكر : التاريخ ٣٧ / ١٤٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٧٠ .

النص رقم (٢٧) ذكره ابن منظور والذهبي مختصراً في شطره الأول إلى طلب الزهري العَفْو[١] . ويظهر نبوغ ابن شهاب الزهري المبكر وإعجاب عبد الملك به ، رغم أن أباه وعمه كانا من أنصار المعارضين للخليفة كما تضمن النص مدح عبد الملك لعروة بن الزبير وسعة علمه رغم أنه كان من معارضيه وهذا مما يوضح إنصافه وإقراره بالفعل لأهله .

النص رقم (٢٨) أورده ابن عبد ربه بدون سند .

ويبدو أن المصنف نقله من ابن قتيبة الذي أورد النص أيضاً بدون إسناد[٢] . وذكر التنوخي مثله نقلاً عن الأصمعيّ[٣] .

وعلى فرض صحة النص فإن الخليفة ربما درأ عنه الحد لشبهة قامت عنده ، وقد جاء في الحديث : ((ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً))[٤] .

ومن المعلوم أنه لا يجوز إسقاط الحدود ولا الشفاعة فيها إذا رفعت للسلطان .

النص رقم (٢٩) أورد ابن قتيبة وابن عساكر مثله[٥] .

أما النص رقم (٣٠) فلم أجد من ذكره غير المصنف .

وكان لعطاء علاقة طيبة مع عبد الملك بن مروان ، حتى أن الخليفة يجلسه معه على السرير[٦] .

وقال ابن منظور : أن عبد الملك طلب منه يوماً أن يسأل حاجته فقال عطاء : يا أمير المؤمنين ، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله ﷺ فتعاهده بالعمارة ... فقال

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٥ / ٢٢٧ ؛ سير أعلام ٥ / ٣٢٩ .

(٢) عيون الأخبار ١ / ٩٩ .

(٣) الفرج بعد الشدّة ١ / ٣٧٥ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢ / ٨٥٠ كتاب الحدود ، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات ، الحديث رقم ٢٥٤٥ .

(٥) عيون الأخبار ١ / ١٠٢ من غير إسناد . تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٣٨ ، ١٤٢ من طريق الأصمعيّ .

(٦) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ٦٩ .

عبد الملك إنما سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها ، فما حاجتك ؟ فقال : مالي إلى مخلوق حاجة . ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف هذا وأبيك السؤدد[١] .

سياسته وفطنته :

٣١ - دخل إياس بن معاوية[٢] الشام وهو غلام ، فقدَّم خصماً له إلى قاضٍ لعبد الملك ، وكان خصمه شيخاً كبيراً . فقال له القاضي : أتقدم شيخاً كبيراً ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه ؟ قال له : اسكت ؛ قال : فمن يَنْطق بحُجَّتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقّاً حتى تقوم ؛ قال : اشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضِي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر .

فقال : اقضِي حَجته الساعة واخرجه من الشام لا يُفسِد عَلّيّ الناس .

[٢ / ٢٧١]

٣٢ - وسأل رجلٌ عبد الملك الخَلوَة ، فقال لأصحابه : إذا شِئتُم فقوموا . فلما تَهَيَّأ الرجل الكلام ، قال له : إيَّاك أن تمدحني ، فأنا أعلم بنفسي منك ، أو تَكذِبني ، فإنه لا رأي لكَذُوب ، أو تَسعى إليّ بأحد ، وإن شئتَ اقلتُك ؛ قال : اقلني . [٢ / ٣٣٢]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣١) ذكره المصنف من غير إسناد ، وذكره ابن قتيبة من غير إسناد[٣] وكذا ابن عساكر[٤] ولكن فيه محمد بن سلام الجُمَحي عن أبي عبيدة ، والرواية معلق ، لأن أبا عبيدة لم يعاصر الحدث .

---

(١) المصدر السابق ١٧ / ٦٩ .

(٢) إياس بن معاوية بن قرّة بن إياس المزني ، أبو وائلة قاضي البصرة ، العلامة ، الفقيه ، أحد من يضرب به المثل في الذكاء ، والدَّهاء والسؤدد والعقل . توفيّ سنة (١٢١ هـ) كهلاً . (سيرة أعلام النبلاء ٥ / ١٥٥) .

(٣) عيون الأخبار ١ / ٧١ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٠ / ٨ .

وفي النص عبارة منكرة لا يمكن تصديقها إلا بعد ثبوت الرواية بسند صحيح.

أما النص رقم (٣٢) أورد ابن قتيبة[١]، وابن عساكر[٢]، وابن كثير[٣] مثله، وذكر المسعودي معنى قريباً منه[٤] وهذه سياسة جيدة واضحة المعالم، وإغلاق لباب الوشايات والمكايد الكاذبة.

بعض إصلاحاته :

٣٣ - أيام عبد الملك حُوّلت الدواوينُ إلى العربيّة عن الرُّومية والفارسية، حَوَّلها عن الرُّومية سليمان بن سعد[٥]، مولى خُشين. وحوّلها عن الفارسية صالح ابن عبد الرحمن[٦]، مولى عُتبة، امرأة من بني مُرة.

ويقال : حُولت في زمن الوليد. [٤ / ٣٩٩ - ٤٠٠]

٣٤ - ابن وهب[٧] عن ابن لَهيعة[٨] قال : كان معاوية فرض للموالي خمسة عشر، فبلّغهم عبدُ الملك عشرين، ثم بلّغهم سليمان خمسة وعشرين، ثم قام هشام فأتم للأبناء منهم ثلاثين. [٤ / ٤٠٠]

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٢٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٤٢ .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ٦٩ .

(٤) مروج الذهب ٣ / ١٢٤ .

(٥) سليمان بن سعد الخشني، أبو ثابت، وكان يتقلّد ديوان الرّسائل لعبد الملك بن مروان، ثم أسند عبد الملك تحويل الدواوين الشام من الرومية إلى العربية، وذلك عقب تناقل سرجون بن منصور النصراني الرومي، وتولى سليمان ديوان الخراج لعبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز، ثم أعاده يزيد بن عبد الملك إلى الدواوين، وكان عفيفاً عالماً بصناعته. انظر : (الجهشياري : الوزراء ص ٤٤، ٤٧، ٥٣، ٥٦).

(٦) صالح بن عبد الرحمن، يكنى أبا الوليد، كان يكتب للحجاج بن يوسف في العراق، وكان يجيد الفارسية، فقام بنقل الديوان من الفارسية إلى العربية بأمر من الحجاج سنة ٧٨ هـ . (الجهشياري : الوزراء ص ٣٨ - ٣٩).

(٧) ابن وهب : لم أقف له ترجمة.

(٨) ابن لَهيعة، هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي المصري، أبو عبد الرحمن القاضي، صدوق، خلطَ بعد إحتراق كتبه، ومات سنة ١٧٤ هـ وقد ناق على الثمانين. (ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٣١٩).

دراسة النصوص :

النص رقم (٣٣) فيه خبر تحويل الدواوين من الرومية إلى العربية ، ومن الفارسية إلى العربية أيضاً .

وكانت دواوين الخراج قبل ذلك مكتوبة بهاتين اللغتين ؛ حتى عهد عبد الملك بن مروان[١] .

فحولها من الرومية إلى العربية ، سليمان بن سعد الخشني في الشام بأمر من الخليفة عبد الملك[٢] . ومن الفارسية إلى العربية ، صالح بن عبد الرحمن في العراق بأمر من الحجاج[٣] . وذلك سنة (٧٨ هـ)[٤] .

ولا عجب في ذلك فإن هذه الخطوة في تعريب الدواوين ضرورة لابد منها وقد جاءت في وقتها المناسب تأكيداً لهوية الدولة وعناية بلغتها العربية لغة القرآن والشريعة .

النص رقم (٣٤) لم أقف من ذكره غير المصنف والزيادة في العطاء جاءت تدريجياً وقد روعي فيها تطور أحوال المعيشة .

كتابه وعماله :

٣٥ - سَرْجون بن منصور الرّومي ، كاتب لمعاوية ، ويزيدَ ابنه ، ومَروان ابن الحَكم ، وعبد الملك بن مَروان ، إلى أن أمر ، عبدُ الملك بأمرٍ فتوانَى فيه ، ورأى منه عبدُ الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سَعد[٥] كاتِبه على

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٨ .

(٢) خليفة : التاريخ ص ٢٩٩ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ص ٤٠ ؛ الصولي : أدب الكتّاب ص ١٩٢ - ١٩٣ ؛ أبو هلال العسكري : الأوائل ١ / ٣٥٥ ؛ ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٤ .

(٣) المبرد : الكامل في الأدب ٢ / ١٩٦ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ص ٣٨ ؛ الصولي : المصدر السابق ص ١٩٢ ؛ أبو هلال : المصدر السابق ١ / ٣٥٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٤) الجهشياري : المصدر السابق ص ٤٠ .

(٥) انظر ترجمته ص ٩٩ هامش ٥ من هذه الرسالة .

الرسـائل : إنّ سـرجون يُـدِلّ علينـا بصناعتـه ، وأظُـن أنـه رأى ضَرورتنـا إليـه في حِسابه ، فما عندك فيـه حِيلـة ؟ فقـال : بلـى ، لـو شـئت لحوَّلـتُ الحِسـاب مـن الرُّومية إلى العربية . قال : افعل . قال : أنظرني أُعايد ذلك ، قال : لـك نَظِـرة ما شئْت . فحَوَّل الديوان ، فولاّه عبدُ الملك ، جميعَ ذلك . [٤ / ١٦٩ - ١٧٠]

٣٦ - كاتب عبد الملك بن مروان ، سالم مولاه[1] .

ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . [٤ / ١٦٤]

٣٧ - وكان قبيصة بن ذُؤيب[2] كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .

[٤ / ١٦٩] بنحوه [٤ / ٣٩٩]

٣٨ - وكـان خارجـة بـن زيـد بـن ثـابت[3] علـى ديـوان المدينـة مــن قبــل عبد الملك . [٤ / ١٦٩]

كاتبه على الرسائل أبو زرعة[4] مولاه . [٤ / ٣٩٩]

---

(١) سالم : هو أبو الزعيزعة ، مولى عبد الملك بن مروان ، وقيل كان مولى سعيد بن عبد الملك ، كمَا كان كاتباً لعبد الملك ولابنه الوليد ، وقيل : كـان حـاجب عبـد الملـك . انظـر : (الجهشـياري : الوزراء والكتاب ص ٦٨ ؛ المسعودي : التنبيه ص ٢٧٣) .

(٢) انظر ترجمته ص ٩٥ هامش ٥ من هذا البحث .

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي المدني . يكنى أبا زيد وأمه جميلة بنت سعد بن الربيع ، كان فقيهاً ومفتياً ، توفي سنة ٩٩ هـ وقيل سنة (١٠٠ هـ) في خلافة عمـر بـن عبد العزيز . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٧ / ٣٢٣ - ٣٢٤) .

(٤) أبو زرعة هو روح بن زنباع بن سـلامة الجذامـيّ الفلسـطينى ، ويقـال أبـو زنبـاع ، كـان لأبيـه صحبـة ، وكـان يزيـد أمَّـرَ روح علـى جنـد فلسـطين وشـهد مـرج راهـط مـع مـروان ، فـاضلاً لـه مكانـة عنـد عبـد الملـك ، وتوفـى سـنة (٨٤ هـ) انظــر : ابــن منظــور : مختصــر تــاريخ دمشق ٨ / ٣٣٩ - ٣٤١) .

٤٠ – فمن بنى أقصى بن سعد : روح بن زنباع ، وزير عبد الملك بن مروان . [٣ / ٤٠٢]

٤١ – وكاتبه على بيوت الأموال والخزائن رجاء بن حَيْوة[(١)] .

٤٢ – وحاجبه أبو يوسف [(٢)] ، مولاه . [٤ / ٣٩٩]

٤٣ – وكان على شرطته ابن أبى كبشة السَّكْسَكى[(٣)] ، ثم أبو نائل بن رياح بن عُبيدة الغسانى[(٤)] ، ثم عبد الله بن يزيد الحكمى[(٥)] . [٤ / ٣٩٩]

٤٤ – وعلى حرسه الرَّيَّان[(٦)] . [٤ / ٣٩٩]

٤٥ – قدِم الحارث بن خالد المَخزومى[(٧)] على عبد الملك فلم يَصِلـه ، فرجع وقال فيه :

صحِبتُك إذ عَيْنى عليها غِشاوةٌ ... فلما انجلَتْ قطَّعتُ نفسى ألومُها

(١) رجاء بن حيوة بن جندل الكندى الاردنىّ ، انتقل إلى فلسطين ، كان فقيهاً ، ومن عقلاء الرجال ، وكان على صلة مع يزيد بن عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ، توفى سنة ١١٢ هـ . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٨ / ٣١٢ – ٣١٦) .

(٢) أبو يوسف ، مولى عبد الملك بن مروان ، وكان حاجبه . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٩ / ٢١٥) .

(٣) ابن أبى كبشة السَّكسَكى : هو يزيد بن أبي كبشة السَّكسَكى ، كان أبوه عريف السكاسك ، وكان يزيد يروي عن أبيه كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم . انظر (السمعاني : الأنساب ٣ / ٢٦٨) .

(٤) لم أجد له ترجمة .

(٥) لم أجد له ترجمة .

(٦) لم أجد له ترجمة .

(٧) الحارث بن خالد العاصى بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وأمه فاطمة بنت أبى سعيد بن الحارث ابن هشام . كان الحارث شاعراً ، كثير الشعر ، واستعمله يزيد بن معاوية على مكة ، غير أنه لم يتمكن أن يباشر عمله ، بسبب ما جرى فيها من الصراع بين يزيد وابن الزبير ، ومكث في داره ، معتزلاً عن الفتن ، ولما ولى عبد الملك بن مروان ولاه مكة ، ثم عزله . انظر : (مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٣١٣ – ٣١٤) .

حَبَستُ عليك النفسَ حتى كأنما   بكَفَّيك يَجْرى بُؤسها ونَعيمها

فبلغ قولهُ عبدَ الملك ، فأرسل إليه فردّه ، وقال : أرأيتَ عليك غَضاضة من مقامك ببابى ؟ قال : لا ، ولكنى استقت إلى أهلى ووطنى ، ووجدت فضلاً من القول فقلت ، وعلىّ دَيْن لزمنى . قال : وكم دينك ؟ قال : ثلاثون ألفاً . قال : فقضاء دينك أحبّ إليك أم ولاية مكة ؟ قال : بل ولاية مكة . فولاّه إياها . [١ / ٢٨٣]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣٥) أورد الجهشيارى نصاً مشابهاً له[١] . وأشار خليفة بن خياط والمسعودى بأن سرجون كان كاتباً لعبد الملك[٢] وتولى سليمان بن سعد مولى خشين كتابة ديوان الخراج والجند عقب وفاة سرجون بن منصور ، كما ذكر ذلك خليفة بن خياط[٣] خلافاً للمصنّف والجهشيارى .

أما تعريب الدواوين ، وتحويلها من الرومية إلى العربية فقد سبق ذكره في النص رقم (٣٣) .

النص رقم (٣٦) فيه بأن سالم مولى عبد الملك وهو أبو الزعيزعة كان كاتبه[٤] وقيل قد حجبه أيضاً وهو[٥] موافق لما ذكره المسعودي .

أما كون عبد الحميد بن يحيى المعروف بعبد الحميد الأكبر كان كاتباً لعبد الملك ، فلم أقف عليه من غير المصنف ، والمعروف أن عبد الحميد بن يحيى كان كاتباً لمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية[٦] .

---

(١) الوزراء والكتاب ص ٤٠ .

(٢) تاريخ خليفة ص ٢٩٩ ؛ التنبيه والاشراف ص ٢٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٩ .

(٤) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٧٣ ؛ ابن ابار : أعتاب الكتاب ص ٦٣ ؛ الذهبى : تاريخ الاسلام ٤ / ١١٨ ؛ ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ٥٩ .

(٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٧٣ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ٢٢٨ ؛ والجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٧٢ .

النص رقم (٣٧) موافق لما ذكره المؤرخون[١] .

وكانت لقبيصة منزلة عند عبد الملك ، وكان صاحب سره[٢] .

النص رقم (٣٨) لم أقف على من ذكره غير المصنف .

النصان رقم (٣٩ ، ٤٠) فيه كتابة أبى زرعة وهو روح بن زنباع الجذاميّ لعبد الملك وقد أشار بعض المؤرخين بأنه كان كاتبه على الرسائل[٣] وكان بمثابة الوزير عند عبد الملك[٤] .

النص (٤١) لم أقف عليه . غير أن ابن كثير يذكر أن عبد الملك لما أراد عمارة بيت المقدس وجه بالأموال والعمال ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ، ويزيد ابن سلام مولاه[٥] .

النص رقم (٤٢) موافق لما ذكره كل من خليفة والمسعودى وابن كثير[٦] .

والنص رقم (٤٣) موافق لما أورده خليفة واليعقوبى وابن حبيب[٧] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ / ١٧٦ ؛ خليفة : التاريخ ص ٢٩٩ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٤٤٧ ؛ ابن حبيب : المحبّر ص ٣٧٩ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٥٦ ؛ الطبرى : تاريخ ٦ / ١٨٠ ، ١٤٣ ؛ الجهشيارى : الوزراء ص ٣٤ ؛ المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٧٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٧٣ .

(٢) البداية والنهاية ٩ / ٧٨ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٩ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ١٨٠ ؛ الجهشيارى : المصدر السابق ص ٣٥ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٢٨٠ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ١٧١ ، أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٨٦ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٨٠ ؛ الجهشيارى : المصدر السابق ص ٣٥ ؛ الذهبى : سير أعلام ٤ / ٢٥١ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ١ / ٢٠٥ .

(٥) البداية والنهاية ٨ / ٢٨٣ .

(٦) تاريخ خليفة ص ٢٩٩ ؛ التنبيه والاشراف ص ٢٧٣ ؛ البداية والنهاية ٩ / ٧٣ .

(٧) تاريخ خليفة ص ٢٩٩ وفيه عبد الله بن زيد بدءاً من عبد الله بن يزيد ؛ تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٨٠ ، لم يشر اليعقوبى اسم ابن نائل بن رياح ابن عبيدة ؛ المحبر ص ٣٧٣ .

وذكر ابن حبيب أن يزيد بن أبى كبشة السكسكى كان على شرطته ، ثم عزله وجعل مكانه يزيد بن بشر السكسكى . فلم يزل على الشرط حتى مات فجعل مكانه كعب بن حامد العنسى . فكان على شرط عبد الملك حتى مات عبد الملك فأقره الوليد ابنه ثم أغزاه البحر . فجعل على الشرط أبا ناتل رياح بن عبدة الغسانى . فلما قدم كعب أعاده على الشرط[١] .

أما النص رقم (٤٤) فقد ذكر خليفة والبلاذري ما يوافقه[٢] . ويقال أن أبا الزعيزعة كان على حرسه[٣] .

والنص رقم (٤٥) أورد الأصفهانى في أغانيه مثله[٤] وفيه أنه خير بين أن يعطيه مائة ألف درهم أو قضاء الدّين أو ولاية مكة . وتذكر المصادر ما يشير إلى أن الحارث بن خالد المخزومى كان عاملاً على مكة أيام عبد الملك بن مروان[٥] .

مشاوراته :

٤٦ - وسأل عبد الملك بن مروان روح بن زِنْباع عن مالك بن مِسمع[٦] ، فقال : : لو غَضِب مالك لغَضِب معه مائة ألف سيف لا يسأله واحدٌ منهم : لم غضبتَ ؟ فقال عبد الملك : هذا والله السُّودد[٧] . [٢ / ٢٨٧]

---

(١) المحبر ص ٣٧٣ .

(٢) تاريخ خليفة ص ٢٩٩ ؛ أنساب الأشراف ٥ / ٣١٤ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١١٠ .

(٤) الأغانى ٣ / ٣١٤ - ٣١٥ .

(٥) مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٣١٣ ؛ الأصفهانى : الأغانى ٣ / ٣٠٩ ، ٣٣٠ ؛ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٢ / ١٦٩ تحقيق رُشدى الصالح ملحسن ، الطبعة السابعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م مطابع دار الثقافة مكة .

(٦) مالك بن مِسمع بن سيّار من بكر بن وائل من ولد جَحدر ، وكان مسمع أبو مالك أتى النبى ﷺ ثم ارتدّ بعد النبى ﷺ . وكان مالك ذا شخصية قوية ، له عقب كثير ، ومات في أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . انظر : (ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٩) .

(٧) السودد : الشرف . انظر : (ابن منظور : لسان العرب ٣ / ٢٢٨) .

٤٧ – وقال عبد الملك بن مروان لابن مُطاع العنزى[١] : أخبرني عن مالك ابن مِسْمع . قال له : لو غضب مالك اغضب معه ألف سيف لا يسألونه في أي شيء غضب . قال عبد الملك : هذا واالله السُؤدد . [١ / ١٣٥]

٤٨ – أبو الحسن المدائنى قال : لما قتلَ عبد الملك بن مروان عمرو[٢] بن سعيد بعد ما صالَحه وكتب إليه أماناً وأشهد شهوداً ، قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره ويَصْدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر : ما رأيك في الذي كان منيِّ ؟ قال : أمرٌ قد فات دَرْكه . قال : لتقولنَّ . قال : حَزْم لو قَتلْته وحَييتَ . قال : ألستُ بحييّ ؟ فقال : ليس بحيّ من أوقف نفسه مَوْقفاً لا يُوثق له بعهد ولا بعَقد . قال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فِعلى لأمسكت . [١ / ٧٩]

دراسة النصوص :

النصان رقم (٤٦ ، ٤٧) يتضمنان مشاورة عبد الملك لبعض خواصه في شأن مالك بن مسمع ، حيث تبين لعبد الملك أن أمر مالك ليس بسهل وأنه سيّد قومه سيادة مطلقة ، مما يصعب المساس به وقد أخرج هذا الخبر ابن قتيبة[٣] .

أما النص رقم (٤٨) فقد ذكره المؤرخون فيما جرى بين عبد الملك وعمرو ابن سعيد الذى عارضه واستولى على دمشق[٤] ويتجلى في النص ندامة عبد الملك من قتل عمرو بعد ما صالحه وكتب إليه أماناً وأشهد شهوداً ، وذلك حينما بيّن أحد مستشاريه أن ذلك لم يكن مناسباً .

وحينما سُئل أقتلت عمرو بن سعيد ؟ قال : قتلته وهو أعز عليّ من دم

(١) ابن مطاع : لم أجد له ترجمة .

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٦٠ هامش (٣) .

(٣) عيون الأخبار ١ / ٢٢٥ ؛ المعارف ص ٤١٩ .

(٤) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٨٦ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٤٨ ؛ المسعودى : المصدر السابق ٣ / ١١٠ ؛ الذهبى : دول الإسلام ١ / ٥٢ – ٥٣ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ٣ / لوحة ٢٣ – ٢٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ / ٧٧ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ١ / ١٧٦ ؛ وانظر عبد العزيز محمد : أثر التشيع ص ٣٩٨ – ٣٩٩ .

ناظرى ، ولكن لا يجتمع فَحلاَن في شول[١] .

وقال مرة لأبناء عمرو بن سعيد بعد قتل أبيهم : " إنّ أباكم خيّرنى بين أن يقتلنى أو أقتله فاخترتُ قتله على قتلى "[٢] .

خطبه :

٤٩ – وخطب الناس عبدُ الملك فقال : أيها الناس ، ما أنا بالخليفة المستضعف – يريد عثمان بن عفان – ولا بالخليفة المداهن[٣] – يريد معاوية بن أبى سفيان – ولا بالخليفة المأفون[٤] – يريد يزيد بن معاوية – فمن قال برأسه كذا قلنا بِسَيْفِنَا كذا ، ثم نزل . [٤ / ٤٠١] ونحوه [٤ / ٩٠ – ٩١]

٥٠ – وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس : إن ا لله حدّ حدوداً ، وفرض فروضاً ، فما زلتم تزدادون في الذّنب ونزداد في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف . [٤ / ٤٠١]

دراسة النصوص :

النص رقم (٤٩) أورد خليفة نصاً قريباً منه[٥] ، من طريق أبي عاصم ، عن ابن جريج عن أبيه ، ويشير خليفة إلى أن عبد الملك ألقى هذه الخطبة في موسم الحج سنة خمس وسبعين بعد مقتل عبد ا لله بن الزبير بعامين ، وسند خليفة فيه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وهو مدلس و لم يصرح بالتحديث[٦] ، ووالده

---

(١) الزمخشرى : ربيع الأبرار ٤ / ٢١٤ . والشول : بقيّة الماء في السِّقاء والدَّلو . (اللسان ١١ / ٣٧٦) .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٨٢ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ١٠٥ .

(٣) المداهنة : إظهار خلاف ما يضمر ، والادهان : الغش . انظر : (ابن منظور : لسان العرب ١٣ / ١٦٢) .

(٤) المأفون : ضعيف العقل والرأى . انظر : ابن منظور : لسان العرب ١٣ / ١٩) .

(٥) تاريخ خليفة ص ٢٧٣ .

(٦) ابن حجر : تقريب التقريب ص ٣٦٣ .

عبد العزيز بن جريج لين الحديث[١] . وأورد أبو هلال العسكري نصاً أطول مما هنا[٢] وكذا ابن عساكر[٣] ونقله النويري[٤] والكتبى[٥] والسيوطى[٦] ، وفي النص ألفاظ منكرة ، وفي صحة صدورها من عبد الملك نظر ، لا سيما أن الإسناد غير مستقيم .

أما النص رقم (٥٠) فلم أجد من ذكره ، وبيّن الخليفة فيه سياسته نحو المخالفين لحدود الله وفروضه .

أقواله :

٥١ - قال عبد الملك بن مروان : إن أفضل الرجال من تواضع عن رِفعة ، وزَهِد عن قدرة ، وأنصف عن قُوّة . [١ / ٣٦]

٥٢ - قيل لعبد الملك بن مروان : عَجِل عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين . قال : شيَّبنى إرتقاء المنابر وتوقّع اللحن . [٣ / ٤١] بنحوه [٢ / ٤٧٩ و ٤ / ١٤٩]

٥٣ - وقال : من كان في يده شيء فليصلحه ، فأنه في زمان إن احتاج فيه فأوّل ما يبذل دينه . [٢ / ٤٥٦]

٥٤ - وقال : الإعراب جمال للوَضيع ، واللحن هُجْنة على الشَّريف . [٢ / ٤٧٩]

٥٥ - وقال : اللحن في الكلام أقبح من التَّفتيق في الثوب والجُدّرى في الوجه [٢ / ٤٧٨]

٥٦ - ودعا عبد الملك بن مروان رجلاً إلى الغذاء ، فقال له ما فيّ فضل يا أمير المؤمنين . قال لا خير في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل . [٦ / ٣٠٤]

---

(١) ابن حجر المصدر السابق ص ٣٥٦ .

(٢) كتاب الأوائل ١ / ٣٤٧ . مثل سند خليفة .

(٣) تاريخ دمشق ٣٧ / ١٣٥ من طريق خليفة .

(٤) نهاية الأرب ٢١ / ٢٢٣ .

(٥) عيون التواريخ ٣ / لوحة ٢٨ .

(٦) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤ .

٥٧ – الشيباني قال : بَصق ابن مروان فقصَّر في بَصْقته ، فوقعت في طرق البساط ؛ فقام رجلٌ من المجلس فمسحه بكُمّه فقال عبد الملك بن مروان : أربعة لا يُستحى من خدمتهم : الإمام والعالم ، والوالد والضيف . [٢ / ٤٦٠]

٥٨ – وقال : ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يستخفَّ بهم : العلماء والسُّلطان والإخوان . فمن استخفّ بالعلماء أفسدَ دينه ، وَمن إستخفَّ بالسُّلطان أفسد دنياه ، ومن استخفَّ بالإخوان أفسد مُروءته . [٣ / ٨ – ٩]

دراسة النصوص :

النص رقم (٥١) أورده بعض المؤرخين[١] .

وهو من الأقوال الحسنة وفيه حكم عالية .

النص رقم (٥٢) أورده المؤرخون أيضاً[٢] .

وارتقاء المنابر كان يهتم به أهل الشرف والمروءة ، ويخشون من الغلط فينقل عنهم ، والمراد صعود المنابر في خطب الجمعة والخطب العامة .

النص رقم (٥٣) لم أجد من ذكره ، والنص رقم (٥٤) ذكر مثله ابن عبد البّر[٣] ، والنص رقم (٥٥) لم أجد من ذكره .

والنصوص (٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) في جملتها أقوال مستقيمة ؛ تدل على نصيحة الخليفة لرعيته في إصلاح ما في أيديهم ، وكذا اهتمامه بصلاح لغتهم واستقامة لسانهم .

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٢٦٧ ؛ ابن أبي الدنيا : الأشراف في منازل الأشراف ص ٢٠٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٧٠ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٣٨ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٤٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٣ / لوحة ٢٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٦٨ – ٦٩ ؛ السيوطي : المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(٣) بهجة المجالس ١ / ٦٦ .

النص رقم (٥٦) أورد ابن قتيبة مثله[١] وزاد قول الرجل للخليفة : ((عندي مستزاد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استقبحها أمير المؤمنين)) [٢] .

النص رقم (٥٧) ذكره ابن عبد البرّ ، وزاد فيه : ((فأمر عبد الملك للرجل بصلة))[٣] .

أما النص رقم (٥٨) فلم أعثر على من ذكره ويدل على أدب رفيع وحكمة راجحة .

مجالسه :

٥٩ - تكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كلّ مَذهب ، فأعجب عبدَ الملك ما سمع من كلامه ، فقال له : ابنُ من أنت ؟ قال : أنا ابنُ نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصَّلَت إليك ؛ قال : صدقت .

[٢ / ٢٩١] بنحوه [٣ / ٤١١]

٦٠ - دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان ، وكان زبَيريـاً[٤] فقال له عبد الملك بن مروان : أليس الله قد رَدّك على عَقِبيك ؟ قال ومن رُدّ إليك يا أمير المؤمنين فقد رُدَّ على عَقِبيه ؟! فسكت عبدُ الملك وعَلِم أنها خطأ .

[٢ / ١٧٤]

٦١ - وسأل عبد الملك بن مروان أبا المفوّز[٥] : هل أتخمت[٦] قط ؟ قال : لا ؛ قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مضغنا دققنا ، ولا نُكظّ[٧] المعدة ولا نُخليها ؟ [العقد ٦ / ٣٠٦]

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣ / ٢١٩ .

(٢) ابن قتيبة : المصدر السابق ٣ / ٢١٩ .

(٣) بهجة المجالس ١ / ٣٤٤ ؛ وذكر الدابة بدلاً من العالم .

(٤) زُبيريًّا : هذا اللقب اطلق على من ناصر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عندما بويع بالخلافة في الحجاز . العقد ٦ / ٣٠٦ .

(٥) أبو المفوّز : لم أعرف من هو .

(٦) التُّخمة : ما يصيبك من الطعام إذا استوخمته . (اللسان ١٢ / ٦١٣) .

(٧) ولا نكظ : لا نملؤها .

٦٢ – ودخل أميَّة بن عبد الله بن أسيد[١] على عبد الملك بن مروان وبوجهه أثر ، فقال : ما هذا ؟ فقال : قمتُ بالليل فأصاب الباب وجهي . فقال عبد الملك :

رأتني صريعَ الخمر يوما فسؤتها   للشاربيها المدمنيها مصارع

فقلت : لا واخذَك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنّك . فقال : بل واخذك الله بسوء مصرعك . [٦ / ٣٤٠]

٦٣ – ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يُسأل عن شيء إلاّ وجد عنده منه علماً ، فقال له : أنىّ لك هذا ؟ فقال : لم أمْنع قطُّ يا أمير المؤمنين علماً أفيده و لم احتقر علماً استفيده ، وكنتُ إذا لَقيت الرَّجُلَ أخذتُ منه وأعطيتُه. [٢ / ٢٢١]

٦٤ – قال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلّم بحاجتك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، بُهْر الدَّرجة وهيبة الخلافة يمنعاني من ذلك ، قال : فَعَلَى رسلك فإنا لا نحب مَدح المشاهدة ولا تزكية اللِّقاء ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، لستُ أمدحك ، ولكن احمد الله على النِّعمة فيك ، قال : حَسْبك فقد أبلغت .

[٢ / ١٣٩]

٦٥ – وقيل مثل ذلك[٢] لعبد الملك بن مروان ، فقال: إذا وضعت الخيزرانة.

٦٦ – قال محمد بن يزيد : وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي[٣] قال : حضر عليّ بن عبد الله[٤] مجلس عبد الملك بن مروان ، وكان مكرماً له ، وقد

---

(١) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأمه أمّ حُجَير بنت شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، وكان مع المصعب بن الزبير بالبصرة هو وأخوه خالد ، ثم لحقا بعبد الملك بن مروان ، فاستعمله على خراسان كما استعمل أخاه على البصرة . انظر : (مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٨٩ - ١٩٠) .

(٢) أي سألوه علامة يعرفون حين يريد رفع المجلس وانتهاءه .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان يكنى أبا محمد ، وهو جدّ الخليفة أبـي العباس السفاح والخليفة أبي جعفر المنصور وكان أعبد الناس وأحلمهم وأكثرهم صلاة ، توفي بالشراه سنة (١١٧ هـ) وهو ابن ثمانين سنة . انظر : (ابن قتيبة : المعارف ص ٢٣) .

اهديت له من خراسان جارية وفصّ خاتم وسيف ، فقال : يا أبا محمد ، إن حاضر الهدية شريك فيها ، فأخذ من الثلاثة واحدة فاختار الجارية ، وكانت تُسَمّى سُعدى وهي من بني الصُّغد[1] من رهط عُجيف بن عَنْبسة[2] ، فأولدها سليمان بن علي ، وصالح بن علي ، وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان ، إجتنبت فراشه ، فمرض سليمان من جُدريّ[3] خرج عليه ، فانصرف عليّ من مصلاّه فإذا بها على فراشه ، فقال : مرحباً بك يا أم سليمان ، فوقع عليها فأولدها صالحاً ، فاجتنبت فراشه فسألها عن ذلك . فقالت : خفت أن يموت سليمان في مرض فيقطع النسب بيني وبين رسول الله ﷺ فالآن إذا ولدت صالحاً فبالحريّ إن ذهب أحدهما بقي الآخر ، وليس مِثلي وطيئة الرجال . [٥ / ١٠٤]

٦٧ - قال أبو عبيدة في كتاب التاج : اجتمع عند عبد الملك بن مروان في سمرة علماء كثيرون من العرب ، فذكروا بيوتات العرب ، فاتفقوا على خمسة أبيات ، بيت بني معاوية الأكرمين في كِنْده ، وبيت بني جُشَم بن بكر في تغلب ، وبيت بني ذَي الجَدَّين في بَكْر ، وبيت زُرارة بن عُدسَ في تميم وبيت بني تَدْر في قيس .

وفيهم الأحْرز بن مُجاهد التّغلبي[4] وكان أعلم القوم ، فجعل لا يخوض معهم فيما يخوضون فيه ، فقال له عبدُ الملك : مالك يا أُحَيرز ساكتاً منذ الليلة ؟ فوا لله ما أنت بدون القوم علماً ؛ قال : وما أقول ؟ سبق أهلَ الفَضْل في فضلهم أهلُ النقص في نُقصانهم، وا لله لو أنّ للناس كلِّهم فرساً سابقاً لكانت غُرَّتَه بنو شيبان، ففيهم الإكْثار . [٣ / ٣٣١ - ٣٣٢]

---

(١) الصُّغد : بالضم ثم السكون ، وآخره دال مهملة : وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند ؛ وهي قرية متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى . انظر : (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣ / ٤٦٤) .

(٢) عجيف بن عنبسة : قائد كبير من القواد ؛ ويذكر أنه خامر على المعتصم ، فأخذ ومنع الماء حتى مات ، ويروى أنه قتل وطرح تحت حائط . (ابن الجوزي : المنتظم ١١ / ٨٥) .

(٣) الجُدريّ : قروح في البدن تنفّط عن الجلد مُمتَلئة ماءً . (ابن منظور : لسان العرب ٤ / ١٢٠) .

(٤) الأحرز بن مجاهد : لم أجد له ترجمة .

٦٨ – قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خبروني عن حيّ من أحياء العرب ، فيهم أشدُّ الناس وأسخَى الناس وأخطب الناس وأطوع الناس في قومه وأحلم الناس وأحضرهم جواباً ؛ قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغي لها أن تكون في قريش ؛ قال : لا ؛ قالوا: ففي حمير وملوكها ؛ قال: لا ، قالوا : ففي مُضر ؛ قال : لا ؛ قال : مصقلة بن رقيّة العبدي[1] : فهي في ربيعة ونحن هم ؛ قال : نعم .

قال جلساؤه : ما نعرِف هذا في عبد القيس إلا أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين . قال : نعم ، أما أشدُّ الناس فحكيم بن جَبَل[2] .

كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقُطعت ساقُه فضمَّها إليه حتى مَرَّ به الذي قَطعها فرماه بها فجدَّله عن دابّته ، ثم جثا عليه ، فقتله واتكأ عليه ، فمرّ به الناس فقالوا له : يا حكيم ، ومن قطع ساقك ؟ قال : وِسَادي هذا ؟ وأنشأ يقول :

يا ساقُ لا تُراعي * إن معي ذِرَاعي * أحمِي بها كُرَاعِي[3]

وأما أسخى الناس : فعبد الله بن سَوّار[4] ، استعمله معاوية على السِّند[5]

---

(١) مصقلة بن رَقَبة : هو من عبد القيس ، وأمه جُرمقانية ، وكان من أخطب الناس زمن الحجاج وبعده . ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠٣ .

(٢) حكيم بن جبل بن حُصَين بن أسود بن كعب ؛ ينسب إلى بني الديل ابن حمرو بن غنم بن وديعة ابن لُكَيز ، وكان أحدُ قتلة عثمان رضي الله عنه . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٨) .

(٣) هذا الخبر في تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٤٧١ ، ٤٧٥ برواية سيف عن محمد بن طلحة ؛ وانظر أبو هلال العسكرى : الأوائل ١ / ٢٩٣ - ٢٩٤ من طريق الواقدي .

(٤) عبد الله بن سوّار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة العنزيُّ ، أبوه السوار البصريّ القاضي ، كان عبد الله ثقة وتوفي سنة (١٢٨ هـ) . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥ / ٢٢١ ، ٢٢٢) .

(٥) السِّند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ، وقصبتها مدينة يقال لها : المنصورة ، ومن مُدنها : ديبك والتيز . (ياقوت : معجم البلدان ٣ / ٣٠٣) .

فسار إليها في أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نارٌ حيثُما سار فيُطعم الناس فبينما هو ذات يومٍ إذ أبصر ناراً ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ، اعتلّ بعض أصحابنا فاشتهى خبيصاً فعملنا له ؛ فأمر خبَّازه أن لا يُطعَم الناسُ إلا الخَبيصَ ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير رُدَّنا إلى الخبز ، واللَّحم ، فسُمِّي : مُطعِم الخبيصِ .

وأما أطوع الناس في قومه : فالجارود بشر بن العَلا[١] ، إنّه لما قبض رسول الله ﷺ وارتدت العربُ خطب قومَه فقال : أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حَيٌّ لا يموت ، فاستمسكوا بدينكم ، فمن ذَهب له في هذه الرِّدَة دينار أو دِرهم أو بعير أو شاة فله عليّ مثلاه ، فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضر الناس جواباً ، فصعصعة بن صُوحان[٢] ، دخل على معاوية في وفد أهل العراق[٣] ، فقال معاوية : مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدِمتم أرض الله المقَدَّسة ، منها المنشر وإليها المحشر ، قدِمتم على خير أمير يَبَرّ كبيركم ، ويرحم صغيركم ، ولو أن الناس كلَّهم ولدُ ابن سفيان لكانوا حُلَماء عُقلاء ، فأشار الناسُ إلى صَعصعة ، فقام فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : أما قولك يا معاوية إنا قَدِمنا الأرض المقَدَّسة ، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدِّس الناسَ إلا أعمالُهم ، وأما قولك منها المنشر وإليها المَحْشَر فلعمري ما ينفع قُرْبها ولا يَضُرُّ بُعدها مؤمناً ، وأما قولك لو أن الناس كلّهم ولد ابن سفيان لكانوا

---

(١) الجارود : يسمى ابن حزم الجارود بن حَنَش بن المُعَلّى ، يكنّى أبا غيلان ، وله صحبة ومكانة من النبي ﷺ ومن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان فاضلة في الإسلام . انظر : جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٦) .

(٢) صعصعة بن صوحان : من بني عبد القيس ، كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل ، وكان من أخطب الناس . (ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠٢) .

(٣) وكان من ضمن هذا الوفد : مالك بن الأشتر ، وثابت بن قيس بن مُنقع ، وكُمَيل بن زياد النخعي ، وكان قد بعثهم سعيد بن العاص أمير الكوفة بأمر من الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان معاوية رضي الله عنه أمير الشام . انظر تفاصيل ذلك الطبري : التاريخ ٤ / ٣٢٣ .

حُلَماء عقلاء . فقد وَلَدهم خير من ابن سفيان ، آدمُ صلوات الله عليه فمنهم الحليم والسَّفيه والجاهل والعالم .

وأما أحلم الناس ، فإن عبد القَيس قدِمُوا على النبي ﷺ بَصَدَقَاتهم وفيهم الأشجّ[1] ، ففرّقها رسول الله ﷺ في أصحابه ، وهو أول عطاء فرّقه في أصحابه ، ثم قال : يا أشجّ ، ادنُ مِنِّي ، فدنا منه ، فقال : إن فيك خلَّتين يحبهما الله ، الأناة والحِلم ، وكفى برسول الله ﷺ شاهداً .

ويُقَال إن الأشجّ لم يَغْضَبْ قَطْ . [٣ / ٣٦٥ – ٣٦٧]

٦٩ – العُتبي قال : دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبَّل يدَه ، وقال : يدك يا أمير المؤمنين أحقّ يدٍ بالتقبيل ، لعُلوِّها في المكارم ، وطُهرها من المآثم ؛ وانك تُقِل التثريب ، وتَصْفَح عن الذنوب ، فمن أراد بك سوءاً جعله الله حَصيد سَيفَك ، وطَريدَ خَوفك . [٢ / ١٢٧]

٧٠ – قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سَلِمة القُرشيّ المخزومي[2] : من أخطبُ الناس ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : شيخ جُذام – يعني روح بن زنباع – ؛ قال : ثم من ؟ قال : أخيفش ثقيف – يعني الحجاج – قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين . [٤ / ٥٤ – ٥٥]

٧١ – المدائني قال : قدم قوم من بني أمية على عبد الملك بن مروان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن ممّن تعرف ، وحُقّنا ما لا ينكر ، وجئنا من بعيد ، ونَمُتّ بقريب ، ومهما تعطنا فنحن أهله . [١ / ٢٥٤]

---

(١) الأشجّ : هو المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث ، له صحبة وبعثه رسول الله ﷺ ليعلم عِلمه ، فلما لقي النبي ﷺ آمن به ، وأتى ، ثم أسلم ، وقال النبي ﷺ : فيك خُلقين يحبهما الله ، الحلم والحياء . وكان فاضلاً حليماً . (ابن قتيبة : المعارف ص ٣٣٨ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٦) .

(٢) خالد بن سلمة بن هشام بن العاص بن هشام بن المغيرة ، كان يسكن العراق ، وكان قد حضر ابن هبيرة يذكر بني العباس وينتقصهم ؛ فشرِك في ذلك؛ فلما قتل ابن هبيرة، قُتل خالد بن سلمة . انظر : (مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣١٥) .

دراسة النصوص :

النص رقم (٥٩) لم أجد من ذكره من المؤرخين وغيرهم ، ولم يسنده المصنف .

والنص رقم (٦٠) ذكر ابن قتيبة مثله[١] ولم يسنده . وكذا ذكره الجاحظ والشريف المرتضى[٢] ، وهو جواب مسكت .

والنص رقم (٦١) أورده ابن قتيبة[٣] والجهشيارىّ[٤] وفيه أبو زعيزعة بدلاً من أبى المفوّز ، والكلام مستقيم .

النص رقم (٦٢) أورد مثله ابن قتيبة[٥] والزمخشرى[٦] ، وذكر الزمخشرىّ الهيثم بن خالد بدلاً من أميّة بن عبد الله . وما ذهب إليه المصنف وابن قتيبة تؤكده كتب الأنساب[٧] . والخبر غير مسند فلا يعتمد عليه لا سيما وأن لفظه منكر .

النص رقم (٦٣) لم أجده في المصادر التاريخية والأدبية التى اطلعت عليها . وهو كلام صحيح .

النص رقم (٦٤) لم أقف على من ذكره غير المصنف ، وهو ظاهر في عدم رغبة الخليفة في المدح وتملق الرجل بطريقة ذكية ، وكان عبد الملك يقول إذا أراد أحد أن يمدحه : قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك[٨] .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٢٠٢ وفيه : وعلم أنه قد أخطأ .

(٢) البيان والتبيين ٤ / ٧٥ ؛ أمالى المرتضى ١ / ٢٩٧ .

(٣) المصدر السابق ٣ / ٢١٩ .

(٤) الوزراء والكتاب ص ٣٥ .

(٥) الأشربة ص ٢٧ – ٢٨ .

(٦) ربيع الأبرار ٤ / ٦٤ .

(٧) انظر المصعب : نسب قريش ص ١٨٩ – ١٩٠ وابن حزم : جمهرة أنساب ص ٨٤ – ٢١٨ ؛ ابن قدامة : التبيين ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٨) المبرد : الكامل في اللغة ١ / ٧٤ .

النص رقم (٦٥) يتعلق ببعض آداب مجلس الخليفة وقد سألوه امارة يعرفون بها انتهاء مجلسه حتى لا يثقلوا عليه في الجلوس . وقد ورد النص عند الجاحظ مع زيادة يسيرة[١] . وقد جرت العادة في مجلسه أنه إذا ألقى المخصرة ، قام من حضره[٢] . وقد كان لكل ملك أو خليفة إمارة أو إشارة يستدل بها أصحابه إذا أراد أن يقوموا عنه وتكون هذه الإشارة بمثابة الإذن لجلسائه بالإنصراف[٣] .

النص رقم (٦٦) نقله ابن عبد ربه عن أبى العباس المبرد[٤] كما يبدو من سنده ، لكنه مرسل فيما يظهر .

وذكر مصعب الزبيرى[٥] وابن قتيبة[٦] أن أم سليمان وصالح ابنى على بن عبد الله أم ولد ، وأضاف ابن قتيبة بأنها تسمى سُعدى .

النص رقم (٦٧) نقله ابن عبد ربه من كتاب التاج لأبى عبيدة ، ولم أعثر على هذا الكتاب ، وذكره ياقوت الحموى[٧] . وتضمنت الرواية ذكر أشهر بيوتات العرب في السؤدد والكرم في نظر من حضر ذلك المجلس وهي :

أولاً – بيت بنى معاوية بن كنده بن غُفير بن عَدِىّ بن الحارث .

وهذا البيت كان فيه عدة وكان مليئاً بالرجال[٨] .

ثانياً – بيت بنى جشم بن بكر بن خُبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

---

(١) البيان والتبيين ٣ / ٤٢ .

(٢) الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ص ١١٩ ، والمخصرة قضيب كالسوط ، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوه . وذلك من شعار الملوك .

(٣) الراغب الأصفهاني : محاضرة الأدباء ١ / ٩٤ ؛ وانظر عبود الشالجى : الفرج بعد الشدة للتنوخي ٢ / ٢٤٣ هامش (١٢) .

(٤) الكامل في اللغة ٢ / ٢٢٠ .

(٥) نسب قريش ص ٢٩ .

(٦) المعارف ص ١٢٤ .

(٧) معجم الأدباء ١٩ / ١٦١ .

(٨) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٥ – ٤٢٨ .

وهم عدة فروع : بنى زهير ، وبنى مالك ، وبنى سعد[١] .

ثالثاً – بيت ابن ذى الجدّيْن في بكر .

وهو بيت عبد الله بن ذى الجدّيْن بن عمرو بن الحارث بن همام[٢] .

رابعاً – بيت بنى زرارة بن عُدَس في تميم .

وهو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مَناة بن تميم[٣] .

خامساً – بيت بنى بدر في قيس .

وهم بنو بدر بن عمرو بن حُوَيّة بن لوذان بن ثعلبة بن عدىّ بن فزارة[٤] .

سادساً – بيت بنى شيبان .

وهذا البيت ذكره الاحرز بن مجاهد التغلبى ، الذى لم يعجبه ما دار في مجلس الخليفة ، وهم بنو شيبان بن ذُهَل بن ثعلبة بن عكابة بن مصعب[٥] .

وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ما لكل بيت من تلك البيوتات من الرجال والشرف .

وهذه المسائل قد يدخلها نوع من التعصب والهوى ، وتختلف فيها الآراء والاجتهادات .

النص رقم (٦٨) أورد أبو هلال العسكري مثله[٦] . وكان عبد الملك يهتم بتاريخ العرب ، حيث كان يتساءل في بعض مجالسه عن بيوتاتهم وأيامهم ورجالاتهم . فقد أورد أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي أن عبد الملك بن مروان قال : حي من أشعر الناس وأجود الناس وأنكح الناس إياد ، فأما الشاعر

---

(١) ابن حزم : المصدر نفسه ص ٣٠٤ – ٣٠٥ .

(٢) ابن حزم : المصدر السابق ص ٣٢٦ .

(٣) ابن حزم : المصدر السابق ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٤) ابن حزم : المصدر السابق ص ٣٥٦ – ٣٥٧ .

(٥) ابن حزم : المصدر السابق ص ٣١٧ – ٣١٩ .

(٦) الأوائل ١ / ٢٩٤ – ٢٩٧ من طريق أسد بن سعيد .

فأبو دُواد ، وأما الجواد فكعب بن مامه ، وأما الآخر فابن العرَ[١] .

كما أورد الميداني أن عبد الملك سأل يوماً عن أشجع العرب شعراً فقيل : عمرو بن مَعْد يكرب ، فقال : كيف وهو الذي يقول :

فجَاشَتْ إليَّ أوَّلَ مَرَّة وَردَّتْ على مَكْرُوهها فاستقرَّت

قالوا : فعَمْرو بن الأطنابه ، فقال : كيف وهو الذي يقول :

وقَولى كُلّما جَشَأتْ وجاشَتْ مَكَانكِ تُحْمدِى أو تستريحي

فما زالوا يذكرون لعبد الملك بعض رجالات العرب وهو يرفض ذلك حتى قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ فذكر لهم أربعة : عباس بن مرداس السلميّ ، وقيس بن الخطيم الأوسيُّ ، وعنترة بن شدّاد العَبْسيّ ، ورجل من بنى مُزينة[٢] .

النص رقم (٦٩) لم أجد من ذكره من المؤرخين وغيرهم ويبدو أن الرجل ارتكب بعض المخالفات ، لذلك تملّق بهذا القول حتى يصفح عنه الخليفة .

النص رقم (٧٠) أورد الجاحظ مثله[٣] .

وزاد الجاحظ : قال عبد الملك : ويحك ، جعلتنى رابع أربعة . قال : نعم هو ما سمعت .

النص رقم (٧١) لم أجد من ذكره غير المصنف .

ولعل مجيئهم إلى عبد الملك هو أنه قطع عنهم ما كان يعطيهم من قبل .

أورد ابن قتيبة « أن عبد الملك قطع عن آل أبى سفيان أشياء كان يجريها عليهم ، لتباعد كان بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فدخل عليه عمرو بن عتبة فقال : يا أمير المؤمنين ، أدنى حقِّك مُتعِب وتقصِّيه فادح ، ولنا مع حقّك علينا حقّ عليك ، لقرابتنا منك وإكرام سلفنا لك ؛ فانظر إلينا بالعين التى نظروا

---

(١) كتاب الديباج ص ١٥٧ .

(٢) مجمع الأمثال ٢ / ٨٧ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٣٤٦ .

بها إليك ، وضعنا بحيث وضَعَتْنا الرَّحِم منك ، وزدنا بقدر ما زادك ا لله ؛ فقال : أفعل ، وربما يستحق عطيتي مـن استعطاها ، فأما مـن ظـنَّ أنـه يستغني بنفسـه فَسَنَكِلُه إليها ...))[1] . وكان يقول لهم ((يا بنى أمية ، إنّ خير المال ما أفاء حَمْداً ، ومنع ذمّاً ، فلا يقولنّ أحدكم : ابدأ بمن تعول فإن الناس عيال ا لله))[2].

عبد الملك وملك الروم :

٧٢ - كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان : أكلتُ لحم الجمـل الـذى هرب عليه أبـوك مـن المدينـة لأغزينـك جنـود مائـة ألـف ومائـة ألـف . فكتـب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى عبد ا لله بن الحسن[3] ويتوعدّه ، ويكتب إليـه بما يقول ، ففعل . فقال : عبد ا لله بن الحسن : إنّ لله عزّ وجلّ لوحـاً محفوظاً ، يَلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يحيى فيهـا ويميـت ويُعـزّ ويُـذل ويفعل ما يشاء ، وإنـى لأرجـو أن يكفينيـك منهـا بلحظـة واحـدة . فكتـب بـه الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبـد الملـك إلى ملـك الـروم ، فلما قرأه قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة . [٢ / ٢٠٣]

دراسة النص :

النص السابق أورد ابـن سـعد مثلـه مختصـراً[4] ، وذكـر اليعقوبـى نصـاً قريبـاً منه[5] ، وأشار إليه بعض المؤرخين[6] ، غير أن جميع هؤلاء ينسبون الخبر لمحمد بـن

---

(١) عيون الأخبار ٣ / ١٣٠ .

(٢) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٥ / ٢٢٩ .

(٣) عبد ا لله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الهـاشمى ، أمه فاطمـة بنـت الحسـين ، وفـد عبد ا لله على سليمان بن عبد الملك ، وعلى عمر بن عبد العزيز ، وعلى هشـام بـن عبـد الملـك ، وكان عبد ا لله من العباد لـه شـرف وهيبـة ، ولسـان شـديد ، أدرك دولـة بنـى العبـاس ، وتوفـى سنة (١٤٥ هـ) بالكوفة وعمره سـت وسـبعون سـنة . انظـر : (ابـن منظـور : مختصـر تـاريخ دمشق ١٢ / ١٠٨ - ١١٥) .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ / ١١١ من طريق الواقدى .

(٥) تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٠٤ .

(٦) الرقام : العفو والاعتذار ٢ / ٥٦٧ - ٥٦٨ ؛ أبو العرب التميمي : كتاب المحـن ص ٣٣٦ ؛ ابـن الجوزى : المنتظم ٦ / ٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤ / ١٢٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٤١ .

الحنفية بدلاً من عبد الله بن الحسن ، وذلك حين أخذه الحجاج وطلبه أن يبايع لعبد الملك بن مروان . غير أن الخليفة هدد الحجاج بالقتل إذا تعرض لمحمد بن الحنفية بما يكره[١] .

نصائحه الحربية :

٧٣ - أوصى عبد الملك بن مروان أميراً سيَّره إلى أرض الروم فقال : أنت تاجر الله لعباده ، فَكُن كالمُضارب[٢] الكيِّس[٣] الذى إن وَجد ربحاً تجر ، وإلا تحفظ برأس المال . ولا تطلُب الغنيمة حتى تُحرز[٤] السلامة[٥] ، وكُن من احتيالك على عدوِّك أشدَّ حذراً من احتيال عدوك عليك . [١ / ١٣٢]

دراسة النص :

هذا النص ذكره النويرى في مصنفه نهاية الأرب[٦] ؛ من غير أن يسنده . وهي وصية مستقيمة توضح مدى حرص الخليفة على أرواح المجاهدين وصيانتها .

عبد الملك وولاية العهد لابنيه :

٧٤ - كتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومىّ[٧] ، وكان عاملَه على المدينة ، أن يدعو الناسَ إلى البيعة لابنيه الوليد وسليمان . فبايع الناسَ ، غيرَ سعيد بن المُسيِّب ، فإنه أبى وقال : لا أُبايع وعبد الملك حيّ . فضربه هشام

---

(١) أبو العرب : المصدر السابق ص ٣٣٦ ، وفيه : فما عاد الحجاج إلى شيء يكره محمد بعدها .

(٢) المضاربة : أن تعطى انساناً من مالك ما يتّجر فيه على أن يكون الربح بينكما ويكون له سهم معلوم في الربح . (ابن منظور : لسان العرب ١ / ٥٤٤) .

(٣) الكيِّس : العاقل . انظر : (لسان العرب ٦ / ٢٠١) .

(٤) تحرز : يقال : أحرز قَصبَ السَّبْق أي سبق غيره إلى الفوز في أمر (المعجم الوسيط ١ / ١٦٦) .

(٥) حتى توقن أنك ستسلم .

(٦) نهاية الأرب ٦ / ١٧٠ . انظر عمر فروّح : تاريخ الأدب العربى ١ / ٥١٤ .

(٧) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ ، وأُمه أَمَة الله بنت المُطّلِب بن أبى البخترى ؛ وكان من وجوه قريش ، ولاه عبد الملك بن مروان المدينة . انظر : (المصعب : نسب قريش ص ٣٢٨) .

ضرباً مُبَّرحا ، وألبسه المَسوح[1] وأرسله إلى ثنيَّة بالمدينة يقتلونه عندها ويَصلبونه ، فلما انتهوا به إلى الموضع ردّوه . فقال سَعيد : لو علمتُ أنهم لا يصلبونني ما لبستُ لهم التُّبّان[2] . وبلغ عبدَ الملك خبرُه فقال : قَبّح الله هشاماً ، مَثل سعيد بن المُسيِّب يُضرب بالسياط ! إنما كان ينبغي له أن يدعوه إلى البَيعة فإن أبى يضرب عنقه . [٤ / ٤٢١]

٧٥ - قال الأصمعي : كانت بنو أمية لا تبايع لبنى أمهات الأولاد ، فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك ، ولكن لما كانوا يرون أنّ زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ، فلما وَلى الناقصُ[3] ظنَّ الناس أنه الذى يذهب ملك بنى أمية على يديه ، وكانت أمه بنت يزدجرد بن كَسرى[4] ، فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ، ووثب مكانه مروان بن محمد ، وأمه كُردية[5] ، فكانت الرواية عليه . ولم يكن لعبد الملك ابن أسدّ رأياً ، ولا أذكى عقلاً ، ولا أشجع قلباً ، ولا أسمح نفساً ، ولا أسخى كفاً من مَسلمة ، وإنما تركوه لهذا المعنى . [٦ / ١٣١]

دراسة النص :

النص رقم (٧٤) يتناول قضية ولاية العهد بعد عبد الملك بن مروان . وقد سبق أن عهد مروان بن الحكم لابنيه عبد الملك وعبد العزيز على الترتيب ، وذلك سنة (٦٥ هـ)[6] فلما تولى عبد الملك الأمر أراد أن يعهد من بعده لابن الوليد

---

(١) المسوح : جمع مسح بالكسرة وهو كساء من شعر . (اللسان ٢ / ٥٩٦) .

(٢) التبّان : سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة المغلّظة فقط . لسان العرب ١٣ / ٧٢ .

(٣) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٤) انظر تفاصيل ذلك في مبحث نسب يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٥) انظر تفاصيل ذلك في مبحث نسب مروان بن محمد .

(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٢٢٦ ؛ خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٦١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٤٥ ، ١٥٨ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٦١٠ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ⇐

بدلاً من أخيه عبد العزيز ، ولكن صاحب خاتمه قبيصة بن ذؤيب نصحه بعدم تنفيذ ذلك لما يثيره في نفس أخيه[١] وحينما توفى عبد العزيز أراد عبد الملك أن يحقق ما أراد سابقاً ، وهو أن يعهد من بعده لولديه ، الوليد ثم سليمان ، وكتب ببيعته لهما إلى البُلدان[٢] .

فبعث إلى عامله على المدينة هشام بن إسماعيل المخزوميّ ليبايع له الناس بذلك ، فامتنع عليه سعيد بن المسيب فضربه هشام ستين سوطاً وطوّف به في المدينة وكان ذلك سنة (٨٥ هـ)[٣] .

وَرَفْضُ سعيد بن المسيّب لهذه البيعة هو حتى لا تجتمع بيعتان في وقت واحد[٤] ، وهو منهج سار عليه من قبله الصحابة مثل الحسين وابن الزبير .

وما أورده ابن عبد ربه في آخر النص من قول عبد الملك : ينبغى أن " يدعوه إلى البيعة فإن أبى ضرب عنقه " .

فهذا لا يصح ، وهو مناقض لما سبق من النص حيث استنكر عبد الملك على الوالى أن يضرب سعيد بن المسيب . وقد روى ابن سعد والطبرى خلاف ذلك ، وهو أنه لما بلغ عبد الملك ما فعله هشام بن إسماعيل بسعيد بن المسيب ، كتب إليه

---

٦ / ٣٧ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ١ / ١٣٧ وفيه عبد الملك فقط ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ / ٧٣ وفيه عبد الملك فقط .

(١) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٢٣٣ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٤١٢ ؛ ابن الجوزى : المصدر السابق ٦ / ٢٦١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥١٣ .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٢٨٩ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٩٠ وفيه سنة ٨٤ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٤٣٧ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٤١٦ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٦ / ٢٦٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٥١٤ ؛ اليافعى : مرآة الجنان ١ / ٢٠٥ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٢٨٩ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ / ٩٥ .

يلومه فيما صنع ، وقال : سعيد - وا لله - كان أحوج أن تصل رحمه[١] من أن تضربه ، وإنا لنعلم أنه ما عنده شقاق ولا خلاف[٢] .

أما النص رقم (٧٥) لم أجد من ذكره غير ابن عبد ربه ، وذكره معلقاً .

ولمناقشة الرواية نتوقف عند النقاط التالية :

١ - جاء في الرواية : أن بني أمية لم تكن تبايع لبني أمهات الأولاد ، لأنهم يرون زوال ملكهم على يد ابن أم ولد .

ليس هذا صحيحاً ولا دليل عليه وهو نوع من الخرافات والخزعبلات التي نشأت فيما بعد ، وزوال الملك مرتبط بأمر ا لله وقضائه وقدره ، وبحسب الأسباب الموجبة للسقوط والزوال ولا يكون على التكهن والضرب بالغيب .

وعدم ولاية مسلمة بن عبد الملك قد يكون لأسباب أخرى مثل رغبة بعض الخلفاء في مبايعة أولادهم وصرفها عن أخوانهم ، وليس كل ولد عبد الملك ولي الخلافة ، كما أن كونه ابن أم ولد قد يكون له نصيب في صرف الخلافة عنه أصالة النسب لها مكانة عند القوم ، ولكنه أمر محتمل .

وفي النص بعض الأخطاء التاريخية مما يدل على ضعفه ومن ذلك :

أ - قوله : عن يزيد بن الوليد ((لم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات)) .

حيث أن المؤرخين ذكروا : أن خلافته كانت خمسة أشهر[٣] ، وهذا ما أورد المصنِّف في موضع آخر[٤] .

وقال بعضهم ستة أشهر[٥] .

---

(١) يقصد أن هشام مخزوميّ ، وكذلك سعيد بن المسيب مخزوميّ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥ / ١٢٦ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٤١٧ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ٣٦٧ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٩٨ ؛ المسعودي ؛ مروج الذهب ٣ / ٢٣٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٨ .

(٤) انظر العقد ٤ / ٤٦٦ .

ب - وقوله : ((وثبت مكانه - أي مكان يزيد بن الوليد - مروان بن محمد)) . والواقع أن بينهما خلافة إبراهيم بن الوليد[1] .

النوادر :

٧٦ - دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان[2] على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك ما هذا الذي يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟

قال : يقولون أنك لا تشبه أباك ؛ قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء والغُراب بالغُراب ، ولكن أدُلك على من لا يشبه أباه ؛ قال : من هو ؟ قال : من لم تنضِجه الأرحام ، ولم يَولد لتمام ، ولم يشبه الأخوال والأعمام ؛ قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمي سُويد بن منجوف[3] وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك أنه ولد لستة أشهر . [٤ / ٣١ / ٣٢]

٧٧ - كان روح بن زنباع أثيراً عند عبد الملك ، فقال له يوماً : أرأيت امرأتي العبسيّة ؟ قال : نعم ، قال : فيما شبهتها ؟ قال بمشجب بال[4] وقد استيئت صنعته . قال : صدقت وما وضعت يدي عليها قط إلا كأني أضعها على الشُّكاعى[5] وأنا أحب أن تقول ذلك لابنيها الوليد وسليمان : فقام إليه

---

(٥) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٩٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٦ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ١٨ .

(١) خليفة : التاريخ ص ٣٦٩ ؛ الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٩٩ .

(٢) عبيد الله بن زياد بن ظبيان بن مطر بن الجعد بن قيس بن عمرو . ينتسب إلى بني تيْم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . قاتل المصعب بن الزبير ، وكان المصعب قد قتل النابئ بن زياد أخا عبيد الله بن زياد . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣١٥) .

(٣) سويد بن منجوف بن ثور بن عُفَير بن زهير بن كعب بن سدوس . كان أعمامه مجزأة وشقيق من الأسياد الفضلاء ، ولذلك كان سويد بن منجوف سيداً فاضلاً في قومه . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣١٨) .

(٤) المشجب : ما يعلق عليه الثياب أو غيرها . (اللسان ١ / ٤٨٤) .

(٥) الشُّكاعى : شجرة صغيرة ذات شوك ، وقيل من دق النبات . (اللسان ٨ / ١٨٥) .

فزعاً ، فقبّل يدَه ورجلَه ، وقال : انشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تعرِّضني لهما . قال : ما من ذلك بُدّ ، وبعث مَن يدعوهما . فاعتزل روح ، وجلس ناحية من البيت كأنّه حِلْس[1] ، وجاء الوليد وسليمان فقال لهما : أتدريان لم بعثت إليكما ؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقّه وحُرمته ، ثم سكت . [٦ / ١١٤]

٧٨ - كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف : أن ابعث إلى رجلاً يصْلح للدِّين والدنيا ، أتخذه سَميراً وجليساً وخَلِيًّا ؛ فقال الحجاج : ما له إلا عامر الشعبى ، وبعث به إليه . فلما دخل عليه وَجده قد كَبَا مُهتما ، فقال : ما بالُ أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرتُ قول زُهير :

كأنّى وقد جاوزتُ تسعين حِجّةً ... خلعتُ بها عَنّى عِذار لِجَامى
رَمَتنى بناتُ الدُّهر من حيثُ لا أرى ... فكيف بمن يُرْمَى ولس برامى
فلو أنّنى أُرمَى بنبل رأيتها ... ولكنّنى أُرمى بغير سِهام
على الرَّاحنين تارةً وعلى العَصا ... أَنُوء ثلاثاً بعدَهنَّ قِيامِى

قال له الشّعبى : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لَبيدُ بن ربيعة وقد بلغ سَبعين حِجَّة :

كأنّى وقد جاوزتُ سبعين حِجّةً ... خلعتُ بها عن مِنْكبّى رِدَائيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين سنةً قال :

باتت تشكّى إلىَّ النفسُ مُوهنةً ... وقد حملتكِ سبعاً بعد سَبعينا
فإن تُزادى ثلاثاً تبلغى أملاً ... وفي الثلاث وفاءُ للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها ... وسُؤال هذا الناسِ كيفَ لَبيدُ

ولما بلغ عشراً ومائة قال :

أليسَ ورائى إن تراختْ مَنّيتى ... لُزومُ العصا تُحنى عليها الأصابعُ

---

(١) الحلس : الذي لا يبرح مكانه . انظر (اللسان ٦ / ٥٦) .

أُخبِّر أخبار القُرون التى خلت　　　أنوء كأنى كلّما قُمت راكِع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابنتاىَ أن يَعيش أبوهما　　　وهل أنا إلا مِن رَبيعة أو مُضَر

فقُوما فقولا بالذى تَعْلمانه　　　ولا تَخْمِشا وجهاً ولا تَحلِقَا شَعَر

وقُولا هو المَرءُ الذى لا صديقَه　　　أضاعَ ولا خان الخليلَ ولا غَدَر

إلى سَنَةٍ ثم السلام عليكما　　　ومن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

قال الشعبى : لقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها .

[٢ / ٧٧ – ٧٨]

دراسة النص :

النص رقم (٧٦) أورد الجاحظ[١] وأبو هلال العسكرى[٢] والأصفهانى[٣] والميدانى[٤] والزمخشرى[٥] وابن عساكر[٦] وابن الأثير[٧] مثله . وعند الجاحظ وأبو هلال العسكرى : ((وا لله لأنا أشبه بأبى من اللّيل باللّيل ، والغراب بالغراب ... الخ)) وفي الكامل في التاريخ : ((وا لله إنى لأشبه به)) أما باقى المصادر الأخرى : ((لأنا أشبه بأبي من التمرة بالتمرة ، والبيضة بالبيضة ، والماء بالماء)) .

أما ما ذكره المصنّف من أن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر ؛ فإن المصادر الأخرى تذكر : ((أنه ولد لسبعة أشهر))[٨] . وهذا أيضاً مما أورده

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٢٦ .

(٢) الصناعتين ص ٢١ .

(٣) الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة ١ / ٢٥٥ .

(٤) مجمع الأمثال ١ / ٣٨٦ .

(٥) المستقصى في أمثال العرب ١ / ١٨٨ – ١٨٩ .

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٥٣ – ١٥٤ دون ذكر اسم عبيد بن زياد .

(٧) الكامل ٤ / ١٩٢ .

(٨) انظر المصادر السابقة ما عدا البيان والتبيين وتاريخ مدينة دمشق .

المصنف في مكان آخر[١] . ولعلّ ما هنا مصحف . فالغالب أن الذى يولد لستة أشهر لا يعيش بخلاف من يولد لسبعة أشهر[٢] .

ولهذه الحكاية تكملة ذكرتها المصادر وهى أنه لما خرج عبيد ا لله وسويد بن منجُوف من عند عبد الملك ، قال : عبيد ا لله لسويد : وا لله يا ابن عَمَّ ، ما يُسَّرنى بحِلْمك عَلىَّ حُمُر النعم .

فقال له سويد : وأنا وا للهِ ما يسرنى بجوابك إياه سُودُ النَّعم[٣] .

أما النص رقم (٧٧) لم أجد من أشار إليه غير المصنف وقد ذكره بدون اسناد وهذا كاف في ردها .

يقول الدكتور عبد ا لله الخلف معلقاً على هذا النص : ((ومن الواضح أن مضمون هذا الخبر يدل على ضعفه ، فإن المستبعد أن يتخذ عبد الملك من الصفات الجسيمة لزوجته وأم ولىّ عهده مادةً للسخرية والتفكه ، وهذا أمر لا يتفق مع ما هو معلوم عن أولئك القوم من شدة الغيرة والحمية . ولو فرضنا جدلاً بأنها كانت تسفر فإن هذا لا يتعين منه الحكم على نساء ذلك المجتمع بهذا لأنها ربما كانت في ذلك الوقت من القواعد من النساء فإن ابنها الوليد ولد نحو سنة ٤٨ هـ))[٤] .

والنص رقم (٧٨) النص بكامله في كتاب الأغاني[٥] وأورد ابن عساكر نصاً قريباً منه[٦] وأوردت لعض المصادر أن عبد الملك بن مروان طلب من

---

(١) انظر : العقد ٤ / ٣٩٩ .

(٢) ارجع ص ٨٠ من هذه الرسالة .

(٣) انظر المصادر السابقة .

(٤) انظر : مجتمع الحجاز في العصر الأموى ٢ / ٥٢٤ .

(٥) الأصفهاني : الأغاني ١٨ / ١٤٧ - ١٤٨ بسند فيه : الهيثم بن عدى عن مجالد عن سعيد .

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٥٩ - ١٦٠ وفيه بعض اختلاف .

الحجاج بن يوسف أن يبعث إليه عامر الشعبيّ لِكَى يسامره ويحدثه ويؤانسه، فبعث إليه الحجاجُ الشعبيَّ، وجهّزه في ذلك[١].

وفاته:

٧٩ - توفي عبد الملك بن مروان بدمشق للنِّصف من شوال سنة ست وثمانين، وهو ابن ثلاث وستين، وصلى عليه الوليد بن عبد الملك. [٤ / ٤٢٠ - ٤٢١]

٨٠ - ودفن خارج باب المدينة. [٤ / ٣٩٩]

٨١ - وكانت بيعته منذ أن اجتمع عليه ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر. [٤ / ٣٩٩]

دراسة النصوص:

تاريخ وفاة عبد الملك هي محل اتفاق بين المؤرخين[٢] وأنه توفي بدمشق[٣] وبها دفن كما ذكر بعض المؤرخين[٤] ولكن خارج المدينة في وقته.

أما عمره ففيه خلاف، فقال بعضهم توفي عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين[٥] وقال الأخرون: وهو ابن اثنان وستين[٦].

---

(١) عبد الملك بن حبيب: كتاب التاريخ ص ١٣١؛ الاصفهاني: الأغاني ١١ / ٢٤ وانظر أيضاً ١٥ / ٣٦٤، ١٨ / ١٤٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥ / ٣٠؛ خليفة: التاريخ ص ٢٩٢؛ ابن حبيب: المحبّر ص ٢٥؛ اليعقوبي: التاريخ ٢ / ٢٨١؛ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٢٤ دون شهر؛ الطبري: التاريخ ٦ / ٢١٨؛ المسعودي: التنبيه والإشراف ص ٢٧٣؛ الربعي: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٨٧؛ العظيمي: تاريخ حلب ص ١٩٥؛ ابن عساكر: التاريخ ٣٧ / ١٦٢ - ١٦٣؛ ابن الجوزي: المنتظم ٦ / ٢٦٧ دون ذكر الشهر؛ ابن الأثير: الكامل ٤ / ٥١٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢١ / ٢٧٧؛ أبو الفداء: التاريخ ١ / ٢٠٩؛ الكتبي: عيون التواريخ ٤ / ١٧٣ مخطوط، وفيه: ابن ٦١ سنة وابن ٦٤ سنة؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٧٣.

(٣) خليفة: التاريخ ص ٢٩٢؛ الطبري: التاريخ ٦ / ٤١٨؛ المسعودي: التنبيه ص ٢٧٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢١ / ٢٧٧؛ الكتبي: المصدر السابق ٤ / ١٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٧٣.

(٤) اليعقوبي: التاريخ ٢ / ٢٨١؛ المسعودي: المصدر السابق ص ٢٧٣؛ ابن عساكر: التاريخ ٣٧ / ١٦٤.

وذهب بعضهم إلى أنه ابن ستين سنة[(١)] ةقال آخرون : وهو ابن سبع وخمسين[(٢)] وقال غيرهم وهو ابن ثمان وستين[(٣)] .

والذي يظهر أن عمره ستين سنة حيث يتفق غالبية المؤرخين بأن تاريخ ولادته كانت سنة (٢٦ هـ)[(٤)] ، كما أنهم اتفقوا على أن سنة وفاته هي سنة (٨٦ هـ) وهو ما رجحه الطبري[(٥)] .

وكان الذي صلّى عليه ابنه الوليد بن عبد الملك[(٦)] أما مدة خلافته منذ أن اجتمع عليه الناس فهي كما ذكر ابن عبد ربه ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر . إلا أنهم يختلفون في عدد الأشهر[(٧)] ، وقيل : أربع عشرة سنة[(٨)] .

---

(٥) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٢ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٢٨١ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٨ من طريق المدائني ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢٧٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٧٣ .

(٦) المسعودي : المصدر السابق ص ٢٧٣ ؛ ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٤ .

(١) اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٢٨١ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٨ من طريق أبي معشر ؛ الكتبى : المصدر السابق ٤ / ١٧٣ .

(٢) ابن عساكر : التاريخ ٣٧ / ١٦٣ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٢٧٧ ؛ الكتبى : المصدر السابق ٤ / ١٧٣ .

(٣) أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٢٥ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٨ من طريق الواقدي ؛ الكتبى : المصدر السابق ٤ / ١٧٣ .

(٤) ارجع إلى ما كتبناه في ولادته .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٨ ؛ وانظر الكتبى : عيون التواريخ ٤ / ١٧٤ مخطوط .

(٦) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٢ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٨ ؛ المسعودي : المصدر السابق ص ٢٧٣ ؛ ابن عساكر : التاريخ ٣٧ / ١٦٣ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٢٧٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٧٣ .

(٧) خليفة : التاريخ ص ٢٩٩ وفيه : ثمانية وعشرون يوماً زيادة ؛ ابن حبيب : المحبّر ص ٢٤ ، وفيه ثمانية أشهر ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٢٨١ دون أن يذكر أشهر ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ٤١٨ من طريق المدائني وفيه خمسة عشرة يوماً ومن طريق ابن معشر خمسة أشهر ، وعنه أيضاً أربعة أشهر إلا سبع ليالي ؛ ابن اعثم : الفتوح ، وفيه ست أشهر ؛ ابن عساكر : التاريخ ٣٧ / ١٢٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٥١٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢٧٧ ؛ أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٩ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ١ / ٢٠٧ ؛ الكتبى : المصدر السابق ٤ / ١٧٤ .

وكان ذلك ابتداءاً من مقتل عبد الله بن الزبـير في شـهر جمادى الأولى سـنة ثلاث وسبعين[١] ، إلى أن توفى عبد الملك بن مـروان في شـهر شـوال سـنة ست وثمانين[٢] ، وقد كان عبد الملك قبل ذلك متغلباً على الأمر حوالي ثمان سـنوات[٣] منذ أن تمّت بيعته في الشام لثـلاث خلـون مـن رمضـان سـنة خمس وسـتين[٤] إلى انتهاء أمر ابن الزبير وتكون جميع ولايته - سواءً المتغلب منها أو المجتمـع عليهـا - إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً[٥] .

---

(٨) البلاذرى : أنساب الأشراف ٥ / ٣٥١ .

(١) ابن حبيب : المصدر السابق ص ٢٤ ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ١٩١ ؛ المسعودي : مروج الذهـب ٣ / ١٢٢ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ / ٩٠٧ ؛ ابن عساكر : التـاريخ ٣٧ / ١٢٨ ، ١٢٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٢٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٠ ؛ خليفـة : المصـدر السـابق ص ٢٩٢ ؛ الطـبري : المصـدر السابق ٦ / ٤١٨ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٧٣ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ٣٧ / ١٢٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٥١٧ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٨ وفيه تسع سنين كان يقاتل فيها ابن الزبير .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٥ دون أن يذكر الشهر ؛ المسعودي : مروج الذهـب ٣ / ٩٩ ؛ ابـن عساكر : التاريخ ٣٧ / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٥) اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٢٨١ دون ذكر أشهر وأيام ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ٤١٨ من طريق أبـي معشر ؛ المسعودي : التنبيه ص ٢٧٣ وفيه وشهرين وعشرة أيـام ؛ الكتبـى : عيـون التواريـخ ٤ / ١٧٤ وفيه نصف شهر .

٣ - الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٩٦ هـ) .

نسب أم الوليد :

١ - أم الوليد ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جُذيمة العَبْسي . [٤ / ٤٢١]

دراسة النص :

سياق نسب أم الوليد موافق لما أورد مصعب الزبيري[١] وابن حزم[٢] وخليفة ابن خياط[٣] والعظيمي[٤] وابن عساكر[٥] والكتبي[٦] وابن كثير[٧] كما هنا .

أزواجه وأولاده :

٢ - وعن العتبي قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عَقائل : لُبابة بنت عبد الله بن عبّاس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جَحش بنت عبد الرحمن بن الحارث ، فكُنَّ يَجتمعنَ على مائدته ويفترقن فيفخرن . فاجتمعن يوماً ، فقالت لُبابة : أَما والله إنك لتسويني بهن ، وإنك تعرف فضلي عليهن . وقالت بنتُ سعيد : ما كنت أرى أن للفخر عليّ مجازاً ، وأنا ابنةُ ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها . وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أُحب بأبي بدلاً ، ولو شئتُ لقلت فصدقت وصُدِّقت .

وكانت بنت يزيد بن معاوية جاريةَ حديثةَ السن فلم تتكلم .

---

(١) نسب قريش ص ١٦٢ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٩١ ، ص ٢٥١ .

(٣) تاريخ خليفة ص ٢٩٩ .

(٤) تاريخ حلب ص ٩٨ وفيه حرب بدلاً من جزء .

(٥) تاريخ دمشق المجلد ١٧ القسم الثاني رقم (٨٤٠) (٨٤٦) وفيه جرى بدلاً من جزء وفي رقم ٨٤١ رواية فيها اسم حرب بدلاً من جزء .

(٦) عيون التواريخ ٤ / ١٨٥ .

(٧) البداية والنهاية ٩ / ١٦٨ وفيه جزن بدلاً من جزء .

فتكلم عنها الوليدُ ، فقال : نَطق من احتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره ، أما والله لو شاءت لقالت : أنا ابنة قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام . [٦ / ١٠٤]

٣ - وَلَدَ الوليدُ بن عبد الملك :

عبدَ العزيز ، ومحمداً ، وعَنْبسة ، ولم يُعْقِبوا - وأُمهم أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان - والعباس ، وبه كان يُكنى ، ويقال : إنه كان أكبرُهم ، وعمر ، وبشر ، ورَوْح ، وتّمام ، ومُبشّر ، وحَزْم ، وخالد ، ويزيد ، ويحيى ، وإبراهيم ، وأبو عبيدة ، ومَسرور ، ومَنْصور ، ومَروَان ، وصدقة ، لأمهات أولاد . وأمُّ أبي عُبيدة فزاريّة . وكان أبو عبيدة ضعيفاً .

وولي الخلافة من ولد الوليد إبراهيم ، شهرين ثم خُلع . وولي يزيد الكامل شهراً ثم مات . وكان تّمام ضعيفاً ، هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرامٌ في أرومتهم نالوا المكارمَ طرًّا غيرَ تّمامِ

ومسرور بن الوليد كان ناسكاً ، وكانت عنده بنت الحجاج .

وكان بِشْر من فتيانهم ، ورَوْح من غَلمانهم ، والعباس من فرسانهم وفيه يقول الفرزدق :

إنّ أبا الحارث العَبّاس نائله مثلُ السِّماك الذي لا يُخلِف المَطَرَا

وكانت تحته بنتُ قَطريّ بن الفُجاءة ، سباها وتزوّجها . وله منها : المُؤمّل والحارث . وكان عمر من رجالهم ، كان له تسعون ولداً ، ستون منهم كانوا يركبون معه إذا ركب . [٤ / ٤٢٢ - ٤٢٣]

٤ - وقال رجل من أهل الشام : ليس من ولد الوليد أحدٌ إلا ومَن رآه يَحسب أنه من أفضل أهل بيته ، ولو وُزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيهم يقول جرير :

وبنو الوليد مِن الوليد بمنزلٍ كالبدر حُفّ واضحاتِ الأنجُمِ

وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يُبايع له بعد سُليمان فأبى عليه سليمان .

٥ - وحدّث الهيثمُ بن عديّ[١] عن ابن عَيّاش[٢] قال : لما أراد الوليدُ أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبى ذلك سليمان وشنّع عليه ، فقيل للوليد : لو أمرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لعلّه كان يَسكت ، فتُشهد عليه بذلك ، فدعا الأقبيل القيني[٣] ، فقال له : ارتجز بذلك وهو يَسمع ، فدعا سليمان فسايره ، والأقبيل خلفه ، فرفع صوته وقال :

إن وليّ العَهد لابن أُمَه ثم ابنه وليّ عهد عمّه

قد رضي الناس به فسمِّه فهو يَضُم المُلك في مَضَّه

يا ليتها قد خرجت من فمه

فالتفت إليه سليمان ، وقال : يا بن الخبيثة ، من رضي بهذا . [٤ / ٤٢٣]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢) لم أجد من أشار إليه . ولا يوجد لهؤلاء النسوة - اللاتي أورد ابن عبد ربه بأنهن زوجات للوليد - ذِكْرٌ في المصادر ما عدا لبابة بنت عبد الله بن عباس ، بأنها والدة لزوجة الوليد بن عبد الملك نفيسة بنت زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب[٤] .

ولم يذكر علماء النسب إبنة ليزيد بن معاوية تسمى فاطمة كما لم أجد اسم زينب بنت سعيد بن العاص ؛ وذكر مصعب الزبيري آمنة بنت سعيد بن العاص ، التي تزوجها الوليد بن عبد الملك بعد وفاة خالد بن يزيد بن معاوية عنها[٥] في

---

(١) الهيثم بن عديّ الطائي الكوفي ، أبو عبد الرحمن الاخباري العلاّمة كان من أهل منبج ، وكانت أمه من سبي منبج ، قال البخاري ليس بثقة كان يكذب ، وقال النسائي وغيره : متروك الحديث ، توفى سنة (٢٠٧ هـ) عن ثلاث وتسعين سنة . انظر : (الذهبي : ميزان الاعتدال ٤ / ٣٢٤ - ٣٢٥) .

(٢) هو عبد الله بن عياش المنتوف ، ولم أجد له ترجمة . (ابن حجر : لسان الميزان ٦ / ٢٠٩) .

(٣) الاقبيل القيني : لم أجد له ترجمة .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ / ٣١٨ .

(٥) مصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٨٠ ؛ انظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ١٣٩ .

حين ذكر المؤرخون وغيرهم زوجات أخر للوليد مثل : أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان ، وقد ولدت للوليد : عبد العزيز ، ومحمداً ، وعائشة[١] .

وأم عبد الله بنت عبد الله بن عَمرو بن عثمان بن عفان ، ولدت للوليد : سعيداً[٢] .

وشاهْفَرِيد بنت كِسْرى بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار ، ولدت للوليد : أمير المؤمنين يزيد[٣] .

وهذا كله يدل على ضعف الرواية أو وضعها .

النص رقم (٣) ذكره المصنف من دون إسناد وهو يتضمن أسماء أولاد الوليد بن عبد الملك . وقد أورد المؤرخون وعلماء النسب أولاد الوليد ذكوراً وإناثاً[٤] وفيه اختلاف عما هنا وجاء في النص ما يلي :

أولاً : ولّى الخلافة من ولد الوليد : يزيد ، وإبراهيم .

حيث تولى يزيد بن الوليد سنة (١٢٦ هـ) عقب مقتل الوليد بن يزيد[٥]

---

(١) مصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٦٥ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٨٥ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٩٦ ؛ التنوخي : الفرج بعد الشدّة ٤ / ٢٨٣ ؛ انظر صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ص ١٩٠ .

(٢) مصعب الزبيري : المصدر السابق ص ١٦٥ ؛ ابن سعد : الطبقات ص ٩٢ تحقيق زياد بن محمد ابن منصور . انظر صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ص ١٩٠ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٦٨ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٩٨ ؛ ابن حزم : المصدر السابق ص ٩١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٣١٠ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٥ .

(٤) مصعب الزبيري : المصدر السابق ص ١٦٥ .

وذكر عائشة بدلاً من عنبسة، وجزءاً بدلاً من حزم ، وعبد الرحمن . ولم يذكر منصوراً ومرواناً.

الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٩٦ وفيه عبد الرحمن ، بدلاً من حزم . ابن حزم : المصدر السابق ص ٨٩ .

وفيه : مسروق بدلاً من مسرور ، والمبارك بدلاً من مروان وجزء بدلاً من حزم ؛ وعبد الرحمن بدلاً من منصور ، وعثمان بدلاً من إبراهيم .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٦٨ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٢٠٨ .

واستمر في الخلافة ستة أشهر[١] .أما إبراهيم بن الوليد ، فقد تولى بعد وفاة أخيه يزيد بن الوليد ، واستمرت ولايته أربعة أشهر ثم خلع[٢] .

وهذا موافق للمصادر التاريخية .

ثانياً : ورد في النص أن مسرور بن الوليد كانت عنده بنت الحجاج بن يوسف الثقفيّ : ولم أجد ما يؤكد ذلك من المصادر التاريخية .

ثالثاً : ورد في النص أن العباس بن الوليد كانت تحته بنت قطريّ بن الفجاءة : ولم أجد ما يشير إلى ذلك في المصادر .

رابعاً : ورد في النص أن عمر بن الوليد ، كان له تسعون ولداً :

وقد ذكر ابن قتيبة : أنه كان يركب معه ستون رجلاً من صلبه[٣] وأشار ابن حزم أن له ستون ابناً ذكوراً[٤] ، ولعل الباقي يكون من الإناث .

ومن ولده حفص بن عمر . وإليه نسب الحفصيون بالأندلس[٥] ولذلك قيل له : فحل بني أمية[٦] .

النصان رقم (٤ ، ٥) لم أجد من ذكرهما بهذا السياق .

ومضمون هذين النصين هما محاولة الوليد خلع أخيه سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد وتولية ابنه عبد العزيز من بعده ، وقد ذكر الطبري ذلك . وكان هذا قَبل مرضه الذي مات فيه[٧] .

غير أن سليمان رفض ذلك وأصرّ أن يكون الأمر له من بعده على رغم ما بذله الوليد من الضغوط والإغراء بالأموال[٨] .

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٩٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام ٥ / ٣٧٦ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٩٩ .

(٣) المعارف ص ٣٥٩ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص ٨٩ .

(٥) ابن حزم : المصدر السابق ص ٨٩ .

(٦) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ٣٥٩ .

(٧) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٩٨ .

(٨) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤٩٨ .

بيعة الوليد :

٦ - بويع للوليد بن عبد العزيز في النِّصف من شوال سنة ست وثمانين .
[٤ / ٣٢١]

دراسة النص :

هذا النص موافق لما في المصادر التاريخية والأدبية ، حيث كانت ولاية الوليد بعد وفاة أبيه مباشرة[١] .

عماله وكتابه :

٧ - وكان على شرطته كعب بن حمّاد[٢] ، عزله وولّى أبا نائل بن رياح بن عَبدة الغسَّاني . [٤ / ٤٢٢]

٨ - كاتب الوليد بن عبد الملك بن مروان جناح[٣] مولاه .
[٤ / ١٦٤ - ١٦٥]

٩ - قال الأصمعيّ : وَلِي سليمان بن حبيب المحاربيّ[٤] قضاء دمشق للوليد ابن عبد الملك . [١ / ٢٢]

---

(١) خليفة : التاريخ ص ٢٩٩ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٧ دون ذكر الشهر ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ٤١٨ ، ٦ / ٤٢٣ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٨٧ ؛ ابن عساكر : التاريخ المجلد ١٧ القسم الثاني رقم (٨٤٦) ، (٨٥٢) النويري : المصدر السابق ٢٠ / ٢٨١ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٦٨ .

(٢) في مختصر تاريخ دمشق كعب بن حامد بن سلمة بن جابر بن شراحيل بن ربيعة ذي الأربعة العَنْسي الداراني . ويقال : حامز بدلاً من حامد . تولى على شرطة خلفاء بني أمية ابتداءاً من عبد الملك حتى هشام بن عبد الملك الذي بعث كعب إلى أرمينية أميراً بعد مقتل الجراح بن عبد الله الحكمي . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢١ / ١٧٢) .

(٣) جناح : أبو مروان ، مولى الوليد بن عبد الملك ، كان كاتب الوليد على الرسائل ، وصاحب خاتمه . (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ١١٦) .

(٤) هو سليمان بن حبيب ، أبو بكر ، وقيل أبو ثابت ، وقيل أبو أيوب المحاربي الداراني ، قاضي دمشق لعمر بن عبد العزيز وغيره ، وكان يقضي باليمين مع الشاهد ثلاثين سنة ، وتوفي سنة (١٢٠ هـ) وقيل سنة (١٢٦ هـ) . (مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١١٢) .

دراسة النصوص :

النص رقم (٧) ذكره خليفة بن خياط بنحوه[1] وكذا اليعقوبي[2] ، ويتفقان بأن ابن رياح بن عبدة كان على شرطة الوليد بن عبد الملك ثم عزله الوليد وولاّها كعب بن حامد العبسي واستمر هذا الأمر حتى مات الوليد .

أما النص رقم (٨) فيذكر خليفة بن خياط أن الوليد بن عبد الملك أسند مهمة كتابة ديوان الخاتم لجناح مولاه ، وذلك حينما مات كاتبه عمرو بن الحارث مولى عامر بن لؤي ، إضافة إلى ذلك فإن جناح كان كاتب الرسائل للوليد[3] .

وأما النص رقم (٩) فذكر الطبري : أن سليمان بن حبيب استقضاه الوليد ابن عبد الملك سنة (٩٤ هـ) بالشام[4] .

ونقل ابن الجوزي مثل ذلك[5] ولكن دون أن يحدد مدينة معينة .

إصلاحات الوليد :

١٠ - كان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم ، وأكثرهم فتوحاً ، وأعظمهم نفقة في سبيل الله ، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنابر ، وأعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكلّ ضرير قائداً . [٤ / ٤٢٤]

١١ - وكان يَمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفَلْس ، فيقول : زِدْ فيها فإنك تربح . [٤ / ٤٢٤]

١٢ - ومرّ الوليد بمعلّم كتاب فوجد عنده صَبِّية ، فقال : ما تصنع هذه

---

(١) التاريخ ص ٣١٢ وفيه كعب بن حامد بدلاً من كعب بن حمّاد .

(٢) التاريخ ٢ / ٢٩١ وفيه أبو ناتل بدلاً من أبي نائل .

(٣) المصدر السابق ص ٣١٢ ، انظر ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ١١٦ .

(٤) التاريخ ٦ / ٤٩١ .

(٥) المنتظم ٦ / ٣١٧ .

عندك ؟ فقال : أُعلّمها الكتابة والقرآن . قال : فاجعل الذي يُعلّمها أصغر منها سِنّاً . [٤ / ٤٢٤]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٠) ذكره المصنف بدون إسناد وذكره الطبري[1] ونقله ابن الأثير[2] وابن كثير[3] والسيوطي[4] .

وهذا النص يشير إلى بعض الأعمال العظيمة التي أنجزها الوليد بن عبد الملك خلال حكمه الذي بلغ عشر سنوات سواءً في النواحي العمرانية أو الإجتماعية أو التنظيمية أو الجهادية .

النص رقم (١١) ذكره المصنف بدون إسناد ، وقد أورده جمع من المؤرخين[5] وفي هذا عناية الخليفة بالأمور العامة وحث التجار على الإستمرار في تجارتهم وحصولهم على الربح المناسب الذي يحتمله المستهلك ولا يشق عليه .

النص رقم (١٢) ذكره المصنف بدون إسناد ، وقد ذكره الجاحظ[6] .

وفيه إهتمام الخليفة بأخلاقيات الرعية ودرء المفاسد قبل وقوعها .

من أقواله ومواقفه :

١٣ - دخل رجلٌ على الوليد بن عبد الملك وهو والي دمشق لأبيه ، فقال : للأمير عندي نصيحة ؛ فقال : إن كانت لنا فاذكُرها[7] ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجةَ لنا فيها ؛ قال : جار لي عَصَى وفَرَّ مِن بَعْثه ؛ قال : أما أنت فتُخبِر أنك

(١) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٩٦ .

(٢) الكامل في التاريخ ٥ / ٩ .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٧١ ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ١٨٦ ؛ ٢٨٣ .

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٨ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤٩٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٣٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٧٢ ؛ ابن خلدون : التاريخ ٣ / ٦٨ .

(٦) البيان والتبيين ٢ / ٢٠٣ .

(٧) في عيون الأخبار (٢ / ٢١) فأظْهِرْها .

جارُ سوء ، وإن شئتَ أرسلنا معـك ، فـإن كنـتَ صادقاً أقصينـاك ، وإن كنـتَ كاذباً عاقبناكَ ، وإن شئتَ تارَكناك ؛ قال : تاركِني . [٢ / ٣٣٢]

١٤ - دخل الوليد بن عبد الملك المسجدَ . فخـرج كـلُّ مـن كـان فيـه إلاّ شيخاً قد حَنَاه الكِبَر ، فأرادُوا أن يخرجوه ، فأشـار إليهـم أن دَعُـوا الشـيخ ؛ ثـم مضَى حتى وقف عليه ، فقال له : يـا شيخُ ، تُحِبُّ المَوْتَ ؟ قـال : لا يـا أمـير المؤمنين ، ذَهَب الشباب وشَرُّه ، وأَتَى الكِبَر وخيرُه ، فـإذا قمـتُ حَمِـدتُ ا لله ، وإذا قعدتُ ذكرتُه ، فأنا أُحِب أن تدوم لي هاتان الخَلّتان . [٣ / ١٩٧]

١٥ - دخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ مـن أشـراف قريـش ، فقـال لـه الوليد : من خَتَنَك[١] قال له : فلانٌ اليهودي ؛ فقال : ما تقول ؟ ويحك ؛ قـال : لعلّك إنما تسأل عن خَتَني يا أمير المؤمنين ، هو فلان بن فلان . [٢ / ٤٨٠]

١٦ - دخل نافع بن جُبير بن مُطْعِم[٢] علـى الوليـد ، وعليـه كِسـاء غَلِيـظ ، وخُفَّان جاسِيَان[٣] ، فسلَّم وجَلس ، فلم يَعْرفه الوليـد ، فقـال لخـادم بـين يَدَيـه : سَلْ هذا الشيخ مَن هو ؟ فسأله ، فقال له : أعْزُبْ[٤] ؛ فعـاد إلى الوليـد فأخـبره ؛ فقال : عُدْ إليه واسأله ؛ فعاد إليه ، فقال له مثل ذلك . فضحك الوليـدُ ، وقـال له : من أنت ؟ قال نافع بن جُبير بن مطعم . [٢ / ١٨٩]

١٧ - وشكا رجلٌ من بني مخزوم ديناً لَزِمه ، فقال : نَقْضيـه عنـك إن كُنـت لذلك مُسـتحقاً . قـال : يـا أمـير المؤمنـين وكيـف لا أكـون مُسـتحقاً في منـزلتي

---

(١) الختن : بالتحريك هو كل من كان من قِبَل المرأة مثل الأب والأخ ، وهو الصهر . (لسان العرب ١٣ / ١٣٨) .

(٢) نافع بن جُبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وأمه أم قتال بنت نافع بن ضريب ، وتوفي بالمدينة سنة ٩٩ هـ في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك ، وكان ثقة . ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٣) الجاس : الصلب ، الخشن . انظر المعجم الوسيط ص ١٢٢ .

(٤) أَعزَب ، وعَزَب عنه يَعزُبُ عزوباً : ذهَب . ابن منظور : لسان العرب ١ / ٥٩٦ .

وقرابتي ؟ قال : قرأتَ القرآن ؟ قال : لا ، قال : أُدْن مِنّي ، فدنا منه فنزع العِمامة عن رأسه بقَضيب في يده ، ثم قَرعه به قَرْعة ، وَقال لرجل من جلسائه : ضُمّ إليك هذا العِلْج[1] ولا تُفارقه حتى يقرأ القرآن . فقام إليه آخر[2] ، فقال : يا أمير المؤمنين : اقضي دَيني ، فقال له : أتقرأ القرآن ؟ قال : نعم . ما ستقرأه عَشْراً من الأنفال وعَشراً من براءة ، فقرأ ، فقال : نعم ، نقضي دينك وأنت أهلُ لذلك . [٤ / ٤٢٤]

١٨ - لما هدم الوليدُ كنيسة دِمشق كتب إليه ملك الروم : إنك هَدمتَ الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فإن كان صواباً فقد أخطأ أبوك ، وإن كان خطأ فما عُذْرك ؟ فكتب إليه : ﴿ **وداود وسليمان إذ يَحكمان في الحَرث إذ نَفَشَت فيه غنم القوم وكُنّا لحُكْمهم شاهدين ، فَفَهّمناها سُليمان ، وكُلاًّ آتينا حُكماً وعِلماً** ﴾[3] . [٢ / ٢٠٢]

١٩ - وأغزى الوليد بن عبد الملك جيشاً في الشتاء ، فَغَنِموا وسَلِموا ، فقال لعبّاد[4] : يا أبا حرب ، أين رأى زياد من رأينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أخطأت ، وليس كل عَوْرة تُصاب . [١ / ١٣٢]

٢٠ - قدم الوليد مكة ، فجعل يطوف البيت ، والفضل بن العباس بن عتبة ابن أبي لهب يستقى من زمزم وهو يقول :

يا أيها السائل عن عليٍّ   تسأل عن بَدرٍ لنا بذريّ

---

(١) العِلج : الرجل القويّ الضخم . (لسان العرب ٢ / ٣٢٧) .

(٢) وهو عثمان بن يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد كما يقول الطبري في تاريخه ٦ / ٤٩٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٧٨ ، ٧٩ وتكملة الآية : ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطيروكنا فاعلين ﴾ .

(٤) هو عبّاد بن زياد بن أبي سفيان ، يكنى أبو حرب ، شهد وقعة مرج راهط مع مروان ، وتوفي سنة مئة بجرود من عمل دمشق . انظر ابن منظور : (مختصر تاريخ دمشق ١١ / ٣١٥-٣١٦).

مـــردَّدٍ في المجـــد أبـــطـحـــنّ ســـائلـــةٍ غُـــرَّتُـــه مُـــضـــى

فلم يُنكر عليه أحد . [٥ / ٩١]

٢١ - وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرَّ من الطاعون : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول : ﴿ **قل لَنْ يَنْفعكم الفِرار إن فررتُم من الموتِ أو القَتْل وإذاً لا تتمنون إلا قليلاً** ﴾[1] . قال : ذلك القليل نطلب . [٣ / ١٩٣]

٢٢ - المدائنى قال : جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرّت الشمس ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن الوقت لا ينتظرك وإن الربّ لا يعذرك ، قال صدقت : ومن قال مثل مقالتك ، فلا ينبغى له أن يقوم مثل مقامك . مَنْ هاهنا من أقرب الحرس يقوم إليه فيضرب عنقه ؟ [١ / ٥٣]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٣) ذكره ابن قتيبة[2] والنويرى[3] وابن بدران[4] ويظهر في النص أن هذه الحادثة وقعت قبل استخلاف الوليد ، غير أننى لم أجد من أشار إلى أن الوليد كان والياً على دمشق نيابة عن أبيه ، ولكن ربما كان عبد الملك استخلف ابنه الوليد ، وقد خرج من دمشق لمهمة ما[5] ، مثل أداء فريضة الحج[6] ويبدو في النص نباهة الوليد وفطنته ، حيث أنه لم يتأثر بقول من ينقل إليه الأخبار عن بعض رعاياه .

النص رقم (١٤) ذكر ابن الأثير[7] والنويرى[8] والكتبى[9] نصاً قريباً منه .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ١٦ .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٢١ .

(٣) نهاية الأرب ٣ / ٢٩٩ وفيه عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك مكان الوليد .

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ١ / ٢٠٢ .

(٥) ذكر البلاذرى أن عبد الملك استخلف الوليد بن عبد الملك على دمشق عند خروجه لمحاربة مصعب ابن الزبير .

(٦) ذكر خليفة بن خياط أن عبد الملك بن مروان حج في عام (٧٥ هـ) ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٧) المصدر السابق ٤ / ٥٥٤ - ٥٥٥ .

وأشار هؤلاء المؤرخون بأن هذا الشيخ هو سعيد بن المسيب . وكان الوليد ابن عبد الملك دخل المسجد النبوى ليتفقد بناءه ، الذى وَكّل به واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز .

النص رقم (١٥) أورده جمع من المؤرخين[١] . ويظهر منه أن الوليد بن عبد الملك ضعيف في اللغة يقع منه اللحن حتى اشتهر عنه وقد حاول الوليد تعلم شيء من النحو ، حيث جمع أصحاب النحو ، وأقاموا عنده ستة أشهر ، ولكن لم تنفع هذه المحاولة[٢] .

والنص رقم (١٦) لم أجد من ذكره غير المصنف .

أما النص رقم (١٧) فقد ذكره الطبرى[٣] وفيه دليل على تشجيع الوليد الناس على قراءة القرآن وتعلمه ، وأنهم يتفاضلون بحسب ذلك .

النص رقم (١٨) أورده ابن قتيبة[٤] وابن عساكر[٥] . واستدلاله بالآية واضح في تصويب الكل وأن فعله أصوب وأحسن .

أما النص رقم (١٩) فلم أعثر على من ذكره غير المصنف .

---

(٨) المصدر السابق ٢١ / ٣٢١ .

(٩) عيون التواريخ ٤ / ٢١١ مخطوط .

(١) أبو هلال العسكرى : كتاب الصناعتين ص ١٧ وفيه اعرابى شكا إليه خَتَناً ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق المجلد ١٧ ، القسم الثانى ص ٨٤٢ ؛ أبو الفداء : تاريخ أبى الفداء ١ / ٢١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ١١ ؛ الذهبى : العبر ٤ / ١١٤ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ / ١١٦ .

(٢) ابن عساكر : المصدر السابق المجلد ١٧ ، القسم الثانى ص ٨٤٢ ، ٨٤٣ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٩٦ .

(٤) عيون الأخبار ١ / ١٩٩ .

(٥) تاريخ دمشق المجلد ١٧ ، القسم الثانى رقم ٨٤٧ ؛ انظر أحمد صفوت : جمهرة رسائل العرب ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .

النص رقم (٢٠) لم يسنده المصنف ، وذكر أبو الفرج الأصفهانى نحوه[١] ، وأن الخليفة هو سليمان بن عبد الملك بدلاً من الوليد بن عبد الملك ، وأن سليمان لما سمع شعر الفضل غضب وهم به .

ويذكر الأصفهاني بأن علاقة الفضل بالوليد كانت تتسم بالودّ والاحترام ، ولما قدم الوليدُ حاجاً إلى مكة اتصل به الفضل بن عباس بن عتبة ، فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً[٢] . والفضل نفسه كان منقطعاً إلى الوليد ، لكن لما توفى الخليفة وجاء سليمان يقال أنه لم يعامل الفضل مثل المعاملة التى كان يجدها من الوليد ، بل جفاه وحرمه من الأموال والهدايا[٣] .

النص رقم (٢١) ورد في كتاب الأمالى[٤] ولكنه نسب الفعل إلى سليمان ابن عبد الملك . وكلاهما لم يذكر سنداً يعتمد عليه .

النص رقم (٢٢) لم أجد من ذكره؛ وقد أورده المصنِّف معلقاً عن المدائنى، ولا يمكن الحكم بصحة الرواية حتى ترد بسند صحيح أو يوجد لها شواهد صحيحة .

وقد روى بعض المؤرخين : ((أن زياد بن خارجة التميمى دخل مسجد دمشق ، وقد تأخرت صلاة الجمعة إلى العصر ، فقال : والله ما بعث الله نبياً بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة ، قال : فأخذ فأُدخل الخضراء ، فقُطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك))[٥] .

---

(١) الأغانى ١٦ / ١٩٤ وفيه اختلاف بعض الأبيات الشعريّة .

(٢) الأصفهانى : الأغانى ١٦ / ١٨٨ - ١٨٩ .

(٣) الأصفهانى : المصدر نفسه ١٦ / ١٨٩ .

(٤) المرتضى : كتاب الأمالى ١ / ٢٨٤ .

(٥) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٦٦ في ترجمة زياد بن جارية ، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩ / ١٣٦ خط) ذكر سند الخبر وجادة عن الهيثم بن مروان قال : وجدت في كتاب جدى الهيثم ابن عمران العنسى ، فذكره ، وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٧٣ نقلاً عن ابن عساكر وفيه زياد بن حارثة وهو تصحيف ؛ وابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز

⇐

أسلوب المراسلات في عهده :

٢٣ - وكان رسول الله ﷺ يكتب إلى أصحابه وأمراء جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان ، وكذلك كانوا يكتبون إليه ، يبدءون بأنفسهم ، فممن كتب إليه وبدأ بنفسه : أبو بكْر ، والعلاء بن الحضرمي[1] وغيرهما ، وكذلك كتب الصحابة والتابعين ، ثم لم تزل حتى وَلِي الوليد بن عبد الملك فعظّم الكتاب وأمر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يُكاتب به بعضهم بعضاً ، فجرَت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإنهما عَمِلا بسنة رسول الله ﷺ ، ثم رجع الأمر إلى رأي الوليد ، والقومُ عليه إلى اليوم . [٤ / ١٥٨]

دراسة النص :

النص السابق ذكره المصنف من دون اسناد ، و لم أجده مسنداً ، وهو يتضمن أساليب كتابة الرسائل منذ عهد الرسول ﷺ إلى عهد الوليد . وكانت كتب الرسول ﷺ تفتتح بلفظ ((من محمد رسول الله إلى فلان)) يذكر اسمه ، ثم يذكر اسم المرسل إليه[2] ، وهكذا كانت تكتب كتب الخلفاء والصحابة والتابعين إلى عصر الوليد ، كما أورد القلقشنديّ في صبح الأعشى[3] .

الصحابة ٤ / ٩٣ في ترجمة زياد بن جارية التميمي وقال : إنه تابعي ووهم من عدّه في الصحابة . نقلاً عن الهيثم بن عمران العنسيّ . وانظر تهذيب التهذيب ٣ / ٣١٥ ويظهر أن ما في العقد " خارجة " تصحيف لاتفاق كتب التراجم على خلافه .

(١) العلاء بن الحضرمي : اسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عوف الحضرمي . كان أبوه قد سكن مكة وحالف حرب بن أمية ، واستعمل النبي ﷺ العلاء على البحرين ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . كان يقال أنه مجاب الدعوة . وتوفي سنة ٢٤هـ وقيل ٢١هـ . ابن حجر: الاصابة ٧ / ٣٨ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال ص ٢٨ - ٣٠ ؛ صبح الأعشى ٦ / ٣٧٦ - ٣٨١ .

(٣) انظر القلقشنديّ : المصدر السابق ٦ / ٣٨٣ - ٣٩١ .

فمن ذلك كتاب النبى ﷺ إلى هرقل : وهو قيصر وكان فيه : ((من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ...))[1] .

ويذكر القلقشندى أن الأمر لم يزل في المكاتبات في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف ، إلى أن ولى الوليد بن عبد الملك ، فجوّد القراطيس ، وجَلّل الخطوط ، وفّخم المكاتبات ؛ وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ، إلا عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد . فإنهما جريّا في ذلك على طريقة السلف ؛ ثم جرى الأمر بعدهما على ما سنّه الوليد بن عبد الملك ، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم[2] .

وفاته ومدة ولايته :

٢٤ - مات الوليد يوم السبت في النصف من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ، وهو ابن اربع واربعين ، وصلى عليه سليمان . [٤ / ٤٢٢]

٢٥ - كانت ولايته عشر سنين غير شهور . [٤ / ٤٢٢]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٤) أورده خليفة بن خياط بكامله[3] ، وهو موافق أيضاً لما ذكر ابن عساكر[4] ، وما نقله ابن كثير عن عمر بن على الغلاس وجماعة في تاريخ وفاة الوليد بن عبد الملك[5] .

في حين نرى أن طائفة من المؤرخين يذهبون إلى أن وفاة الوليد كانت في النصف من شهر جمادى الاخرة[6] ، ويتفقون مع السابقين في سنة الوفاة وهي

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم ١٧٧٣ ، باب : كتاب النبى ﷺ إلى هرقل ؛ وانظر أبو عبيد بن سلام : المصدر السابق ص ٣٠ . انظر القلقشندى : المصدر السابق ٦ / ٣٧٦ - ٣٨١ حيث يورد أمثلة كثيرة في مثل ذلك .

(٢) صبح الأعشى ٦ / ٣٩١ .

(٣) التاريخ ص ٣٠٩ .

(٤) تاريخ دمشق المجلد ١٧ القسم الثانى رقم ٨٥١ .

(٥) البداية والنهاية ٩ / ١٧٢ .

ست وتسعون من الهجرة . ويتفق خليفة بن خياط مع عبد ربه في عمر الوليد ٤٤ سنة[١] . بينما تباينت أقوال المؤرخين الآخرين في عمر الوليد من اثنين وأربعين سنة إلى تسع وأربعين سنة[٢] .

واختلف المؤرخون في من صلّى على الوليد بن عبد الملك :

فذكر بعضهم أن عمر بن عبد العزيز هو الذى صلى عليه[٣] . فيما ذكر الآخرون أن الذى صلّى عليه هو أخوه سليمان بن عبد الملك[٤] . وذكر ابن عساكر وابن كثير : بأن ابنه عبد العزيز بن الوليد هو الذى صلى عليه[٥] .

---

(٦) اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٢٩١ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٤٩٥ ؛ المسعودى : التنبيه ص ٢٧٤ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٩٤ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم (٨٥١) و (٨٥٢) ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٨٢ ؛ الذهبى : دول الاسلام ١ / ٦٧ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٣٥ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٧٢ ؛ ابن خلدون : التاريخ ٣ / ١٨ .

(١) خليفة : التاريخ ص ٣٠٩ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٧ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٤٩٥ ؛ المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٧٤ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٩٣ ؛ العظيمى : التاريخ ص ٩٩ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم (٨٥٠) و (٨٥١) ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٩ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٨٣ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٣٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٧٢ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٤٩٥ ؛ أبو الفداء : التاريخ ١ / ٢١٠ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم ٨٥٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٩ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٢٨٣ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٣٥ ؛ محى الدين العربى : محاضرة الأبرار ١ / ٦٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٧٢ .

(٤) خليفة : التاريخ ص ٣٠٩ ؛ ابن عساكر ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم ٨٥١ ؛ ابن كثير : البداية ٩ / ١٧٢ .

(٥) التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم ٨٥١ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٧٢ .

والصحيح أن الذى صلى عليه هو ابن عمه عمر بن عبد العزيز ؛ ورجح ذلك ابن كثير . لأن سليمان كان غائباً وقت وفاة الخليفة ، في مدينة الرملة[١] وقيل بمدينة القدس الشريفة[٢] .

بل ويقال أن خبر الوفاة وصل إلى سليمان بعد سبعة أيام من وفاته[٣] .

في حين ثبت أن عمر بن عبد العزيز هو الذى أنزل الوليد إلى قبره[٤] .

أما النص رقم (٢٥) فتتفق جميع المصادر التاريخية على أن مدة خلافة الوليد تسع سنين ، ويختلفون في عدد الأشهر الزائدة عنها[٥] .

ورواية ابن عبد ربه تجمع الأقوال كلها . وروى هشام بن محمد الكلبى أن ولايته كانت ثمان سنين وستة أشهر[٦] . وهو خلاف ما رواه الجماعة .

وقد رجح الكتبي القول الأول .

---

(١) أبو الفداء : المصدر السابق ١ / ٢١١ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٢٨٦ .

(٢) ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم ٨٥٠ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٧٢ .

(٣) أبو الفداء : المصدر السابق ١ / ٢١١ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٢٨٦ .

(٤) ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٧٢ .

(٥) خليفة : التاريخ ص ٣٠٩ ؛ أبو حنيفة الدينورى : الاخبار الطوال ص ٣٢٩ ؛ اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٢٩١ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٩ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٤٩٥ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١٦٥ ؛ التنبيه والاشراف ص ٢٧٤ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٩٤ ؛ حمزة الأصفهانى : تاريخ سني ملوك الأرض ص ١٢٦ ؛ العظيمى : التاريخ ص ٩٩ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم ٨٥١ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٨ - ٩ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٨٣ .

(٦) الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٤٩٥ .

٤ - سليمان بن عبد الملك بن مروان (٩٦ - ٩٩ هـ) .

مولد سليمان بن عبد الملك :

١ - ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة في بنى حُدَيْلَة[١] . [٤ / ٤٢٥]

دراسة النص :

هذا النص موافق لما ذكره خليفة بن خياط[٢] وابن كثير[٣] .

و لم اطلع على خلاف ذلك عند عامة المؤرخين .

صفاته ونشأته :

٢ - وكان سليمان فصيحاً جميلاً وسيماً ، نشأ بالبادية عند أخواله بنى عَبْس . [٤ / ٤٢٥]

دراسة النص :

النص السابق ذكره المصنف من غير إسناد ، وهو يشتمل على أمرين :

أولهما : كون سليمان بن عبد الملك فصيحاً جميلاً ، وهو ما تؤكده أغلب المصادر التاريخية والأدبية[٤] .

وينقل المسعودى : أنه كان بليغاً يحسن العربية ، كثير الأدب[٥] .

ويقول ابن كثير : ((كان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً ، حسن الوجه مقرون الحاجبين))[٦] .

---

(١) حُدَلة : - مصغر - محّلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٢٦٨) .

(٢) تاريخ خليفة ص ٣١٧ .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٨٥ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٠ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٢٩ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣١٧ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٠ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٣ ؛ الذهبى : دول الإسلام ١ / ٦٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٩١ .

(٥) الاشراف والتنبيه ص ٢٧٥ ؛ انظر ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٩١ .

(٦) المصدر السابق ٩ / ١٩١ .

وثانيهما : نشأته بالبادية عند أخواله بني عبس . وهذا موافق لما ذكره ابن قتيبة(١) .

وذكر علماء النسب والمؤرخون بأن : أم الوليد ولادة بنت العباس بن جزء ابن الحارث بن زهير بن جذِيمة العَبْسى(٢) .

أولاد سليمان :

٣ - أيوب ، وأمه أم ابان بنت الحكم بن العاص ، وهو أكبر وَلد سليمان وولىّ عهده ، فمات في حياة سليمان ، وله يقول جرير :

إن الإمام الذي ترجى فواضله ... بعد الإمام ولي العهد أيّوب

عبد الواحد ، وعبد العزيز ، أمهما أم عامر بنت عبد الله بن خالد بن أسيد . وفي عبد الواحد يقول القَطامىّ :

أهل المدينة لا يحزنك حالُهم ... إذا تخطأ عبد الواحد الأجلُ

قد يدرك المتأنّى بعض حاجته ... وقد يكون مع المُستعجل الزَّلل

[٤ / ٤٢٦]

دراسة النص :

النص رقم (٣) يتضمن عدداً من أولاد سليمان مثل :

أيوب ، وأمه : أم أبان بنت الحكم بن أبى العاص كما ذكر ذلك صاحِب نسب قريش ، وابن منظور(٣) .

وعبد الواحد بن سليمان ، وأمه : أُمّ عمرو بنت عبد الله بن خَالد بن أسيد ابن أبى العيص(٤) .

---

(١) المعارف ص ٣٦٠ ؛ وانظر الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٣١٧ مخطوط .

(٢) انظر مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٦٢ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٩١ ، ٢٥١ ؛ خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٩٩ ؛ العظيمى : تاريخ حلب ص ٩٨ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، المجلد ١٧ القسم الثانى رقم ٨٤٠ ، ٨٤٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٦٨ .

(٣) مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٦٥ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٥ / ١١٩ .

(٤) مصعب الزبيرى : المصدر نفسه ص ١٦٦ .

ولم أجد ابنٌ لسليمان يقال له عبد العزيز .

ولسليمان بن عبد الملك أولاد آخرون لم يذكرهم ابن عبد ربه مثل :

يزيد ، والقاسم ، وسعيد ، وأمهم : أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ؛ ويحيى ، وعبيد الله وأمهما : عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان ؛ والحارث ، وعمرو ، وعمر ، وعبد الرحمن ، وداود ، لأمهات أولاد شتّى[1] .

وأضاف ابن حزم : محمد ، وإبراهيم[2] .

وفاة أيوب بن سليمان :

٤ - دخل زياد بن عثمان بن زياد[3] على سليمان بن عبد الملك وقد تُوفي ابنه أيّوب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الرحمن بن أبى بكر[4] كان يقول : من أحبّ البقاء - ولا بقاء - فَلْيُوطِّن نفسه على المصائب . [٣ / ٣٠٩]

٥ - قال بعض الحكماء لسليمان بن عبد الملك لما أُصِيب بابنه أيّوب : يا أمِيرَ المؤمنين ، إن مثلك لا يُوعَظ إلا بدون عِلْمه ، فإن رأيتَ أن تُقدِّم ما أخَّرت العَجَزة من حُسن العَزاء والصَّبر على المُصيبة فتُرضِي ربَّك وتُريح بدنك ، فافعل . [٣ / ٣١١]

---

(١) مصعب الزبيرى : المصدر السابق ص ١٦٦ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) ابن حزم : المصدر نفسه ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) هو زياد بن عثمان بن زياد المعروف بأبى سفيان النصرى . حدَّث عن عمه عبّاد بن زياد ، وعبد الرحمن بن أبى بكرة ابن عم أبيه لأمه وكان مع سليمان بن عبد الملك ، وعزاه بابنه أيوب حين مات . (انظر : ابن عساكر : تاريخ دمشق ١٩ / ٢٠٩ ؛ وانظر ابن العديم : بغية الطلب ٩ / ٣٩٣٢ - ٣٩٣٣) .

(٤) هو عبد الرحمن بن أبى بكرة الثقفىّ ، يكنى أبا بحر ، وقيل أبا حاتم ، ولد في خلافة عمر فكان أول من ولد بالبصرة ، كان جواداً ، مُمَدّحاً ، ثقة ، وتوفى سنى ست وتسعين ، وكان ثقة . (الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤ / ٣١٩ - ٣٢٠) (٤١١ - ٤١٣) .

٦ – لما مات أيوب وليّ عهد سليمان بن عبد الملك قال ابـن عبـد الأعلـى[1] يرثيه ، وكان من خواصه :

ولقد أقول لـذى الشّـماتة إذ رأى جَزَعى ومَن يذق الحودات يجزع
أبشر فقد قَـرع الحـوادث مَروَتـى وأفـرَح بمَروتـك التـى لم تُقـرع
إن عِشـتَ تفجَـع بالأحبّـة كُلّهـم أو يُفجعوا بك إن بهم لم يُفجَـع
أيوبَ مـن يَشْمَت بموتك و لم يُطق عـن نَـفسه دَفـعاً وهـل مِن مَدْفع

[٤ / ٤٢٦]

٧ – قال عبد الرحمن بن أبى بكر لسليمان بن عبد الملك يُعزِّيه في ابنه أيـوب وكان وليّ عهده وأكبر ولده : يا أمير المؤمنين ، إنه من طال عمـره فَقَـد أحبّتـه ، ومن قَصَّر عُمره كـانت مصيبتـه في نفسـه . فلـو لم يكـن في مـيزانك لكُنـتَ في ميزانه . [٣ / ٣٠٣]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة تحكى عن وفاة أيوب بن سليمان ، وعزاء الناس للخليفة .
وكانت وفاة أيوب هذا في حياة أبيه سنة (٩٨ هـ)[2] .
وكان أبوه قد رشحه لولاية العهد[3] من بعده لذلك جزع لِوفاته[4] مع حبّه له .
وما جاء في النص رقم (٤) أورده المدائنى في كتابه التعازى والمراثى[5] ،

---

(١) ابن عبد الأعلى : لم أجد له ترجمة .

(٢) مصعب الزبيرى : نسـب قريش ص ١٦٥ ؛ ابـن قتيبـة : المعـارف ص ٣٦١ ؛ الطبرى : تـاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٤٥ ؛ ابـن منظـور : مختصـر تـاريخ دمشـق ٥ / ١١٩ – ١٢٠ ؛ النويـرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٣ .

(٣) مصعب الزبـيرى : المصـدر السـابق ص ١٦٥ ؛ ابـن منظـور : المصـدر السـابق ٥ / ١١٩ ؛ ابـن قتيبة : المعارف ص ٣٦١ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٣٢ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٥ / ١٢٠ .

(٤) المدائنى : كتاب التعازى والمراثى ص ٤٠ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٥ / ١٢٠ ؛ ابن كثـير : البداية والنهاية ٩ / ١٨٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤٠ .

وابن عساكر في تاريخه[١] ، ونقله السيوطى[٢] .

وأورد المدائنى رواية أخرى من قول خالد بن يزيد بن بشار : ((من أن سليمان بن عبد الملك جزع على ابنه أيوب ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أن امرأ حدّث نفسه بطول البقاء ، ولها عن الأحداث ، لعازب الرأى وكان ذلك قد عرف في سليمان[٣] .

أما النصوص (٥ ، ٦ ، ٧) لم أجد من ذكرها غير المصنف .

بيعته وخلافته وخطبته :

٨ - أبو الحسن المدائنى : بُويع سليمان بن عبد الملك في ربيع الأول سنة ست وتسعين . [٤ / ٤٢٤]

٩ - وكانت ولايته يُمناً وبركة ، افتتحها بخير وختمها بخير . فأما افتتاحُه فيها بخير فردَّ المظالم ، وأخرج المسجونين ، وبغزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية .

وأما ختمها بخير ، فاستخلافه عُمر بن عبد العزيز . [٤ / ٤٢٥]

١٠ - قال[٤] : الحمد لله ، ألا إن الدُّنيا دار غُرور ، ومنزل باطل ، تُضحِك باكياً ، وتبكى ضاحِكاً ، وتُخيف آمناً ، وتُؤمِن خائفاً ، وتُفقِر مُثرياً ، وتُثرِى مُقتِراً ، مَيَّالة غَرَّارة ، لعّابة بأهلها .

عباد الله فاتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضُوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما كان قبلَه ، ولم ينسخه كتابٌ بعده . واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يَجْلو كيدَ الشيطان ، كما يجلو ضوء الصُّبح إذا تنفّس ، ظلام الليل إذا عَسْعس . [٤ / ٩١ - ٩٢]

(١) تاريخ دمشق ١٩ / ٢٠٩ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢١٢ .

(٣) كتاب التعازى والمراثى ص ٤٠ .

(٤) أي سليمان في خطبته .

دراسة النصوص :

النص رقم (٨) موافق لما أورده المؤرخون ما عدا تحديد الشهر ، حيث يرون أن بيعته كانت في شهر جمادى الآخرة ، بدلاً من ربيع الأول[١] .

ويذكر الطبرى : أن سليمان بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفى فيه الوليد ، وهو بالرملة[٢] .

وقد حدد الطبرى يوم وفاة الوليد في النِّصف من جمادى الآخرة سنة (٩٦ هـ) وروى ذلك عن جميع أهل السير[٣] .

وأما النص رقم (٩) فذكره ابن قتيبة بأكمله[٤] ، وأضاف : ((ورَدّ المُسيَّرين ، وأخرج المسجونين الذى كانوا بالبصرة)) ((وكان الناس يتفائلون في مجيىء سليمان بن عبد الملك إلى الخلافة حيث كانوا يقولون : سليمان مفتاح الخير ، ذهب عنهم الحجاج . فوُلِّى سليمان ، فأطلق الأسارى ، وخلّى أهل السجون ، وأحسن إلى الناس))[٥] .

وأغزى أخاه مسلمة الصائفة ، حتى بلغ القسطنطينية بتجهيز منه[٦] لأنه بلغه خبر خروج الروم على ساحل حِمْص وسَبَوْا جماعة ، فغضب من ذلك وحلف

---

(١) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٢٩ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٩٣ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١٨٣ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٣٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٨٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٧٣ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٠٥ . والرملة : مدينة في فلسطين . انظر : معجم البلدان ٣ / ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه ٦ / ٤٩٥ .

(٤) المعارف ص ٣٦٠ .

(٥) الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٥٤٦ عن طريق على بن محمد ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٣٧ .

(٦) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٣ ؛ اليعقوبى : المصدر السابق ٢ / ٢٩٩ ؛ ابن قتيبة : المصدر السابق ص ٣٦٠ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٥٤٦ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٤٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٨١ .

قائلاً ((وا لله لأغزُونّهم غزوةً أفتتح فيها القسطنطينية ، أو أموت دون ذلك))[١].

ولم يزل مسلمة محاصراً للقسطنطينية محاولاً فتحها حتى توفي سليمان بن عبد الملك[٢] .

وأحيا الصلاة إلى مواقيتها[٣] وأمر الناس بذلك قائلاً : ((إن الصلاة كانت قد أميتت فأحْيوها وردّوها إلى وَقْتِها))[٤] .

أما ولاية العهد لعمر بن عبد العزيز الإمام العادل واستخلافه -كما سيأتي في موضعه- فلا شك أنها كانت مسك الختام لخلافته[٥]ولذلك لقب مفتاح الخير[٦] .

وكان محمد بن عليّ شافع[٧] يقول : إني لأرجو أن يدخل ا لله سليمان بن عبد الملك الجنة باستعماله عمر بن عبد العزيز[٨] .

النص رقم (١٠) أورده ابن قتيبة[٩] والمسعودي[١٠] . ونقله ابن العماد[١١] وابن كثير[١٢] . وأورد الجاحظ جزءاً منه[١٣] .

---

(١) الصفدي : المصدر السابق ١ / ١٤٠ .

(٢) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ٣٦٠ ؛ الصفدي : المصدر السابق ١ / ١٤١ .

(٣) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٥ .

(٤) الصفدي : المصدر السابق ١ / ١٤٠ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٤٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٣٧ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ١٠ / ١٧٥ .

(٦) ابن منظور : المصدر السابق ١٠ / ١٧٥ .

(٧) محمد بن علي شافع بن السَّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم المطلبيُّ المَكِّيّ ، روى عنه الإمام محمد بن ادريس الشافعي وقال ثقة . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩ / ٣٠٥ - ٣٠٦) .

(٨) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ١ / ٥٩٣ باسناد حسن . انظر ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ٥١ .

(٩) عيون الأخبار ٢ / ٢٤٧ .

(١٠) مروج الذهب ٣ / ١٨٤ .

(١١) شذرات الذهب ١ / ١١٦ نقلاً عن المسعودي .

(١٢) البداية والنهاية ٩ / ١٨٦ .

ويبدو أن هذه الخطبة خطبها سليمان بن عبد الملك عقب وفاة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك حيث صعد المنبر ، ثم بعد الخطبة دخل عليه الناس فبايعوه بالخلافة[١] .

وهذه الخطبة جزلة المعانى تدل على أن سليمان كان ورعاً تقياً محباً للعدل ، شديد الاحساس بالمسئولية ، كما اثبتت ذلك سيرته العملية[٢] .

سماحة سليمان بن عبد الملك :

١١ - المدائنى قال : كان يزيد بن راشد[٣] خطيباً ، وكان فيمن دعا إلى خَلْع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد[٤] فنذر سليمان قطع لسانه فلما أفضت الخلافة إليه دخل عليه يزيد بن راشد ، فجلس على طَرَف البساط مُفكِّراً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كُن كنبيّ الله ﷺ ، ابتُلى فصَبر ، وأُعطِى فشكر ، وَقَدرَ فغَفر ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : يزيد بن راشد فعفا عنه .
[٢ / ١٦٠ - ١٦١]

١٢ - محمد بن سليمان[٥] قال : فعل سليمان في يوم واحد ما لم يفعله عمر ابن عبد العزيز في طول عمره : أعتق سبعين ألف ما بين مملوك ومملوكة وبتّهم ، أي كساهم . والبَتُّ : الكسوة . [٤ / ٤٢٥]

١٣ - قال خالد بن عبد الله[٦] ، لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه : يا أمير المؤمنين ، إن القُدرة تُذهب الحفيظة ، وأنت تجلّ عن العُقوبة ، ونحن مُقرّون

---

(١٣) البيان والتبيين ١ / ٣٠٤ ابتداءً من : « فاتخذوا كتاب الله إماما » .

(١) المسعودى : المصدر السابق ٣ / ١٨٦ .

(٢) انظر دكتور عبد الشافى محمد عبد اللطيف : العالم الاسلامى في العصر الأموى ص ١٦٢ .

(٣) يزيد بن راشد : لم أجد له ترجمة حتى الآن .

(٤) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، أمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أراد أبوه الوليد أن يجعله ولى عهده بدلاً من سليمان ، ولكنه لم يتمكن ذلك ، وتولى على امرة دمشق في أيام أبيه . صلاح الدين المنجد : معجم بنى أمية ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٥) لم استطع تمييزه بغيره لعدم استكمال نسبه .

بالذنب ، فإن تعف عنى فأهل ذلك أنت وإن تعاقبنى فأهْل ذلك أنا .

[٢ / ١٥٦]

دراسة النصوص :

النص رقم (١١) لم أجد من أشار إليه من المؤرخين . ومحاولة خلع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد في حياة الوليد بن عبد الملك ذكرها المؤرخون[١] .

وكان الوليد بن عبد الملك قد أراد عمر بن عبد العزيز على خلع سليمان فقال عمر : يا أميرَ المؤمنين إنما بايعنا لكما في عقدة واحدة فكيف نخلفه ونتركك[٢] .

وإذا ثبتت رواية ابن عبد ربه السابقة ففيها دليل على سماحة سليمان بن عبد الملك وعفوه ، ورغم مقدرته على الانتقام وانزال العقوبة على من أساء إليه إلاّ أنه لم يفعل ذلك .

أما النص رقم (١٢) فلم أجد من ذكره غير النويرى[٣] .

وفي النص مبالغة ظاهرة في العدد ، لكن دلالته على سخاء سليمان وسماحته ظاهرة .

والنص رقم (١٣) ذكر المسعودى مثله[٤] .

وكان سليمان بن عبد الملك غاضباً على خالد بن عبد الله القسرى ، غير أنه لما استعطفه واسترحمه عفا عنه[٥] . وهذا في غاية النبل والسماحة .

---

(٦) انظر ترجمته في الفصل الثانى للأمراء .

(١) الطبرى : التاريخ ٦ / ٤٩٨ - ٤٩٩ ؛ الفسوى : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٢) الفسوى : المصدر السابق ١ / ٦٠٦ .

(٣) نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٣ .

(٤) مروج الذهب ٣ / ١٩٠ .

(٥) المسعودى : المصدر نفسه ٣ / ١٩٠ .

عماله وولاته :

١٤ - كاتِبُ سليمان بن عبد الملك : عبد الحميد الأصغر[١] . [٤ / ١٦٥]

١٥ - قال الأصمعي : وَلى سليمان بن حبيب المحاربى[٢] قضاء دمشق لسليمان بن عبد الملك . [١ / ٢٢]

١٦ - دخل يزيد بن أبى مسلم[٣] على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : على امرئ أوطأك رَسَنك وسلَّطك على الأمة لعنةُ الله ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، وإنك رأيتنى والأمر مُدبر عنّى ، ولو رأيتنى والأمر مُقبل عليّ لَعَظُم فى عَيْنيك ما استصغرت منّى ؛ قال : أتظن الحجاج استقرّ في قَعْر جهنم أم هو يَهْوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه من النار حيث شِئت . [٤ / ٣٣] ونحوه [٤ / ٤٢٧] ونحوه [٢ / ١٧٥]

١٧ - لما وَلى سليمان بن عبد الملك ، كتب إلى عامله بالأردن : اجمع يدى عدىّ بن الرُّقاع[٤] إلى عنقه وابعث به إلىّ على قتب[٥] بلا وِطَاء ، وَوَكِّل به مَن يَنْخُس به ؛ ففعل ذلك . فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك ألقى بين يديه وهو لقى لا حَراك فيه ولا رُوح ، فتركه حتى ارتدَّ إليه روحه ، ثم قال له : أنت

---

(١) عبد الحميد الأصغر : هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد الانبارى ، العلامة البليغ ، أبو يحيى الكاتب ، تلميذ سالم مولى هشام بن عبد الملك سكن الرقة ، وكتب الترسُّل لمروان الحمار . انظر : (الذهبى : سير أعلام ٥ / ٤٦٢) .

(٢) سليمان بن حبيب المحاربى ، سبقت ترجمته في مبحث عمال الوليد بن عبد الملك .

(٣) يزيد بن أبى مسلم : أبو العلاء الثقفى مولاهم ، تولى كتابة الحجاج ، كما تولى ولاية افريقية في عصر يزيد بن عبد الملك ، ويقال أنه كان دميماً قصيراً ، كما يقال أنه كان صغيراً خارجياً . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥ - ١٧) .

(٤) عدىّ بن الرُّقاع العاملى الشاعر ، مدح الوليد بن عبد الملك ، وهاجى جرير بن الخطفى . وقيل : كان أبرص وكان آية في الشعر . انظر : (الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٠) .

(٥) قتب : رحل صغير على قدر سنام الإبل (اللسان ١ / ٦٦١) .

أهلٌ لما نزل بك ، ألستَ القائلُ في الوليد :

معاذ رَبِّىَ أن نَبقَى ونَفقِده وأن نكون لداعٍ بَعدهم تَبَعَا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قلتُ ، وإنما قلت :

مَعاذَ رَبِّىَ أن نَبقَى ونَفْقِدهم وأن نكونَ لراعٍ بَعْدهم تَبَعاً

فنظر إليه سليمان واستضحك ، ثم أمر له بصِلَة وخلَّى سبيلَه . [٢ / ١٧٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٤) لم أجد من ذكر أن عبد الحميد الأصغر كان كاتباً لسليمان .

وذكر المؤرخون أن أشخاصاً آخرين كانوا يكتبون لسليمان مثل : ليث بن أبى رقيه مولى أم الحكم بنت أبى سفيان وسليمان بن سعد مولى خشين ، وعبد الله بن عمرو بن الحارث مولى بنى عامر بن لؤى[١] وسليم بن نعيم الحميرى ، ونعيم بن سلامة ، وعبد الله بن عمرو بن الحارث[٢] ويزيد بن المهلب ، والمفضل عم عبد العزيز بن الحارث بن الحكم[٣] .

النص رقم (١٥) ذكر الطبري ما يوافقه ، من أن سليمان بن حبيب المحاربي كان يتولى قضاء دمشق أيام سليمان بن عبد الملك[٤] .

والنص رقم (١٦) أورد الجاحظ[٥] والمسعودي[٦] مثله وذكره اليعقوبي[٧] بنحوه .

---

(١) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣١٩ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٤٨ .

(٢) الجهشيارى : المصدر السابق ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٤ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٤٦ .

(٥) البيان والتبيين ١ / ٣٩٥ .

(٦) مروج الذهب ٣ / ١٨٦ - ١٨٧ .

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٩٥ .

كما ذكر الجهشياري الشطر الأخير من النص ، مما يتعلق بشأن الحجاج[١] .

وهذه الكتب كلها لا تذكر الإسناد وإنما تروي الأخبار مرسلة ، وفي النص ألفاظ منكرة وقد كان الحجاج استخلف يزيد بن أبي مسلم على خراج البصرة فأقره الوليد بعده[٢] .

النص رقم (١٧) لم أجد من ذكره ، وذكره المصنف من غير إسناد . وفيه قسوة ظاهرة ولكن لعله لا يصح .

قصص في مجالسه :

١٨ - دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين إني مُكلِّمك بكلام فاحتَمِله إن كرهته ، فإن وراءه ما تُحبُّ إن قبلتَه ؛ قال : هات يا أعرابيّ ؛ قال : إني سأطلق لساني بما خُرستْ عنه الألْسُنْ من عِظتك تأدية لحق الله تعالى وحقِّ إمامتك ، إنه قد أكتنفك رجالُ أساؤوا الإختيار لأنفسهم فابتاعوا دُنياك بدينهم ، ورضاك بسُخْط ربهم ، خافُوك في الله و لم يخافوا الله فيك ، فهم حَرْب للآخرة ، سِلْم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالاً ، والأمانةَ تضْييعاً ، والأُمة عَسْفاً[٣] وخسفاً[٤] ، وأنت مَسْئول عما اجترحوا ، وليسوا مَسْئولين عما اجترحتَ ، فلا تُصْلح دُنياهم بفساد آخرتك ، فإنّ أخْسَرَ الناس صَفْقةً يوم القيامة ، وأعظَمَهم غَبْناً مَن باع آخرتَه بدُنيا غيره .

قال سليمان : أما أنت يا أعرابيّ فقد سَلَلْتَ لسانك وهو أحدّ سيفيك .

قال : أجلّ يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك . [٣ / ١٦٦]

---

(١) الوزراء والكتاب ص ٥١ .

(٢) النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٣٢ .

(٣) العسف : الظلم . (اللسان ٩ / ٢٤٥) .

(٤) الخسف : الظلم . (اللسان ٩ / ٦٨) .

١٩ - حضر سُفْرَة سليمان أعرابيّ ، فنظر إلى شَعَرة في لُقْمة الأعرابي ، فقال : أرى شعرة في لُقْمتك يا أعرابيّ ؛ قال : وإنّك لتُراعيني مُرَعاة من تُبْصِرُ الشَّعرة في لُقمتي ، وا لله لا وَاكلتُك أبداً ، فقال استرها عليّ يا أعرابي ، فإنها زلّة ولا أعود إلى مثلها أبداً . [٣ / ٤٨٨]

٢٠ - حضر أعرابي سُفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمرّ إلى ما بين يديه[١] ، فقال له الحاجب : مما يَلِيك فكُلْ يا أعرابيّ ؛ فقال : مَن أجْدَب[٢] انتجع . فشَقّ ذلك على سُليمان ، فقال للحاجب : إذا خرج عنَّا فلا يَعُد إلينا . وشهد بعد هذا سُفْرَته أعرابيّ آخر ، فمرّ إلى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يليك فكُلْ يا أعرابيّ ؛ قال : من أخصَبَ[٣] تَخيَّر ، فأعجب ذلك سليمانَ ، فقرَّبه وأكرمه وقَضى حوائجه . [٣ / ٤٨٤ - ٤٨٥]

٢١ - وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتي بالفالوذج[٤] جعل يُسرِعُ فيه ، فقال سليمان : أتدري ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، إني لأجد ريقاً هنيئاً ومُزْدَرَداً ليّناً[٥] ، وأظنه الصراطَ المُستقيم الذي ذَكره ا لله في كتابه . قال : فضحك سليمان ، وقال : أزيدك منه يا أعرابي ، فإنهم يذكرون أنّه يزيد في الدماغ ؟ قال : كذَبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسُك مثلَ رأس البَغْل . [٣ / ٤٨٨]

---

(١) وفي كتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي ص ٩٩ : فجعل يمدُّ يديه .

(٢) من أجدب انتجع : الجدب : فله المرعى والإنتجاع . البحث عن المكان المرع وهو مثل يقال عند الجدب ، والقحط . (المعجم الوسيط ص ١٠٩) .

(٣) أخصب : يقال أخصب القوم إذا أمرعت بلادهم وكثر طعامهم وشرابهم . (المعجم الوسيط ص ٢٣٧) .

(٤) الفالوذج : حلواءُ تعمل من الدقيق والماء والعسل . (المعجم الوسيط ص ٧٠٠) .

(٥) مزدَرَداً : الإزدراد : هو البلع .

٢٢ - دخل الفَرَزدقُ على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهَّم له كأنه لا يعرفه ؛ فقال له الفرزدق :

وما تَعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ؛ قال : أنا من قوم منهم أوفى العَرب ، وأسود العرب ، وأجود العَرب ، وأحلم العَرب ، وأفرَس العرب، وأشْعر العرب ؛ قال : وا لله لتُبيِّنَنَّ ما قُلتَ أو لأوجَعنّ ظهرَك ؛ ولأهْدِمَنْ دارك ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أما أوفى العرب ، فحاجبُ بن زُرَارة[1] ، الذي رَهنَ قَوْسه عن جميع العرب فوَفّى بها ، وأما أسود العرب ، فقيس بن عاصم[2] ، الذي وفد على رسول ا لله ﷺ فبَسط له رِداءه ، وقال : هذا سيّد الوبر ؛ وأما أحْلم العَرب ، فعَتّابُ بن وَرْقاء الرِّياحيّ[3] ؛ وأما أفرس العرب ، فالحَريش بن هِلال السَّعْدي[4] ؛ أما أَشْعَر العرب ، فأنذا بين يَدَيك يا أمير المؤمنين ، فاغْتَنّم سليمان مما سَمِع من فَخرِه و لم يُنكِره وقال : ارجع على عَقِبَيك ، فمالك عندنا شيء من خَيْر . فرجع الفرزدق وقال :

أتينا لا مِن حاجة عَرضت لنا إليك ولا من قِلّة مُجاشِع[5]

[٢ / ١٩٣ - ١٩٤]

٢٣ - كان سليمان بن عبد الملك مفرط الغَيرة ، فسمع مغنّياً في عسكره . فقال : اطلبوه ، فجاؤوا به . فقال له : أعِد ما تغنّيت به . فأعاد واحتفل .

---

(١) حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، كان يعتبر أكثر العرب فداءاً حيث فدى نفسه بألف بعير كما يعتبر أوفى العرب حيث رهن قوسه عن جميع العرب عند كسرى وذلك أن يأذن كسرى بمجاورة العرب عنده لجذب أصابهم فوفى الحاجب بذلك (المعارف ص ٥٥٥ ، ٦٠٨ ، ٦٥١) .

(٢) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر ، يكنى أبا علي وكان شريفاً سيداً وكان له أبناء كثيرين أوصل بعضهم ثلاث وثلاثين . انظر ابن قتيبة : المعارف ص ٣٠١ .

(٣) عتاب بن ورقاء الرياحيّ : يكنى أبا ورقاء ، كان من أجود العرب كثير الجهاد ، فتتح الري وولي أصبهان وتوفي في عهد عبد الملك . ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠٥ .

(٤) الحَريش بن هلال : لم أجد له ترجمة .

(٥) مجاشِع : اسم رجل من بني تميم وهو مجاشع بن دارم . (اللسان ٨ / ٤٩) .

فقال لأصحابه : والله لكأنها جَرْجرة[1] الفحل في الشَّول[2] ، وما أحسب أُنثى تسمع هذا إلا صَبَتْ إليه ثم أمر به فَخُصي .

[٦ / ٥٠] بنحوه [٦ / ٢٤]

٢٤ - حج سليمان بن عبد الملك ، فلما قَدِم المدينة للزيارة بعث إلى ابن حازم الأعرج[3] وعنده ابن شهاب[4] ، فلما دخل ، قال : تكلّم يا أبا حازم .

قال : فيم أتكلّم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في المَخرج من هذا الأمر ؛ قال : يَسيرٌ إن أنت فعلتَه ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلاّ من حِلِّها ، ولا تَضَعْها إلا في أهلها ؛ قال : ومن يَقْوى على ذلك ؟ قال : مَن قَلَّدَه الله من أمر الرعيّة ما قلّدك .

قال : عِظْني يا أبا حازم ؛ قال : أعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بموْت من كان قَبلَك ، وهو خَارجٌ من يديك بمثل ما صار إليك .

قال : يا أبا حازم ، أشِرْ عليَّ ؛ قال : إنما أنت سُوق فما نفق عندك حُمِل إليك من خير أو شرّ ، فاشتر أيَّها شِئتَ .

---

(١) الجرجرة : صوت البعير عند الضجر . (اللسان ٤ / ١٣١) .

(٢) الشَّول : جمع شائلة وهي من الإبل التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها به .

انظر : (لسان العرب ١١ / ٣٧٤) .

(٣) أبو حازم الأعرج : هو سلمة بن دينار . مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة وكان أعرج ، وكان يقص في مسجد المدينة ، وكان له حمار يركبه إلى المسجد ، وتوفي في خلافة أبي جعفر سنة (١٤٠ هـ) . انظر : (ابن قتيبة : المعارف ص ٤٧٩) .

(٤) ابن شهاب : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري المدني العلامة وكان من أعلم الناس في المدينة . وتوفي سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة عن عمر يناهز اثنتين وسبعين سنة . انظر : (الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٢٦ - ٣٥٠) .

قال : مالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع بإتيانِك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدنيتني فتنتني ، وإن أقصيتني أخْزيتني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عِندي ما أخافُك عليه .

قال : فارفع إلينا حاجتك ؛ قال : قد رفعتُها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قَبلتُ ، وما منعني منها رضيتُ . [٣ / ١٦٣ - ١٦٤]

٢٥ - قال سليمان بن عبد الملك لِعَدّي بن الرِّقاع[1] : أنشدني قولك في الخمر .

كُميت[2] إذا شُجَّت وفي الكأس وَرْدَةٌ لها في عِظام الشاربين دَبيبُ
تُريك القذى من دُونها وهي دونه لِوَجْه أخيها في الإنَاء قُطُوبُ

فأنشده . فقال له سليمان : شربتها وربِّ الكعبة ؛ قال عديّ : والله يا أمير المؤمنين ، لئن رابك وَصْفي لها قد رابتني مَعرِفتُك بها . فتضاحكا وأخذا في الحديث . [٤ / ٣٥ - ٣٦]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٨) أورده ابن قتيبة[3] والمسعودي[4] و لم يذكرا إسناداً وكذلك المصنف .

ويظهر فيه أن القوم كانوا حريصين على مناصحة حكامهم ، وأن الحكام كانوا حريصين على مناصحة رعيتهم بصدر رحب ، وهذا الذي صان مجتمعهم من الرذائل ورفع شأنهم بين الأمم .

النص رقم (١٩) لم أجد من أشار إليه .

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) المكيت : الخمر التي فيها سوادٍ وحُمْرة . (اللسان ٢ / ٨٢) .

(٣) عيون الأخبار ٢ / ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٤) مروج الذهب ٣ / ١٨٨ .

وهو طرفة من الطرف ربما تكون موضوعة ، وعلى فرض صحتها ، ففيه نصيحة الخليفة لضيفه ، مع أن الأعرابي أساء فهمها .

النص رقم (٢٠) ذكره ابن الجوزي في كتاب أخبار الأذكياء كاملاً[١] من غير أن يسنده .

وفيه كرم الخِليفة ، وقيام حاشيته بتعليم الآداب الإسلامية لغيرهم ، وخاصة فيما يتعلق بآداب الطعام .

النص رقم (٢١) أورد ابن منظور نصاً مشابهاً له[٢] .

وزاد فيه : " فضحك سليمان " .

وذكره ابن كثير مختصراً[٣] .

وأورد الجاحظ وابن قتيبة رواية قريبة منه ، وهي ((أن رجلاً تغدى عند سليمان وهو يومئذ ولي عهدٍ وقُدّامة جذي ، فقال له سليمان : كُحْل من كُلْيتهِ فإنها تزيد في الدّماغ ؛ فقال : لو كان هذا هكذا كان رأس الأمير مثلَ رأس البغل))[٤] .

وذكر ابن عساكر نصاً قريباً منه ولكن عن عبد الملك[٥] وهذه الكتب كلها تهتم بالطرف والحكايات بصرف النظر عن صحة وقوعها . وفي النص ألفاظ فيها نكارة .

---

(١) أخبار الأذكياء ص ٩٩ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٧ .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٨٨ نقلاً عن الشافعي .

(٤) البيان والتبيين ٢ / ٢٣٨ ؛ عيون الأخبار ٢ / ٤٨ .

(٥) تاريخ دمشق ٣٧ / ١٤٥ بسند فيه أبو محمد بن طاوس ، أنا أبو القاسم بن أبي العلاء ، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز البقّال العُكـبَري ، نا أبو بكر الباغندي ، حدثني عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي ، نا أبو حفص القديري قال :

النص رقم (٢٢) لم أجد من ذكره ، ولكن بعض ما تضمنه له شواهد مذكورة في كتب الأدب وقصص العرب ، ومن ذلك قوله : ((أو في العرب حاجب بن زرارة ، الذي رهن قوسه عن جميع العرب فوَفّى بها)) .

أشار إلى ذلك ابن قتيبة في المعارف[١] .

وقوله : ((أسود العرب قيس بن عاصم ، الذي وفد على رسول الله ﷺ فبسط له رداءه ، وقال : هذا سيّد الوبر)) أورد ابن سعد في طبقاته أن قيس بن عاصم كان من ضمن رؤساء بني تميم الذين وفدوا على رسول الله ﷺ ... وأن رسول الله ﷺ قال في قيس بن عاصم : هذا سَيّدُ أهل الوَبَر[٢] .

وذكر ابن قتيبة : أن قيس بن عاصم قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم بَعد فتح مكة ، فأسلم . وقال رسول الله ﷺ فيه : ((سيد أهل الوبر))[٣] .

وقوله : ((أحلم العرب عتّاب بن ورقاء الرياحيّ)) .

نعته ابن قتيبة بصفة غير هذه ، وقال : ((كان من أجود العرب))[٤] .

أما النص رقم (٢٣) أورد المبرد مثله[٥] .

وذكر بعض المؤرخين والأدباء نصوصاً قريبة منه[٦] .

وتشير المصادر إلى أن سليمان كان غيوراً ، شديد الغيرة ، لذلك أمر بخصي أحد المغنيين[٧] .

---

(١) المعارف ص ٦٠٨ .

(٢) الطبقات الكبرى ١ / ٢٩٤ ، ١٦١ .

(٣) المعارف ص ٣٠١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤١٥ .

(٥) الكامل في اللغة ٢ / ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٦) الأصفهاني : الأغاني ٤ / ٢٧٠ ، ٢٧١ ؛ أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال ١ / ٤٣٧ ؛ الأصفهاني : الدّرة الفاخرة ١ / ١٨٦ - ١٨٧ ؛ الميداني : مجمع الأمثال ١ / ٣٥٨ - ٣٥٩ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٨٨ .

ويذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز نهاه عن ذلك فقال :

يا أمير المؤمنين إنها مثلة ، ولكن أنفهم ، فنفاهم[١] ، وهذا أقرب .

ومهما يكن فالنص يدل على اهتمام الخليفة بصيانة المجتمع من الرّذائل والفسوق .

النص رقم (٢٤) أورد أبو عبد الله بن قتيبة ((أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم: ما بالُنا نَكرَه الموت ؟ قال: لأنكم عَمّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب))[٢] .

وذكر الثعالبي في ثمار القلوب ((أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم الأعرج – وقد خوَّفه عذاب الله في موعظة له حتّى أبكاه : فأين رحمة الله ؟ فقال أبو حازم : ﴿ **قريب من المحسنين** ﴾))[٣] .

والنص يعطي صورة عن خلق الخليفة ، وأنه يقرب أهل العلم ويطلب من الصالحين تذكيره ونصيحته .

كما يدل النص على دور العلماء في مجتمعهم وقيامهم بالواجب في مناصحة ولاة الأمر بما عندهم من العلم .

النص رقم (٢٥) أورد الأصفهاني مثله معلقاً ، ولكن بين عبد الملك بن مروان وبين الشاعر الأقيشِر[٤] .

نقده للشعر ومعرفته به :

---

(٧) أبو هلال العسكري : هفوات النوادر ص ٣٩ ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ١ / ١٨٦ – ١٨٧ ؛ الميداني : المصدر السابق ١ / ٣٥٨ – ٣٥٩ ؛ أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١١ ؛ ابن طباطبا : الفخري ص ١٢٨ .

(١) البداية والنهاية ٩ / ١٨٨ .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٣٧٠ .

(٣) ثمار القلوب في المُضاف والمنسُوب ص ٣١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م .

(٤) الأغاني ١١ / ٢٧٠ بسند منه الأصمعي .

٢٦ - سمر الفرزدق ، والأخطل ، وجرير ، عند سليمان بن عبد الملك ليلة ، فبينما هم حوله إذ خفق ، فقالوا : نعس أمير المؤمنين ، وهَمُّوا بالقيام . فقال سليمان : لا تقوموا حتى تقولوا في هذا شعراً .

فقال الأخطل :

رماه المَرى في رأسه فكأنّه   صَرِيعٌ تَروّى بين أصحابه خَمْراً

فقال له : ويحك ! سكران جعلتني .

ثم قال جرير الخَطَفي :

رماه الكرى في رأسه فكأنه   يرى في سواد الليل قُنيرة[1] حمراً

فقال له : ويحك ! أجعلتني أعمى .

ثم قال الفرزدق بعد هذا :

رماه الكرى في رأسه فكأنما   أميم[2]جلاميد[3] تركن به وقراً

قال له : ويحك ! جعلتني مَشْجوجاً[4] ، ثم أذن لهم فانقلبوا ، فحيّاهم وأعطاهم . [٥ / ٣٨٤]

دراسة النص :

النص رقم (٢٦) لم أجد من أورده غير المصنف .

وفيه معرفة الخليفة للشعر ومعانيه ، ولديه مقدرة على نقده .

سليمان والأكل :

٢٧ - كان سليمان بن عبد الملك من الأكلة ، حدّث العتبي عن أبيه عن الشمردل[5] وكيل عمرو بن العاص قال : لما قَدم سليمانُ الطائف دخل هو وعمر

---

(١) القنير : ضرب من طيور الحُمَّر . (اللسان ٤ / ١١٧) .

(٢) الأميم : الحجر يشدخ به الرأس . (اللسان ١٢ / ٣٣) .

(٣) الجلمد : الصخر الكبير بقدر ما يرمى به القذاف . (اللسان ٣ / ١٢٩) .

(٤) الشجة : الجرح يكون في الوجه والرأس . (اللسان ٢ / ٣٠٤) .

(٥) الشمردل : لم أجد له ترجمة .

ابن عبد العزيز وأيوب ابنه بستاناً لعمرو بن العاص فجالَ فيه ساعة ، ثم قال : ناهيكم بمالكم هذا مالا ، ثم ألقى صدرَه على غُصن ، وقال : ويلك يا شمردل ما عندك شيء تُطعمني ؟ قال : بلى إنّ عندي جدياً كانت تغدو عليه بقَرة وتروح عليه أخرى . قال : عجّل به . قال : فأتيته به كأنه عُكّة سمن[١] ، فأكله وما دعا عمرَ ولا ابنه ، حتى إذا بقي الفَخِذ ، قال : هلم أبا حَفْص . قال : إني صائم . فأتَى عليه ، ثم قال : ويلك يا شمردل ، ما عندك شيء تطعمني ؟ قال : بلى وا لله عندي خَمس دَجاجات هنديات كأنهنّ رئلان النعام[٢] . قال : فأتيت بهنّ فكان يأخذ برجلَى الدَّجاجةِ فيُلقي عظامها نَقِيّة حتى أتى عليهّن ، ثم قال : يا شمردل ، ما عندك شيء تُطعمني ؟ قلت : بلى وا لله ، إن عندي حَريرة[٣] كأنها قُراضة الذهب[٤] . فقال : عَجِّل بها .

فأتيته بعُسٍّ[٥] يغيب فيه الرأس ، فجعل يلاطمها بيديه ويَشرب ، فلما فرغ تجشّأ[٦] فكأنما صاح في جُبّ ، ثم قال : يا غلام ، أفرغتَ من غدائي[٧] ؟ قال : نعم . قال : وما هو ؟ قال : ثمانون قِدراً ، قال : ائتِني بها قدراً قدراً ، قال : فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم ، وأقلّ ما أكل لقمة ، ثم مَسح يده واستلقى على فراشه ، ثم أَذِن للناس ووضعت المائدةُ وقعد فأكل مع الناس ، فما أنكرت من أكله شيئاً . [٦ / ٣٠١]

---

(١) عُكّه : هو وعاء السمن أصغر من القربة . (اللسان ١٠ / ٤٦٨) .

(٢) رئلان : جمع رال ، وهو ولد النعام . (اللسان ١١ / ٢٦١) .

(٣) الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم .

(٤) القُراضةُ : ما سقط بالقَرضِ ، ومنه قُراضة الذهب . (اللسان ٧ / ٢١٦) .

(٥) العُيسُّ : القدح الضخم . انظر : (اللسان ٦ / ١٤٠) .

(٦) التجشُّؤُ : تنفُّس المَعِدة عند الإمتلاء . (اللسان ١ / ٤٨) .

(٧) أي هل أتممت إعداده . كأنه جعل ما التهمه من قبل مقدمة لغدائه . انظر محقق العقد ٦ / ٣١٠ هامش (٤) .

٢٨ - ولما حجّ سليمان تأذّى بحرّ مكة ، فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أتيتَ الطائف .

فأتاها ، فلما كان بسَحقْ[١] لقيه ابن أبي الزُّهير[٢] ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اجعل بعض منزلك عليّ .

قال : كُل منزلي ، فرمى بنفسه على الرّمل . فقيل له :

يُساق إليك الوِطاء ؟ فقال : الرّمل أحبُّ إليّ ، وأعجَبَه بَرْدُه ، فألزق بالرُمل بطنه .

قال : فأُتي إليه بخَمْس رُمَّانات فأكلها ، ثم قال : أعندكم غيرُ هذه ؟ فجعلوا يأتونه بخَمْس بعد خَمس ، حتى أكل سَبْعين رُمَّانة . ثم أتَوْه بجَدْي وستْ دجاجات فأكلهن .

وأتوه بزبيب من زبيب الطائف ، فنُثر بين يديه ، فأكل عامته ، ونَعس .

فلما انتبه ، أتوه بالغذاء ، فأكل كما أكل الناس . فأقام يومَه ، ومن غد قال لعمر : أرانا قد أضررنا بالقوم . وقال لابن أبي الزُّهير : اتبعني إلى مكة ، فلم يفعل . فقالوا له : لو أتيته ؟ فقال : أقول ماذا : اعطني ثمن قِراى الذي قريتُكه .

[٤ / ٤٣٠ - ٤٣١]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٧) إسناده لا يعول عليه وقد أورده ابن قتيبة[٣] ونقله الذهبي وابن العماد[٤] .

---

(١) سَحقْ : اسم مكان ، و لم أجده في معجم البلدان . وربما يكون الاسم هنا مصحفاً .

(٢) ابن أبي الزهير : لم أجد له ترجمة .

(٣) عيون الأخبار ٣ / ٢٢٧ .

(٤) تاريخ الإسلام ٤ / ٩ بسند فيه محمد بن حميد الرازي (وهو ضعيف) كما في التقريب . ابن حجر ص ٤٧٥ ؛ شذرات الذهب ١ / ٧٧ .

أما النص رقم (٢٨) ذكره ابن منظور[١] وأبو الفداء[٢] والحقيقة أن ما أورده ابن عبد ربه في عقده من النصوص وغيرها التي تشير إلى نهم سليمان بن عبد الملك وشرهه في الأكل هي من القصص الموضوعة ، والنوادر التي راجت على بعض المؤرخين فذكر المسعودي مثلاً ((أن الأصمعي قال : ذكرت للرشيد نَهَمَ سليمان وتناوله القراريج بكمه من السفافيد ، فقال : قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم ، إنه عرضَتْ عليَّ جباب بني أمية ، فنظرت إلى جباب سليمان وإذا كل جبة منها في كمها أثر كأنه دهن ، فلم أدر ما ذَكّضلك حتى حدثتني بالحديث ، ثم قال : علي بجباب سليمان ، فأتي بها ، فنظرنا فإذا تلك الآثار فيها ظاهرة ، فكساني منها جُبة ، فكان الأصمعي ربما يخرج أحياناً فيها فيقول : هذه جبة سليمان التي كسانيها الرشيد))[٣] .

وواضعي هذه الحكايات والقصص لا يُستبعد أنهم من غُلاة الشيعة الذين كرهوا أسرة بني أمية .

ورحم الله ابن كثير الذي علق على ما نسب إلى سليمان بن عبد الملك من هذه الحكايات بقوله : بأنها غريبة وأنها من مبالغات الأعاجم التي كانوا يتقربون بها إلى بني العباس . لأن سليمان كان نحيفاً جميلاً ، وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه والذي اخترع هذه الأكاذيب نسي أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها ، وقد قيل إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً[٤] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٧ .

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١١ .

(٣) مروج الذهب ٣ / ١٨٥ . انظر ابن طباطبا : الفخري ص ١٢٨ .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ١٨٨ - ١٨٩ .

ولاية العهد :

٢٩ – قال رجاء بن حيوة(١) : قال لي سليمان : إلى من ترى أن أعهدَ ؟ فقلتُ : إلى عمر بن عبد العزيز . قال : كيف تصنع بوصيّة أمير المؤمنين بابنى عاتكه(٢) ، من كان منهما حياً ؟ قلت : تجعل الأمر بعده ليزيد ، قال صدقت . قال : فكتب عهده لعمر ثم ليزيد بعده . ولما ثَقُل سليمان قال : ائتونى بِقُمُص بنّى أنظر إليها . فأُتى بها ، فنشرها فرآها قصاراً ، فقال :

إن بنّي صِبْيَة صِغار أفلح من كان له كبار

فقال له عمر : ﴿ **أفلح من تزكى . وذكر اسم ربّه فصلّى** ﴾ [٤ / ٤٣٠]

دراسة النص :

النص رقم (٢٩) ذكره المصنف من غير إسناد فيه استخلاف سليمان بن عبد الملك ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، بشرط أن تكون الخلافة بعد عمر ليزيد ابن عبد الملك أخى سليمان بن عبد الملك . وهذا ما ذكره أكثر المؤرخين(٣) .

وتمّ ذلك بمشورة من وزيره رجاء بن حيوة(٤) غير أن أبا حنيفة الدينورى يذكر أن سليمان قرر ذلك من تلقاء نفسه من غير مشورة(٥) .

---

(١) رجاء بن حيوة بن جرول ، أبو نصر الكندىّ الأزدىّ ، الفلسطينى ، الإمام القدوة الوزير العادل الفقيه ، من جلّة التابعين ، وكان كبير المنزلة عند سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، ومات في أول إمرة هشام سنة ١١٢ هـ . (الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٥٧ – ٥٦١) .

(٢) ابنى عاتكة هما يزيد بن عبد الملك ، وأخيه مروان بن عبد الملك ، وقد توفى الأخير ، ولم يتولى الخلافة .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٣٦ ؛ اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٢٩٩ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٥٠ – ٥٥١ من طريق الواقدى ؛ الشيبانى : شرح السير الكبير ٥ / ٢١١١ – ٢١١٢ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٩ ؛ ابن الجوزى ص ٥٩ – ٦٠ ؛ الذهبى : دول الإسلام ١ / ٦٩ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٣ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٣٣٦ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٥٥٠ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٦٨ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ١٠ / ١٨١ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر ص ٥٩ – ٦٠ ؛ الذهبى : المصدر السابق ١ / ٦٩ .

(٥) الأخبار الطوال ص ٣٢٩ .

وعل أية حال فقد كتب سليمان كتاباً يبيّن فيه استخلافه لعمر بن عبد العزيز واحضر بنى أمية ، فقال لهم : بايعوا لمن في هذا الكتاب ، فبايعوا دون أن يدرى أحد ما كتب فيه[١] .

أما ما رود في النص من أن سليمان بن عبد الملك نظر إلى قمص بنيه ، ورآها صغاراً ، وما تمثل به من الشعر واستدراك عمر بن عبد العزيز عليه فقد جاء في بعض المصادر ما يوافقه[٢] .

ويروى أيضاً أنه لما توفى ابنه أيوب الذى كان ولىّ عهده ، لم يجد من يعهد بالأمر إليه من أولاده ، لأنهم كانوا صغاراً ، إلاّ من كان من أمهات الأولاد ، وكانت بنو أمية لا يستخلفون أولاد الإماء ، فقال :

إن بَنِيَّ صبية صيفيُّون أفلح من كان له رِبْعيُّون[٣]

فقال عمر بن عبد العزيز : ((أفلح المؤمنون)) يا أمير المؤمنين[٤] .

وقد وردت هذه الحكاية من وجه آخر فروي أن عمر بن عبد العزيز دخل على الوليد بن عبد الملك فقال : أعهد يا أمير المؤمنين ، فقال :

إن بنى صبية صغار أفلح من كان له كبار

فقال عمر : ((أفلح من تزكّى)) ثم قال أعهد يا أمير المؤمنين . فقال :

إن بنى صبية صيفيُّون أفلح من كان له رِبْعيُّون[٥]

---

(١) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٣٣٦ ؛ أبو حنيفة الدينورى : المصدر السابق ص ٣٢٩ ؛ اليعقوبى : المصدر السابق ٢ / ٢٩٩ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٥١ - ٥٥٢ ؛ ابن طباطبا : الفخرى ص ١٢٩ ؛ ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) الزمخشرى : المستقصى ١ / ٤١١ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ١٠ / ١٨١ .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأمثال ص ١٤٦ ؛ أبو هلال العسكرى : جمهرة الأمثال ١ / ٥٩ ؛ ١ / ٦٠ .

(٤) أبو هلال العسكرى : المصدر السابق ١ / ٦٠ .

(٥) الاشتقاق ص ١٦٣ - ١٦٤ .

والراجح أن هذا خطأ لأن الوليد بن عبد الملك ما كان يحتاج لمن يشير عليه بولاية العهد ، حيث أن أباه عبد الملك قد عهد بالأمر من بعده لسليمان .

متفرقات :

٣٠ - دخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : أصابتك سَماءُ في وَجهك يا أعرابيّ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين غير أنها سَحَّاء طَخْياء[١] وَطْفاء[٢] كأنّ هواديَها الدِّلاء مُرْجَحنَّة النّواحى ، موصولة بالأكام[٣] ، تمسّ هامَ الرِّجال ، كَثِير زَجَلها ، قاصفٌ رَعْدُهَا ، خاطفٌ بَرْقها ، حَثِيث وَدْقها[٤] ، بطىء سَيرها ، متفجّر قَطرُها ، مُظلم نَوْؤها[٥] ، قد ألجات الوحش إلى أوْطانها ، تبحث عن أصولها بأظلافها[٦] ، مُتَجمِّعة بعد شتاتها ، فلولا اعتصامُنا يا أمير المؤمنين بعضاة الشَّجر ، وتعلُّقنا بِقنن الجبال[٧] لكُنَّا جفاء[٨] في بعض الأودية وَلَقَم[٩] الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسأ لها في أجلك ، فهذا ببركتك ، وعادة الله بك على رعيّتك ، وصلى الله على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أبيك ، لئن كانت بديهةً لقد أحسنت . وإن كانت مُحَبَّرة لقد أجدت ؛ قال :

---

(١) سَحَّاء : يقال سَحّ المطر والماء ، يُسَحُّ سَحّاً : إذا ساله وصبه من فوق واشتد . (لسان العرب ٢ / ٤٧٦) ؛ طخياء : شديدة الظلمة . (معجم الوسيط ٢ / ٥٥٢) .

(٢) الوطفاء : الديمة السّحُّ الحثيثة ، طال مطرها أو قصر . لسان العرب ٩ / ٣٥٨ .

(٣) الآكام : جمع الأكمُ وهو تلّ من القُفّ وهو حجر واحد . (لسان العرب ١٢ / ٢٠) .

(٤) الودق : المطر . (اللسان ١٠ / ٣٧٣) .

(٥) النوءُ : النجم . اللسان ١٣ / ١٧٥ .

(٦) الأظلاف من الظلف : وهو ما غلظ من الأرض واشتد . (اللسان ٩ / ٢٣٠) .

(٧) أي أعلاه . (اللسان ١٣ / ٣٤٩) .

(٨) جُفَاء : ما يقذف به السَّيلُ من القِدر من غثاء وزبد . (معجم الوسيط ١ / ١٢٦) .

(٩) لَقم الطريف : وسطه ومنفرجه . اللسان ١٢ / ٥٤٦ .

بل مُحَبَّرة مزوّرة[١] يا أمير المؤمنين ، قال : يا غلام ، أعطه ، فوا الله لَصِدقُه أعجبُ إلينا من وَصْفه . [٣ / ٤٦٤ - ٤٦٥]

٣١ - دخل سليمان بن عبد الملك الطائف ، فنظر إلى بيادر الزّبيب فقال : ما تلك الجِرار السُّود ؟ قيل له : ليست بجرارٍ يا أمير المؤمنين ، ولكنّها بيادر الزّبيب . فقال : لله دَرُّ قَسِيٍّ[٢] ، في أي عُشّ أودَعَ أفرُخَه ؟ [٦ / ٢٥١]

٣٢ - زياد عن مالك : إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً لعمر بن عبد العزيز : كذبت . قال : وا لله ما كذّبتُ منذ شَدَدْتُ عليّ إزارى ، وإنّ في غير هذا المجلس لسَعة ، وقام مُغْضِباً ، فتجهّز يريد مصر . فأرسل إليه سليمان ، فدخل عليه ، فقال له : يابن عمّى ، إن المعاتبة تشق عليّ ، ولكن وا لله ما أهمّنى أمرٌ قطُّ من دينى ودنياى إلا كنتَ أولَ من أذكره لك . [٤ / ٤٣٠]

٣٣ - تفاخر ولد لعمر بن عبد العزيز وولد لسليمان بن عبد الملك ، فذكر وَلَد عُمرَ فضل أبيه وخالِه . فقال ولد سليمان : إن شئتَ فأقْلل وإن شِئتَ فأكثر ، فما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبى . [٤ / ٤٢٥]

٣٤ - دخل رجل على سليمان بن عبد الملك ، فتكلّم عنده بكلام أعجب سليمان فأراد أن يختبره لينظر أعقلُه على قدر كلامه أم لا ، فوجده مَضْعوفاً[٣] فقال : فضل العقل على المَنطِق حِكمه ، وفضل المنطق على العَقْل هجنه[٤]. وخير الأمور ما صدَّق بعضها بعضاً ، وأنشد :

وما المرءُ إلاّ الأصْغران لسانه ومَعْقوله والجِسم خَلْق مُصوَّرُ
فإن تَرَ منه ما يروق فربّما أَمَرَّ مذاق العود والعُودُ أخْضر

[٢ / ٢٤١]

---

(١) محبّرة مزورة : أي معدة سابقاً .

(٢) قسي : جد ثقيف ، كما ذكر ابن عبد ربه في عقده ٦ / ٢٥٠ .

(٣) مضعوف : مَبْهُور إذا كان في عقله ضعف . لسان العرب ٩ / ٢٠٤ .

(٤) الهجنة : الإضاعة . لسان العرب ١٣ / ٤٣٤ .

٣٥ – ولبس سليمان يوماً واعتمّ بعمامة ، وكانت عنده جارية حجازية ، فقال لها : كيف تَرين الهيئة ؟ فقالت : أنت أَجملُ العرب ، لولا ! قال : على ذلك لتقولنّ . قالت :

أنت نِعْم المتاعُ لو كنتَ تَبقى غيرَ أن لا بقاءَ للإنسانِ
أنت خِلْوٌ من العُيوب ومما يكره الناسُ غير أنك فاني

قال : فتنغّص[1] ما كان فيه ، فما لبث بعدها إلا أياماً حتى توفي رحمه الله .
[٤ / ٤٢٥]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣٠) لم أجد من ذكره بهذا السياق وأورد ابن دريد نصاً آخر يقول فيه : ((سأل سليمان بن عبد الملك أعرابياً عن المطر فقال : أصابنا مطر انعَقَدَ منه الثَّرَى واستأصلَ منه العِرْقُ ولم تَر وادياً دارئاً))[2] .

كما أورد ابن دريد في مكان آخر خبراً يقول فيه : ((بعث يزيد بن المهلب سريعاً مولى عمروٍ بن حُرَيث إلى سليمان بن عبد الملك ، قال سريع : فعلمتُ أنه سيسألني عن المطر ، ولم أكن ارتق بين كلمتى ، فدعوت أعرابياً فأعطيته درهماً ، وقلت له : كيف تقول إذا سُئلت عن المطر ، فكتبتُ ما قال : ثم جعلتُه بينى وبين القَرَبوس حتى حفظتُهُ ، فلما قدمتُ قرأ كتابى ، ثم قال : كيف كان المطر ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين : عَمِدَ الثَّرى ، واستأصَلَ العِرق ، ولم أر وادياً دارئاً ، فقال سليمان : هذا الكلام لست بأبى عُذرِهِ ، فقلتُ بلَى ! قال : اصدُقني ، فصدَقتهُ ، فضحك حتّى فَحَصَ الأرض برجليه ، ثم قال : لَقيتَه والله ابن بَجْدتَها : أي عالماً بها))[3] .

---

(١) فتنغّص : أي تكدَّر . انظر : ابن منظور : لسان العرب ٧ / ٩٩ .
(٢) ابن دريد : كتاب وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّواد من البقاع ص ٧٣ عن طريق أبى عبيدة ، تحقيق عز الدين التنوخى ، دمشق ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م .
(٣) ابن دريد : المصدر السابق ص ٧٥ – ٧٦ .

وفي النصوص دلالة على ما كان يتمتع به القوم من الفصاحة والبلاغة والقدرة على التعبير ، لكن لا تخلو النصوص من تكلف واغراب في المعنى .

أما النص رقم (٣١) فقد أورد ابن قتيبة أن سليمان بن عبد الملك قدم الطائف ومعه عمر بن عبد العزيز وابنه أيوب ، فجال في بستان ساعة ثم قال : ناهيك بمالكم هذا مالاً لولا جِرَار فيه ، فقال : الشَّمردل وكيل آل عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إنها ليست بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزَبيبِ ... الخ[١] .

النص رقم (٣٢) أورد ابن سعد نصاً مشابهاً ، وقال فيه : ((كان بين موالى لسليمان بن عبد الملك ، وموالى لعمر بن عبد العزيز كلام ، فذكر ذلك سليمان لعمر ، فبينا هو يكلّمه إذ قال سليمان لعمر : كذبتَ ، فقال : ما كذبتُ منذ علمتُ أن الكذب شين لصاحبه))[٢] . وأشار المؤرخون إلى ما يوافق ذلك[٣] .

أما النص رقم (٣٣) فلم أجد من ذكره .

والنص رقم (٣٤) لم أجد من أشار إليه وفيه فطنة سليمان بن عبد الملك وحكمته ، وأنه لم يغتر بظاهر الكلام وحسنه .

النص رقم (٣٥) أورده بعض المؤرخين[٤] . وأضاف المسعودى : أنه بعد انتهاء الجارية من إلقاء الأبيات دمعت عينا سليمان ، وخرج على الناس باكياً[٥] ، وهي موعظة حسنة تأثر منها الخليفة .

---

(١) عيون الأخبار ٣ / ٢٢٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٩٩ عن طريق أحمد بن أبى إسحاق .

(٣) انظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٤ ؛ الفسوى : التاريخ والمعرفة ١ / ٥٧٢ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٦ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٢١ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٧٢ .

(٤) اليعقوبى : التاريخ ٢ / ١٩٩ ؛ الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ١٤٤ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١٨٦ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧٥ .

وفاته ومدة ولايته :

٣٦ – مات سنة تسع وتسعين بدابق من أرض فنسرين ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ، وهو بن ثلاث وأربعين ، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز .

[٤ / ٤٢٤ – ٤٢٥]

٣٧ – كان سبب موت سليمان بن عبد الملك أن نصرانياً أتاه وهو بدابق بزنبيل مملوءً بيضاً وآخر مملوء تيناً . قال : قشِّروا ، فقشّروا ، فجعل يأكل بيضه وتينه ، حتى أتى على الزِّنبيلين ، ثم أتوه بقَصْعة مملوءة مُخا بسُكر ، فأكله ، فأُتخم فمرض فمات . [٤ / ٤٣٠]

٣٨ – كانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفاً . [٤ / ٤٢٥]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣٦) تناول وفاة سليمان بن عبد الملك ، وجاء فيه عدة أمور :

أولها : تاريخ وفاته :

ذكر جمهور المؤرخين بأن سليمان بن عبد الملك توفى لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ(١) .

وهذا القول موافق لما ذكره ابن عبد ربه .

وتفرد ابن قتيبة بأن سليمان توفى سنة ٩٨ هـ(٢) ، ولعله حذف الأشهر فاعتبر السنة الكاملة . وبهذا تتفق جميع الروايات على تاريخ وفاته .

ثانياً : مكان وفاته :

---

(٥) المصدر السابق ٣ / ١٨٦ .

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٣٩٥ ؛ خليفة : تاريخ خليفة ص ٣١٦ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٩٩ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٤٦ من طريق أبى معشر ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٩٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٣٧ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧١ ؛ الذهبى : دول الإسلام ١ / ٦٩ ؛ سير أعلام ٤ / ١١٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٩ / ١٨٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٣ .

(٢) المعارف ص ١٥٨ .

يوافق المؤرخون ما ذكر ابن عبد ربه في مكان وفاته ، وهو بدابق من أعمال أرض قنسرين[١] .

ثالثاً : عمره :

اختلف المؤرخون في تحديد عمر سليمان إلى عدة أقوال :

فذكر جمهورهم أنه توفى وهو ابن خمس وأربعين سنة[٢] . وذكر آخرون أنه توفى وهو ابن ثلاث وأربعين[٣] . وهذا القول موافق لما ذكره ابن عبد ربه .

وقيل : ابن تسع وثلاثين[٤] .

والصحيح قول الجمهور ، وهو ما رجّحه ابن كثير رحمه الله .

رابعاً : ذكر من صلى عليه :

يتفق المؤرخون أن ابن عمه عمر بن عبد العزيز هو الذى صلّى عليه[٥] . أما ما جاء في النص رقم (٣٧) من بيان سبب وفاة سليمان . فلم أجد من ذكره من المؤرخين .

---

(١) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٦ ؛ ابن قتيبة : المصدر السابق ص ١٥٨ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٥٤٦ من طريق هشام وأبى مخنف ؛ المسعودى : المصدر السابق ٣ / ١٨٣ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٩٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٩١ ؛ النويرى : المصدر السابق ٢١ / ٣٥٣ .

(٢) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ١٥٨ ؛ المسعودى : المصدر السابق ٣ / ١٨٣ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨١ ؛ الذهبى : دول الإسلام ١ / ٦٩ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٨٤ ؛ النويرى : المصدر السابق ٢١ / ٣٥٣ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٨٤ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١٨٣ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٨٤ .

(٥) خليفة : التاريخ ص ٣١٦ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٤٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٣٧ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٨١ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٣ .

والمصنف ذكر ذلك بدون اسناد وقد سبق إيراد بعض النصوص المتعلقة بالزعم أن سليمان كان شرهاً كثير الأكل والجواب عنها . ولعلّ هذا من بابها . كما ورد في النص رقم (٣٥) أنه توفى متأثراً بالموعظة التى وعظها من جاريته .

النص رقم (٣٨) ذكر خليفة بن خياط والمسعودى مثله[١] ، وتكاد باقي المصادر الأخرى تتفق على مدة خلافة سليمان من حيث تحديد عدد السنين ، وهو سنتان[٢] . غير أنهم يتباينون عند تحديد عدد الأشهر الزائدة عنها ، وكلها متقاربة . أما من قال أن ولايته كانت ثلاث سنوات فلعله جبر الكسر[٣] .

---

(١) تاريخ خليفة ص ٣١٧ ؛ مروج الذهب ٣ / ١٨٣ .

(٢) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٢٩ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٠٠ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٤٦ ؛ حمزة الأصبهانى : تاريخ سن ملوك الأرض والأنبياء ص ١٢٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٣٧ ؛ البلخى : البدء والتاريخ ٢ / ٤١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٨٤ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٥٤٦ من طريق الحسن بن حماد ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ١٧١ .

٥ - عمر بن عبد العزيز بن مروان .

نسبه :

١ - المدائنى قال : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وكنيته أبو حفص . أُمه أم عاصم(١) بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . [٤ / ٤٣٢]

دراسة النص :

سياق نسب عمر بن عبد العزيز ونسب أمه أم عاصم ، مطابق لما في كتب الأنساب(٢) ، وكذا كتب المؤرخين(٣) ، ولم يختلف في كنيته وهي كنية جده عمر الفاروق .

زواجه :

٢ - قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة(٤) . قال : جَزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة . [٤ / ١٥١]

---

(١) أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، أمّها أمُّ عّمارة بنت سفيان بن عبد الله الثّقفى ، وكانت أم عاصم جميلة ، تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز وغيره ، فلما ماتت تزوّج عبد العزيز أُختها حفصة بنت عاصم . انظر : (مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٣٦١) .

(٢) مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٦٨ ، ٣٦١ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٠٥ ؛ ابن قدامة : التبيين في أنساب القريشيين ص ٤١٩ وفيه نسب أم عاصم فقط .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٣٠ ؛ خليفة : التاريخ ص ٣١٧ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٨٤ - ١٨٥ ؛ اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٣٠١ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ٢٧١ ؛ الثعالبى : ثمار القلوب ص ١١٣ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٦٦ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١٩٢ ؛ القضاعى : التاريخ ص ٣٦١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٥٩ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣٢٣ مخطوط ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ٩٨ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١١٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠٠ .

(٤) فاطمة بنت عبد الملك ، أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص ابن هشام بن المغيرة . وهي التي قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها ... أخت الخلائف والخليفة زوجها

(الطبقات الكبرى ٥ / ٢٢٤) .

دراسة النص :

تذكر المصادر زواج عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك(١) ، وقد نشأ عمر بن عبد العزيز في بيت عمه عبد الملك بعد وفاة أبيه عبد العزيز ، فقد أخذه عبد الملك فخالطه بولده ، وقدّمه على كثير منهم(٢) .

خطبه :

٣ - قال العتبى : أول خطبة خطبها عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس ، اصلحوا سرائركم تَصلُح لكم علانيتُكم ، واصلِحوا آخِرتَكم تَصلح دنياكم ؛ وإنّ امرأ ليس بينه وبين ادمَ أبٌ حيّ لَمعرقٌ(٣) في الموت . [٤ / ٩٢]

٤ - أبو بشر الخراسانى قال : خطب عمر بن عبد العزيز الناسَ حين استخْلف فقال : أيها الناس ، والله ما سألتُ الله هذا الأمرَ قطّ في سرٍّ ولا علانية ، فمن كان كارهاً لشيء مما ولّيتُه فالان . فقال سعيد بن عبد الملك : ذلك أسرع فيما تكره ، أتريد ان نَختْلِف ويضرب بعضنا بعضاً ؟ قال رجل : سبحان الله : وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ولم يقولوا هذا ويقوله عُمر . [٤ / ٤٣٣]

٥ - شبيب بن شيبة عن أبى عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل عُمر ، فكنّا نقوم لهم ونَبْدؤهم بالسّلام . فخرج علينا عمر رضى الله عنه في يوم عِيد وعليه قَميص كتّان وعمامه على قلنسوة لاطئة(٤) ، فمثلنا بين يديه وسَلّنا عليه ، فقال : مَهْ ، أنتم جماعة وأنا واحد ، السلام عليّ والردّ عليكم ؛ وسَلّم ، فَرددَنا . وقُرّبت له دابته فأعرض عنها ومشى ، ومشينا ، حتى صَعِد المنبر ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٢٢٤ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣ : ٣٠٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠٢ .

(٣) لُمعرق : أي أن له فيه عِرقاً وإنه أصيل في الموت . وعِرق كل شيء : أصله . انظر : (لسان العرب ١٠ / ٢٤١ مادة عِرْق) .

(٤) لاطئة : لازقة . (النهاية في غريب الحديث ٤ / ٢٤٩) .

فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبى ﷺ ، ثـم قـال : وَددْت أن أغنيـاء النـاس اجتمعوا فردُّوا على فقرائهم ، حتى نَستَوى نحن بهم ، وأكـون أنـا أوّلَهـم . ثـم قال : ما لى وللدُّنيا ؟ أم ما لها وما لى ؟ وتكلم فَأَرَقّ[1] حتـى بكـى النـاس جميعـاً يميناً وشمالاً . ثم قطع كلامه ونزل . فدنا منه رجاء بن حيوة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، كَلّمتَ الناسَ بما أرقّ قلوبهـم وأبكـاهم ، ثـم قَطعتـه أحـوجَ مـا كـانوا إليه . فقال : يا رجاء ، انى أكره المباهاة . [**٤ / ٩٣**] ونحوه مختصراً [**٢ / ٤٣٣**]

٦ - وخطب عمرُ فقال : أيهـا النـاس ، لا تسـتصغروا الذنـوب ، والتمسـوا تمحيص ما سَـلف منهـا بالتوبـة منهـا . ﴿ **إنَّ الحسـنات يُذهـبن السـيئات ذلـك ذكـرى للذاكريـن** ﴾[2] . وقـال عـز وجـل : ﴿ **والذيـن إذا فعلـوا فاحشـةً أو ظلموا أنفسهم ذَكَروا الله فاستَغفروا لذنوبهم ومَـن يغفـر الذنـوبَ إلا الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يَعلمون** ﴾[3] . [**٤ / ٤٣٧**]

٧ - إنّ لكل سَفْر زاداً لا محالةَ ، فـتزوَّدوا مـن دنيـاكم لآخرتكـم التقـوى ، وكُونوا كمن عاين ما أعدَّ الله له مـن ثوابـه وعقابـه ، فـترهبوا وترغَبـوا ويَطولـنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، وتنقادوا لعدوّكُم ، فإنه والله ما بُسِـط أمـا مـن لا يدرى لعلّه لا يُصبح بعد إمسائه ، أو يُمسى بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلـك خطرات المنايا ، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أمِن عواقبها ، فإنّ من يداوى من الدنيا كلما أصابت جراحةً من ناحيـة أخـرى ، فكيـف يطْمئـنُّ إليهـا ، اعـوذ بـالله أن آمركم بما أنهى عنه نَفْسى فَتَخْسَر صَفْقتى ، وتظهر عَيلَتِى[4] وتبدوا مَسكَنتى ، في يوم لا ينفع فيه إلاّ الحق والصِّدق ، ثم بَكى وبَكى الناس معه . [**٤ / ٩٢**]

---

(١) أرقّ : خشع ولان في الموعظة . (المصدر السابق ٢ / ٢٥٢) .

(٢) هذه الآية جزء من قوله تعالى : ﴿ **وأقم الصـلاة طرفـى النهـار وزلفـا مـن الليـل إن الحسـنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ سورة هود ، الآية ١١٤ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ .

(٤) العَيلَةُ : الفقر . انظر : المعجم الوسيط ص ٦٤٠ .

٨ - قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرة[١] خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سُدىً ، وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه ، فخاب وخَسِر مَن خَرج من رحمة الله التي وسِعت كلَّ شيء ، وحُرم جَنّة عرضُها السمواتُ والأرض . واعلموا أن الأمان غداً لمن خَاف اليوم وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباق ؛ ألا تَرون أنكم في أصلاب الهالكين ، وسَيخلِّفها من بعدكم الباقون ، حتى تُردّوا إلى خير الوارثين ، ثم أنّكم في كُل يوم تشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قَضى نَحبه ، وبلغ أَجله ، ثم تُغَيِّبونه في صَدْع من الأرض ، ثم تَدْعونه غير مُوَسَّد ولا مُمَهّد ، قد خَلَع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنيًّا عما تَرك ؛ فقيراً إلى ما قَدَم ، وايم الله ، إني لأقول لكم هذه المَقَالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فاستغفروا الله لى ولكم ، وما تبلغنا حاجةُ يتّسع لها ما عِنْدنا إلا سَدَدْناها ، ولا أحدٌ مِنكم إلا وَدِدْت أن يَده مع يدي ولحمتى الذين يلوننى ، حتى يستوى عيشُنا وعيشُكم ، وايم الله إنى لو أردتُ غير هذا من عيش أو غَضارة[٢] لكان اللسان به ناطقاً ذَلُولاً ، عالماً بأسبابه ، ولكنَّه مضى من الله كتاب ناطق وسُنّة عادلة ، دلّ فيهما على طاعته ، ونهى عن معصيته ؛ ثم بكى ، فتلّقى دموع عينيه بردائه ونزل . فلم يعد بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى . [٤ / ٩٥]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣) ذكره بعض المؤرخين[٣] .

---

(١) خُناصرة : هي بلدة بالشام من أعمال حلب . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٤٤٦) .

(٢) غضارة : النّعمة والسَّعة في العيش . لسان العرب ٥ / ٢٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٩٨ من طريق السرى بن يحيى ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٠٩ من طريق السرى بن يحيى ؛ لسان العرب ١٠ / ٣٤١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠٧ بدون اسناد .

النص رقم (٤) ذكره ابن الجوزى مختصراً[١] ، والمصادر التاريخية تؤكد أن عمر بن عبد العزيز لم يطلب الخلافة ، بل انه حينما شك أن سليمان بن عبد الملك عهد له بالأمر من بعده في كتاب أسنده إلى وزيره رجاء بن حيوة ، طلب عمر من الوزير أن يخبره بما في الكتاب ، وقال : ((أخشى أن يكون هذا أسند إلىّ شيئاً من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحُرمتى ومودتى الا أعلمتنى إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتى حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة))[٢] .

ولما بلغ عمر أن عبد العزيز بن الوليد عقد لواءً ودعا إلى نفسه قال له عمر : وقد بلغنى أنك كنت بايعت من قِبلَك ، وأردت دخول دمشق ، فقال : قد كان ذلك ، وذلك انه بلغنى أنّ الخليفة سليمان لم يكن عقد لأحد فخفت على الأموال أن تنهب . فقال عمر : لو بُويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتُك ذلك ولقعدت في بيتى[٣] .

النص رقم (٥) لم أقف على من ذكره ، ولكن ثبت أن عمر بن عبد العزيز كان يذهب إلى مصلى العيد ماشياً[٤] وكان يكتب : ((لا تركبوا إلى الجمعة والعيدين))[٥] . ولأن السنة النبوية جاءت بالحض على ذلك ((وكان رسول الله يخرج إلى العيد ماشياً ، ويرجع ماشياً))[٦] .

أما قول عمر : ((أنتم جماعة وأنا واحد ، والسلام علىّ والرد عليكم)) فقد ذكر ابن عبد الحكم له شاهداً أن عمر بن عبد العزيز كان يتقدم إلى الحرس إذا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٩ .

(٢) الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٥٠ - ٥٥١ من طريق الواقدى ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٠ .

(٣) الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٥٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤١ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٣٢ من طريق عفّان بن مسلم .

(٥) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٦٢ ، ٥ / ٣٨٥ من طريق الواقدى .

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه ١ / ٤١١ كتاب اقامة الصلاة ، باب ما جاء في الخروج إلى العيد ماشياً ، الحديث ١٢٩٤ .

خرج عليهم أن لا يقوموا إليه ويقول لهم : لا تبتدئوني بالسلام إنما السلام علينا لكم[١] . وهذا موافق لما ثبت عند رسول الله ﷺ في ((تسليم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير))[٢] .

وقطع عمر الخطبة وقوله : ((إنّى أكره المباهاه)) ورد ما يؤيده عند ابن سعد من طريق عفّان بن مسلم . حيث يقول : ((إنـى لأدع كثيراً من الكلام مخافة المباهاه))[٣] .

النص رقم (٦) لم أجد من ذكره غير المصنف[٤] .

والنص رقم (٧) أورده المؤرخون وغيرهم[٥] .

والنص رقم (٨) ذكره ابن عبد الحكم والفسوى وابن الجوزى[٦] .

وأشار ابن سعد والذهبى إلى أن عمر خطب بخناصرة وقميصه مرقُوع[٧] .

وجميع ما سبق من الخطب لا تخرج عن المنهج المعروف عن عمر بن عبد العزيز في دعوته للإصلاح والتجديد ، وكان يدرك أن إصلاح المجتمع يأتى بالكلمة الطيّبة في بيان الحق وإقامة الحجة ، ويأتى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعطاء القدوة في ذلك ، وقد بعث بعوثاً إلى عدد من أمصار الخلافة لنشر الدعوة الإسلامية وهداية الناس .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٥ .

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الاستئذان ، باب يسلم الراكب على الماشى ، حديث (٦٢٣٢) ؛ صحيح مسلم ، حديث (٢١٦٠) كتاب السلام ، باب يسلم الراكب على الماشى .

(٣) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٦٨ . وانظر نصاً قريباً منه عند ابن الجوزى : سيرة عمر ص ١٩٥ .

(٤) انظر أحمد صفوت : جمهرة خطب العرب ٣ / ٢٠٨ نقلاً عن ابن عبد ربه .

(٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٥ / ٢٤٦ ؛ الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ١٢٠ - ١٢١ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٧٠ - ٥٧١ من طريق عبد الله بن بكر بن حبيبة السهمى ؛ ابن الجوزى : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ٢٣٢ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١١٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠٧ .

(٦) سيرة عمر ص ٣٧ - ٣٨ ؛ المعرفة والتاريخ ١ / ٦١١ - ٦١٢ ؛ صفوة الصفوة ٢ / ١٢٣ .

(٧) الطبقات الكبرى ٥ / ٤٠٢ - ٤٠٣ ؛ سيرة أعلام النبلاء ٥ / ١٣٥ .

من نصائحه :

٩ - وكتب عمر ((أما بعد فإنّ الناس كان منهم في هذا الشراب المحرَّم أمرٌ ساءت فيه رغبة كثير منهم ، حتى سفَه أحلامهم ، وأذهب عقولهم ، فاستُحَلَّ به الدّمُ الحرام ، والفرج الحرام ، وإنّ رجالاً منهم ممن يصيب ذلك الشرابَ يقولون : شربنا طِلاء ، فلا بأس علينا في شُربه . ولعمرى إنّ فيما قرّب مما حرم ا لله باساً ، وإنّ في الأشربة التى أحلَّ ا لله : من العسل ، والسويق ، والنَّبيذ من الزبيب والتمر لمندوحةً عن الأشربة الحرام ، غير أن كلَّ ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا ينبذ إلاّ في أسقيةِ الأدم لا زِفتَ فيها ، ولا يُشرب فيها ما يُسكر ؛ فإنه بلغنا أن رسول ا لله ﷺ نهى عن شرب ما جعل في الجرار[1] ، والدُّباء[2] ، والظُّروف المزَّفتة[3] ، وقال : ((كل مُسْكرٍ حرام)) .

فاستغنوا بما أحّل ا لله لكم عما حرّم عليكم ، وقد أردت بالذي نهيتُ عنه عن شُرب الخمر وما ضارع الخمرَ من الطلاء ، وما جُعل في الدُّبّاء والجرار والظُّروف المزّفته ، وكلِّ مسكر اتِّخاذ الحُجّة عليكم . فمن يُطِعْ منك فهو خيرٌ له . ومن يخالف إلى ما نُهى عنه نعاقبه على العلانية ، ويكفينا ا لله ما أسّر . فإنه على كلِّ شيء رقيب . ومَن استخفى بذلك عنّا فإنّ ا لله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلا)) . [٦ / ٣٥٩ - ٣٦٠]

دراسة النص :

النص السابق أورده الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الإشربة[4] . وذكره ابن الجوزي بألفاظ مقاربة من طريق الصعق بن حزن[5] .

---

(١) الجرار : الواحدة جرة ، وهو الفخار . (شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٣) .

(٢) الدُّباء : بضم الدال والمد ، وهو القرع اليابس أي الوعاء منه . (شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٢) .

(٣) المزفت : من الزفت : وهو القار ووعاء مطلى بالزفت . (اللسان ٣ / ٣٤) .

(٤) الأشربة ص ٤٩ - ٥٠ بتحقيق صبحى السامرائى .

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٢ .

وجاءت هذه النصيحة في رسالة بعثها عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة وإلى أهل البصرة ، ينهاهم عن النبيذ ، وذكر ابن عبد الحكم هذه النصيحة ضمن كتاب بعثه عمر إلى أيوب بن شرحبيل وأهل مصر بدون اسناد[١] ، مما يدل على أنها كانت منشوراً عاماً .

وعلى كل حال فان فعل عمر هذا موافق للأدلة الشرعية ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((لا تَنْتَبِذُوا في الدُّباء ولا في المُزَفَّتِ))[٢] .

وفي حديث وفد عبد القيس : ((.. ونَهَاهُمْ عن الدُّباء والحَنْتَم والمُزَفَّتِ ..))[٣] .

ويفسر النووى سبب اختصاص هذه الأوعية بالنهى : ((لأنه يسرع إلي الإسكار فيها فيصير حَرَاماً نجساً وتبطل ماليته فنهى عنه لما فيه من اتلاف المال وأنه ربما شربه بعد اسكاره و لم يطلع عليه))[٤] .

وهذا النهي نسخ بأحاديث كثيرة منها قول النبيّ ﷺ : ((نهيتكم عن النبيذ إلاّ في سقاء ، فاشربوا في الأسقية كُلِّها ، ولا تشرَبُوا مُسْكرا))[٥] .

وهذا النسخ هو ما ذهب إليه جمهور العلماء ، غير أن بعضهم كرهوا الانتباذ في هذه الأوعية[٦] ، ولعل عمر بن عبد العزيز منهم . وإشارة عمر بن عبد العزيز إلى الأشربة التى أحلّ الله من العسل ، والسويق ، والنبيذ من الزبيب والتمر - كما ورد في منسوره - موافق لما ذكر النبيّ ﷺ في قوله : ((من شرب النبيذ

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣ - ٨٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الأشربة ، باب النهى عن الانتباذ في المزفت حديث (١٩٩٣) .

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب الايمان والنهى عن الدّباء والحنتم ، جزء من حديث وفد عبد القيس .

(٤) شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٢ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الجنائز ، جزء من حديث رقم (٩٧٧) ، وتكرر في كتاب الأشربة . وانظر النووى في شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٣ .

(٦) انظر النووى : المصدر نفسه ١ / ١٥٣ .

منكم فليشرب زبيباً فرداً أو تمراً أو بُسْراً فرداً))[1] .

توليته الخلافة :

١٠ - ولّى الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين . [٤ / ٤٣٢]

١١ - ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رحمه الله أرسل إلى سالم بن عبد الله[2] ومحمد بن كَعْب[3] ، فقال لهما : أشيرا عليَّ . فقال له سالم : اجعل الناس أباً وأخاً وابناً ، فبَرَّ أباك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك .

وقال له محمد بن كعب : احْبِب للناس ما تُحِبّ لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، واعلم أنك لَسْتَ أوّل خليفة يموت . [١ / ٤٠]

١٢ - وقدم رجل من خراسان على عمر بن عبد العزيز حين استخلف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيتُ في منامى قائلاً يقول : إذا ولى الأشجّ[4] من بنى أمية يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جُوراً . فولى الوليد ، فسألت عنه ، فقيل لى : ليس بأشجّ ، ثم ولى سليمان ، فسألتُ عنه فقيل : ليس بأشجّ . ووليتَ أنت ، فكنتَ الأشجّ . فقال عمر : تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم . قال : بالذى أنعم عليك ، أحقٌّ ما أخبرتنى ؟ قال : نعم . فأمره أن يقيم في دار الضِّيافة ، فمكث نحواً من شهرين ، ثم أرسل إليه عمر ، فقال : هل تدرى لم احتبسناك ؟ قال : لا ، قال : أرسلتُ إلى بلدك لنسأل عنك ، فإذا ثناءُ صديقك وعدوّك

---

(١) صحيح مسلم كتاب الأشربة ، باب كراهية انتباذ التمر والزبيب مخلوطين .

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، يُكنى أبا عمر ، كان فقيهاً عالماً زاهداً ورعاً من خيار الناس ومات سنة ١٠٦ هـ في شهر ذي الحجة . (الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٠٤ ؛ ابن قدامة : التبيين في أنساب القرشيين ص ٤٠٩) .

(٣) محمد بن كَعْب القرظى ، حلفاء الأوس بن حارثة ، يكنى أبا حمزة توفى سنة (١١٧ هـ) ، وقيل سنة (١٠٨ هـ) . (خليفة : كتاب الطبقات ص ٢٦٤ ؛ الربعي : المصدر السابق ص ١٠٦ ، ١١٢) .

(٤) الأشج : الشجة الضربة في الجبين ، والنعت أشَجُّ . انظر : (لسان العرب ٢ / ٣٠٤ مادة شجج) .

عليك سواء ، فانصرف راشداً . [٤ / ٤٣٣]

١٣ - يعقوب بن داود الثقفي عن أشياخ مِن ثقيف قال : قرىء عهد عمر بالخلافة ، وعمر في ناحية ، فقام رجل من ثقيف يقال له : سالم ، من أخوال[١] عمر ، فأخذ بضَبْعيه[٢] فأقامه . فقال عمر : أما والله ما الله أردت بهذا ، ولن تُصيب بها منّى دنيا . [٤ / ٤٣٣]

١٤ - ودخل خالد بن عبد الله القسْرِى[٣] على عمر بن عبد العزيز لما وَلِىَ الخلافة ، فقال : يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زِنتها ، ومن تكون شرَّفته فأنت قد شرّفتها ، وأنت كما قال الشاعر :

وإذا الدّر زان حُسنَ وُجوه كان للدّر حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أُعطى صاحبُكم مَقولاً ولم يُعطَ مَعقولاً . [٢ / ١٣٤]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٠) أورده جمهور المؤرخين[٤] ، في حين انفرد المسعودى برواية مضمونها أن عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة لعشر بقين من صفر[٥] .

النص رقم (١١) ذكره بعض المؤرخين[٦]، ويضيفون إليهما رجاء بن حيوة .

---

(١) أخوال عمر من جهة أُمه لأن جدته ثقفية وهي أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفى . انظر : (مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٣٦١) .

(٢) في طبقات ابن سعد : بضبعه . والضّبْع : وسط العضد ، وقيل الإبط ، تقول بضبعيه : أي بعضديه . (لسان العرب ٨ / ٢١٦) .

(٣) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز البَجَلى القسرى الدمشقى ، أبو الهيثم ، كان جواداً ممدحاً معظماً ، تولى إمارة مكة في عهد الوليد بن عبد الملك ، كما أصبح أمير العراقيين لهشام ، وتوفى في المحرم سنة (١٢٦ هـ) . انظر : الذهبى : سير أعلام ٥ / ٤٢٥ - ٤٣٢ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٤٠٨ ؛ اليعقوبى : المصدر السابق ٢ / ٣٠١ ؛ الطبرى : المصدر السابق ٦ / ٥٥٠ من طريق الواقدى ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٢٧ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٩٢ .

(٥) مروج الذهب ٣ / ١٩٣ .

(٦) ابن حمدون : تذكرة الحمدونية ص ١٨٤ ؛ ابن الجوزى : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ١٥٦ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٠٩ .

وما نسبه ابن عبد ربه من القول لمحمد بن كعب ، فإن أولئك المؤرخين يسندونه إلى رجاء بن حيوة .

وأسند ابن حمدون قول سالم بن عبد الله لمحمد بن كعب .

وتورد المصادر التاريخية والأدبية نصائح أُخرى لسالم ، ومحمد بن كعب مُوَجّهة لعمر بن عبد العزيز[١] .

وقد كان رحمه الله محباً للعلم وأهله يكثر من مجالستهم ويسمع نصائحهم وتوجيهاتهم .

والنص رقم (١٢) ذكره السيوطي[٢] ، ولم يصرح بمصدره ولم أقف عليه عند غيره .

والمصادر تكاد تجمع أن عمر بن عبد العزيز هو أشجّ بني مروان[٣] .

والنص رقم (١٣) ذكره ابن سعد من طريق المدائني[٤] ، والإسناد فيه من لم يسم ، ويدل على زهد عمر في مدح الناس ، وفطنته لمقصد ذلك الرجل .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ١٤٣ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ / ٣٤٣ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ١٩٤ ؛ الآجري : أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز ص ٦٥ ؛ ابن حمدون : المصدر السابق ص ١٨٤ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ص ١٦ - ١٧ ، ص ١٥٦ - ١٥٨ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ١٩ / ١٠٩ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٣١ ؛ الثعالبي : ثمار القلوب ص ١١٣ ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ٥٦٦ ؛ الزمخشري : ربيع الابرار ونصوص الاخبار ٤ / ١٣٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٥٩ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣٢٣ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٠٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٦٥ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ١١٤ ، ١١٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠٠ .

وذكرت المصادر سبباً لهذا اللّقب ، وهو أن عمر بن عبد العزيز دخل إلى اصطبل أبيه - وهو غلام - فضربه فرس فشجّه فجعل أبوه يمسحُ عنه الدّم ويقول : إن كنت أشج بني أمية انك إذا لسعيد .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٣٩ - ٣٤٠ .

النص رقم (١٤) أورد المؤرخون والأدباء نصاً مقارباً[١] ، وذكر الذهبى رواية بمعناها ، حيث قال : أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين إن من قبلك كانت الخلافة لهم زيناً ، وأنت زَيْنُ الخلافة ، فأعرض عنه[٢] .

ويشير ابن الجوزى والسيوطى إلى ان الذى دخل على عمر هو بلال بن أبى بردة ، بدلاً من خالد بن عبد الله القسرى . وقد أعرض عمر عن هذا القول لما يعلم من تزلف صاحبه وعدم صدقه وعبر عن ذلك بأنه أوتى لساناً ينطق به و لم يؤتى معقولاً يمنعه من المدح المنهى عنه .

من أقوال عمر بن عبد العزيز :

١٥ - قال عمر : الأمور ثلاثة : أمر استبان رشدُه فاتْبِعه ، وأمر استبان ضُدُّه فاجتنبه ، وأمر أشكل أمره عليك فردّه إلى الله . [٤ / ٤٣٦]

١٦ - وكتب عمر إلى بعض عمّاله : الموالى ثلاثة : مولى رَحِم ، ومولى عَتاقة ، ومولى عَقد ، فمولى الرَّحم يرث ، ويورث ، ومولى العتاقة يورث ولا يرث ، ومولى العقد لا يرث ولا يُورث وميراثه لعَصبته . [٤ / ٤٣٦]

١٧ - وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : متى اتكلم ؟ قال : إذا اشتهيتَ أن تصمُت ؛ قال : فمتى اصمُت ؟ قال : إذا اشتَهيتَ أن تتكلّم . [٢ / ٤٧٣]

وقال عمر بن عبد العزيز : من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومن عَلِم أن الكلام عملٌ قَلَّ كلامه إلا فيما ينفع . [٣ / ٨٦] ونحوه [٣ / ١٥١]

١٩ - قال عمر : التقىُّ مُلجم . [٣ / ٨١]

٢٠ - قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاءُ فيهم . [٣ / ٤١٨]

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ١٩٥ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٩٣ ؛ ابن الجوزى : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ١٣٣ ؛ ٢٠٥ .

(٢) سير أعلام ٥ / ١٣٦ .

٢١ - قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عند الطَّمَع ، وحِلم على الخَصْم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل العلم والرأى . [١ / ٨٤]

٢٢ - وقال عمر بن عبد العزيز : إذا أتاك الخَصْم وقد فُقِئت عينُه ، فلا تحكُم لله حتى يأتى ، فلعلّه قد فقئت عيناه جميعاً . [١ / ٨٤]

٢٣ - على بن زيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول ((تمّت حُجَّة الله على ابن الأربعين)) ومات لها . [٤ / ٤٣٢]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٥) لم أجد من أخرجه غير المصنِّف ، وهو كلام مستقيم ، يؤيده الشرع ، كما في حديث عن رسول الله ﷺ قال : ((الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ...))[١] وقد استخدم أسلوب السبر والتقسيم للوصول إلى القسمة المنطقية .

النص رقم (١٦) لم أجد من ذكره عن الخليفة عمر بن عبد العزيز وكلامه هنا موافق لما ذكره أهل الغريب[٢] واللغة[٣] في معنى المولى .

النص رقم (١٧) لم أجد من ذكره . وكلامه حكمة ذات معنى واضح .

النص رقم (١٨) أورد الطبرىّ نصاً قريباً منه[٤] وذكر ابن منظور مثله[٥] .

النص رقم (١٩) ذكره ابن سعد[٦] باسناد فيه رجل لم يسم وذكر له قصة أن رجلاً نال من عمر فقيل له : ما يمنعك منه ؟ فقال : إن المتقى مُلْجَم . وذكر ابن عبد البّر أن عمر بن عبد العزيز قال : المحظوظ التّقيّ يلجم لسانه[٧] .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الايمان ، حديث رقم ٣٩ ؛ مسند افمام أحمد ٤ / ٢٦٧ ، ٢٦٩ .

(٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٥ / ٢٢٨ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ١٥ / ٤-٨ - ٤٠٩ (مادة ولي) .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٧٠ .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١١٦ .

(٦) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٧٤ .

النص رقم (٢٠) أورد الجاحظ مثله[١] . ويقصد الخليفة مشابهتهم في البساطة والاخلاص .

النص رقم (٢١) أورده ابن سعد من طريقين رجالهما ثقات[٢] . وذكر الجاحظ مثله[٣] ، وابن قتيبة[٤] وابن الجوزى[٥] ، وأشار ابن أبى الدُنيا إلى نص قريب[٦] .

النص رقم (٢٢) لم أجد من ذكره ، وفيه تظهر حكمة الخليفة وانه ذو عقل ورأى سديد .

النص رقم (٢٣) ذكره ابن الجوزى[٧] ، وعلى بن زيد إن كان ابن جدعان فهو ضعيف[٨] ، وقوله : ((ومات لها)) ، وهو تفسير من ابن الجوزى ، أي أن عمر بن عبد العزيز مات وعمره أربعون سنة[٩] .

وهذا القول المنسوب لعمر فيه نكارة ، وهي لفظة " أربعون سنة " ولعلها من ابن جدعان ، حيث جاء في الحديث الصحيح : ((لقد اعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة))[١٠] .

---

(٧) بهجة المجالس ١ / ٨٥ .

(١) البيان والتبيين ٢ / ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٥ / ٣٧٠ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ١٥٠ .

(٤) عيون الأخبار ١ / ٦٠ .

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٥ .

(٦) الإشراف في منازل الأشراف ص ١٤٦ من طريق الصَّلتُ بن مسعود الجَحدريّ - وهو ثقة - بصيغة مختلفة .

(٧) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢٧ .

(٨) ابن حجر : التقريب ص ٤٠١ .

(٩) وهو ذكره أيضاً ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٠٣ .

(١٠) صحيح البخارى (مع الفتح ١١ / ٢٤٣) كتاب الرقاق ، باب من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله إليه في العمر ، حديث رقم (٦٤١٩) ؛ مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٧٥ .

أخلاقه :

٢٤ - وأسمع رجلٌ عمر بن عبد العزيز بعض ما يُكْره فقال : لا عليك ، إنما أردتَ أن يستفزّنى الشيطان بعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تَنالُه منّى غداً انصرف إذا شئت . [٢ / ٢٧٩]

٢٥ - أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل ، فقال له رجاء بن حَيْوة : يا أمير المؤمنين إن الله قد فعل ما تُحب من الظَّفر، فافعل ما تُحبه من العفو .

[٢ / ١٨٧]

٢٦ - كان لعمر غلام يقال له دِرهم يحتطب له : فقال له يوماً ما يقول الناس يا دِرْهم ؟ قال : وما يقولون ؟ الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنى عهدتُك قبل الخلافة عَطِراً لبّاساً ، فاره المركب ، طَيّب الطعام ، فلما وليتَ رجوتُ أن أستريح وأتخلّص فزاد عملى شدّة وصِرْتَ أنت في بلاء . قال : فأنت حُر ، فاذهب عنى ، ودعنى وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مَخْرجاً . [٤ / ٤٣٥]

٢٧ - قال عمر بن عبد العزيز لدكين الزاجر[١] : إن لى نفساً تَوّاقة ، فإذا بلغك إنى صِرتُ إلى أشرف من منزلتى هذه ، فبعَين ما أرينّك - قال له ذلك وهو عامل المدينة لسليمان بن عبد الملك - فلما صارت إليه الخلافةُ قَدِم عليه دُكَين ، فقال له : أنا كما أعلمتُك أنّ لى نَفْساً توّاقة ، وأنّ نفسى تاقت إلى أشرف منازل الدُّنيا ، فلما بلغتها وجدتُها تتوق إلى أشرف منازل الآخرة .

[٣ / ٢٠]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٤) أورده ابن قتيبة[٢] وابن الجوزى[٣] وابن منظور[٤] وزاد ابن

---

(١) هو دكين بن سعيد الدَّارمىّ التميمىّ ، ويقال ابن سعد بن زيد مناة بن تميم الدارمىّ الزاجر من أهل البصرة وفد على عمر بن عبد العزيز . (مختصر تاريخ دمشق ٨ / ٢٠٥) .

(٢) عيون الأخبار ١ / ٢٩٠ بدون اسناد .

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ٢٠٩ من طريق أحمد بن الحارث عن على بن زيد .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١١٦ .

الجوزى " ثم عفا عنه " . وفيه دلالة واضحة على سماحة عمر وخوفه من الله ، وعدم اغتراره بعزة السلطان .

أما النص رقم (٢٥) ذكره ابن قتيبة أيضاً[١] ، بدون اسناد . وسبب عقوبة الرجل لم تذكر في النص ، ولا شك أنها لا تتصل بحد من حدود الله ، حيث أن رجاء بن حيوة لم يكن ليشفع فيها ، وأن عمر لن يشفع أحداً ، ويروى أنه كان يقول : ((إقامة الحدود عندى كإقامة الصلاة والزكاة))[٢] .

أما النص رقم (٢٦) فقد ذكره ابن عبد الحكم[٣] وابن سعد[٤] وهو متفق مع النصوص السابقة في سماحة عمر وأخلاقه .

النص رقم (٢٧) ذكر ابن سعد من قول عمر عن سعيد بن عامر عن جويرة بن أسماء قال : قال عمر بن عبد العزيز : ((إنّ نفسى هذه توّاقة وإنها لم تُعْطَ شيئاً إلاّ تاقت إلى ما هو أفضل منه ، فلما أعْطيت الذى لا شيء أفضل منه في الدنيا تاقت إلى ما هو أفضل من ذلك))[٥] .

وذكره ابن قتيبة[٦] وابن الجوزى[٧] ، ونقله السيوطى[٨] وفي النص طموح عمر ، وعلو همّته ، والجنة أفضل من الخلافة .

---

(١) المصدر السابق ١ / ١٠٢ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٧٨ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٢ بدون سند .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٩٩ - ٤٠٠ بسند فيه أحمد بن أبى إسحاق عن ضمرة عن حفص ابن عمر .

(٥) الطبقات الكبرى ٥ / ٤٠١ .

(٦) عيون الأخبار ١ / ٢٣١ من طريق خالد بن خويرية .

(٧) سيرة عمر بن عبد العزيز ٨١ - ٨٢ .

(٨) تاريخ خلفاء ص ٢٢٠ .

تواضعه :

٢٨ - قال عبد العزيز عمر بن عبد العزيز : قال لى رجاء بن حيوة : ما رأيت أكرم أدباً ولا أكرم عِشْرةً من أبيك ، سمرتُ عنده ليلة ، فبينما نحن كذلك إذ عشى المصباح ونام الغلام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عشى المصباح ونام الغلام ، فلو أذنت لى أصلحته ؛ فقال : انه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه ، ثم حطّ رداءه عن منكبيه ، وقام إلى الدَّبَّة[1] فصبّ من الزيت في المصباح وأشخص الفتيلة[2] ، ثم رجع وأخذ رداءه وقال : قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر . [٢ / ٤٢٥]

دراسة النص :

هذا النص أخرجه جمهرة من المؤرخين[3] ، ونقله الذهبى[4] والكتبي[5] وابن كثير[6] والسيوطى[7] .

وفيه تواضع عمر بن عبد العزيز وعدم ترفعه عن خدمة بيته وضيفه إضافة إلى عطفه ورحمته ، حيث لم يزعج غلامه النائم ، لأنه ربما تعب لخدمته في النهار .

خشيته وتضرعه :

٢٩ - بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويَبْكى ، فنسمع نحيبَه بالبكاء وهو يقول : أبعدَ الثلاثة الذّين واريتهم بيدى : عبد الملك والوليد وسليمان . [٤ / ٤٣٣]

---

(١) الدّبّة : ظرف للزيت .

(٢) الفتيلة : الذُبَالة . اللسان ١١ / ٥١٤ مادة فتل .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٩ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣ / ٦٤ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٠٣ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١١٩ .

(٤) سيرة أعلام النبلاء ٥ / ١٣٦ نصاً قريباً .

(٥) عيون التواريخ ٤ / ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٦) البداية والنهاية ٩ / ٢١٠ .

(٧) تاريخ الخلفاء ص ٢٢١ .

٣٠ – عبد الله بن المُبارك(١) عن رجل أخبره ، قال : كنت مع خالد بن يزيد ابن معاوية ، في صحن بيت المقدس ، فلقينا عمر بن عبد العزيز ولا أعرفه ، فأخذ بيد خالد ، وقال : يا خالد ، أعلينا عَين ؟ قلت : عليكما من الله عينٌ بصيرة وأذن سميعة . قال : فاستلّ يدَه من يد خالد وأُرعد وَدَمعت عيناه ومضى، فقلت لخالد : مَن هذا ؟ قال : هذا عمرُ بن عبد العزيز ؛ إن عاش فيوشك أن يكون إماماً عدلاً . [٤ / ٤٣٤]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٩) ذكر ابن سعد نصاً قريباً منه من طريق عباد بن عمر الواشحى مؤذن مسجد سليمان بن حرب بالبصرة ((أن عمر بن عبد العزيز قال لرجاء بن حيوة : كن فيمن يغسلنى وُيكفّننى ويدخل قبري ، فإذا وضعتمونى في لحدى فحُلّ العقدة ثم انظر إلى وجهى فإني دفنت ثلاثة من الخلفاء كلّهم إذا أنا وضعته في لحده حللتُ العقدة ثم نظرتُ إلى وجهه فإذا وجهه مسوادّ في غير القبلة))(٢) .

وعباد بن عمر لم أقف له على ترجمة ، فهو مستور الحال ، وفي النص ألفاظ منكرة لعلها من هذا المجهول .

النص رقم (٣٠) ذكره الفسوى(٣) ونقله ابن كثير عنه(٤) والنصوص تبيّن خشية عمر وخوفه من الله .

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظليُّ ، مولاهم التُّركي ، ثم المرْوَزي ، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه ، وأمير الاتقياء في وقته ، الحافظ الغازى ، أحد أعلام ، كانت أمه خوارزمية ، ولد ابن المبارك سنة ثمان عشرة ومئة ، فطلب العلم وهو عشرين سنة ، فكان ثقة جامعاً للعلم وشاعراً ، توفى في شهر رمضان سنة احدى وثمانين سنة ومئة ، ببلدة تُسمى بهيت من أعمال الجزيرة عن عمر يناهز ثلاث وستين سنة . (الذهبى : سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٧٨ – ٤٢١) .

(٢) الطبقات الكبرى ٥ / ٤٠٧ .

(٣) المعرفة والتاريخ ١ / ٥٧١ و ٥٧٨ من طريق سعد بن أسد ، وأيضاً من طريق عبد الله بن عثمان .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ٢٠٥ من طريق يعقوب بن سفيان به .

منهجه في الإصلاح :

٣١ - دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه عمر وهو ينام نومة الضحى ، فقال : يا أبت ، أتنام وأصحابُ الحوائج راكدون ببابك ؟ قال : يا بنيَّ إن نفسى مطيّتى ، فإن انضيتُها قطعتُها ، ومن قطع المطىّ لم يبلُغ الغاية .

[٦ / ٣٧٩]

٣٢ - وسمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادى : يا أبا العمرين ، فقال : لو كان عاقلاً لكفاه أحدهما . [٦ / ١٥١]

٣٣ - زياد عن مالك قال : قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه : يا أبت ، مالك لا تُنفذ في الأمور ؟ فوا لله لا أبالى لو أن القدور غلت بى وبك في الحق . قال له عمر : لا تعجل يا بُنّى ، فإن ا لله ذَمّ الخمر في القرآن مرّتين وحَرّمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحْمل الحقَ على الناس جُملة فيدفعونه جملة ويكون في ذلك فتنة . [٤ / ٤٣٨] ونحوه [١ / ٤٠]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣١) أورد ابن الجوزى وابن عبد البّر نصاً مشابهاً له[١] وهو نص مستقيم يوافق المنهج الشرعيّ ((ولنفسك عليك حقاً))[٢] . فلا بد أن تأخذ النفس حقها من الراحة حتى تتمكن من أداء الواجبات والأعمال دون ملل وكلل .

النص رقم (٣٢) ذكره ابن قتيبة[٣] وأبو هلال العسكرى[٤] ولكن دون اسناد ، وكأنه كره هذه الكنية لما فيها من المبالغة والتعظيم .

النص رقم (٣٣) لم أجد من ذكره . وفيه يوضح عمر بن عبد العزيز لابنه منهجه في التغيير والإصلاح ، وأنه ينبغى التدرج في الأمور وعدم الاستعجال

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٧ ؛ بهجة المجالس ١ / ١١٦ .

(٢) جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب من أقسم على أخيه ليُفْطِرَ في التّطوُّع (مع فتح الباري ٤ / ٢٤٦ - ٢٤٧) .

(٣) عيون الأخبار ٤ / ٤٠ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ١٥٨ .

مراعاة لطبائع النفوس وأحـوال النـاس حتـى يتحقـق لـه الهـدف المنشـود في يسـر وسهولة .

عمر وردّ المظالم :

٣٤ - كان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يُجرى على نفسه من الفيء درهماً ، وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين في كلّ يوم . فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذتَ ما كان يأخذ عمر ابن الخطاب ؟ فقال : إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنينى .

[٤ / ٤٣٤]

٣٥ - ولما وَلى عُمر بن عبد العزيز قال : إن فَدك[1] كانت مما أفاء الله على رسوله ، فسألتها فاطمةُ رسول الله . فقال لها : مالكِ أن تسألينى ولا لى أن أُعطيك . فكان رسول الله ﷺ يصنع فيها حيث أمره الله ، ثم وَلى أبو بكر وعمر وعثمان فكانوا يضعونها المواضع التى وضعها رسولُ الله ﷺ ، ثم ولى معاوية فأقطعها مروان ، ووهبها مروانُ لعبد الملك وعبد العزيز ، فقسمناها بيننا أثلاثاً أنا والوليد وسليمان . فلما ولى الوليد سألته نصيبه فوهبه لى ، وما كان لى مالٌ احبَّ إلىّ منها ، وأنا أشهدكم انى قد رددتها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ .

[٤ / ٤٣٥]

٣٦ - قال عمر لبني مروان : أَدَّوا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تلجئونى إلى ما أكره فأحْمِلكم على ما تكرهون . فلم يجبه أحد منهم . فقال : أجيبونى . فقال رجل منهم : والله لا نُخرج من أموالنا التى صارت إلينا من آبائنا ، فنُفقِر أبنائنا ونُكَفِّر آباءنا ، حتى تزايلَ رءوسنا أجسادنا . فقال عمر : أما والله لولا أن تستعينوا علىّ بمن أطلب هذا الحقَّ له لأضرعتُ خُدودكم عاجلاً ، ولكننى أخاف الفتنة ، ولئن أبقانى الله لأردّن إلى كل ذى حق حقه إن شاء الله .

[٤ / ٤٣٧]

---

(١) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة . (معجم البلدان ٤ / ٢٧٠) .

وكان عمر إذا نظر إلى بعض بني أميّة ، قال : إني أرى رقاباً ستُردّ إلى أربابها . [٤ / ٤٣٧] ونحوه [٤ / ٤٣٨]

٣٧ – العُتبي قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك تبعه الامويون ، فلما دَخلوا إلى منزله ، قال له الحاجب : الأمويون بالباب . قال : وما يريدون ؟ قال : ما عوّدتهم الخلفاء قبلك . قال ابنُه عبدُ الملك ، وهو إذ ذاك ابن أربع عشرة سنة : ائذن لي في ابلاغهم عنك ، قال : وما تبلغهم ؟ قال : أقول : أبي يقرئكم السلام ويقول لكم : ﴿ **إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾[١] . [٤ / ٤٣٨]

٣٨ – لما ولي عمر بن عبد العزيز قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أَعْدِنِي[٢] على هذا ، وشار إلى رجل ، قال : فيم ؟ قال : أخذ مالي وضَرب ظهري . فدعا به عمر ، فقال : ما يقول هذا ؟ قال صدق ، إنه كتب إليّ الوليد بن عبد الملك ، وطاعتكم فريضة . قال : كذبتَ ، لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله[٣] ، وأمر بالأرض فرُدتْ إلى صاحبها . [٤ / ٤٣٤]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣٤) أورد ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن دينار أنه قال : ((لم يرتزق عمر من بيت مال المسلمين شيئاً ولم يرزأه حتى مات))[٤] . وهو يتفق مع ما كان يتمتع به عمر بن عبد العزيز من الورع والزهد ، حيث أن ورعه وحرصه على المال الحلال أدى إلى أن يمتنع عما كان يستحق منه ، مقابل انشغاله في أمور الخلافة وإدارة شئون الدولة . وقد كان الخلفاء من قبله يأخذون من بيت المال أجوراً يصرفونها في احتياجاتهم .

---

(١) سورة يونس ، الآية ١٥ .

(٢) أعداه عليه : نصره وأعانه . انظر : أكمل العقد ٤ / ٤٣٤ هامش رقم (١) .

(٣) ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله أنه قال : ((لا طاعة لمخلوق في معصية الله)) . انظر : مسند الإمام أحمد ٥ / ٦٦ .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ / ٤٠٠ وفي سنده مجهول .

النص رقم (٣٥) أخرجه أبو داود في سننه بمعناه[١] كما أخرجه جمهرة من المؤرخين[٢] .

وفدك قرية بالحجاز فيها عين ونخل أفاءها الله على رسوله ﷺ سنة سبع من الهجرة صلحاً ، فكانت خالصة له ينفق ما يأتيه منها في أبناء السبيل[٣] . وقد صارت إلى مروان ثم بنيه من بعده .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بردّ فَدَك إلى وُلْد فاطمة ، رضى الله عنها ، فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبد العزيز[٤] .

النص رقم (٣٦) لم أجد من ذكره بهذا السياق غير المصنف .

والنصّ يُوضح سياسة عمر بن عبد العزيز في ردّ المظالم فعندما استقرّت له البيعة قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك : ((إن أردت صحبتي فردّى ما معك من مال وحلّي وجوهر إلى بيت المال فإنه لهم ، فإنى لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد . فردّته جميعه))[٥] .

وأمر عمر بن عبد العزيز بأموال جماعة من بنى أمية فردّها إلى بيت المال وسماها أموال المظالم[٦] .

واستمر عمر في هذه السياسة ، رغم أن بعض بنى أمية لم يعجبهم ذلك حتى استشفعوا بالناس إليه ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم ينجح

---

(١) سنن أبى داود كتاب الخراج والإمارة ، باب ١٩ حديث (٢٩٧٢) .

(٢) ابن سعد : الطبقات : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٨٨ – ٣٨٩ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٣١ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١١١ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٦٧ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٢٨ – ١٢٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠٨ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٢٧٠ .

(٤) ياقوت : المصدر السابق ٤ / ٢٧١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤١٠ . انظر مثل ذلك ابن الجوزى : سيرة عمر ص ١٢٧ – ١٢٨ ؛ وابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢١٦ في ردّ جهازها إلى بيت المال .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٦٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٢٠٨ .

فيه شيء ، وقال لهم : لتدعنى وإلا ذهبت إلى مكة فنزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به[1] .

ولما اتّضح لبنى أمية اصرار الخليفة ، قال بعضهم لبعض : ((لا تلوموا إلا أنفسكم يا معشر بنى أمية عمدتم إلى صاحبكم فزوجتموه بنت ابن عمر فجاءتكم بعمر ملفوفاً في ثيابه فلا تلوموا إلا أنفسكم))[2] .

النص رقم (٣٧) ذكره السيوطى[3] من دون اسناد . وقد قطع عمر عادة الخلفاء قبله الذين كانوا يغدقون الأموال على البيت الأموى وغيرهم من المهنئين بالخلافة وخاصة الشعراء .

والنص رقم (٣٨) لم أقف على من خرجه غير المصنف . وهو نص مستقيم في معناه وموافق لما عرف من سيرة عمر بن عبد العزيز له . وقد وردت في احدى خطب عمر قوله : ((ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)) وسار عمر على هذه السياسة وعلى هذا المنهج القويم حتى أصبح شبيهاً بسيرة جده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم[4] .

كتابه وعماله وتوجيهاته لهم :

٣٩ - كاتب عمر بن عبد العزيز الليث بن أبى رُقية[5] مولى أم الحكم ، وكتب له رجاءُ بن حيوة وخص به ، وإسماعيلُ بن أبى حكيم[6] مولى الزبير ،

---

(١) ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٢٠٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٤) الذهبى : دول الإسلام ١ / ٧١ .

(٥) الليث بن أبى رقيّة : مولى أم الحكم بنت أبى سفيان ، تولى على كتابة ديوان الرسائل لسليمان ، ثم كتب لعمر بن عبد العزيز . الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٤٨ ، ٥٣ .

(٦) إسماعيل بن أبى حكيم بن محمد بن عبد الرحمن ، من بنى أسد بن عبد العزى مولى آل الزبير ، وأخوه : إسحق بن أبى حكيم ، توفى إسماعيل سنة (١٣٠ هـ) . انظر : (خليفة : الطبقات ص ٢٦٠) .

وسليمانُ بن سعد الخشنى على ديوان الخراج . وكان يكتب عمرُ كثيراً بيده .
[٤ / ١٦٥]

٤٠ - كان على شرطته يزيد بن بشير الكنانى[1] ، وعلى حرسه عمرو بن المُهاجر[2] ؛ ويقال أبو العباس الهلالى[3] ... وعلى خاتَم الخلافة نعيم بن أبى سَلامة[4] ، وعلى الخراج والجُند صالحُ بن أبى جُبير[5] ، وعلى إذْنه أبو عُبيدة الأسود[6] ، مولاه . [٤ / ٤٣٢]

٤١ - وكان الحسن بن أبى الحسن البصرى[7] ، مع نُبله وفقهه ووَرَعه وزهده كاتباً للرّبيع بن زياد الحارثى[8] بخراسان . ثم ولى قضاءَ البصرة لعمر بن

(١) لم أجد رجلاً بهذا الاسم ، ولعله تحريف من يزيد بن بشر بن يزيد بن بشر الكلبى الدمشقى . انظر : (مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ٣٢٦) .

(٢) عمرو بن المهاجر ، مولى أسماء بنت يزيد ، حمصي ، مات سنة (١٣٩ هـ) . انظر : (كتاب الطبقات لخليفة ص ٣١٣) .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) هو نعيم بن سلامة السبائي ، ويقال الشيبانى ، ويقال : الغسانى ، ويقال الحميرى مولاهم ، الاردنى ، كان قد تولى على خاتم سليمان بن عبد الملك وكذلك لعمر بن عبد العزيز . (مختصر تاريخ دمشق ٢٦ / ١٧٤) .

(٥) صالح بن جبير الصَّيْدائى الطبرانى ، ويقال الفلسطينى ، وكان كاتب عمر بن عبد العزيز على الخراج والجند ، كما كان يكتب ليزيد بن عبد الملك . انظر : (مختصر تاريخ دمشق ١١ / ٢٧) .

(٦) لم أقف له على ترجمة .

(٧) الحسن بن أبى الحسن بن يسار ، أبو سعيد المعروف بالحسن البصرى ، مولى زيد بن ثابت الأنصارىّ ، واسم أمه خيرة ، كانت مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكان مولد الحسن لسنتين بقيا من خلافة عمر بن الخطاب ، ونشأ وتربى بوادى القرى ، وتعلم الحسن من فقهاء عصره حتى أصبح آية في العلم والعمل ، وتوفى في رجب سنة (١١٠ هـ) عن عمر يناهز ثمان وثمانين سنة . انظر : (سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٣ - ٥٨٨) .

(٨) الرّبيع بن زياد بن أنس بن الديّان الحارثى ، أبو عمر ، له صحبة غير أنه لم يقدم إلى المدينة إلا في أيام عمر ، صاحب فتوحات وأمير على البحرين وسجستان وكذلك أميراً على خراسان لزياد حتى مات . انظر : (الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٣٥٦) .

عبد العزيز ، فقيل له : من وَلَّيت القضاء بالبصرة ؟ فقال : ولَّيتُ سيّد التابعين الحسن بن أبى الحسن البصرىَ .   [٤ / ١٦٧] ونحوه [٤ / ١٦٩]

٤٢ - كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عدّى بن أرطاه[1] : أن اجمع بين إياس بن معاوية[2] والقاسم بن ربيعة الجَوشَنِيّ[3] فوَلِّ القضاء انقذهما فجمع بينهما فقال له إياس أيها الرجل ، سِلْ عنّى وعن القاسم فَقيهَى البصرة : الحسن البصرى وابن سيرين[4] - وكان القاسم يأتى الحسنَ وابن سيرين ، وكان إياسُ لا يأتيهما - فعَلِم القاسم أنه إن سألهما عنه أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّى ولا عنه ، فوا لله الذي لا إله إلا هو ، ان اياس بن معاوية أفقه منّى وأعلم بالقضاء ، فإن كنتُ كاذباً فما ينبغى أن تُولِّينَى ، وإن كنت صادقاً ، فينبغى لك أن تَقْبل قولى . فقال له إياس : إنك جئتَ برجل فوقَفته على شَفِير جهنّم فنجّى نفسَه منها بيمين كاذبة ، يستغفر الله مِنها وَينجُوا مما يخاف ، فقال له عدّى : أما إذ فَهِمْتها فأنت لها ، فاستَقْضاه .   [١ / ١٩ - ٢٠]

٤٣ - قال أبو الزِّناد : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب إلى عبد الحميد[5] عامله على المدينة في المظالم فيراجعه فيها ، فكتب إليه : إنه يُخيَّل

---

(١) عَدِىّ بن أرطاه : من بنى خزامة بن لوذان بن ثعلبة بن عدىّ بن فزارة ، وكان والى البصرة لعمر ابن عبد العزيز . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٦) .

(٢) إياس بن معاوية تقدمت ترجمته .

(٣) القاسم بن ربيعة بن جَوْشَنْ الغَطَفانيُّ الجَوشنيُّ ، كان ثقة ، وفقيها ، وكان له دراية فائقة في علم الأنساب . انظر : (تهذيب التهذيب ٨ / ٣٧٢) .

(٤) هو محمد بن سيرين ، الإمام ، شيخ الإسلام ، أبو بكر الأنصارى البصرى مولى أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ ، وكان أبوه من سَبْي جَرْجَرايا ، يقال أن ابن سيرين ولد في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ، أحد العلماء في عصره ، وكان ماهراً في تعبير وتأويل الرؤيا ، توفى شهر شوال سنة (١١٠ هـ) . انظر : (سير أعلام النبلاء ٤ / ٦٠٦ - ٦٢٢) .

(٥) هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى الخطابى المدنى الأعرج ، كان يكنى أبو عمر ، الإمام الثقة العادل توفى بحرَّان في سنة نيف عشرة ومئة . (سير أعلام ٥ / ١٤٩) .

إليَّ أنّي لو كتبتُ إليك أن يُعطى رجلاً شاة ، لكتبتَ إليّ : أضأناً أم معزاً ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ إليّ : أذكراً أم أُنثى ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أصغيراً أم كبيراً ؟ فإذا كتبتُ إليك في مظلمة فنفِّذ أمري ولا تراجعني فيها . [٣ / ٩] ونحوه [٤ / ٤٣٧]

٤٤ - كتب عدّى بن أرطاه إلى عمر بن عبد العزيز : إنى بأرض كثُرت فيها النِّعم ، وقد خِفْت على من قِبَلى من المسلمين قِلّة الشُّكر والضعفِ عنه . فكتب إليه عمر رضى ا لله عنه : إن ا لله تعالى لم يُنعم على قوم نعمةً فحمدوه عليها إلا كان ما أعْطُوه أكثرَ مما أخذوا . واعتبر ذلك لقول ا لله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان عِلماً وقالا الحمد لله الذي فَضَّلَنا** ﴾[1] فأيّ نعمة أفضل مما أوتى داود وسُليمان . [١ / ٢٧٨]

٤٥ - كتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِيّ بن أرطاه ، أما بعد ، فإن أمكنتْك القُدرة على المخلوق فاذكر قُدرةَ الخالق عليك ، واعلم أنَّ ما لكَ عند ا لله مِثلُ ما للرعيّة عِندَك . [١ / ٤٠] ونحوه [٤ / ٤٣٦]

٤٦ - كتب رجل من عمّال عمر إلى عمر : إنا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت على الماء ، فما ترى فيها ؟ فكتب إليه : لسنا من الماء في شيء ، إن قامت عليها بيّنة وإلا خلِّ سبيلها . [٤ / ٤٣٦ - ٤٣٧]

٤٧ - كتب عمر بن عبد العزيز إلى عُمَّاله : مُروا من كان قِبَلكم فلا يبقى أحدٌ من أحرارهم ولا مماليكهم ، صغيراً ولا كبيراً ، وذكراً ولا انثى ، إلا أخرج عنه صدقة فِطر رمضان : مُدَّين من قمح ، أو صَاعاً من تمر ، أو قيمة ذلك نصفَ درهم ، فأما أهل العطاء فيؤخذ ذلك من اعطياتهم ، عن انفسهم وعيالاتهم واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الأمانة يَقْبضَان ما اجتمع من ذلك ثم يُقسّمانه في مساكين أهل الحاضرة ولا يقسّم على أهل البادية . [٤ / ٤٣٦]

---

(١) سورة النمل ، آية ١٤ وتمامها ﴿ ... **على كثير من عباده المؤمنين** ﴾ .

٤٨ – وكان ابن سعدى الأسدى[1] قد تَوَلّى صدقات الأعراب لعمر بن عبد العزيز واعطياتهم ، فقال فيه جرير يشكو عمر :

حَرمتَ عيالاً لا فواكه عندهم وعند ابى سعد سُكّرٌ وزبيب

وقد كان ظَنّي بابن سعد سعادة وما الظنّ إلا مخطيء ومُصيب

فإن ترجعوا رزقي إليّ فإنّه مَتاعُ ليالٍ والأداء قريب

تُحَيّا العظام الراجفات من البلى وليس لداء الرُّكبتين طبيب

[٦ / ٢٧٠ – ٢٧١]

٤٩ – واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً ، فقيل له : إنه حديث السّن ولا نراه يضبط عمَلك ؛ فأخذ العهد منه وقال : ما أُراك تضبط عمّلك لحداثتك ؛ فقال الفتى :

وليس يزيد المرءَ جهلاً ولا عمى إذا كان ذا عقل حداثةُ سِنّهِ

فقال عمر : صَدَق ورَدّ عليه عهده . [٢ / ٢٥١]

٥٠ – كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الجَرّاح[2] : أنه بلغني أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً أو سريَّة قال : اغزوا بسم الله ، وفي سبيل الله ، تقاتلوا من كفر بالله ، ولا تُغلّوا ، ولا تغدِروا ، ولا تُمثِّلوا ، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً . فإذا بعثتَ جيشاً أو سريَّة فمُرهم بذلك . [١ / ١٢٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣٩) يحتوى على أسماء بعض الكتاب للخليفة عمر بن عبد العزيز وتكاد تجمع المصادر على أن الليث بن أبى رقية ، مولى أم الحكيم بنت

---

(١) ابن سعدى الاسدى : لم أقف له على ترجمة .

(٢) الجرّاح بن عبد الله بن الحميّ ، أبو عقبة ، كان شجاعاً ، مهيباً طوالاً ، عابداً قارئاً ، كبير القدر ، كثير الجهاد ، ولى البصرة أيام الحجاج ، ثم ولى خراسان ، وسجستان لعمر بن عبد العزيز ، واستشهد في آخر حياته في احدى معاركه الجهادية في خراسان مع الترك الكفار . (سير أعلام ٥ / ١٩٨ – ١٩٠) .

النص رقم (٤١) أشار ابن حجر إلى أن الحسن بن أبى الحسن كان كاتباً للربيع بن زياد الحارثى ، ذلك في خلافة معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه[١] والربيع هذا قدم خراسان والياً من قبل زياد[٢] .

أما كون الحسن تولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فالمصادر تذكر ما يوافق ذلك[٣] .

النص رقم (٤٢) أشارت له بعض المصادر[٤] ، وتختلف المصادر في أيهما كان أولاً في تولى القضاء بالبصرة الحسن ثم إياس أم العكس[٥] .

والصحيح ما ذهب إليه خليفة بن خياط ووكيع من أن عَدِيّاً ولّى الحسن القضاء بعد إياس بن معاوية ، وأن عمر بن عبد العزيز أقرّ بذلك[٦] .

النص رقم (٤٣) أوردت المصادر مثله[٧] ولكن بعض المصادر تذكر أن عبد الحميد هذا كان عاملاً لعمر على الكوفة[٨] ، وليس عاملاً على المدينة كما ذكرت رواية ابن عبد ربه .

---

(١) ابن حجر : الإصابة ٣ / ٢٥٦ .

(٢) خليفة : التاريخ ص ٢١١ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ٣ / ٢٥٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥/٣٤١؛ خليفة : المصدر السابق ص ٣٢٤ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٦/٥٥٤؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥/٤٤؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٩٣ .

(٤) خليفة : التاريخ ص ٣٢٤ ؛ الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ١٠٠ وفيه بكر بن عبد الله المزنيّ بدلاً من القاسم بن ربيعة ؛ المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ٢١٣ ؛ وكيع : أخبار القضاة ١ / ٣١٢ - ٣١٣ ؛ المرتضى : امالى المرتضى ١ / ٢٨٥ - ٢٨٦ ؛ الحسن اليُوسِي : زهر الاكم في الأمثال والحكم ٣ / ١٢ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨ / ٢٧٢ .

(٥) الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٥٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٤ .

(٦) خليفة : المصدر السابق ص ٣٢٤ ؛ وكيع : المصدر السابق ١ / ٣١٥ - ٣١٦ .

(٧) الجاحظ : المصدر السابق ٢ / ٢٨٠ ؛ ابن قتيبة : المصدر السابق ١ / ٤٤ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥٤ - ٥٥ ؛ ابن حمدون : تذكرة الحمدونية ص ٤٥٠ .

(٨) خليفة : التاريخ ص ٣٢٢ ؛ الجهشيارى : المصدر السابق ص ٥٥ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٤٩ .

وأورد ابن سعد نصاً مشابهاً ولكنه يشير إلى أن عمر كتب إلى عروة عامله على اليمن[١] . ومهما يكن فهذا موافق لما عرف من اهتمام الخليفة بتحقيق العدالة وردّ المظالم .

النص رقم (٤٤) ذكره ابن كثير في تفسيره مختصراً[٢] ؛ وتذكر المصادر أن عَدِياً كان والياً على البصرة عندما كتب لعمر[٣] .

وما قاله عمر بن عبد العزيز في توجيهه إلى شكر النعم موافق لما بيّنه الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ **وإذْ تأذّن ربُّكم لئن شَكَرْتم لأزيدنَّكم ولئِن كفرتم إنّ عذابى لشديد** ﴾[٤] .

والآية التى استدل بها من قوله تعالى ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** ﴾[٥] ، في محلها ، لأن الله يخبر عما أنعم به على عبده ونبيه دواد وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين[٦] .

النص رقم (٤٥) ذكر ابن قتيبة رواية شبيهة بها[٧] ، كما ذكرها ابن منظور[٨] . وذكر الكتبي نحوه ، ولكن يزيد بن عبد الملك بدلاً من عدي بن أرطاة[٩] .

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٨١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٥٨ وفيه قول عمر بن عبد العزيز فقط .

(٣) خليفة : التاريخ ص ٤٢٢ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٥٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢٨ / ٣٥٩ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية (٧) .

(٥) سورة النمل ، الآية (١٥) .

(٦) ابن كثير : المصدر السابق ٣ / ٣٥٨ .

(٧) عيون الأخبار ٤ / ١١٩ .

(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٢٠ .

(٩) عيون التواريخ ٤ / ٣٧٢ .

وأورد القلقشنديّ مثلهـا[1] وهـي مـن سياسـة عمـر تجـاه ولاتـه ونصيحتهـم وتذكيرهم با لله حتى يتمكنوا من إقامة العدل والإنصاف .

النص رقم (٤٦) يظهر أن ابن عبد ربه نقله من ابن قتيبة[2] ويشير ابن قتيبة إلى أن هذه الحادثة كانت في عُمَان ، وأن عامله هناك كتب إليه يخبره بما جـرى ، و لم يذكر ابن قتيبة اسم العامل . وما ذكـره العـامل مـن الاختبـار الـذى اجـرى لمعرفة سحرها وكونها طفت على الماء رأى عمر أنه غير مقنع وقال في توجيهـه : لسنا من الماء في شيء ، ولكن إذا وجد البرهان وقامت البيّنة علـى سـحرها فيقـام عليها الحد لقول النبي ﷺ : ((حد الساحر ضربة بالسيف))[3] .

وأن عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه كتب إلى بعض عماله : ((ان اقلتوا كل ساحر وساحرة))[4] .

النص رقم (٤٧) لم أجد من ذكره غـير المصنـف ، و لم يذكـر لـه اسناداً . وما فيه من اخراج زكاة الفطر نقداً مما يدل على عدم صحـة نسـبته إلى عمـر بـن عبد العزيز رحمه ا لله .

النص رقم (٤٨) لم أقف عليه عند غير المصنف ، و لم أجد من ذكر أن ابـن سعد الأسدى كان يتولى صدقات الاعراب لعمر بن عبد العزيز واعطياتهم .

النص رقم (٤٩) لم أجد من ذكره .

والنص رقـم (٥٠) لم أجـد مـن أشـار إلى كتـاب عمـر هـذا إلى الجـراح ؛ وأورد الفسوى أن الجراح بـن عبـد ا لله كتـب إلى عمـر بـن عبـد العزيـز قـائلاً :

---

(١) صبح الأعشى ٦ / ٣٩١ .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ١١٢ من طريق زيد بن أخزم .

(٣) سنن الترمذى ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد الساحر ، حديث (١٤٨٥) .

(٤) سنن أبى داود ، كتاب الامارة ، باب في أخذ الجزية من المجوس حديث (٣٠٤١) .

ارجع تفاصيل ذلك إلى الشيخ سليمان بن عبـد ا لله بـن محمـد بـن عبـد الوهـاب : تيسـير العزيـز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٣٤٠ - ٣٤٤ ، والدكتور أحمد بن ناصر بـن محمـد الحمـد : كتاب السحر بين الحقيقة والخيال ص ١٦٣- ١٧٤ .

((فإنك متبت إليّ في عهدك الذى عهدتَ إليّ تأمرنى أن لا أبسط على أحد من خلق الله عذاباً ، ولا أوثق أحداً من خلق الله وِثاقاً يمنع صلاة ، وذلك في معاتبة عاتبة))[1] .

ووصيّة عمر لعماله بأن يتحلّوا بآداب الحرب وأخلاق الاسلام موافق لما كان يوصي به رسول الله ﷺ أُمراءه على الجيش ومن معهم عند جهادهم في سبيل الله وإعلاء كلمته .

أخرج مسلم في صحيحه أن أبا بريدة قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على الجيش أو سَرِيَّةٍ أوصاه في خاصَّتِهِ بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : ((اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزُوا ولا تغلوا ، ولا تغدُروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ... الخ))[2] .

ومهما يكن من الأمر فإن بين عمر بن عبد العزيز وبين عامله الجراح بن عبد الله الحكمى مكاتبات ، وتذكر المصادر التاريخية أن الجراح هذا كان عاملاً لعمر على خراسان[3] .

توقيعات عمر :

٥١ - كتب عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه في بناء مدينته ، فكتب إليه : ابنها بالعَدْل ، ونَقِّ طُرقها من الظلم .

[**٦ / ٢٢٣**] ومثله [**١ / ٣١**] ومثله [**٤ / ٢٩٨**]

٥٢ - والى بعض عُمَّاله في مثل ذلك : حَصِّنها ونفسك بتقوى الله .

[**٤ / ٢٠٨**]

---

(١) المعرفة والتاريخ ١ / ٥٩٣ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ، حديث (١٧٣١) .

(٣) خليفة : التاريخ ص ٣٢٢ ؛ الفسوى : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٩٣ ؛ ابن الحمدون : تذكرة الحمدونية ص ٢٠١ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر ص ١٠٥ ؛ ابن الثير : الكامل ٥ / ٤٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٩ .

٥٣ - وكتب إلى رجل ولاه الصَّدقات ، وكان دميماً ، فعدل وأحسن : ولا أقولُ للذين تَزْدَرى أعيْنكم لن يُؤْتِيَهم الله خيراً . [٤ / ٢٠٨]

٥٤ - وكتب إليه صاحبُ العراق يُخبر عن سُوء طاعة أهلها ، فوقَّع له : أرضَ لهم ما تَرضى لنفسك ، وخُذهم بجرائمهم بعد ذلك . [٤ / ٢٠٨]

٥٥ - والى عديّ بن أرطاه في أمر عاتَبه عليه : إنّ آخر آية أنزلت : ﴿ واتّقُوا يوماً ترجَعُون فِيهِ إلى الله ﴾(١) . [٤ / ٢٠٨]

٥٦ - والى عامله على الكوفة ، وكتب إليه أنّه فعل في أمر كما فعل عمر ابن الخطاب : أولئك الذين هَدَى الله فبهداهم اقتده . [٤ / ٢٠٨ - ٢٠٩]

٥٧ - والى الوليد بن عبد الملك ، وعمر عامله على المدينة ، فوقّع في كتابه : الله أعلم أنك لستَ أوّل خليفة يموت . [٤ / ٢٠٩]

٥٨ - وأتاه كتاب عدي يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقّع في كتابه : لا تطلب طاعة من خذل عليّاً ، وكان إماماً مرضيّاً . [٤ / ٢٠٩]

٥٩ - والى عامله بالمدينة ، وسأله أن يُعطيه موضعاً يبنيه ، فوقّع : كن من الموت على حَذَر . [٤ / ٢٠٩]

٦٠ - وقال في قصّة متظلم : العدل أمامك .

وفي رقعة محبوس قال : تُب تطلق .

وفي رقعة رجل قَتَل : كتاب الله بيني وبينك .

وفي رقعة متنصح : لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك .

وفي رقعة رجل شكا أهل بيته : أنتما في الحق سِيَّان .

وفي رقعة امرأة حُبس زوجها : الحق حبَسَه .

وفي رقعة رجل تظلّم من ابنه : إن لَمْ أُنصفك منه فأنا ما ظَلمتُكَ .

[٤ / ٢٠٩]

دراسة النصوص :

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٨١ .

النصان رقم (٥١ ، ٥٢) يدلان على معنى واحد . وأورد المؤرخون ما يوافق ذلك[١] .

ويشير ابن قتيبة وابن حمدون إلى أن عامله على حمص هو الذى طلب منه بناء المدينة .

النصان رقم (٥٣ ، ٥٤) لم أجد من ذكرهما من المتقدمين ، وذكرهما أحمد صفوت في توقيعات عمر[٢] .

والنص رقم (٥٥) لم أجد من ذكره ، والآية الكريمة التي استدّل بها الخليفة هي آخر آية نزلت من القرآن كما قاله الخليفة ، ويُروى أن النبي ﷺ عاش بعد نزول هذه الآية تسع ليالى ، وقيل واحد وثلاثين يوماً[٣] .

أما النصوص (٥٦ - ٦٠) كلّها من توقيعات الخليفة[٤] و لم أجد من ذكرها من المتقدمين .

من فقه عمر بن عبد العزيز :

٦١ - كتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر إنّ رجلاً شتمك فأردتُ أن أقتله ، فكتب إليه : لو قتلته لأقدتك به ، فإنه لا يقتل رجل بشتم أحد إلا رجل شتم نبيّاً . [٤ / ٤٣٦]

دراسة النص :

---

(١) اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٣٠٦ نصاً قريباً وشبيهاً له ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ١٣ ؛ ابن عبد البّر : بهجة المجالس ١ / ٣٤٤ ؛ ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ص ٤٢٤ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١٠ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١١٥ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢١٦ .

(٢) انظر أحمد صفوت : جمهرة رسائل العرب ٢ / ٥٨٠ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٣٣ .

(٤) انظر أحمد صفوت : جمهرة رسائل العرب ٢ / ٥٨٠ - ٥٨١ .

هذا النص لم أجد من ذكره عن عمر غير المصنف ، وهو نص مستقيم ، ويدل على فقه عمر رضى الله عنه ، فقد أخرج أبو داود في سننه : إن أعمى كانت له أُمُّ ولدٍ تشتم النبى ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهى ، ويزجُرُها فلا تنزجرُ قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه ، فأخذ المِغْوَل[1] فوضعه في بطنها ، واتكأ عليها فقتلها ، فوقع بين رجليها طفل ، فلطخت ما هناك بالدم ، فلما أصبح ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ ، فجمع الناس فقال : ((أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام)) فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أنا صاحبها ، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهى ، وأزجرها فلا تنزجر ، ولى منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بى رفيقة ، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها ، فقال النبي ﷺ ((ألا اشهدوا أن دمها هدر)) .

وكانت يهودية تشتم النبيّ ﷺ وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل رسول الله ﷺ دمها[2] .

معاملته لأهل الذمة :

٦٢ - كتب عمر إلى عمّاله : مُرُوا من كان على غير الإسلام أن يضعوا العمائم ، ويلبسوا الأكسية[3] ولا يشتبهوا بشيء من الإسلام ، ولا تتركوا أحدً من الكفار يستخدم أحداً من المسلمين . [٤ / ٤٣٦]

دراسة النص :

---

(١) المِغْوِل : سيف دقيق له قَفاً يكون غمده كالسَّوْط . (اللسان ١١ / ٥١٠ مادة غ و ل) .

(٢) سنن أبى داود كتاب الحدود ، باب حكم من سبّ النبى ﷺ حديث (٤٣٦١) وحديث (٤٣٦٢) .

(٣) الأكسية : جمع كساء وهو اللباس . (معجم الوسيط ٢ / ٧٨٨) .

لم أقف على من ذكر النص بهذه الصيغة ، لكن ذكر أبو يوسف[١] وابن عبد الحكم[٢] رسائل عمر بن عبد العزيز إلى عماله في شأن معاملة أهل الذمة وتضمنت مثل هذا حتى يتميزوا عن المسلمين بزي خاص بهم فلا يختلط أمرهم .

مقابلة الوفود :

٦٣ – حَدَّث العُتبيّ عن سفيان بن عُيينة قال : قدم على عمر بن عبد العزيز ناسٌ من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحوّش للكلام ، فقال : أكبروا أكبروا ؛ فقال : يا أمير المؤمنين إنه ليس بالسنّ ، ولو كان الأمر كلّه بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك ؛ فقال عمر : صدقْتَ رحمك الله ، تكلّم ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنا لم تأتِكَ رغبة ولا رهبة ، أما الرَّغبة فقد دخلتَ علينا منازلنا ، وقَدِمت علينا بلادنا ، وأما الرَّهبة فقد أمَّننا الله بِعدْلك من جَوْرك ؛ قال : فما أنتم ؟ قال : وفْد الشُّكر ؛ قال : فنظر محمد بن كَعْب القُرَظِيّ إلى وجه عمر يهلّل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبنّ جهلُ القوم بك معرفتك بنفسك ، فإنّ ناساً خدَعهم الثناءُ ، وغَرَّهم شكرُ الناس فهلكوا ، وأنا أُعيذك بالله أن تكون منهم . فألقى عُمَرُ رأسَهُ على صَدْره . [٢ / ١٤٠ – ١٤١]

دراسة النص :

هذا النص يوافق ما في المصادر الأدبية[٣] ولكنها جميعاً أوردته من غير إسناد .

وقد أراد عمر أن يعلم الشاب بمبدأ تقديم الأكبر في الحديث لأنه السنة .

ولكن حينما قال الشاب أنه ليس بالسن، استسلم عمر. ومن ناحية أخرى لم يمنع الموقف محمد بن كعب من إبداء النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) الخراج ص ١٣٧ – ١٣٨ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٣٦ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٢٣٠ ؛ المرتضى : امالى المرتضى ١ / ٢٧٧ مختصراً ؛ القيروانى : زهر الآداب ١ / ٤٠ ؛ وانظر : الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٦٩ .

أما حجة الغلام فليست صحيحة لأنه لا يشترط في الإمام أن يكون أكبر الأمة سناً

وهذا مما يقدح في صحة الرواية إذ مثل هذا لا يغيب عن عمر حتى يستسلم له ويصدقه .

عمر ومجالس العلماء :

٦٤ – قال عمر بن عبد العزيز : وَدِدت لو أن لى مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مَسْعود[١] لم يَفُتْنى . [٢ / ٢٣١]

٦٥ – دخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه ، وفيهم شابٌ ذابل ناحل . فقال له عُمر : يا فتى ، ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أمراضٌ وأسقام ، قال له عمر : لَتُصْدُقنّى . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذُقْتُ يوماً حلاوة الدنيا فوجدتُها مُرَّة عواقِبها ، فاستوى عندى حجرُها وذهبُها ، وكأنى أنظر إلى عرش ربِّنا بارزاً ، وإلى الناس يساقون إلى الجنة والنار ، فأظمأتُ نهارى ، وأسهرتُ ليلي ، وقليل كلُّ ما أنا فيه في جَنْبِ ثواب الله وخوف عقابه . [٣ / ١٧٨]

دراسة النص :

النص رقم (٦٤) ذكر الفسوى نصاً قريباً منه قال عمر : ((ما سمعت أو ما رويت عن عبيد الله وحده أكثر مما سمعت من سائر الناس))[٢] .

وقد أشارت المصادر إلى أن عمر كان يختلف إلى عبيد الله يسمع منه العلم[٣] ، وذلك عندما كان في المدينة قبل تولية الخلافة . وكان يقول وهو

---

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أبو عبد الله الهذلى ، المدنى ، الأعمى ، ولد في خلافة عمر ، وكان عالماً ، فقيهاً ، ثقة كثير الحديث ، وكان رجلاً صالحاً ، وهو معلِّم عمر بن عبد العزيز ، وتوفى سنة ثمان وتسعين ، وقيل : تسع وتسعين . (سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٧٥ – ٤٧٩) .

(٢) الفسوى : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٦٠ ، ٥٦٣ .

(٣) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٠٠ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١١٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٠١ .

خليفة : لو كان عبد الله حياً لما صدرت إلا عن رأيه[١] . ولا عجب في ذلك فإن عادة عمر كانت أن يجمع كل ليلة الفقهاء ، يتذكرون الموت والقيامة والآخرة[٢] .

النص رقم (٦٥) ذكره ابن قتيبة[٣] ؛ وفيه حرص أهل الفضل والعلم على زيارة الخليفة ، وملاحظة عمر لزواره وسؤاله عن أحوالهم .

عمر وملك الهند :

٦٦ - بعث ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً فيه : من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك ، والذي تحته ابنةُ ألف ملك ، والذى في مَربَطِه ألف فِيل ، والذي له نهران يُبتان العُود والأُلُوَّة والجَوز والكافور ، والذى يوجد ريحه على مَسيرة اثنى عشر ميلاً ، إلى ملك العَرَب الذي لا يشرك با لله شيئاً ، أما بعد ، فإني قد بعثتُ إليك بهديةٍ وما هي بهدية ولكنها تحيَّة ، واحْببتُ أن تبعَث إليَّ رجلاً يُعلِّمنى الاسلام ، والسلام (يعنى بالهديَّة الكتاب) . [٢ / ٢٠٢]

دراسة النص :

لم أجد من خرج هذا النص غير المصنف . ويظهر أن هذا الملك من ملوك الهند الذين أسلموا في عهد عمر بن عبد العزيز ، حينما أرسل إليهم يدعوهم إلى الإسلام ؛ وقد طلب الملك من الخليفة أن يبعث إليه من يعلمه الإسلام .

وقد كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وقد كانت سيرته بلغتهم ، فأسلم عدداً من الملوك أمثال جيشبه بن داهر ، فتسموا بأسماء العرب[٤] .

---

(١) الفسوى : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٦٠ ، ٥٦٣ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢١٥ .

(٣) عيون الأخبار ٢ / ٣٥٢ من طريق أنس بن مصلح عن أبى سعيد المصيصى .

(٤) الكامل في التاريخ ٥ / ٥٤ ؛ وانظر : الساعاتي : جهود المسلمين لفتح بلاد السِّند والبنجاب ونشر الإسلام فيهما ص ١٤٦ ، وفيه بحث مفيد في جهود الخليفة عمر بن عبد العزيز لنشر الإسلام في القارة الهندية .

متفرقات :

٦٧ - قال عمر بن عبد العزيز لرجل من بنى أمية كان له أخوال من بنى مُرّة قَبح الله شَبَهاً غلب عليك من بنى مُرّة . فبلغ ذلك عقيل بن عُلّفة[١] ، فأقبل إليه فقال له قبل أن يبتدئه بالسلام : بلغنى يا أمير المؤمنين إنك غضبتَ على رجل من بنى عمّك له أخوال في بنى مُرّة ، فقلت : قبح الله شبهاً غلب عليك من بنى مرة ، وأنا أقول قبح الله الأم الطرفين ، ثم انصرف . فقال عمر بن عبد العزيز : من رأى أعجب من هذا الشيخ الذى أقبل من البادية ليست له حاجة إلا شَتْمُنا ثم انصرف ؟ فقال له رجل من بنى مُرّة : والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه وقومه ، نحن والله الأمُ الطرفين . [٢١ / ١٩١]

٦٨ - قال رياح بن عُبيدة[٢] : اشتريتُ لعمر بن عبد العزيز قبل الخلافة مطرفاً[٣] بخمسمائة ، فاستخشنه وقال : لقد اشتريته خشناً جداً ، واشتريت له بعد الخلافة كِساء بثمانية دراهم ، فاستلانه وقال : اشتريته ليناً جداً . [٤ / ٤٣٤]

٦٩ - وسمع عمر بن عبد العزيز خَصِيّاً للوليد بن عبد العزيز واقفاً على قبر الوليد وهو يقول : يا مولاى ، ماذا لقينا بعدك ؟ فقال له عمر : أما والله لو أذِن له في الكلام لأخبر أنه لقي بعدكم أكثر مما لقيتم بعده . [٣ / ٢٤٣ - ٢٤٤]

٧٠ - أتى اعرابيّ عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ساقَتْه إليك الحاجة ، وبلغت به الغاية ، والله سائلُك عن مقامى هذا . فقال عمر : ما سمعتُ ابلغ من قائل ، ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا . [٣ / ٤٣٤]

---

(١) عقيل بن علقة : تقدمت ترجمته .

(٢) رياح بن عبيدة الباهلى مولاهم ، كان في صحابة عمر بن عبد العزيز بالمدينة ، ثم خرج إلى الشام فكان معه . انظر : (مختصر تاريخ دمشق ٨ / ٣٤٣) .

(٣) المُطرف : رداء من خز مربع له أعلام ، وقيل ثوب مربع من خزّ له أعلام . (اللسان ٩ / ٢٢٠ مادة ط ر ف) .

دراسة النصوص :

النص رقم (٦٧) يبدوا أن المصنف نقله من ابن قتيبة[١] ، الذى أورد الرواية مثله بدون إسناد ؛ و لم أجد من تابعهما غير الاصفهانى وابن نباته[٢] ، وهما من الجماعين للأخبار من دون تمييز لصحيحها من سقيمها ، والنص فيه ألفاظ منكرة لا تليق بمقام عمر وأخلاقه .

النص رقم (٦٨) ذكره ابن عبد الحكم[٣] بدون اسناد ، فيما أخرج ابن سعد خبراً قريباً منه وهو « أن حجاج الصوّاف قال : أمرنى عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة أن أشترى له ثياباً فاشتريت له ثياباً فكان فيها ثوب باربعمائة ، فَقَطّعه قميصاً ثمّ لمسه بيده فقال : ما أخشنه وأغلظه ! ثمّ أمر بشراء ثوب له وهو خليفة فاشتروه بأربعة عشر درهماً فلمسه بيده فقال : سبحان الله ما أَلْيَنه وأدَقّه ! »[٤] .

وأورد ابن الجوزى : « أن رياح بن عبيدة كان تاجراً من أهل البصرة يعامل عمر بن عبد العزيز ، يأمره وهو بالمدينة أن يشترى له جبة خزّ ، قال : فاشتريتها بعشرة دنانير ، ثم أتيته بها فمسها ، وقال : إنى لاستخشنها ، فلما ولى الخلافة أمرنى فاشتريت له جبة صوف بدينار ، فأتيته بها فجعل يدخل يده فيها ويقول : ما ألينها . فقلت : عجباً ! تستخشن الخز أمس وتستلين الصوف اليوم ؟ قال : تلك حال ، وهذه حال »[٥] .

ومما سبق من النصوص تدلنا على أن حالة عمر قد تغيّرت بعدما اسندت إليه الخلافة ، حيث زهد كثيراً في ملذات الدنيا وزينتها . « وكان من أعطر الناس

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٢٨٨ .

(٢) الأغانى ١٢ / ٣٠٤ ؛ سرح العيون ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٢ - ٤٣ وفيه ثمان مائة بدلاً من خمسمائة .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٣٤ .

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧٨ قريباً منه ص ١٧٦ .

وألبس الناس وأخيلهم مشية ، فلما استخلف قوموا ثيابه باثنى عشر درهماً من ثياب مصر))[١] .

النصان رقم (٦٩ - ٧٠) لم أجد من ذكرهما غير المصنف ولا يوجد في متنهما ما يستنكر .

سيرته في تحمل المصائب والعزاء :

٧١ - لما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموتُ قال له عمر : كيف تجدك يا بنى ؟ قال : أجدنى في الموت ، فاحتسبْنى ، فثواب الله خيرٌ لك منى . فقال : يا بنى ، والله لأن تكون في ميزانى أحبَّ من أن أكون في ميزانك . قال : أما والله لأن يكون ما تحب أحبُّ إلىّ من أن يكون ما أحبّ ، ثم مات . فلما فرغ من دفنه وقف على قبره ، وقال : يرحمك الله يا بنى ، فلقد كنت سارّاً مولوداً ، وبارّاً ناشئاً ، وما أحبّ أنى دعوتُك فأجبتنى ، فرحم الله كلَّ عبدٍ من حُر أو عبد ، ذكر أو أنثى دعا لك برحمة ، فكان الناس يترحّمون على عبد الملك ليدخلوا في دعوة عمر - ثم انصرف فدخل الناس يُعزّونه ، فقال : إن الذى نزل بعبد الملك أمرٌ لم نزل نعرفه ، فلما وقع لم نُنكره .

[٤ / ٤٣٨] نحوه [٣ ، ٢٤٣] ونحوه [٦ / ٢٣٠]

٧٢ - قال عمر بن عبد العزيز لأبى قلابة[٢] ، وقد ولّى غسل ابنه عبد الملك إذا غسلته وكفّنتَه فآذنّى قبل أن تُغَطِّي وجهه ، فَفعل فنظر إليه وقال : رحمك الله يا بنى وغفر لك . [٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠]

٧٣ - لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب عمر إلى عمّاله : إن عبد الملك كان عبداً من عبيد الله ، أحسن الله إليه ، وإلىّ فيه ، أعاشه ما شاء

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٤٠٢ .

(٢) هو عبد الله بن زيد الجرميّ ، عالم بالقضاء والأحكام ، ناسك من أهل البصرة ، أرادوه على القضاء فهرب إلى الشام ، وكان ديوانه بالشام ، وكان من رجال الحديث الثقات ، توفى سنة ١٠٤ هـ أو ١٠٥ هـ بداريا . (ابن قتيبة : المعارف ٤٤٦ ؛ الزركلي : الأعلام ٤ / ٢١٩) .

وقَبَضَه حين شاء ، وكان – ما علمتُ من صالحي شباب أهل بيته قراءة للقرآن وتحرِّياً للخير ، وأعوذ با لله أن يكون لي مَحَبَّة أخالف فيها محبة ا لله ، فإن ذلك لا يُحسن في إحسانه إليّ ، وتتابُعِ نعَمه عليّ ، ولأعلمنّ ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة ، قد نهينا أهله الذين هم أحقُّ بالبكاء عليه . [٣ / ٣٠٩]

٧٤ – وعزّى محمد بن الوليد بن عتبة[1] عُمرَ بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعِدّ لما تَرى عُدَّةً لكن لك جُنة من الحُزن وسِتْراً من النار . فقال عمر : هل رأيت حُزناً يحتَجّ به ، أو غفلة يُنَبَّه عليها ؟ قال : يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً ترك تعزية رجل لِعِلمِه وانتباهه لكُنْتَه ، ولكن ا لله قضى أن الذِّكرى تنفع المؤمنين . [٣ / ٣١٠]

٧٥ – توفِّيت أختَ لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل فعزّاه ، فلم يَرُدّ عليه ، ثم اخر فلم يردّ عليه ، فلما رأى الناس ذلك امسكوا ومشوا معه . فلما دخل الباب أقبل على الناس بوجهه فقال : أدركتُ الناس وهم لا يُعزّون في المرأة إلا أن تكون أمًّا ، انقلبوا رحمكم ا لله .

[٣ / ٣١٠] ونحوه [٤ / ٤٣٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (٧١) ذكره ابن قتيبة[2] وابن الأثير[3] حتى قوله : ((وا لله لأن يكون ما تُحبّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أحبّ فمات)) . وقد ورد في السنة أن نذكر محاسن موتانا حيث قال النبي ﷺ : ((اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن

---

(١) محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب الأموي العتبيّ ، كان من فصحاء أهل بيته ، وقد خطب إلى عمر بن عبد العزيز أُخته أمَّ عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بكلام حار الحفظ ، فزوّجه عمر بها . (ابن منظور : تاريخ دمشق ٢٣ / ٣٠٠ – ٣٠١) .

(٢) عيون الأخبار ٦ / ٣١٢ .

(٣) الكامل في التاريخ ٥ / ٦٥ .

مساويهم))[١] . والحقيقة أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كان على سيرة طيّبة .

النص رقم (٧٢) أورد مثله المبرد[٢] . وفعل عمر بن عبد العزيز تؤيده الآثار الصحيحة . فقد أخرج البخاري في صحيحه أن ابا بكر رضي ا لله عنه دخل على النبي ﷺ بعد وفاته ، وكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبّله ، ثم بكى[٣] .

وثبت في الصحيح أيضاً أن حابر بن عبد ا لله قال : لما قتل أبِى جعلت أكشف عن وجهه أبكى ، وينهونى والنبى ﷺ لا ينهانى[٤] .

أما النص رقم (٧٣) لم أجد من ذكره .

وفيه تعليم عمر بن عبد العزيز للأمة بعض تعاليم الإسلام وآدابه ، وأخبرهم أن الدِّين نهى عن النياحة وما شابهها . وذلك بما ورد عن النبى ﷺ أنه قال : ((ليس منا من لم لَطَم الخدود ، وشقَّ الجُيُوبَ ، ودعا بدعوة الجاهلية))[٥] .

وأما النص رقم (٧٤) ذكر الزمخشريُّ أن محمد بن الوليد عَزّى عمر بن عبد العزيز ، وقال محمد لعمر كلاماً غير الذي ورد في النص[٦] .

---

(١) رواه أبو داود ٤ / ٢٧٥ كتاب الأدب ، باب في النهي عن سب الموتى رقم (٤٩٠٠) والترمذي كتاب الجنائز ، باب رقم (٣٣) (مع تحفة الأحوذي ٤ / ٨٥) بسند ضعيف عن ابن عمر رضي ا لله عنهما ، لأن فيه عمران أبو أنس المكي ، وهو ضعيف ، انظر (ابن حجر : تقريب التقريب ص ٤٢٩) .

(٢) التعازي والمراثي ص ٥٩ عن طريق المدائني عن سليمان بن أرقم .

(٣) صحيح البخارى (مع الفتح) ٣ / ١٣٦ كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت حديث (١٢٤١) .

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ٣ / ١٣٧ كتاب الجنائز ، باب دخول على الميت حديث رقم (١٢٤٤) .

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ٣ / ١٩٥ كتاب الجنائز ، باب لبس من شقّ الجيوب حديث (١٢٩٤) .

(٦) ربيع الأبرار ٤ / ١٨٢ .

النص رقم (٧٥) أورده الزبير بن بكار وابن منظور[١] وذكر الزمخشريّ أن بنتاً لعمر بن عبد العزيز ماتت ، فأتاه الناس ، فقال لحاجبه : قل لهم : إنا لا نُعزي على البنات والأخوات فارجعوا[٢] . وهذا النص فيه غرابة ونكارة . فإن النصوص الواردة في التعزية وفضلها عامة ، فلا فرق بين الذكر والأنثى ، فقد أورد صاحب نيل الأوطار[٣] أحاديثاً تدل على ذلك مثل : قول النبي ﷺ : ((ما من مؤمن يُعزي أخاه بِمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة)) رواه ابن ماجه .

وقوله : ((من عَزَّى مصاباً فله مثل أجره)) رواه ابن ماجه والترمذى .

وقوله : ((ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن قدِم عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جدَّ الله تبارك وتعالى له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب)) رواه أحمد وابن ماجه .

مرضه ووفاته :

٧٦ - لما احتُضرَ عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن مسلمة بن عبد الملك ، فأذن له وأمره أن يُخفِّف الوقفة ، فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنّا خيراً ، فلقد ألنتَ لنا قلوباً كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا في الصالحين ذكراً . [٣ / ٢٣٠]

٧٧ - زياد عن مالك قال : دَخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المَرْضة التى مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولا بدّ لهم من شيء يُصلحهم ، فلو

---

(١) الأخبار الموفقيات ص ٣٤٠ ، مع اختلافٍ بسيط ، بسند فيه من طريق عبد الله بن نافع ، وزاد : ((وامرأة للطف موضعها ، وانه لا يحلُّ محلّها أحد)) . مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٢١ بسندٍ فيه عبد الله بن نافع .

(٢) ربيع الأبرار ٤ / ٢٠٧ .

(٣) محمد بن على الشوكانى : نيل الأوطار ٢ / ٩٤ كتاب الجنائز ، باب تعزية المصاب وثواب صبره وامره وما يقول ذلك .

أوصيتَ بهم إليّ أو إلى نُظرائك من أهل بيتــك لكفيتُـك مؤونتهـم إن شـاء ا لله . فقال عمر : اجلسوني ، فأجلسـوه ، فقـال : الحمـد لله ، أبـا الفَقْـر تُخوّفنـي يـا مسلمة ، أما ما ذكرت أني فطمتُ أفواه ولدي عـن هـذا المـال وتركتهـم عالـة ، فإني لم أمنعهم حقّاً هو لهم و لم أعطهـم حقـاً هـو لغيرهم ، وأمـا مـا سـألت مـن الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي ، فإن وصيتي بهـم إلى ا لله الـذي نـزّل الكتابَ وهو يتول الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل أتقى ا لله فجعـل ا لله له من أمره يُسراً ورَزقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غيّر وفجر ، فلا يكـون عُمـر أوّل مـن أعانـه علـى ارتكابـه ، ادعـوا إلى بنّـي فدعوهـم ، وهـم يومئـذ أثنا عشر غلاماً ، فجعل يُصعد بصره فيهم ويصوَّبه حتى اغرورقت عيناه بالدَّمع ، ثم قال : بنفسي فِتية تركتهم ولا مال لهم . يا بنيّ ، إنـي قـد تركتكـم مـن ا لله بخير ، إنكم لا تمرون على مسلم ولا مُعاهد إلا ولكم عليـه حـقّ واجـب إن شـاء ا لله ، يا بني : مَثّلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكـم النـار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يا بني عصمكم ا لله ورزقكم . قال : فما احتاج أحدٌ من أولاد عمر ولا افتقر .
[٤/ ٤٣٩ - ٤٤٠]

٧٨ - ميمون بن مهران[1] قال : كنت عند عمر فكَثُر بكـاؤه ومسـألته ربَّـه الموت ، فقلت : لم تسأل الموت ! وقد صنَع ا لله على يديـك خـيراً كثيراً ، أحيـا بك سنناً وأمات بك بِدَعاً . قال : أفلا أكـون مثـل العبـد الصـالح حـين أقـرَّ ا لله عينَه وجمع له أمره ، قـال : ﴿ **رَب قـد اتيتنـي مـن الملـك وعلمتنـي مـن تـأويل الأحاديث فاطِر السموات والأرض أنت ولّي في الدنيا والآخرة توفنـي مسـلماً وألحقني بالصالحين** ﴾[2] . [٤ / ٤٣٥]

---

(١) ميمون بن مهران الرقيّ أبو أيوب الفقيه قاضي الجزيرة وكان من العلمـاء العـاملين ، وتوفـي سـنة (١١٧ هـ) . انظر : العبر في خبر من غبر ١ / ١١٢ - ١١٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية (١٠١) .

٧٩ - دخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه فسأله عن علّته ، فلما أخبره قال : مِن هذه العلة مات فلان ومات فلان . فقال له عمر : إذا عُدت المرضى فلا تَنْعَ إليهم الموتى ، وإذا خرجت عنّا فلا تعُد إلينا . [٢ / ٤٥٠]

٨٠ - اشترى عمر بن عبد العزيز من صاحب دَيْر سمعان[1] موضع قبره بأربعين درهماً . ومرض تسعة أيام . ومات رضي الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك . [٤ / ٤٤٠]

٨١ - المدائني قال : مات عمر يوم الجمعة لستٍ بقين من رجب ، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك . [٤ / ٤٣٢]

٨٢ - مرض عمر بن عبد العزيز بأرض حِمْص ، ومات بدير سمعان . فيرى الناس أن يزيد بن عبد الملك سمّه ، دسّ إلى خادم كان يخدُمه ، فوضع السمّ على ظِفْر إبهامه ، فلما استسقى عمر غَمس إبهامَه في الماء ثم سَقاه ، فمرض عمر مرضَه الذي مات فيه . فدخل عليه مسلمةُ بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنّا خيراً ، فلقد عطفت علينا قلوباً كانت عنّا نافرة : وجعلتَ لنا في الصالحين ذكراً . [٤ / ٤٣٩]

٨٣ - لما مات عمر بن عبد العزيز قَعد مسلمة على قبره ، فقال : أما والله ما أمِنْتُ الرِّق حتى رأيتُ هذا القبر . [٤ / ٤٣٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (٧٦) ذكر ابن عبد الحكم أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر في مرضه الذي مات فيه ، فأوصاه عمر أن يحضر موته ، وأن يلي غسله وتكفينه ، أن يمشي معه إلى قبره ، وأن يكون ممن يلي إدخاله في لحده ... وقال مسلمة : جزاك الله عنا خيراً يا أمير المؤمنين ، والله لقد ألنت لنا قلوباً قاسية ، وجعلت لنا ذِكراً في الصالحين[2] .

---

(١) دير سمعان : دير في نواحي دمشق في موضع نزه وبساتين محدقة به . (معجم البلدان ٢ / ٥٨٥ - ٥٨٦) .

النص رقم (٧٧) أورد ابن منظور[١] وابن كثير[٢] مثله ولا عجب بأن يرفض عمر بن عبد العزيز ويستنكر ما طلب منه مسلمة ، لأنه لا يمكن أن يقبل ما لم يفعله طول خلافته ، وكانت سياسته المالية تجاه رعيته ، وخاصة البيت الأموي معروفة . ونصيحته لأولاده من أروع وأصدق النصائح ، وهي موعظة المودّع ، وفيها دروس مفيدة .

النص رقم (٧٨) لم أجد من ذكره غير المصنف ؛ واستدلال عمر بالآية مستقيم ، ومتبع فيه نبي من الأنبياء ولا يعتبر من تمنى الموت المنهى عنه[٣] . وقد قال رسول الله ﷺ عند موته : اللهم اغفر لي وارحمنى وألحقني بالرفيق الأعلى[٤] .

النصوص رقم (٧٩ ، ٨٠ ، ٨١) فيها عدة أمور منها :

(١) شراء عمر موضع قبره :

وهو ما أكدته المصادر ، غير أنها تختلف في مقدار ثمن الشراء . فذكر ابن عبد الحكم أن عمر اشترى موضع قبره بعشرين ديناراً ، وقيل بعشرة دنانير[٥] .

وذكر الفسوى : أنه اشتراه بستة دنانير[٦] .

وأورد ابن سعد روايتين احداهما تقول : أن عمر اشترى موضع قبره بدينارين . والأخرى أنه اشتراه قبل أن يموت بعشرة دنانير[٧] .

وذكر ابن الجوزى أن اشتراه بستة دنانير ، وفي رواية بعشرة دنانير[٨] .

---

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٥ بدون إسناد .

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٢٥ .

(٢) البداية والنهاية ٩ / ٢١٨ .

(٣) انظر : ابن كثير : تفسر القرآن العظيم ٢ / ٤٩٢ .

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ١٠ / ١٣٣ كتاب المرضى ، باب تمنى الموت حديث (٥٦٧٤) .

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٥ .

(٦) االمعرفة والتاريخ ١ / ٦١٠ .

(٧) الطبقات الكبرى ٥ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٨) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢٣ .

وأشار ابن منظور إلى انه اشتراه بثلاثين ديناراً[١] . ونقل الذهبي أنه اشتراه بدينارين ، رواية ابن سعد[٢] .

(٢) مدّة مرضه :

تذكر بعض المصادر أن عمر اشتكى عشرين يوماً[٣] قبل موته ، خلافاً لما ذهب إليه ابن عبد ربه .

(٣) تاريخ ومكان وفاته :

يذكر المؤرخون أن عمر وافته المنية وهو في دير سمعان من بلاد المعمرة من أعمال حمص[٤] .

أما تاريخ وفاته ، فقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ اليوم الذي مات فيه حيث ذهب بعضهم إلى أنه توفى في يوم الجمعة لخمس بقين من رجب . سنة إحدى ومئة[٥]. فيما ذهب الآخرون لعشر بقين من رجب. سنة إحدى ومئة[٦].

(٤) الصلاة عليه :

اختلف المؤرخون فيمن صلّى على عمر بن عبد العزيز :

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٢٥ ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣٦٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ١٤٥ .

(٣) ابن سعد : ابن سعد الطبقات ٥ / ٤٠٤ ، ٤٠٨ ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ٥٦٥ ؛ ابن الجوزي : سيرة عمر ص ٣١٦ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ١٩ / ١٢٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٤٠٨ ؛ خليفة : التاريخ ص ٣٢١ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٦٥ ؛ القضاعي : التاريخ ص ٣٦١ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ٩٩ ، ص ٢٠١ ؛ ابن الجوزى : المصدر السابق ص ٣٢٧ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣٦٥ ؛ الذهبى : المصدر السابق ٥ / ١٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٢٠ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٤٠٨ وفيه يوم الأربعاء ؛ خليفة : التاريخ ص ٣٢١ ؛ الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٦٥ عن طريق أبى مخنف وأبى معشر ؛ العظيمى : التاريخ ص ٩٩ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر ص ٣٢٧ ؛ الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ١٧٨ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٣٦٥ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٤٤ نقلاً عن خليفة ، ويذكر الذهبى أيضاً لخمس مضين ٥ / ١٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٢٠ وفيه يوم الخميس ، وذكر أيضاً لخمس مضين .

(٦) الطبرى : التاريخ ٦ / ٥٦٥ عن طريق الواقدى ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢٧ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية

فذهب البعض : أنه صلّى عليه ابن عمه وولّ عهده يزيد بن عبد الملك[١] .

فيما ذهب الآخرون : أنه صلّى عليه مسلمة بن عبد الملك[٢] .

وقيل صلّى عليه ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[٣] .

الرواية رقم (٨٢) يروي بعض المؤرخين أن عمر بن عبد العزيز توفي بسبب سم دس له بواسطة غلامه . وتقول أن عمر دعا غلامه هذا وقال : ويحك ما حملك على أن تسقيني السُّمَّ ، قال : ألف دينار أعطيتُها . وعلى أن أعتق . قال : هاتها . فجاء بها فألقاها في بيت المال ، وقال : اذهب بحيث لا يراك أحد[٤] .

ويصرح ابن الأثير أن بني أمية لما خافت أن يخرج عمر ما بأيديهم من الأموال ويخلع يزيد من ولاية العهد ، وضعوا عليه من سقاه سمّاً[٥] .

وهذه الأقوال لم ترد بأسانيد يعتمد عليها ، ويبدوا أن هذا لم يكن سوى شائعة من تلك الشائعات التى روج لها أعداء بنى أمية[٦] . والحقيقة أن خلافة عمر بن عبد العزيز لم تستمر طويلاً حتى يسْأم ويمل الناس منها ، وخطواته في الإصلاح كانت متدرجة تسير بهدوء وصدق حتى لا تثير عليه مراكز القوى ، ولهذا لا نجد أي مبرر يدعو إلى اغتياله .

النص رقم (٨٣) لم أجد من ذكره غير المصنف ، ومعناه فاسد وغير متصور مما يدل على ضعفه .

---

(١) خليفة : التاريخ ص ٣٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٢٠ .

(٢) اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٢١٨ ؛ ابن الجوزى : سيرة عمر ص ٣٢٨ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٤٤ ؛ ابن كثير : البداية ٩ / ٢٢٠ .

(٣) ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٢٢٠ .

(٤) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١٢٥ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ١٤٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٦٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢١٨ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٨ .

(٥) الكامل في التاريخ ٥ / ٤٨ .

(٦) انظر عبد الشافي : العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ١٨٢ .

٦ - يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) .

نسب يزيد بن عبد الملك وخلافته :

١ - ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم . وأمه عاتكه[١] بنت يزيد ابن معاوية ، يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة . [٤ / ٤٤١]

دراسة النص :

يتضمن النص سياق نسب يزيد بن عبد الملك ، ونسب أمه وهو مطابق لما في كتب الأنساب[٢] . وكذا في المصادر التاريخية والأدبية[٣] .

كما تضمن تاريخ بيعة يزيد بالخلافة وهو موافق لما ذكره أكثر المؤرخين[٤] .

أسماء أولاد يزيد :

٢ - الوليد ويحيى وعبد الله[٥] والغَمْر[٦] وعبد الجبّار[٧] وسليمان وأبو سفيان ، وهاشم وداود ولا عقب له ، والعوّام ، ولا عقب له . [٤ / ٤٤١]

---

(١) عاتكة بنت يزيد بن معاوية : عُمرت إلى أن أدركت قتل ابن ابنها الوليد بن يزيد . انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٩١ .

(٢) مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٦٢ - ١٦٣ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٩١ .

(٣) خليفة : التاريخ ص ٣٢٢ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ٢٠٦ ؛ ابن حبّان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٦ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ٢٥٤ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٨ / ٣٣٧ - ٣٣٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣٨٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤١ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٣٢٢ دون ذكر الشهر ؛ اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٣١٠ ؛ المسعودى : المصدر السابق ٣ / ٢٠٦ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ١٨ / ٣٣٨ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٧٢ ؛ الكتبي : المصدر السابق والصفحة ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤١ .

(٥) عبد الله : أمه سَعْده بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . (جمهرة أنساب العرب ص ٩١) .

(٦) الغمر قتل يوم ابى فطرس ، فولد الصيغى بن الغمر ، ولهم عقب (المصدر السابق ص ٩١) .

(٧) عبد الجبار قتل يوم ابى فطرس . المصدر نفسه ص ٩١ .

دراسة النص :

أورد اليعقوبى[١] وابن حزم[٢] أسماء أولاد يزيد ، بما يوافق الرواية وقد تولى الخلافة من أولاد يزيد : الوليد عقب هشام في سنة مائة وخمس وعشرين وكانت ولايته سنة وعشرين يوماً[٣] .

لهوه وصباه :

٣ - قال : لما كَلِف يزيد بحبابة[٤] واشتغل بها وأضاع الرَّعيّة ، دخل عليه مسلمة أخوه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، تركت الظهور للعامّة والشهود للجُمعة وأضعت أمر المسلمين واحتجبت مع هذه الأمة . فارعوى قليلاً وظهر للناس ، فأوحت حَبابة إلى الأحوص[٥] أن يقول أبياتاً يُهوِّن فيها على يزيد ما قال مسلمة فقال ، وغنّت بها حَبابة :

ألا لا تلمْه اليومَ أن يتبلّدا ... فقد مُنع المحزون أن يتجلّدا
إذا أنتَ لم تَعشَق و لم تَدْرِ ما الهوى ... فكُن حجراً من يابس الصَّخر جُلْمدا
هل العيشُ إلا ما تلذ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشّنان وفنّدا

فلما سمعها ضَرب بخيزرانته الأرضَ وقال : صدقتِ ! صدقتِ على مسلمة لعنةُ الله ، ثم عاد إلى سيرته الأولى . [٦ / ٦١]

---

(١) تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣١٤ وفيه ذكر محمد بدلاً من عبد الله ، وأبو سليمان بدلاً من أبي سفيان .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٩١ .

(٣) ابن ماجه : تاريخ الخلفاء ص ٣٤ تحقيق محمد مطيع الحافظ ؛ مؤسسة الرسالة ؛ خليفة : التاريخ ص ٣٦٢ ؛ الطبرى : التاريخ ٧ / ٢٥٢ .

(٤) حبابة : لقب ، واسمها العالية ، تكنى أمُّ داود ، جارية ليزيد بن عبد الملك . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٧ / ٢٩٨) .

(٥) أي أبو الحسن المدائنى . الأحوص : أبو عاصم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن عاصم الأنصارى وقد نفاه عمر بن عبد العزيز إلى جزيرة دهلك لكثرة هجوه . (سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٣) .

٤ – محمد بن الغاز[١] قال : حدثنا أبو سعيد عبد ا لله بن شبيب[٢] قال :حدّثنى الزبير بن بكار قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفاً بحبابة كلفاً شديداً ، فلما توفيت أكبّ عليها يتسمّمها أياماً حتى أنتنت . فأخذ في جهازها وخرج بين يدى نَعشها ، حتى إذا بلغ القبر نزل فيه ، فلما فرغ من دفنها لصق به مَسلمة أخوهُ يُعزّيه ويؤنسه ، فقال : قاتل ا لله ابن أبى جمعة[٣] كأنه كان يرى ما نحن فيه حيث يقول :

فإن تَسْلُ منك النفسُ أو تَدَع الهوى   فالناس تَسْلوا عنك لا بالتّجلدِ
وكل خليل زارنى فهو قائل   من أجْلك : هذا ميِّت اليوم أو غَدِ

قال : وطُعِنَ[٤] في جنازتها ، فدفناه إلى سبعة عشر يوماً .

[٤ / ٤٤٤] ونحوه [٦ / ٦٢]

٥ – كان يزيد بن عبد الملك صاحب لهو ولذّات ، وهو صاحب حبابة وسلامة[٥] . [٤ / ٤٤١]

٦ – قال يزيد بن عبد الملك يوماً ، وذكر عنده البربط[٦] فقال : ليت شعري ما هو ؟ فقال له عُبيد ا لله بن عبد ا لله بن عُتبة بن مسعود[٧] : أنا أُخبرك ما هو ،

---

(١) محمد بن الغاز : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) أبو سعيد عبد ا لله بن شبيب الربعى أخبارى علامة لكنه واه . (انظر : ابن حجر : لسان الميزان ٣ / ٢٩٩) .

(٣) ابن أبى جمعة : هو كثير عزة ، نسب إلى أبى والدته ، وهي جمعة بنت الاشيم . انظر : (ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٧٣) .

(٤) طُعِنَ : بالبناء للمجهول : أي أصابه الطاعون .

(٥) سلامة : هي بنت عبد الرحمن بن عبد ا لله بن عمّار أحد بنى جُشم بن معاوية بن بكر ، كان والدها فقيهاً عابداً مجتهداً في العبادة حتى سُمِيَ القسّ لعبادته . (انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ١٢٢) .

(٦) البَرْبَط : العُود من ألات الموسيقى . (المعجم الوسيط ١ / ٤٦) .

(٧) عبيد ا لله بن عبد ا لله ، الإمام الفقيه ، مفتى المدينة ، وعالِمها ، كان ثقة كثير الحديث والعلم وقد ذهب بصره وكان معلم عمر بن عبد العزيز ، توفى سنة (٩٩ هـ) . انظر : (الذهبى : سير أعلام ٤ / ٤٧٥ – ٤٧٩) .

محدوب الظهر[١] ، أرسح[٢] البَطن ، له أربعة أوتار ، إذا حُركت لم يسمعها أحد إلا حَرَّك أعطافه وهزَّ رأسه . [٦ / ٧٣]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة تذكر تعلق يزيد بن عبد الملك بجاريتين هما : حبابة وسلامة ، وحبه الشديد لحبابة .

النص رقم (٣) أورد مثله الأصفهاني في أغانيه[٣] ، وهو ليس بثقة كما أن في سنده الهيثم بن عدى ، اخبارى كان يكذب كما يقول يحيى بن معين[٤] .

وقد ساق ابن عبد ربه النص رقم (٤) بسند فيه ، محمد بن الغاز : وهو مجهول لم نجد له ترجمة في كتب الرجال[٥] .

وأبو سعيد عبد الله بن شبيب ، قال أبو أحمد الحاكم ذاهب الحديث ، وقال ابن حجر أخبارِى علامة لكنه واهٍ[٦] .

وبذلك تكون الروايتان ضعيفتين من حيث السند لجهالة بعض رواتهما ولضعف الآخرين . أما من حيث المتن ففيهما غرائب ونكارة .

وقد ذكر بعض المؤرخين قصة يزيد بن عبد الملك مع حبابة وكذا مع سلامة[٧] لكنها جميعاً لم تذكر ذلك بسند يعتمد عليه .

---

(١) محدوب : من الحدب وهو خروج الظهر ودخول البطن والصدر . (اللسان ١ / ٣٠٠) .

(٢) الأرسح : من الرسح وهو خفّة الأليتين ولصوقهما ، ورجل أرسح : قليل لحم العجز والفخذين . (اللسان ٢ / ٤٤٩) .

(٣) الأغانى ١٥ / ١٢٩ .

(٤) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد ١٤ / ٥٢ .

(٥) ذكر محقق العقد : أن محمد بن الغاز اضطرب ضبطه في بعض الأصول بين " الغار " و " الفار " . العقد ٦ / ٦٢ هامش رقم (١) .

وفي بعض الأصول : " محمد بن الغازى " تحريف انظر العقد ٤ / ٤٤٤ هامش رقم (٤) .

قلت : وقد بحثت عن جميع هذه الأسماء في كتب التراجم فلم أجد له ترجمة .

(٦) لسان الميزان ٣ / ٢٩٩ - ٣٠٠ الطبعة الثانية ١٣٩٠ مؤسسة الأعلى للمطبوعات .

(٧) المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ٢٥٤ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٢ - ٢٤ عن طريق عمر بن شبه عن على بن محمد المدائنى ؛ الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٩ - ٢٠ عن طريق محمد

⇐

أما الرواية رقم (٦) فقد ذكرها ابن عبد ربه بدون سند وهذا كافٍ في ردها . وهي تشير إلى عدم معرفة يزيد لآلات اللهو ؛ وتتّهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه المشهور بمعرفة ذلك ، والكلام المنسوب إليه لا يشبه كلام أهل العلم ، ولا يليق بمكانتهم . مما يدل على وضعه . وقد ثبت أن يزيد كان يكثر مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولّى الخلافة كان قد عزم أن يقتدى بسيرة ابن عمه عمر بن عبد العزيز[١] ، وكان يقول : ((سيروا بسيرة عمر ابن عبد العزيز))[٢] .

عماله وكتابه :

٧ - وكاتب يزيد بن عبد الملك عبد الحميد . [٤ / ١٦٥]

٨ - وكان على شرطته كعب بن مالك العبْسى[٣] . وعلى الحرس غيلان أبو سعيد[٤] ، مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطر[٥] ، مولاه . وكان فاسقاً .

الاملى عن على بن محمد المدائنى ، كما نقل الرواية عن الطبرى مسندة ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ الأصفهانى : الأغانى ٨ / ٣٤٧ ، ١٥ / ١١٩ وما بعدها ؛ الميداني : مجمع الأمثال ٢ / ٢٥٥ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٧ / ٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ١٢٠ - ١٢٢ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٥١ عن طريق الماجشون وآخر ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤١١ - ٤١٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤٢ .

(١) ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ٢٤١ ؛ الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١ / ٧١ .

(٢) ابن منظور : مصدر سابق ٢٧ / ٣٨٠ ؛ الذهبى : مصدر سابق ٥ / ١٥١ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٢ / ٢٤١ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٩٩ .

(٣) كعب بن مالك : لم أجد من تولى على شرطة يزيد بن عبد الملك بهذا الاسم ولعله تحريف من كعب بن حامد - ويقال حامز بالزاي - بن سلمة بن جابر بن شراحيل بن ربيعة العَنْسى الدارانى ، الذى تولى شرطة يزيد وأقره هشام ثلاث عشر سنة ، ثم بعثه إلى أرمينية أميراً بعد قتل الجراح بن عبد الله الحكمى . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢١ / ١٧٢) .

(٤) غيلان أبو سعيد : ختن أبى معن . انظر : (خليفة : التاريخ ص ٣٣٥) .

(٥) مطر : هو مطر بن طهمان الوراق ، يكنى أبا رجاء ومات بعد قتل الوليد بن يزيد . انظر : (خليفة : كتاب الطبقات ٢١٥) .

وعلى الخاتم الصغير بُكيّر أبو الحجّاج[(١)] . وعلى الرسائل والجند والخراج صالح ابن جبير الهمداني ، ثم عزله واستعمل أسامة بن زيد[(٢)] ، مولى كلْب . وعلى الخزائن وبيوت الأموال هشام بن معاد[(٣)] . وحاجبه خالدً[(٤)] ، مولاه .

[٤ / ٤٤١]

دراسة النصوص :

النص رقم (٧) له شاهد عند ابن خلكان فقد ذكر أن عبد الحميد كان كاتباً ليزيد بن عبد الملك[(٥)] .

النص رقم (٨) فيه ذكر أسماء بعض الكتاب والعمال ليزيد بن عبد الملك . ذكر خليفة بن خياط أن كعب بن مالك العبسى كان على شرطة يزيد[(٦)] ، كما ذكر بأن غيلان كان على حرسه[(٧)] . وأن مطر مولى يزيد على خاتم الخلافة[(٨)] . وعلى الرسائل والجند والخراج صالح بن جبير[(٩)] .

---

(١) بُكير أبو الحجاج : لم أجد له ترجمة .

(٢) أُسامة بن زيد بن عديّ التنوخي ، أبو عيسى الكاتب ، مولى سُليح ، كان كاتباً للوليد بن عبد الملك ثم قدم دمشق على يزيد بن عبد الملك ثم ولى الخراج لهشام بن عبد الملك . (مختصر تاريخ دمشق ٤ / ٢٥٥) .

(٣) هشام بن مَصاد : ابن زياد ، أبو زياد الكلبى ثم العليمي . (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٧ / ١١١) .

(٤) خالد : لعله خالد بن الريان المحاربى ، الذى كان يتولى الحرس لعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ، فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز عزله . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٧ / ٣٣٤) .

(٥) وفيات الأعيان ١ / ٣٠٨ .

(٦) تاريخ خليفة ص ٣٣٥ .

(٧) المصدر نفسه ص ٣٣٥ .

(٨) المصدر نفسه ص ٣٣٥ وفيه مطير بدلاً من مطر .

(٩) خليفة : المصدر السابق ص ٣٣٥ وفيه الغدانى بدلاً من الهمدانى ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٤٠٢ .

وذكر الجهشياري بأن أسامة بن زيد كان يكتب ليزيد[١] .

وذكر خليفة بن خياط[٢] والنويري[٣] بأن هشام بن مصاد كان على الخزائن وأن حاجبه هو خالد ، مولاه[٤] .

رسائله وتوقيعاته إلى بعض عماله :

٩ – كتب يزيد بن عبد الملك إلى عَمّال عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن عمر كان مغروراً ، غررتموه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيت كُتبكم إليه في انكسار الخراج والضَّريبة . فإذا أتاكم كتابي هذا فدَعُوا ما كنتم تعرِفون من عهده وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى ، أخصَبوا أم أجْدَبوا ، أحبُّوا أم كرِهوا ، حَيُوا أم ماتوا ، والسلام . [٤ / ٤٤٢]

١٠ – وقَّع إلى صاحب خُراسان : لا يُغرّنك حسن رأى فإنما تُفْسد عُثره .

وإلى صاحب المدينة : عثرت فاستقل .

وفي قصة متظلّم : ﴿ **سَيَعْلم الذين ظلموا أيّ مُنْقَلَب ينقلبون** ﴾[٥] .

وفي قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صَفحت عنه واستوصلتنى . [٤ / ٢٠٩]

دراسة النصوص :

النص رقم (٩) ذكره المصنف من غير إسناد وفيه سياسة يزيد بن عبد الملك المالية وعدم إلتزامه بسياسة سلفه عمر بن عبد العزيز ، ولكن هذا الخبر لم نجد له إسناداً ، ولم نجد من ذكره غير المصنف[٦] وفيه ألفاظ غريبة وهو يخالف النصوص

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥٦ .

(٢) مصدر سابق ص ٣٣٥ .

(٣) مصدر سابق ص ٢١ / ٤٠٢ .

(٤) خليفة : مصدر سابق ص ٣٣٥ ؛ النويرى : مصدر سابق ٢١ / ٤٠٢ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية ٢٢٧ .

(٦) انظر أحمد صفوت : جمهرة رسائل العرب ٢ / ٣٩٣ – ٣٩٤ نقلاً عن ابن عبد ربه .

التى ذكرها جمع من المؤرخين : بأنه لما ولى الخلافة قال : ((سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز))[١] وذكر ابن كثير أن يزيد كان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولى عزم على عزم أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز[٢] .

والحقيقة أن عهد يزيد بن عبد الملك لم يكن كعهد سابقه الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز من حيث تنظيم الإدارة المالية ، وأنه ربما عـدَل بعض الشيء عن سياسة عمر المالية والادراية ، لأجل الظروف الداخلية[٣] والخارجية[٤] التى واجهها في عهده[٥] .

أما النص رقم (١٠) ففيه نماذج من توقيعات يزيد بن عبد الملك إلى بعض عماله في الأمصار التى كانت تحت حكم الخلافة وهي تدل على معانى جيدة في توجيه الولاة ونصرة المظلوم ومحاسبة العمال .

بين يزيد بن عبد الملك وأخيه هشام :

١١ – قال[٦] : وبلغ يزيد بن عبد الملك أن هشاماً يتنقّصُه ، فكتب إليه : إن مَثَلِي ومثلك كما قال الأول :

تَمنّى رجال أن أموت وإن أمُت ... فتِلك سبيلُ لستُ فيها بأوحدِ
لعلّ الذى يَبْغى رداى ويَرْتجى ... به قبلَ مَوتى أن يكون هو الرَّدى

فكتب إليه هشام : إن مَثَلِي ومَثَلُك كما قال الأول :

---

(١) ابن عساكر : التاريخ ١٨ / ٣٤٠ ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ٥ / ١٥١ ؛ الذهبى : دول الإسلام ١ / ٧٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤١ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٩٩ .

(٢) المصدر السابق ٩ / ٢٤١ .

(٣) مثل فتنة آل المهلب براسه يزيد بن المهلب . انظر : ابن اعثم : الفتوح ٤ / ٢٤٦ .

(٤) مثل فتوح خراسان وأرمينية وأذربيجان . انظر : ابن اعثم : المصدر السابق ٤ / ٢٥٨ .

(٥) انظر : عبد الله بن حسين الشنبرى : الدولة الأموية في عهد يزيد بن عبد الملك ٢ / ٥٥١ وفيه مناقشة مستفيضة ، رسالة ماجستير غير منشورة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(٦) أي أبو الحسن المدائنى .

ومن لم يُغمِّض عينَه عن صديقــه وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ
ومن يتبـع جـاهـداً كـلَّ عَـثـرة يجدْها ولا يبـقى لـه الـدهر صاحب

فكتب إليه يزيد : نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذِّبون ما بلغنا عنك ، مع حِفظ وصيّة أبينا عبد الملك ، وما حضَّ عليه من صلاح ذات البين . وإنّي لأعلم أنك كما قال معن بن أوس :

لعمرُك ما أدرى وإني لأوجل وإنّـي علــى أيّنـــا تعـــدو المنّيـــة أولُ
علـــى أشـــياء منـــكَ تَريبنـــى قديمـاً لـذو صَفْـح علـى ذاك مُجْمـل
ستقطع في الدّنيـا إذا مـــا قطعتنـــى يمينـــك فـــانظر أيّ كــــفٍّ تبــدَّل
إذا سُؤتنى يومـاً صفحـتُ إلى غـــدٍ ليَعْقُـبَ يومـاً مـنك آخــرُ مُـقبـل
إذا أنـت لم تُنصـف أخـاك وجدتَـه على طـرف الهِجْـران إن كـان يَعْقـل
ويركـبُ حدَّ السيف من أن تَضِيمـه إذا لم يكن عن شَفْرة السيف مَزْحل[١]
وفي النـاس إن رثّـت حـبالُك واصل وفي الأرض عـن دار الـقِلَى متـحوَّل

فلما جاءه كتابُه رحَل هشام إليه : فلم يـزل في جـوار ، إلى أن مـات يزيـد ، وهو معه في عسكره مخافة أهل البغْى . [٤ / ٤٤٣ - ٤٤٤]

دراسة النص :

أورد المسعودى الخبر السابق بكامله[٢] .

وقد ذكر المؤرخون أن يزيد بن عبد الملـك أصابـه مـرض شـديد ، وبلغـه أن هشاماً سُرَّ بذلك ، فكتب إلى هشــام يعاتبـه في ذلـك ، وفي آخـر الكتـاب كتـب بعض أبيات ومنها البيت الأول[٣] . كما كتب يزيد إلى هشام : أمـا بعـد : فإنـه بلغ أمير المؤمنين انك استبطأت حياته ، وتمنيت وفاته ، ونحلـت قـولاً للخلافـة ،

---

(١) المَزْحل : الموضع الذى تزحل إليه . (اللسان ١١ / ٣٠٣) .

(٢) مروج الذهب ٣ / ٢١٣ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣ / ١١٤ ؛ ابـن عسـاكر : تـاريخ دمشـق ١٨ / ٣٤١ مخطـوط ؛ ابـن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤١ .

وليس ذلك الذى عهد إلينا عبد الملك ، وأمرنا به ، أمرنا بالتواصل والتزاور والاجتماع . إن الفرقة شَين(١) .

ورَدّ هشام على الكتاب بجواب بيّن أن نفسه لم تُحدثه بذلك ولكن الوشاة وأهل النمائم والقتادة هم الذين وشو إليه ليحدثوا بينهما عداوة وبغضاء . فكان مما كتب هشام : ((أما بعد : فإن هذا الزمان الغدر والعيش الكدر نشأت فيه ناشئة ، ابتغوا الرزق من كل ناحية ، ووضعوا له الأبواب ، وارتقوا إليه بالأسباب ، والله ما حدثت نفسى بهذا في سرّ ولا علانية ، بل جعل الله يومى قبل يومك ، فلا خير في العيش بعدك))(٢) . وقد ساق أبو على القَالى في كتاب الأمالى(٣) البيتين الأولين الذّين تمثل بهما يزيد مع خلاف يسير في الرواية ، ضمن أبيات شعرية .

يزيد بن عبد الملك وآل المهلّب :

١٢ - وفي ولاية يزيد خرج يزيد بن المهلّب(٤) . [٤ / ٤٤١]

١٣ - قال : حدثنى جابر بن مسلم قال : لما دخلوا(٥) عليه قام كُثّير بن أبى جمعة ، الذى يقال له كثير عزة ، فقال :

حليم إذا ما نال عاقب مجملاً أشدَّ عقابٍ أو عفا لم يثرِّب

---

(١) ابن عساكر : المصدر السابق ١٨ / ٣٤١ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤١٤ - ٤١٥ مخطوط ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٢٤١ .

(٢) ابن عساكر : المصدر السابق ١٨ / ٣٤١ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٤١٤ - ٤١٥ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٢٤١ .

(٣) الأمالى ٣ / ٢٨١ .

(٤) هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الأمير ، أبو خالد الأزدى ، ولى المشرق بعد أبيه ، ثم ولى البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم عزله عمر بن عبد العزيز وحبسه ، فلما استخلف يزيد ابن عبد الملك خرج عليه وغلب على البصرة فسار لحربه مسلمة بن عبد الملك ، فالتقوا فقتل يزيد في صفر سنة اثنتين ومئة عن عمر يناهز تسع واربعين سنة . انظر : (الذهبى : سير أعلام ٤ / ٥٠٣ - ٥٠٦) .

(٥) أي لما دخل أسرى أتباع يزيد بن المهلب . انظر : الكامل لابن الأثير ٥ / ٨٧ .

فعفــوا أمــير المؤمنــين وحِسْــبةً　　فما تكتسب من صالح لك يكتــب
أســاءوا فـإن تغفـر فـإنك قـــادر　　وأعظمُ حِلْم حِسـبةً حِلْـمُ مُغْضَـب
نفتهـم قـرين عـن أبـاطـح مـكة　　وذو يمــن المــشــرفــى المــشــطَّب

فقال يزيد : لاطت بك الرّحم[1] ، لا سبيل إلى ذلك ، من كـان لـه قِبَـل آل المهلب دمٌ فليقم ، فدفعهم إليهم حتى قُتِل نحو ثمانين . [٤ / ٤٤٣]

١٤ - وقال هزيم بن أبى طَحْمَة[2] ليزيد بن عاتكـة[3] بعـد ظفـرة يزيـد بـن المهلّب : ما ظَلِمَ أحدٌ ظُلْمُـكَ ، ولا نُصِـرَ نصـرَك ، فهـل لـك في الثالثـة نقلهـا ؟ قال : وما هي ؟ قال : ولا عفا عَفْوك . [٢ / ١٨٨]

١٥ - ولما أُتى يزيد بن عبد الملـك بـرأس يزيـد بـن المهلّب نـال منـه بعـض جلسائه ، فقال له : مَهْ ! إن يزيد بن المهلّـب طلـب جَسـيماً ، وركـب عظيمـاً ، ومات كريماً . [١ / ٣٠٣] ونحوه [٣ / ٢٠]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة سجلت خروج يزيد بن المهلّب على يزيد بن عبـد الملـك ؛ وتتّبع الخليفة آل المهلـب وأتبـاعهم . وقـد أشـارت بعـض المصـادر التاريخيـة إلى ذلك[4] .

وكان هذا بعد هروبه من سجن البصرة الذى حبسه فيه عمر بن عبـد العزيـز حين لم يقدم إليه الأموال[5] التى كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك، عندما كان

---

(١) في الكامل في التاريخ ٥ / ٨٧ : هيهات يا أبا صخر ! طفْ الرحم .

(٢) في المعارف هريم بن أبى طحمة التميمى ، واسم أبى طلحة : حارثة بن عدى ، وكان هريم هـذا شجاعاً كيساً ، كان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلـب . انظر : (ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٧) .

(٣) يزيد بن عاتكة : هو يزيد بن عبد الملك نسبة إلى أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ٣ / ٢١٠ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣٩٦ - ٣٩٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٢٧ ؛ وانظـر : السـاعاتي : جهـود المسـلمين لفتـح بـلاد السّـند والبنجـاب ص ١٤٧ .

(٥) انظر كتابـة يزيـد بـن المهلّـب إلى سـليمان بـن عبـد الملـك في ذلـك . الكتبي : عيـون التواريـخ ٤ / ٣٠٩ .

والياً على خراسان[١] ولما استفحل أمره ؛ وغلب على البصرة وتسمّى بالقحطانى انتدب الخليفة أخاه مسلمة بن عبد الملك لمحاربة يزيد واخماد فتنته[٢] ، وحينما التقى الجيشان سرعان ما انهزم يزيد بن المهلب ، بل وقتل ، وذلك في شهر صفر سنة اثنتين ومئة[٣] . وتتبع مسلمة بن عبد الملك فلول آل المهلب الذين فروا إلى قندابيل وارسل إليه مدرك بن صبّ فردّه وسيّر في أثرهم هلال بن أحوز فلحقهم بقندابيل ، حيث قتل بعضهم ، وأسر الباقين ، فيما فرّ الآخرون[٤] . وهكذا انتهت ثورة يزيد بن المهلب إثر هزيمتهم أمام جيش مسلمة .

والنص (١٣) ذكره خليفة بن خياط[٥] واسم الراوى عنده حاتم بن مسلم وهو الصواب إن شاء الله . وحاتم هذا وثقه ابن حجر العسقلانى[٦] . وأشار إلى هذا النص ابن الأثير[٧] .

النص (١٤) ذكر الجاحظ مثله[٨] .

يزيد بن عبد الملك وولاية العهد :

١٦ - أبو الحسن المدائنى قال : لما ولى يزيد بن عبد الملك وجه الجيوش إلى

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤٩ . وفيه قول عمر لابن المهلب : لا أحد في أمرك الا حبسك فاتق الله وادّ ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها ؛ انظر الساعاتي : المرجع السابق ص ١٤٥ هامش (١) .

(٢) الذهبى : سير أعلام ٤ / ٥٠٦ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ / ١٢٤ .

(٣) الذهبى : المصدر نفسه ٤ / ٥٠٦ ؛ ابن العماد : المصدر نفسه ١ / ١٢٤ .

(٤) ابن الأثير : مصدر سابق ٥ / ٨٦ - ٨٧ . وفيه الذين فرو لحقو برتبيل أمثال أبو عيينة بن المهلب ، وعمرو بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٣٩٧ - ٣٩٨ ؛ انظر الساعاتي : المرجع السابق ص ١٤٧

(٥) تاريخ خليفة ص ٣٢٧ .

(٦) تقريب التهذيب ص ١٤٤ . وهو حاتم بن أبى صغيرة أبو يونس البصرى . وأبو صغيرة اسمه مسلم وهو جده لأمه ، وقيل زوج أمه .

(٧) الكامل في التاريخ ٥ / ٨٧ .

(٨) البيان والتبيين ١ / ٣٩٠ ، ٢ / ١٠٧ .

يزيد بن المهلّب ، فعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش ، وللعباس بن الوليد[١] على أهل دمشق خاصّة ، فقال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق قوم أرجاف ، وقد خرجنا إليهم محاربين والأحداث تحدث . فلو عهدتَ إلى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك[٢] . قال : غداً إن شاء الله ، وبلغ مسلمة الخبر ، فأتاه فقال له : يا أمير المؤمنين أولاد عبد الملك أحبُّ إليك أم أولاد الوليد ؟ قال : ولد عبد الملك . قال : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : بلى أخي ، إذا لم يكن ولدى أحق بها من ابن أخي . قال : يا أمير المؤمنين فإن ابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ولابنك الوليد من بعده . قال : غداً إن شاء الله . فلما كان من الغد بايع لهشام ولابنه الوليد من بعده ، والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، فلما انقضى أمر يزيد بن المهَلَّب وادرك[٣] الوليد ندم يزيد على استخلاف هشام ، فكان إذا نظر إلى ابنه الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . [٤ / ٤٤٢]

دراسة النص :

النص السابق أورده المصنف معلقاً عن المدائنى ، وذكره الأصفهانى بطوله[٤].

ويتفق المؤرخون بأن يزيد بن عبد الملك عهد لأخيه هشام بن عبد الملك بولاية العهد ، ومن بعده ابنه الوليد[٥] . و لم يتمكّن يزيد من تقديم ابنه لصغر

---

(١) العباس بن الوليد بن عبد الملك ، أبو الحارث ويقال أبو الوليد . وكان أكبر ولد أبيه ، وكان يسكن حمص ، واستعمله أبوه عليها ، وكان فارساً سخياً ، وكان يقال له فارس بنى مروان ، وأمه نصرانية ومات في سجن مروان بن محمد في حرّان . (صلاح المنجد : معجم بنى أمية ص ٧٩) .

(٢) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، أمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وولى امرة دمشق ، وكان من عقلاء بنى أمية والبّائهم . (صلاح المنجد : معجم بنى أمية ص ١٠٦ - ١٠٧) .

(٣) أدرك : أي بلغ وكبرت سنه .

(٤) الأغانى ٧ / ٦ - ٧ .

(٥) اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٣١٣ ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ٢٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في

⇐

سنه آنذاك[(١)] ولكنه حين كبر ابنه وأدرك ندم على استخلاف هشام قبل ولده كما تذكر بعض الروايات التاريخية[(٢)] .

وفاته وعمره ومدة خلافته :

١٨ - مات يزيد ببلاد البلقاء[(٣)] يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة وصلى عليه أخوه هشان بن عبد الملك .

وكانت ولايته أربعَ سنين وشهراً . وفيه يقول جرير :

سُربلت سِرْبالَ مُلكٍ غيرُ مغْتصبِ   قبل الثلاثين إنّ المُلك مُؤتشبُ

[٤ / ٤٤١]

دراسة النص :

ما ذكره المصنف من تاريخ وفاة يزيد بن عبد الملك موافق لما تذكره المصادر الأخرى[(٤)] . وكذا مكان وفاته[(٥)] .

التاريخ ٥ / ٩١ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٩٣ ؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ٥ / ٧٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٢ ؛ ابن خلدون : التاريخ ٣ / ٨٠ .

(١) النويرى : المصدر السابق ٢١ / ٣٩٣ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ١٦ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ؛ النويرى : المصدر السابق ٢١ / ٣٩٣ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ١٦ .

(٣) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القُرى . (معجم البلدان ١ / ٥٧٩) .

(٤) خليفة : التاريخ ص ٣٣١ ؛ ابن ماجه : تاريخ الخلفاء ص ٣٣ ؛ اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٣١٤ وفيه اربع بقين ؛ المسعودى : مروج الذهب ٣ / ٣٠٦ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢١ ؛ ابن عساكر : التاريخ ١٨ / ٣٤٣ (مخطوط) ابن الأثير : الكامل ٥ / ١٢٠ ؛ الجندي : السلوك ص ١٧٩ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢١ / ٣٩٩ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٥٢ ؛ دول الإسلام ١ / ٧٤ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٤١١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤٢ .

(٥) خليفة : التاريخ ص ٣٣١ ؛ أبو حنيفة الدينورى : الاخبار الطوال ص ٣٣٤ ؛ الطبرى : التاريخ ٧ / ٢٢ ؛ المسعودى : مروج ٣ / ٣٠٦ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٠٣ ؛ ابن

⇐

في حين أشار النويرى[١] بأنه توفى بحوران[٢] وهي قريبة منها .

أما عمره :

فقد وقع فيه خلاف بين المؤرخين .

فذكر خليفة بن خياط أن عمره كان ابن أربع وثلاثين[٣] ، وهو مطابق لما ذكر ابن عبد ربه .

وذكر أبو حنيفة الدينورى والربعي وابن عساكر[٤] ونقله ابن كثير[٥] بأن عمره كان ابن ثمان وثلاثين . وأورد الطبرى[٦] بأنه حين توفى كان ابن خمس وثلاثين وكذا نقله ابن الأثير[٧] والنويرى[٨] وذكر ابن عساكر[٩] أن عمره كان ثلاثاً وثلاثين .

واختلف المؤرخون في من صلى عليه ، فذكر خليفة بن خياط[١٠] وابن عساكر[١١] ونقله ابن كثير[١٢] بأنه صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك . وذكر

عساكر : التاريخ ١٨ / ٣٤٣ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٤١١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤٢ .

(١) نهاية الأرب ٢١ / ٣٩٩ .

(٢) حوران : بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق جهة القبلة . (معجم البلدان ٢ / ٣٦٤) .

(٣) تاريخ خليفة ص ٣٣١ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ١٨ / ٣٤٣ مخطوط .

(٤) الأخبار الطوال ص ٣٣٤ ؛ تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٠٣ ؛ انظر : ابن عساكر : تاريخ دمشق ١٨ / ٣٤٤ .

(٥) البداية والنهاية ٩ / ٢٤٢ ؛ انظر : الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤١١ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٢ .

(٧) الكامل في التاريخ ٥ / ١٢٠ .

(٨) نهاية الأرب ٢١ / ٣٩٩ .

(٩) تاريخ دمشق ١٨ / ٣٤٢ مخطوط ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤١١ مخطوط .

(١٠) تاريخ خليفة ص ٣٣١ .

(١١) تاريخ دمشق ١٨ / ٣٤٣ .

(١٢) البداية والنهاية ٩ / ٢٤٢ .

ابن عساكر[١] بأن مسلمة بن هشام هو الذى صلى عليه . وكذا ابن الأثير[٢] .

أما مدة ولايته فكانت أربع سنين وشهراً[٣] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٨ / ٣٤٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ٥ / ١٢٠ .

(٣) أبو حنيفة الدينورى : مصدر سابق ٣٣٤ وفيه وأشهر ؛ اليعقوبى : التاريخ ٢ / ٣١٤ دون ذكر أشهر ؛ الطبرى : مصدر سابق ٧ / ٢٢ ؛ المسعودى : مصدر سابق ٣ / ٣٠٦ وفيه شهرين ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ص ١٠٣ ، وفيه شهرين ؛ الجندي : السلوك ص ١٧٩ ؛ الذهبى : سير أعلام ٥ / ١٥٢ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤١١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤٢ .

٧ - هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٠ هـ) .

بيعة هشام ونسب أمه :

١ - بويع هشام بن عبد الملك - يُكنى أبا الوليد - وأمّه أُم هشام[١] بنت هشام بن إسماعيل بن هشام المخزوميّ - يوم الجمعة لخمس ليالي بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

٢ - الأصمعي قال : لما مات يزيد بن عبد الملك وصارت الخلافة إلى هشام ابن عبد الملك . خرّ أصحابُه سجوداً إلاّ الأبرش[٢] الكَلْبِي ؛ فقال له : يا أبرش ، ما منعك أن تسجد كما سجدوا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لأنك ذهبتَ عنّا ، وتركتنا . قال : فإن ذهبت بك معي ؟ قال : وتفعل يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ؛ قال فالآن طاب السجود ، ثم سجد . [٢ / ١٦٧ - ١٦٨]

دراسة النصوص :

سياق نسب أم هشام ذكره ابن حزم وهو مطابق للرواية[٣] وكذا ذكر المؤرخون[٤] .

وكنيته أبو الوليد ، كما ذكر الطبري[٥] والقضاعي[٦]

---

(١) أم هشام : عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فطلقها عبد الملك بعد ما ولدت هشام وقيل أم هشام فاطمة انظر : (الكامل في التاريخ ٥ / ١٢٤ ؛ سير أعلام ٥ / ٣٥١ ؛ نهاية الأرب ٢١ / ٤٠٢) .

(٢) هو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة ، ويكنى أبا مجاشع ، وكان يكتب لهشام وكان غالباً عليه . (انظر : الوزراء والكتاب ص ٥٩) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص ٩٢ .

(٤) خليفة بن خياط : التاريخ ص ٣٣١ ؛ وفيه بنت إسماعيل ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٣١٦ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٥ ؛ القضاعي : التاريخ ص ٣٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ١٢٤ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٥١ ؛ دول الإسلام ١ / ٨٥ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٩ ، ٤ / ٤٥٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤٣ .

(٥) الطبري : مصدر سابق ٧ / ٢٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٦) تاريخ القضاعي ص ٣٦٨ .

ونقله ابن الأثير[١] والسيوطي[٢] .

وأما تاريخ بيعته فأورد المؤرخون ما يوافق النص[٣] .

أما النص رقم (٢) فقد ذكره الجهشياريّ بمعناه[٤] وكذا الجاحظ[٥] والكتبي[٦].

أولاده :

٣ - معاوية وخلف ومسلمة ومحمد وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد - وهو الأبكم - ومروان وإبراهيم ويحيى ومنذر وعبد الملك والوليد وقريش وعبد الرحمن . [٤ / ٤٤٥]

دراسة النص :

فيما سبق أورد ابن عبد ربه عدداً من أسماء أولاد هشام بن عبد الملك ولكن الذكور منهم فقط . وذكر مصعب الزبيري بعضاً منهم وهم : معاوية ومحمد وسليمان وسعيد ويزيد ومروان وقريش وعبد الرحمن . وزاد : أم يحيى وأم هشام وعائشة وزينب وأم سلمة[٧] .

وذكر القضاعي أن لهشام عشرة ذكور وبنات ولم يُسَمي سوى معاوية وسعيد[٨] .

---

(١) ابن الأثير : مصدر سابق ٥ / ١٢٤ .

(٢) السيوطي : تاريخ الإسلام ص ٢٣٠ .

(٣) الطبري : مصدر سابق ٧ / ٢٥ فيه ليالى بقين من شعبان ؛ المسعودي : مصدر سابق ٣ / ٢١٦ وفيه خمس ليالى بقين من شهر شوال ؛ القضاعى : مصدر سابق ص ٣٦٨ ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ٥ / ١٢٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٤٠٢ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤٥٢ مخطوط ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ٢٤٣ .

(٤) الوزراء والكتاب ص ٥٩ .

(٥) البيان والتبيين ١ / ٣٤٥ .

(٦) الكتبي : مصدر سابق ٤ / ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٧) نسب قريش ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٨) تاريخ القضاعي ص ٣٧٠ .

أما ابن حزم فقد ذكر أسماء أولاد هشام ما عدا إبراهيم ومنذر وعبد الرحمن وسعيد . وزاد فيهم : عثمان وعبيد الله وأم هشام وأم سلمة بنت هشام وعائشة[1] .

عماله وكتابه وولاته :

٤ - كان على شرطته كعب بن عامر العَبْسي . وعلى الرَّسائل سالم[2] ، مولاه . وعلى خاتم الخلافة الربيع مولى لبني الحريش ، وهو الربيع بن سابور[3] . وعلى الخاتم الصغير أبو الزّبير[4] ، مولاه . وعلى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد ثم عزله ، وولّي الحَبْحَاث[5] . وعلى إذنه غالب بن مسعود[6] ، مولاه . [٤ / ٤٤٥]

٥ - ذكروا عن الهيثم بن عَدّي[7] قال : كان سعيد بن هشام بن عبد الملك[8] عاملاً لأبيه على حِمص وكان يُرمَى بالنساء والشراب ، فَقَدِم

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) سالم : هو أبو الزعيزعة ، مولى عبد الملك وقيل مولى سعيد بن عبد الملك ، تقدمت ترجمته في كُتّاب عبد الملك .

(٣) الربيع بن سابور لم أجد له ترجمة .

(٤) أبو الزّبير : وهو اصطخر . (انظر : تاريخ خليفة ص ٣٦٢) .

(٥) في تاريخ خليفة ص ٣٦٢ ؛ وابن منظور ١٥ / ٣٠٧ عبيد الله بن الحبحاب السَّلُولي - ولاءاً - وكان ابن الحبحاب كاتباً لهشام بن عبد الملك ، ثم ولاه إمرة مصر سنة (١٠٧ هـ) خلفاً ليزيد ابن أبي يزيد ، وسنة (١١٦ هـ) اسند إليه إمرة افريقية خلفاً لعبيد الله بن عبد الرحمن ، وتوفي بواسط سنة (١٣٢ هـ) مع ابن هبيرة على يد أبي جعفر المنصور . (انظر : مختصر تاريخ دمشق ١٥ / ٣٠٧) .

(٦) غالب بن مسعود : هو الذي كفنه بعد وفاته . (العيون والحدائق ٣ / ١٠٧ ؛ انظر تاريخ القضاعي ص ٣٧١ هامش (٤)) .

(٧) الهيثم بن عدى : بن عبد الرحمن الطائي الكوفي النسابة المؤرخ حدث عن هشام بن عروة ومحمد ابن إسحاق ومحي الدين سعيد وغيرهم (انظر الخطيب : تاريخ بغداد ١٤ / ٤٦) .

(٨) سعيد بن هشام بن عبد الملك وهو شقيق معاوية وأمهما أم ولد ، وقيل أمهما أم حكيم بنت يحيى ابن حكم بن أبي العاص بن أمية (جمهرة أنساب العرب ص ٩٢) .

حِمصيٌّ لهشام ، فلقيه أبو جَعد الطائي[1] في طريق ، فقال له : هل ترى أن أعطيك هذه الفرس ، فإني لا أعلم بمكان مثلها على أن تُبلِّغ هذا الكتاب أميرَ المؤمنين ، ليس فيه حاجةٌ بمسألة دينار ولا درهم فأخذها وأخذ الكتاب . فلما قدم على هشام سأله : ما قصّة هذه الفرس ؟ فأخبره فقاتل : هاتِ الكتاب ، فإذا فيه :

أبلِغ إليك أمير المؤمنين فقد ... أمْدَدتَنا بأمير ليس عِنِّيناً

طوراً يخالف عمراً في حَليلته ... وعند ساحته يُسْقَى الطِّلا دِيناً

فلما قرأ الكتاب بعث إلى سَعيد فأشخصه . فلما قدم عليه عَلاَه بالخيزرانة وقال : يا بن الخبيثة ، تزني وأنت ابنُ أمير المؤمنين ! ويلك ! أعجزت أن تَفجُر فجور قريش ؟ أو تدري ما فجور قريش لا أم لك ؟ قتل هذا ، وأخذ مال هذا ، وا لله لا تلى لى عملاً حتى تموت . قال : فما وَلى له عملاً حتى مات .

[٤ / ٤٤٨]

٦ – قال خالد بن صفوان[2] : دخلتُ على هشام بن عبد الملك بعد أن سخط على خالد بن عبد ا لله القَسرى وسلّط عليه يوسف بن عمر[3] عامله على العراق ، فلما دخلتُ عليه استدناني حتى كنتُ أقربَ الناس إليه ، فتنفّس الصُّعداء ، ثم قال: يا خالد، ربَّ خالد وقعد مقعدك هذا أشهى إليّ حديثاً منك .

فعلمتُ إنه يريد خالد بن عبد ا لله القسري ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أفلا

---

(١) أبو جعد الطائي : لم أجد له ترجمة .

(٢) خالد بن صفوان بن الأهتم ، أبو صفوان المِنْقَريّ ، الأهتمي ، البصري ، العلامة ، البليغ ، فصيح زمانه ، وقد وفد على عمر بن عبد العزيز ، يقال إنه كان مشهور بالبخل رحمه ا لله . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٢٦) .

(٣) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفيّ ، ابن عم الحجاج بن يوسف ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك ، ثم ولاه العراقين ، وأقرّه الوليد بن يزيد . ثم ضمّ إليه خراسان ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، وتوفى يوسف بن عمر سنة سبع وعشرين ومائة ، وكان عمره نيفاً وستين سنة . (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٨ / ٨٥ – ٨٩) .

تعيده ؟ قال : هيهات ؛ إن خالداً أولّ فأملّ ، وأوْجف فأعجف ، ولم يَدَع لمراجع مرجعاً ، على أنه ما سألني حاجةً قط . فقلت : يا أمير المؤمنين فلو أدنبته فتفضّلت عليه[1] ؟ قال : هيهات وأنشد :

إذا انصرفتْ نفسى عن الشيء لم تكن عليه بوجه آخر الدَّهر تُقْبِلُ

[٤ / ٤٤٦]

دراسة النصوص :

ذكر المصنِّف في النص (٤) عدداً من أسماء الكتاب والولاة الذين تولوا لهشام بن عبد الملك ؛ وذكر خليفة بن خياط[2] واليعقوبى[3] بأن كعب بن عامر العبسي كان على شرطة هشام بن عبد الملك . وذكر بعض المؤرخين بأن سالم مولى هشام كان كتب الرسائل لهشام[4] . وذكر خليفة بأن الربيع مولى لبنى الحديثى وهو الربيع بن سابور كان على خاتم الخلافة[5] أما أبو الزبير مولاه واسمه اصطخر كان على الخاتم الصغير والخاصه[6] . وذكر خليفة أن أسامة بن زيد كان على الخراج والجند لهشام ، ثم عزله وولاه عبيدة بن الحبحاب مولى بنى سلول[7] . وعلى إذنه غالب بن مسعود ، مولاه[8] .

أما النص رقم (٥) فقد جاء سنده بصيغة التمريض .

والهيثم بن عدى ليس بثقة ، بل كان يتهم بالتدليس[9] ، وهو متروك

---

(١) في كتاب عيون الأخبار ١ / ٢٤ ذاك أحرى .

(٢) تاريخ خليفة ص ٣٦١ ، وفيه حامد بدلاً من عامر .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢٨ ، وفيه حامد بدلاً من عامر .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٣٦٢ وفيه سالم مولى سعيد بن عبد الملك ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ٦٢ ؛ التنوخي : الفرج بعد الشدّة ٢ / ١٩١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٦٨ .

(٥) تاريخ خليفة ص ٣٦١ وفيه شابور بدلاً من سابور .

(٦) المصدر السابق ص ٣٦١ وفيه اسمه وهو اصطخر .

(٧) المصدر السابق ص ٣٦١ ، وفيه الحبحاب بدلاً من الحثحاث .

(٨) المصدر السابق ص ٣٦٢ . وانظر القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٧١ .

(٩) لسان الميزان ٦ / ٢١٠ .

الحديث[1] . واجمعوا على ضعفه[2] .

النص رقم (٦) وذكره المصنف بدون اسناد ولعله نقله من ابن قتيبة الذي لم يذكر سند هو الآخر لهذه القصة . ومهما يكن فإن عزل هشام لخالد القسري كان نتيجة عدم مسايرته سياسة هشام وعدم تحقيق ما كان يريد منه . وجعل مكانة يوسف بن عمر الثقفي . وقد كان يوسف بن عمر هذا لا يدع معارضاً لهشام . ولو كان هذا المعارض من بنى هشام إلا بعث إليه ، فحبسه عنده بواسط[3] .

نماذج من توقيعاته :

٧ – في قصّة متظلّم : أتاك الغوث إن كنت صادقاً ، وحلّ بك النّكال إن كنت كاذباً ، فتقدَّم أو تأخَّر .

– وفي قصَّة قوم شَكَوْا أميرَهم : إنْ صحَّ ما ادّعيتم عليه عَزلناه وعاقبناه .

– وإلى صاحب خُراسان حين أمره بمحاربة التُّرك : احذر لياليَ البَيات .

– وإلى صاحب المدينة وكتب يُخبره بوثوب أبناء الأنصار : احفظ فيهم رسول الله ﷺ وهَبْهم له .

– ووقَّع في رقعة محبوس لَزِمه الحدّ : نزل بحدّك الكتاب .

– ووقَّع في قصّة رجل شكا إليه الحاجةَ وكثرةَ العِيال وذَكر أنَّ له حُرمة : لِعيالك في بيت مال المسلمين سهم ، ولك بحُرْمتك منّا مِثْلاه .

– وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج : ضَع سَيفَك في كِلاب النار ، وتقرَّب إلى الله بقْتل الكُفّار .

– وإلى جماعة يشكون تعدِّى عاملهم عليهم : لنفوّضنّكم ، فإني خصم دونكم .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ٦ / ٤٦٢ .

(٣) أبو حنيفة الدينوري ص ٣٣٧ .

- وفي كتاب عامله يُخبره فيه بقلة الأمطار في بلده : مُرْهم بالاستغفار .

- وإلى سَهل بن سَيَّار : خَفِ الله وإمامَك فإنه يأخذك عند أوَّل زَلّة .

[٤ / ٢٠٩ - ٢١٠]

دراسة النصوص :

النص رقم (٧) فيه نماذج من توقيعات هشام بن عبد الملك على ما يرفع من الرسائل أو الشكاوي وخلافها ، وهي تنبيء عن حكمة وعدل وتوجيه إلى الخير وجلب لأسباب الصلاح والإستقامة . كما تنبيء عن معرفة ودراية بالأمور .

وقد حذر قائده في خراسان ليالي البيات ؛ والبيات في اللغة هو الهجوم ليلاً ، بمعنى أن يقصد في الليل من غير أن يعلم ، فيؤخذ بغتة[1] .

أعطياته :

٨ - العتبى قال : كانت الأعراب تنتجع هشام بن عبد الملك بالخطب كلَّ عام ، فتقدّمَ إليهم الحاجبُ يأمرهم بالإيجاز ، فقام اعرابيّ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل العَطاء مَحبَّة ، والمَنْع مبغضة ، فلأن نُحبك خير من أن نُبغضك ، فأعطاه وأجزل له . [٣ / ٤٣٥]

٩ - دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتت علينا ثلاثة أعوام : فعام أذاب الشَّحْمَ ، وعام أكل اللَّحْم ، وعام انتقى العَظْم[2] ، وعندكم أموال ، فإن تكن لله فبثُّوها في عباد الله ، وإن تكن للناس فلِمَ تُحجب عنهم ؟ وأن تكن لكم فتصدَّقوا إن الله يجزى المُتصدقين . قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : ما ضربتُ إليك اكباد الإبل أدَّرع الهجير ، وأخوص الدُّجا لخاصٍ دون عام ، ولا خير في خير لا يَعُم . فأمر له هِشام بأموال فُرِّقت في الناس ، وأمر للأعرابي بمال فرَّقه في قومه . [٣ / ٤٣١]

---

(١) انظر : لسان العرب ٢ / ١٦ .

(٢) أنقى العظم : صار فيه نقيّ . (المعجم الوسيط ٢ / ٩٥٠) .

١٠ - وقدم عروة بن أذينة[1] على هشام بن عبد الملك في رجال من أهل المدينة ، فلما دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها ، ثم إلتفت إلى عروة فقال له : أَلَست القائل :

لقد علمتُ وخيرُ القول أصدَقُه ... بأن رزقي وإن لم آت يأتيني
أسعَى له فيُعْنِّيني تَطَلُّبه ... ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنّيني

قال : بلى . قال : فما أراك إلا سعيت له . قال : سأنظر في أمري يا أمير المؤمنين ، وخَرج عنه ، فجعل وجهته إلى المدينة وكشف عنه هشام بن عبد الملك ، فقيل له : قد توجه إلى المدينة ، فبعث إليه بألف دينار . فلما قدم عليه بها الرسولُ ، قال له : أبلغ أميرَ المؤمنين السلام ، وقل له : أنا كما قلت ، قد سعيت وعنيت في طلبه ، وقعدت عنه فأتاني لا يعنيني . [٥ / ٢٨٩]

دراسة النصوص :

تكشف النصوص السابقة جانباً من تصرفات هشام بن عبد الملك المالية وعطاياه . وهي تنفي ما تردد في بعض المصادر من بخل هشام .

النص رقم (٨) لم أجد من أشار إليه .

والنص رقم (٩) أورد ابن قتيبة[2] والجاحظ[3] ما يوافقه .

أما النص رقم (١٠) فأورد ابن منظور مثله[4] ، وفيه دلالة واضحة على أن هشام كان كريماً سخياً ، ولم يكن - كما صوره بعض اعدائه - بخيلاً . وإنما كان يعرف قيمة المال ، ولا يضعه إلا في موضعه .

---

(١) عروة بن أذينة : وهو لقب ، اسم أذَيْنة يحيى بن مالك بن الحارث بن عمر بن عبد الله بن رجْل بن يعمر الشدّاخ اللّيثي ، شاعر من أهل الحجاز وفد على هشام بن عبد الملك ، وكان فصيحاً مأموناً على ما روى من المسند وغيره ، وأدرك الدولة العباسية بعد سنٍ عالية . (مختصر تاريخ دمشق ١٦ / ٣٤٢ - ٣٤٣) .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٣٣٨ .

(٣) البيان والتبيين ٢ / ٧٠ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٦ / ٣٤٣ - ٣٤٤ .

محافظته على الأموال العامة :

١١ - قال ابن عبد ربه : من البخلاء هشام بن عبد الملك . قال خالد صفوان : دخلت على هشام فأطرفته وحدثته . فقال سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين تزيد في عطائي عشرة دنانير ، فأطرق حيناً ، وقال : فيم ؟ ولم ؟ وبم ؟ العبادة أحدثتها ؟ أم لبلاء حسن أبليته في أمير المؤمنين ؟ ألا لا يابن صفوان ، ولو كان لكثر السّؤال ، ولم يحتمله بيت المال . فقلت : وفقك الله يا أمير المؤمنين وسدّدك . فأنت والله كما قال أخوك خزاعة :

إذا المال لم يُوجب عليك عطاءه صنيعة قربى أو صديقٌ توافقه
منعتَ وبعض المنع حَزم وقوة ولم يفتلتك المالَ إلا حقائقه

قيل لخالد بن صفوان : ما حملك على تزيين البخل له ؟ قلت : أحببت أن يمنع غيري فيكثر من يلومه . [٦ / ١٧٦]

دراسة النص :

كان هشام بن عبد الملك حريصاً على توفير أموال المسلمين ، ولم يكن يصرف الأموال إلا في الوجوه المشروعة ، دون إسراف وتبذير .

وهذه السياسة فضيلة وليس فيها بخل كما ذكر خالد بن صفوان حين منعه هشام من زيادة العطاء وقد كان هشام معروفاً بحفظ الأموال العامة وأن لا يدخل بيت المال إلا ما كان من مصدر مشروع .

وقد ذكر أنه لا يدخل بيت المال شيء حتى يشهد أربعون قسامة ، لقد أخذ من حقه ، ولقد أعطى الناس حقوقهم[١] .

وقد أقر أحد خصوم هشام وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بحسن سياسة هشام المالية قائلاً : جمعت دواوين بنى مروان فلم أر أصلح للعامة ولا للسلطان من ديوان هشام[٢] .

---

(١) الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٥٢ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٠٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٥٣ .

ومن أجل هذا الحرص ، وهذا الإهتمام بأموال المسلمين اتهم هشام بالبخل ، وهكذا بنو أمية مظلومون دائماً ، فهم أحد رجلين ، إما متهم بالبخل إذا كان يحرص على أموال المسلمين ولا يصرفها في غير حقها ، وإما متهم بالإسراف إذا كان يجود بالأموال ويبذلها للأشراف من الناس[١] .

مجالسه :

١٢ - العتبى قال : إنى لقاعد عند قاضى هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة[٢] وصاحب حَرَس هشام حتى قعدا بين يديه ، فقال الحَرسُّ : إن أمير المؤمنين جرّاني[٣] في خُصومة بينه وبين إبراهيم . قال القاضي : شاهدَيك على الجراية[٤] . فقال : أتُراني قلتُ على أمير المؤمنين ما لم يقل ، وليس بيني وبينه إلا هذه الستارة ؟ قال : لا ، ولكنه لا يثبت الحقُ لك ولا عليك إلا ببيّنة . قال : فقام ، فلم يَلْبث حتى قعقعت الأبوابُ وخرج الحرسُّ ، فقال : هذا امير المؤمنين . قال : فقام القاضي ، فأشار إليه فقعد ، وبسط له مصلى فقعد عليه هو وإبراهيم ، وكنّا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعضُ . قال : فتكلّما وأحضرت البيّنة ، فقضى القاضى على هشام . فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق[٥] ، فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هممت أن أضربك ضربة يَنْتثر منها لحمُك عن عظمك . قال : اما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق . قال له : استرها

---

(١) انظر : عبد الشافي : العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ١٩٢ وفيه يورد المؤلف بعض الآثار تبين حقيقة سياسة هشام المالية .

(٢) إبراهيم بن محمد : ابن صاحب رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله التيمي ولي خراج العراق لابن الزبير ، ووفد على عبد الملك فوعظه . وتوفى بمنى زمن الحج سنة عشر ومئة عن نحو ثمانين سنة . (سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٢ - ٥٦٣) .

(٣) جرّاني : يقال جرى بالتضعيف وأجرى ، إذا أرسل وكيلاً .

(٤) الجراية : بالفتح والكسر : الوكالة .

(٥) الخرق : الجهل والحمق . انظر : (معجم الوسيط ١ / ٢٢٩) .

عليّ يا إبراهيم . قلت لا ستر الله عليّ ذنبى إذاً يوم القيامة . قال : إنيّ مُعطيك عليها مائة ألف . قال إبراهيم : فسترتُها عليه طولَ حياته ثمناً لما أخذتُ منه وأذعتُها عنه بعد موته تزييناً له . [٤ / ٤٤٧ - ٤٤٨]

١٣ - كان إبراهيم بن عبد الله[1] بن مطيع جالساً عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص[2] أحمرَ الجُبَّة والمطرف والعمامة ، فقال إبراهيم : هذا ابن عنبسة قد أقبل في زينة قارون ، قال : فضحك هشام . قال له عبد الرحمن : لولا ما أخاف من غَضبه عليك وعليّ وعلى المسلمين لأجَبْتُه ؛ قال : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغني أن الدَّجال يخرج من غضبة يغضبها ، وكان إبراهيم أعْور . قال إبراهيم : لولا أن له عندي يداً عظيمة لاجبته ؟ قال ؛ قال : وما يده عندك ؟ قال : ضَربه غلام له بالمدينة فأصابه ، فلما رأى الدم فزِع ، فجعل لا يدخل عليه مملوك إلا قال له : أنت حُرّ . فدخلتُ عليه عائداً له : كيف تجدك ؟ قال لي : أنت حُرّ ؛ قلت له : أنا إبراهيم ؛ قال لي : أنت حُرّ . فضحك هشام حتى استلقى . [٤ / ٣٩ - ٤٠]

١٤ - العُتبى قال : لما أتى بابن هُبيرة إلى خالد بن عبد الله القسرى وهو والى العراق ، أُتى به مَغْلولاً مقيداً في مِدْرعة[3] ، فلما صار بين يدي خالد ألقته الرجال إلى الأرض ؛ فقال : أيها الأمير ، إن القوم الذين انعموا عليك بهذه النِّعمة

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة ، خرج ابناه عبد الرحمن وعبد العزيز مع محمد ابن عبد الله بن الحسن ، وكان أبوه عبد الله بن مطيع على المهاجرين يوم الحرة . (جمهرة أنساب العرب ص ١٥٨ - ١٥٩) .

(٢) عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكان عنبسة - أبو عبد الرحمن - مع أخيه عمرو بن الأشدق حين غلب على دمشق أيام عبد الملك بن مروان ، كما كان من أهل المدينة ووفد على عمر بن عبد العزيز . وكان جده سعيد والياً على الكوفة لعثمان ، وعلى المدينة لمعاوية . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٨١) (صلاح الدين المنجد : معجم بنى أمية ص ١٣٩) .

(٣) مِدْرعة : ثوب ، ولا يكون إلا من صوف . (اللسان ٨ / ٨٢) .

قد انعموا بها عليّ من قبلك ، فأنشدك الله أن تَستَنَّ فِيَّ بِسُنة يستَنّ بها فيك من بعدك .

فأمر به إلى الحَبْس ؛ فأمر ابن هُبيرة غلمانه فحفروا له تحت الأرض سِرْداباً حتى خرج الحَفْر تحت سريره ، ثم خرج منه ليلاً وقد أُعِدّت له أفراس يداولها ، حتى أتى مَسلمة بن عبد الملك ، فاستجار به فأجاره ، واستوهبه مسلمة من هشام بن عبد الملك فوهبه إياه . فلما قدم خالد بن عبد الله القَسْرِى على هشام وَجد عنده ابنَ هبيرة ، فقال له : إباقَ العَبْد أبِقْت ؛ قال له : حين نِمتَ نَوْمة الأمَةِ . [٢ / ١٨٥]

١٥ - العتبى قال : دخل رجلٌ على هشام بن عبد الملك فقبَّل يده ؛ فقال : أُفٍّ له إن العرب ما قبَّلت الأيدي إلا هلوعاً ، وما فعلته العجم إلا خضوعاً .
[٢ / ١٢٨] ونحوه [٢ / ٤٤٧]

دراسة النصوص :

كانت مجالس الخلفاء مليئة بالأخبار والنوادر وذلك بفضل وجود العلماء والولاة وغيرهم من الذين يفدون على الخليفة ، وفي النصوص السابقة نمط من هذه القصص والحكايات والنوادر في مجلس هشام بن عبد الملك .

فالنص رقم (١٢) ذكره جمع من المؤرخين بمعناه ، مثل ابن قدامة[١] وابن الأثير[٢] والذهبي[٣] وابن كثير[٤] .

وبعد تأمل النص اتضح أن فيه انقطاعاً حيث لم يعاصر العتبى هشام بن عبد الملك فضلاً عن أنه حضر في مجلسه الذي تظلم فيه إبراهيم بن محمد بن طلحة وهذه الواقعة لعلها حدثت في حجة هشام بن عبد الملك وفي موسم الحج سنة ستٍّ ومائة[٥] .

---

(١) التبيين في أنساب القرشيين ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) الكامل في التاريخ ٥ / ١٣٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٢ - ٥٦٣ .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ٢٤٤ .

(٥) خليفة : التاريخ ص ٣٣٦ .

وإبراهيم بن محمد توفى سنة عشر ومائة[١] . فكيف يقول العتبى : ((إنى لقاعد عند قاضى هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة ... الخ)) .

ويظهر عدم صحة هذه المعلومة تاريخياً ، إذ أن إبراهيم توفى قبل وفاة هشام ابن عبد الملك سنة عشر ومائة كما أسلفنا ، فكيف يذيع الخبر وما جرى بينه وبين هشام بعد موت الأخير .

النص رقم (١٣) لم أجده في المصادر المتوفرة لديّ ، وهو من النوادر والأحاديث التي يروج مثلها في مجالس بعض الخلفاء بقصد التسلية وبصرف النظر عن صحة وقوعها وتحققها في الواقع .

أما النص رقم (١٤) فقد ذكر الذهبي ما يوافقه ما عدا الشق الأخير من النص[٢] وروى مثله المبرد في كتابه " الفاضل " .

النص رقم (١٥) أشار إليه ابن عبد البّر ، ويُسمّى الرجل بأنه عقّال بن شبَّة[٣] .

هشام وسماعه لنصائح العلماء :

١٦ - قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ ؟ قال : إن شئت أخبرتُك بخلّة ، وإن شئتَ بخلّتين ، وإن شئت بثلاث ؛ قال : فما الخَلَّة ؟ قال : كان أقوى الناس على نفسه ؛ قال : فما الخلّتان ؟ قال : كان مُوَقّى الشرّ مُلْقّى الخير ؛ قال : فما الثلاث ؟ قال : كان لا يجهل ولا يبغي ولا يَبْخل . [٢ / ٢٧٨]

١٧ - قال اصبغ بن الفرج[٤] : لم يكن في بنى مروان من ملوكها أعطر ولا

---

(١) خليفة : المصدر نفسه ٣٤٠ .

(٢) الذهبي : دول الإسلام ١ / ٧٤ ؛ الفاضل ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) بهجة المجالس ١ / ٢٧٥ .

(٤) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع ، أبو عبد الله الفقيه المالكي المصري ، كان جده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان والي مصر ووالد عمر بن عبد العزيز ، وتوفى يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة ٢٢٥ هـ . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ٢٤٠) .

ألبس من هشام ، خرج حاجّاً فَحمل ثياب طُهره على ستمائة جَمل . ودخل المدينة ، فقال لرجل : انظر مَن في المسجد فقال : رجل طويل ادلم[1] ، قال : هذا سالم بن عبد الله ، ادعه . فأتاه ، فقال : أجب أمير المؤمنين وإن شئت أرسِل فتوْتى بثيابك . فقال : ويحك ! أتيت الله زائراً في رِداء وقميص ولا أدخل بهما على هشام ! فدخل عليه فوصله بعشرة آلاف . ثم قَدِم مكة فقضى حجّه ، فلما رجع إلى المدينة ، قيل له : إن سالماً شديد الوَجع ، فدخل عليه وسأله عن حاله . ومات سالم فصلّى عليه هشام ، وقال : ما أدري بأي الأمرين أنا أُسرّ : بحجّتي أم بصلاتي على سالم . [٤ / ٤٤٦ - ٤٤٧]

١٨ - أبو حاتم عن الأصمعيّ ، قال ، قال : دخل أعرابيّ على هشام بن عبد الملك ، فقال له : عِظني يا أعرابيّ ، فقال : كفى بالقرآن واعظاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يَستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يطفف في الكيل والميزان ، فما ظنك بمن أخذه كلّه . [٣ / ٤٣٧]

١٩ - أبو الحسن المدائني قال : خرج الزُّهري يوماً من عند هشام فقال : ما رأيت مثل أربع كلمات تكلم بها اليوم انسان عند هشام . قيل له : وما هنّ ؟ قال : دخل رجل على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، احفظ عنّي اربع كلمات فيهن صلاحُ ملكك ، واستقامة رعيّتك . فقال هاتِهن ، فقال : لا تَعِدَّن عِدَة لا تثق من نفسك بإنجازها . قال : هذه واحدة فهاتِ الثانية . قال : لا يغرنّك المُرتقى وإن كان سَهلاً إذا كان المُنحدر وعراً . قال : هات الثالثة . قال : إن للأعمال جزاء فاتّقِ العواقب . قال : هات الرابعة . قال : اعلم أن للأمور بغتاتٍ فكنْ على حذر . [١ / ٦٠]

(١) الأدلم : الأدم ، وهو الأسمر . (اللسان ١٢ / ١١) .

دراسة النصوص :

كان للعلماء مكانة خاصة عند هشام بن عبد الملك حتى أنه كان يسأل عن أخبارهم ، وما خلفوا من العلم ، وذلك مما يتضح من النص رقم (١٦) حيث سأل هشام خالد بن صفوان عن خبر الأحنف بن قيس التميمي العالم النَّبيل الذي قال فيه الحسن البصري : ما رأيتُ شريف قومٍ كان أفضل من الأحنف[١] .

وقال خالد بن صفوان : كان الأحنف يفرُّ من الشَّرف ، والشَّرفُ يتبعُه[٢] .

و لم تقتصر علاقة هشام بالعلماء بتقصى أخبارهم وآثارهم بل كان يأتيهم ويصلهم ، وربما يعطيهم أموالاً ، وذلك مما يتضح من النص رقم (١٧) في حجته سنة سبع ومائة[٣] . حيث لقى هشام بن عبد الملك سالم بن عبد الله بن عمر في المدينة .

ويذكر ابن قتيبة[٤] والجاحظ[٥] أن هشام بن عبد الملك وسالم بن عبد الله تقابلا في الكعبة وطلب هشام أن يسأل سالم حاجته ، فقال سالم : أكره أن أسأل في بيت الله غير الله . ونقل ابن كثير مثل ذلك[٦] .

أما النصان رقم (١٨ و ١٩) فلم أجد من خرجهما من المصادر التي توفرت لديّ .

وفيهما رغبة هشام بن عبد الملك في الموعظة والنصيحة وأن مجالسه كانت مليئة بالعلماء والصالحين .

---

(١) الذهبى : سير أعلام ٤ / ٩١ .

(٢) الذهبي : المصدر نفسه ٤ / ٩١ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٣٦ .

(٤) عيون الأخبار ٣ / ١٨٦ .

(٥) البيان والتبيين ٣ / ١٢٧ .

(٦) البداية والنهاية ٩ / ٢٤٤ .

من أقواله :

٢٠ – قال هشام بن عبد الملك : أكلت الحُلو والحامضَ حتى ما أجِد لواحدٍ منها طعماً ، وشممت الطِّيب حتى ما أجد له رائحة ، وأتيت النساء حتى ما أبالى امرأة أتيتُ أم حائطاً ، ما وجدت شيئاً ألذَّ إليَّ من جليسٍ تسقط بيني وبينه مؤونة التحفُّظ . [٦ / ٣٧٩ – ٣٨٠] وتكرر الشق الأخير [٦ / ٢٢١]

٢١ – قال : ووقف هشام يوماً قريباً من حائط فيه زيتون له ، فسمع نَفْض الزيتون ، فقال لرجل : انطلق إليهم فقل لهم : التقطوه ولا تنفضوه ، فتفقئوا عُيونه ، وتكسرو غُصونه . [٤ / ٤٤٧]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٠) لم أقف عليه من المصادر التاريخية والأدبية التي توفرت لديّ ، وقد أوردها ابن عبد ربه بدون اسناد ، تحت عنوان : " في الفكاهات والملح " التي هي نزهة النفس ، وربيع القلب ، ومَرتَع السَّمع ، ومجلب الرَّاحة ، ومعدن السُّرور ، كما ذكر المصنِّف نفسه[1] .

لذا يصعب تصديقه ، واعتماده كرواية تاريخية . ويتضح من النص أن هشام ابن عبد الملك مارس الشهوات الدنيوية المباحة حتى ملّها ولم يعد يجدها لذة . وكان ألذ شيء عنده جليس ترفع بينهما الكلفة ، وهذه طبيعة الدنيا وصفة أهلها ، أما أهل العلم والطاعة فإن لديهم في ممارسة الطاعة ومذاكرة العلم ولا يجدون منها مللاً ولا كللاً .

أما النص رقم (٢١) ففيه حرص هشام بن عبد الملك على الزراعة ومعرفته بأصولها واهتمامه بسلامة أشجارها .

هزله :

٢٢ – قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي : زوِّجني أمرأة من كَلْب ، فزوّجه ، فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سعة ؛ قال : يا أمير

---

(١) العقد ٦ / ٣٧٩ .

المؤمنين ، نساء كلب خُلقنّ لرجال كلب . وقال له يوماً ، وهو يتغذى معه يا أبرش ، إن أكلك أكل مَعدّيّ ؛ قال : هيهات ! تابى ذلك قُضاعة .

[٤ / ٤٢] ونحوه [٦ / ١٤٢]

دراسة النص :

هذا النص ذكره ابن قتيبة ما عدا الشق الأخير ، وأورده بدون اسناد تحت عنوان : " كتاب النساء "[١] . وذكر ابن قتيبة أن هشاماً قال للأبرش ((ذات يوم يهزل معه ... الخ)) وأورد في باب الهزل والمداعبة ويحتمل فيها ما لا يحتمل في غيرها .

محاوراته :

٢٣ - بلغ هشام بن عبد الملك عن رجل كلام غليظ فأحضره . فلما وقف بين يديه جعل يتكلّم ؛ فقال له هشام : ويتكلم أيضاً ؟ فقال الرجل : يقول الله عز وجل : ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها** ﴾[٢] فيجادل الله تعالى جدالاً ولا نكلمك كلاماً ؟ فقال هشام بن عبد الملك : ويحك ! تكلم بحاجتك .

[٢ / ١٨٧]

٢٤ - خرج هشام بن عبد الملك مُتنزّهاً ، ومعه الأبرش الكلبي ، فمرّ براهب في دير[٣] ، فعدل إليه ، فأدخله الراهب بستاناً له ، وجعل يجتني له أطيب الفاكهة . فقال له هشام : يا راهب ، بعني بستانك فسكت عنه الراهب ثم أعاد عليه ، فسكت عنه . فقال له : مالك لا تجبني ؟ فقال : وددت أن الناس كلهم ماتوا غيرك . قال : لماذا ويحك ؟ قال : لعلك أن تشبع . فألتفت هشام إلى الأبرش ، فقال : ما سمعت ما قال هذا ؟ قال : والله إن لقيك حُرّ غيره[٤] .

[٦ / ١٧٦] نحوه [٤ / ٤٤٧]

---

(١) عيون الأخبار ٤ / ١٠٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١١١ .

(٣) دير الرصافة في رصافة هشام بن عبد الملك التي بينها وبين الرقة مرحلة للحمالين . وكان فيها رهبان ومعابد وهو في وسط المدينة . (معجم البلدان ٢ / ٥٧٨) .

(٤) أي ما لقيك حُرّ غيره .

٢٥ - قال هشام بن عبد الملك لأعرابي : اخرج فانظر كيف ترى السَّحاب ، فخرج فنظر ، ثم انصرف فقال : سَفَائن[1] وإن اجتمعن بعَعْن[2] . [٣ / ٤٦٧]

٢٦ - وقال لأخيه مسْلمة : يا أبا سعيد ، هل دخلك ذُعر قطّ لحرب أو عدوّ ؟ قال : ما سَلِمتُ في ذلك من ذُعر يُنبِّه عليّ حيَلي و لم يغْشني ذُعر قط سلبني رأيي . قال هشام : صدقت ، هذه وا لله البَسالة . [١ / ١٠٤]

٢٧ - وَجَّه هشامُ بن عبد الملك ابنَه على الصَّائفة ، ووجَّه معه ابنَ أخيه ، وأوصى كلَّ واحد منهما بصاحبه فلما قَدِما عليه ، قال لابن أخيه : كيف رأيتَ ابنَ عمّك ؟ فقال : إن شِئتَ أجملتُ ، وإن شِئتَ فسّرْتُ ، قال : بل أجمل ؛ قال : عرضتْ بيننا جادَّة فتركها كلٌّ واحد منّا لصاحبه ، فما ركبناها حتى رجعنا إليك . [٢ / ٤٣١]

٢٨ - دخل علي بن عبد ا لله[3] على هشام بن عبد الملك ومعه ابناه : أبو العباس[4]
وأبو جعفر[5] ، فشكا إليه ديناً لزمه ، فقال له : كم دَيْنُك ؟ قال : ثلاثون ألفاً ، فأمر له بقضائه ، فشكره عليه ، وقال : وصلتَ رحماً ، وأنا أريد أن تستوصي بابنيّ هذين خيراً . قال : نعم . فلما تولّى ، قال هشام لأصحابه : إن هذا الشيخ قد أهْتَر[6] وأسنّ وخُولط ، فصار يقول إن هذا الأمر سيُنْقل إلى ولده . فسمعه علي بن عبد ا لله بن العباس ، فقال : وا لله ليكوننّ ذلك وليملكنّ إبناى هذان مما تملكه . [٥ / ١٠٤]

(١) سفائن : قشره . (المعجم الوسيط ١ / ٤٣٤) .
(٢) بَعَعْن : صببن ونزلن المطر غزيراً . (المعجم الوسيط ١ / ٦٣) .
(٣) هو عليّ بن عبد ا لله بن العباس بن عبد المطلب ، تقدمت ترجمته .
(٤) أبو العباس : هو عبد ا لله بن محمد بن علي بن عبد ا لله بن العباس أول خليفة بنى العباس ، حيث بويع سنة ١٣٢ هـ .
(٥) وأبو جعفر : وهو المنصور ثاني خلفاء بني العباس وقد بويع بالخلافة سنة ١٣٨ هـ .
(٦) اهتر : خَرِفَ وفقد عقله من الكبر . (اللسان ٥ / ٢٤٩) .

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٣) لم أجد من خرجه غير المصنف .

النص رقم (٢٤) أورده ابن عبد ربه[1] وذكر أن هشام وصل إلى الدير بسبب هروبه من الطاعون[2] .

وهي تسمى دير الرصافة ، وكان فيها رهبان ومعابد ، كما ذكر ياقوت الحموي[3] .

والنص رقم (٢٦) لم أقف عليه عند غيره .

أما النص رقم (٢٦) فأورده ابن قتيبة في عيون الأخبار[4] وكلاهما لم يسنده .

النص رقم (٢٧) لم أجد من أخرجه غير المصنف وفيه اهتمام هشام بن عبد الملك . ولم تذكر الرواية اسم ابن هشام وابن أخيه . لكن ثبت أن معاوية ابن هشام كان كثير الفر إلى أرض الروم في الصائفة[5] .

كما أن سليمان وسعيد وإبراهيم أبناء هشام بن عبد الملك قد اشتركوا في الجهاد في سبيل الله[6] .

وأما النص رقم (٢٨) فقد ذكر المبرد مثله[7] ، وفيه أنه دخل على سليمان ابن عبد الملك بدلاً من هشام وكذلك فيه: معه ابنا ابنه بدلاً من قول ابن عبد ربه

---

(١) العقد ٦ / ١٧٦ .

(٢) العقد ٤ / ٤٤٧ .

(٣) معجم البلدان ٢ / ٥٧٨ .

(٤) عيون الأخبار ٢ / ١٧٤ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ .

(٦) الطبرى : مصدر سابق ٧ / ٦٧ ، ٩٠ ، ٩٩ ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ٥ / ١٤٠ ، ١٢٨ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٥٩ .

(٧) الكامل في اللغة ٢ / ٢١٨ - ٢١٩ بسند فيه أبو عبد الله محمد بن شجاع الثَّلْجي ، وهو متروك رُمِيَ بالبدعة ، انظر : ابن حجر : تقريب التقريب ص ٤٨٣ .

((ومعه ابناه)) ، ونقله ابن كثير[1] ولم يذكر له سنداً . والصحيح أنه دخل على هشام ، لأن ابنا علي بن عبد الله أبا العباس وأبا جعفر لم يكونا قد ولدا في عهد سليمان ، ولا يمكن حضورهما في مجلسه ، بل ولا يتم مثل هذا إلا في أيام هشام[2] .

بيد أنّ ما ذكره ابن عبد ربه في مقدار ما أعطاه هشام لعلي بن عبد الله ، وهو ثلاثون ألفاً . أقل مما ذكر المبرد ونقله ابن كثير وهي مائة وثلاثين ألفاً .

أما قول علي بن عبد الله لهشام ((أن هذا الأمر - أي الخلافة - سينقل إلى ولده)) فلنا أن نسأل : كيف عرف علي بن عبد الله هذا الأمر وجزم به ؟ وهو من الأمور الغيبية ، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، مما يشككنا في صحة الرواية ، وأنها مما وضعته شيعة بني العباس تزييناً لهم . وإن كان هناك احتمال أن يكون قال ذلك على سبيل التمنى والتوقع نتيجة لما يقوم به العباسيون من الدعوة السرية لاسقاط بنى أمية والثورة عليهم .

وفاته ومدة خلافته :

٢٩ - قال عبد الله بن الحكم[3] فقيه مِصْر : سمعت الأشياخ يقولون : سنة خمس وعشرين ومائة أديل من الشرف وذهبت المروءة ، وذلك عند موت هشام بن عبد الملك . [٤ / ٤٥١]

٣٠ - لما حَضرت هِشام بن عبد الملك الوفاة ، نظر إلى أهله يبكون عليه ، فقال : جاد لكم هشام بالدُّنيا وجُدْتم له بالبُكاءِ ، وترك لكم ما جَمع ، وتركتُم له ما عمل ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له . [٣ / ٢١٣]

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٣٤ .

(٢) وهذا مما رجحه المبرد في الكامل ٢ / ٢١٩ .

(٣) عبد الله بن عبد الحكم بن أعْيَنَ بن لَيث ، أبو محمد المصري المالكي ، الإمام الفقيه مفتى الديار المصرية ، وصاحب مالك ولد سنة خمس وخمسين ومئة ، وله تصانيف عدة ، ان ثقة ، مات في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومئتين ، وله نحوٌ من ستين سنة رحمه الله . انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٢٠ - ٢٢٣) .

٣١ - قال أبو الحسن المدائني : مات هشام بن عبد الملك بالذُّبْحة[١] يوم الأربعاء ، بالرُّصافة[٢] في ربيع الآخر لستٍّ خلون منه ، سنة خمس وعشرين ومائة وصلى عليه مَسْلَمة بن هشام[٣] أو بعض ولده ، واشْتُرِيَ له كفن من السُّوق .

[٤ / ٤٥٢]

٣٢ - مات هشام بالرُّصافة يوم الأربعاء لثلاث خَلَون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة . وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وصلّى عليه الوليد بن يزيد . وكانت خلافته عشرين سنة . [٤ / ٤٤٥]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٩) فيه فضل هشام وزمانه ، وذلك بشهادة أحد أعلام الأمة وفقهائها .

والنص رقم (٣٠) أورده ابن كثير[٤] .

أما النصّان (٣١ و ٣٢) ففيهما الخبر عن تاريخ وفاة هشام بن عبد الملك وعمره ، ومدة ولايته ، وسوف نناقشها في النقاط التالية :

أولاً تاريخ وفاة هشام :

ذكر خليفة بن خياط بأن وفاة هشام بن عبد الملك كانت لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة[٥] .

ونقل ابن الأثير[٦] مثل ذلك ، والذي عند المصنف من رواية المدائني أنها لسِت

---

(١) الذّبْحة : وجع في الحلق ، أو قرحة تخرج في حلق الإنسان . (لسان العرب ٢ / ٤٣٨) .

(٢) الرصافة : هي رصافة الشام ، بناها هشام في غربى الرِقّة لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف . (معجم البلدان ٣ / ٥٤) .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، أبو شاكر ، وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، كان شريفاً ممدّحا ، ولي في أيام أبيه الموسم وغزو الصائفة . انظر (معجم بن أمية ص ١٦٥) .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ٣٦٨ .

(٥) تاريخ خليفة ص ٣٥٦ ؛ انظر : الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢٠ وفيه لست خلون ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٦٨ وفيه لست خلون .

(٦) الكامل في التاريخ ٥ / ٢٦١ وفيه لست خلون .

خلون من ربيع الآخر ، وهو موافق لما ذكره الربعيّ والقضاعيّ[١] .

فيما ذكر اليعقوبي[٢] والطبري[٣] والمسعودي[٤] وابن حبان[٥] بأن وفاته كانت يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة . ونقل ابن كثير[٦] والنويري[٧] مثل ذلك . وهذا موافق للرواية الثانية التي ذكرها المصنف ، ولعلها الراجحة في تاريخ وفاته فقد نقل الطبري هذا عن المدائني وغيره مما يرجح أن الرواية الأولى خطأ .

ثانياً : مكان وفاته :

ذكرت المصادر ما يوافق رواية ابن عبد ربه في مكان وفاته[٨] .

ثالثاً : سبب وفاته :

ذكر الطبري خبراً عن العلة التي كانت بها وفاته وذلك في رواية طويلة مضمونها أنه كان يشتكي بالذّبحة وبها توفى[٩] . ونقل ابن الأثير أنه توفى بالذّبحة[١٠] .

---

(١) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢٠ ؛ تاريخ القضاعي ص ٣٦٨ ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٩ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢٨ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٠٠ عن طريق ابن معشر والواقدي والمدائني .

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣ / ٢١٦ .

(٥) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٧ .

(٦) البداية والنهاية ٩ / ٣٦٨ .

(٧) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢١ / ٤٦٠ .

(٨) خليفة : التاريخ ص ٣٥٦ ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٣٢٨ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٠٠ عن طريق الواقدي ؛ المسعودي : مروج ٣ / ٢١٦ ؛ ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٧ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ص ١٢٠ ؛ القضاعي : التاريخ ص ٣٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٦١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٦٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٤٦٠ .

(٩) المصدر السابق ٧ / ٢٠٠ - ٢٠١ عن طريق علي بن محمد .

(١٠) الكامل في التاريخ ٥ / ٢٦١ ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٩ .

وقد ذكر ابن كثير روايــة توافـق مـا ذكـر الطـبري[١] وهـذا موافـق لمـا ذكـر المصنف في سبب وفاته .

رابعاً : ذكر من صلى عليه :

واختلف المؤرخون في ذلك ، فذكر خليفة بن خيــاط[٢] وابـن حبَّـان[٣] وابـن كثير[٤] بأن الوليد بن يزيد بن عبد الملك صلى على هشــام بـن عبـد الملـك وهـذا موافق للرواية الثانية عند المصنف .

فيما ذكر بعض المؤرخين رواية تُوافق ما ذكـره ابـن عبـد ربـه في روايـة عـن المدائني بأن مسلمة بن هشام صلى على أبيه هشام[٥] . وذكر اليعقوبي أن العباس ابن الوليد صلّى عليه[٦] ، وقيل : بل الأبرش الكلبى صلى عليه[٧] .

خامساً : كَفْنه :

يذكر اليعقوبي أنه لم يوجد لهشام كفن حيث منعه وكلاء الوليد بن يزيد من الخزائـن ، فكفنـه خـادم لـه[٨] . وقيـل : بـل كفّنـه الأبـرش الكلبـيّ[٩] ، وروايـة المصنف أنه اشترى له كفن من السوق ، ومـا ذكـره اليعقوبـي شـاذ وفيـه نكـارة ظاهرة .

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٦٨ .

(٢) التاريخ ص ٣٥٧ .

(٣) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٧ .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ٣٦٨ .

(٥) الطبري : التاريخ ٧ / ٢٠١ ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٦٨ ؛ ابن الأثير : المصدر الســابق ٥ / ٢٦١ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٤٦٠ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٩ .

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢٨ .

(٧) المصدر نفسه ٢ / ٣٢٨ .

(٨) المصدر نفسه ٢ / ٣٢٨ .

(٩) المصدر نفسه ٢ / ٣٢٨ .

سادساً : عمره :

واختلف المؤرخون في مبلغ عمره ، ذكر بعض المؤرخين بأن عمره يوم توفى ثلاثاً وخمسين سنة(١) وهذا موافق لرواية المصنف ، فيما ذكر آخرون أن عمره كان خمساً وخمسين سنة(٢) وقال بعضهم : كان ابن ست وخمسين(٣) أو اثنتان وخمسين سنة(٤) . وأورد الطبري(٥) والربعي(٦) والقضاعي(٧) والذهبي(٨) قولاً آخر بأن عمره أربع وخمسون سنة . والراجح عندي القول الأول وهو أن عمره يوم توفى كان ثلاثاً وخمسين سنة لأن هشام ولد العام الذي قتل فيه مصعب بن الزبير وهو سنة اثنتين وسبعين من الهجرة(٩) .

سابعاً : مدة ولايته :

أما مدة خلافته ، فقد ذكر المؤرخون أقوالاً متقاربة جداً ، فذهب أغلبهم إلى أن مدة خلافته كانت تسع عشر سنة وسبعة أشهر واحدى عشرة ليلة(١٠) .

---

(١) تاريخ خليفة ص ٣٥٧ ؛ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢٨ ؛ مروج الذهب ٣ / ٢١٦ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٦٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٩ .

(٢) الطبري : التاريخ ٧ / ٢٠٠ في قول هشام بن محمد الكلبي ؛ ابن أثير الكامل ٥ / ٢٦١ .

(٣) القضاعي : التاريخ ص ٣٦٨ ؛ ابن أثير الكامل ٥ / ٢٦١ في قول ؛ النويري نهاية الأرب ٢١ / ٤٦٠ .

(٤) الطبري : التاريخ ٧ / ٢٠٠ في قول بعضهم .

(٥) التاريخ ٧ / ٢٠٠ في قول محمد بن عمر الواقدي .

(٦) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢٠ .

(٧) التاريخ ص ٣٦٨ .

(٨) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٥١ .

(٩) انظر خليفة : التاريخ ص ٢٦٨ .

(١٠) خليفة : التاريخ ص ٣٥٧ ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٣٢٨ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٠٠ في قول الواقدي : وعشر ليال وفيقول المدائني وابن الكلبي أحد وعشرين يوماً ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢١٦ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٦٨ ؛ حمزة : سني ملوك الأرض ص ١٢٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٦١ ؛ الذهبي : دول الإسلام ١ / ٨٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٦٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٤٦٠ .

وذكر الطبري رواية أخرى بأن خلافته كانت تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ونصفاً[١] وكذا أورد ابن كثير[٢] وذكر الربعي تسع عشرة سنة وستة أشهر وعشر ليال[٣] وأورد العظيمي تسع عشرة سنة وعشرة أشهر[٤] ، وأورد الذهبي بأن ولايته كانت عشرين سنة[٥] .

وهذه الأقوال لا تخالف ما ذكر المصنِّف بأن خلافته كانت عشرين سنة حيث أنه جبر الكسر وهي طريقة متبعة .

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٠٠ في قول ابن معشر ؛ وانظر الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ١٩ وفيه تسعة عشر سنة وتسع أشهر .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٣٦٨ وصدرها بقوله : وقيل .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٤) تاريخ حلب ص ٢١١ .

(٥) الذهبي : دول الإسلام ١ / ٨٥ .

٨ - خلافة الوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦ هـ) .

نسب أم الوليد بن يزيد وبيعته :

١ - بويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وأمه أم الحجاج[١] بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف . [٤ / ٤٥٢]

دراسة النص :

هذا النص أورده خليفة بكامله[٢] .

وتضمن النص تاريخ بيعة الوليد بن يزيد ، وهو موافق لما رواه جمهور المؤرخين[٣] .

وقد وقع اختلاف يسير في اليوم والشهر الذي تمت فيه البيعة فذكر هشام بن محمد الكلبي أنه بويع يوم السبت في ربيع الآخر[٤] .

وتفرد اليعقوبي بأن تاريخ بيعته كانت يوم الجمعة لعشر بقين من شهر ربيع الأول[٥] .

---

(١) أم الحجاج : ويقال أيضاً أم محمد ؛ واسمها عائشة ، وقيل زينب ، وأمها أم عثمان بنت سلمى بن نوفل بن معاوية . انظر : ابن حبيب : المحبر ص ٣٠ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٣٢١ ؛ ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٩ .

(٢) تاريخ خليفة ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٠٨ عن طريق الواقدي ، وقال بذلك أيضاً علي بن محمد المدائني ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٢٤ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٧٣ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠١ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٢٣ مخطوط ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٦٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٣ نقلاً عن الواقدي .

وفيها جميعاً أن ولايته كانت يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٠٨ . انظر : ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٣ . انظر الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك : تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ١ / ١٦٣ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣١ .

وما رواه الجمهور هو المقدم .

والرواية تضمنت أيضاً نسب أم الوليد بن يزيد ، وهي أم الحجاج بنت محمد ابن يوسف أخي الحجاج بن يوسف ، وهو ما ذكره النسّابون(١) والمؤرخون(٢) .

بعض أخبار زواجه :

٢ – طلق الوليد بن يزيد امرأته سُعدى ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه . فدخل عليه أشعب ، فقال له ، أبلغ سُعدى عنّي رسالةً ، ولك مني خمسةُ آلاف درهم . فقال : عجِّلها . فأمر له بها . فلما قبضها قال : هات رسالتك ، فأنشدها :

أسُعدى ما إليك لنا سَبيلُ ولا حتى القيامة من تَلاقِ

بلى ، ولعل دهراً أن يواتي بموت من خليلك أو فِراقٍ

فأتاها فاستأذن فدخل عليها . فقالت له : ما بدالك في زيارتنا يا أشعب ؟ فقال : يا سيدتي أرسلني إليك الوليد برسالة ، وأنشدها الشعر ، فقالت لجواريها : خذن هذا الخبيث . فقال : يا سيدتي ، إنه جعل لي خمسة آلاف درهم . قالت لك بِساطي هذا . قال : قُومي عنه . فقامت عنه وألقاه على ظَهره . وقال : هاتي رسالتك . فقالت : أنشده :

أتبكي على سُعدى وأنت تركْتها فقد ذهبت سُعدى فما أنت صانع

---

(١) مصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٦٧ ؛ ابن حَزم : جمهرة أنساب العرب ص ٩١ ، وفيه أم محمد .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٥٧ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٣١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٣٢١ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٢٩ ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٧٣ ؛ العُظيمي : المصدر السابق ص ١٠١ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٢٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٨٩ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠١ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٣ ، تاريخ الإسلام ص ٢٩٤ حوادث وفيات بين (١٢١ – ١٤٠ هـ) ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٧ .

فلما بلغه وأنشده الشعرُ سقط في يده ، وأخذتْه كظمه ثم سُرَى عنه ، فقال : اختر واحدة من ثلاث : إما أن نَقتلك ، وإما أن نَطرحك من هذا القصر ، وإما أن نُلقيك إلى هذه السباع . فتحيَّر أشعب وأطرق حيناً ، ثم رفع رأسه فقال : يا سيدي ، ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سُعدى . فتبسَّم وخلَى سبيلَه . [٦ / ١٢] ونحوه في [٤ / ٤٥٢]

٣ - عشق - الوليد - سُعدى[1] بنت عمرو بن عثمان بن عفان ، فتزوّجها ، ثم تعشَّق أختها سَلْمى ، فطلّق أختَها سُعدى وتزوّج سَلمى ، فرجعت سُعدى إلى المدينة فتزوّجت بشر بن الوليد بن عبد الملك . ثم نَدِم الوليدُ على فِراقها وكلف بحُبِّها ، فدخل عليه أشعبُ المُضحك ، فقال له الوليد : هل لك على أن تُبلّغ سُعدى عني سالةً ولك عشرون ألف دِرْهم ؟ قال : هاتِها ، فدفعها إليه . فقبضها وقال : ما رسالتك ؟ قال : إذا قدمتَ المدينة فاستأذِن عليها ، وقل لها : يقول لك الوليد :

أسُعدى ما إليك لنا سَبيلُ ولا حتى القيامة من تَلاقِ

بلى ، ولعل دهراً أن يُؤَاتى بموت مِن خليلك أو فِراق

فأتاها أشعب فاستأذن عليها ، وكان نساءُ المدينة لا يَحْتجبن[2] عنه ، فقالت له : ما بدالك في زيارتنا يا أشعب ؟ قال : يا سيدتي : أرسلني إليك الوليدُ برسالة . قالت : هاتِها فأنشدها البيتين . فقالت لجواريها : خُذْن هذا الخبيث . وقالت : ما جَرَّأك على مثل هذه الرسالة ؟ قال : إنها عشرين ألفاً معجّلة مقبوضة . قالت : وا لله لأجلدنّك أو لتبلِّغنه كما ابلغتني عنه . قال : فاجعلي لي جعلاً . قالت : بِساطِي هذا . قال : فقومي عنه . فقامت عنه ، وطوى البِساط

---

(١) هكذا في العقد والصواب : سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص (٩١ - ٩٢) .

(٢) إن صحت هذه القصة فإنه يدل على أن العادة أنهن كن يحتجبن عن غيره ، أما عنه فربما أنه كان يعتبر من غير أولي الإربة من الرجال فلذلك تركن الاحتجاب عنه .

وضَمّه ، ثم قال : هاتي رسالتك . فقالت له : قل له :

أتبْكي على سُعدى وأنت تَرَكْتها فقد ذَهبت سُعدى فما أنت صانع ؟

فلما بلّغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب ، وقال : اختَر احدى ثلاث خِصال : ولا بُدّ لك من إحداها : إما أن أقتلك ، وإما أن أطرحك للسَّباع فتأكلك ، وإما أن أُلقيك من هذا القَصر ؟ فقال أشعبُ : يا سيدي ما كُنتَ لتعذِّب عينين نَظرتا إلى سُعدى . فضَحِك وخَلّى سبيله . وأقامت عنده سَلمى حتى قتل عنها . [٤ / ٤٥٢ - ٤٥٣]

دراسة النصوص :

النصان السابقان تضمنا جانباً من حياة الوليد بن يزيد الاجتماعية . فذكر ابن عبد ربه أن من نسائه سعدى . وهي سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان بن عفان[١] . تزوجها قبل استخلافه ، ولكن تغيرت عاطفته نحوها إذ هام حبّاً بأختها سلمى ، فوقعت في قلبه[٢] . وذلك عقب زيارة أختها سلمى . وكانت سلمى جميلة ومن أحسن الناس وجهاً ، فبصر بها الوليد فأعجبته ، وأراد أن يتزوجها فطلق زوجته سعدى ، ليقترن بأختها[٣] . ثم بعد ذلك خطب الوليد سلمى من أبيها ، ولكن دون جدوى ، بيد أن الوليد استطاع أن يتزوج سلمى عقب توليه الخلافة ، حين عاد فخطب إلى سعيد بن خالد ابنته هذه مرة أخرى فزوجه منها[٤] .

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (ص ٩١ - ٩٢) .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ٧ / ٢٦ بسند فيه المدائني عن جويرة بنت أسماء ؛ ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٨٢ طبعة ثانية دار المسيرة .

(٣) مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ٣ / ١١٣ مكتبة المثنى ببغداد ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٧ / ٢٤٠ ؛ الأصفهاني : الأغاني ٧ / ٢٦ وفيه أن الوليد هو الذي زار قصر سعيد بن خالد أبو زوجته سُعدى ، فرأى أختها سلمى فأعجب بها .

(٤) المصدر السابق ٣ / ١١٤ .

ولم تمضي الأيام حتى ندم الوليد على تطليقه سعدى ، وغمّه فراقها ، فسعى في إرجاعها ، وبعث إليها أشعب المضحك[١] لأن زوجته سلمى توفيت بعد فترة وجيزة ، وقيل كانت وفاتها ليلة أدخلت عليه[٢] . ولكن بعد فوات الأوان لأن سعدى قد صارت زوجة لبشر بن الوليد بن عبد الملك ، وسكن معها أرض الحجاز في المدينة المنورة[٣] .

لهوه وأخلاقه :

٤ - ومنهم[٤] الوليد بن يزيد ، ذهب به الشراب كل مذهب حتى خلع ، وقُتِل . وهو القائل[٥] :

خذوا مللكم لا ثبَّت الله ملككم ثباتاً يُساوي ما حببت عِقالاً
دَعُوا لى سَلْمَى والنبيذَ وقينه وكأساً الاحسبى بدلك مالا
أبِا لملك أرجو أن أخلد فيكم ألا ربَّ مُلك قد أزيل فزالا

[٦ / ٣٥١]

٥ - أبو الحسن المدائنى قال : كان الوليدُ صاحب لهو وصَيد وشراب ولذَّات . فلما وَلى الأمرَ جعل يكره المواضعَ التى يراه الناس فيها ، فلم يدخل مدينة من مدائن الشام حتى قُتل ، ولم يزل يَتقّل ويتصيّد حتى ثَقُل على الناس وعلى جُنده .. إلخ . [٤ / ٤٦٢]

---

(١) الأصفهاني : الأغاني ٧ / ٢٦ - ٢٩ ؛ ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٧٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ٤٧٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ٤ / ٣١ ؛ انظر حسن عطوان : الوليد بن يزيد ص ٧٢ .

(٢) الأصفهاني : المصدر السابق ٧ / ٣٠ عن طريق المدائنى وابن سلام وفيه : لم يلبث إلا مدَّة يسيرة حتى ماتت . مجهول : العيون والحدائق ٣ : ١١٤ .

(٣) انظر حسين عطوان : الوليد بن يزيد ص ٧٢ .

(٤) أي ممن شرب الشراب .

(٥) وانظر مثل هذه الأبيات في كل من :

الأصفهاني : الأغاني ٧ / ٩٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ٤ / ٩٣ ؛ ابن قتيبة : كتاب الأشربة ص ٦١ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٨٧ .

٦ – وبلغ الوليد أن الناس يعيبونه ويتنقّصونه بالشراب وطلّب اللّذات ، فقال في ذلك :

ولقد قضيتُ ، ولم يُحَلِّل لِمَّتـي ... شَيبُ ، على رَغم العِدا لذَّاتِـي
من كاعباتٍ كالدُّمَى ومناصفٍ ... ومَراكـب للصَّيـد والنّشـوات
في فِتْيـة تـأبى الهـوانَ وجوهُهـم ... شُمٍّ الأنوف جَحـاجح سـادات
إن يَـطلبـوا بـتراتـهم يُـعطَوا بـها ... أو يُـطلبـوا لا يُـدركـوا بـتِرَاتِ

[٤ / ٤٥٩ – ٤٦٠]

٧ – ثم عكف الوليد على البَطَالة وحُبِّ القِيان والمَلاهي والشراب ومعاشقة النساء . [٤ / ٤٥٢]

دراسة النصوص :

أورد ابن عبد ربه نصوصاً تطعن في الوليد بن يزيد وتظهره شخصاً فاسقاً ماجناً مكباً على الغناء والشراب قبل خلافته وبعد استخلافه .

ومثل هذه الأخبار تناقلها الأخباريون واحداً تلو الآخر ، حتى استفاضت النصوص والروايات بذلك في المصادر التاريخية والأدبية معاً ومن بين ما اتّهم به الوليد هو أنه أراد أن يشرب الخمر فوق الكعبة[١] .

كما اتهم الوليد بالزندقة[٢] والكفر والإلحاد[٣] وغير ذلك .

وهذه كلها تُهم لم يرد لنا منها شيء بطريق صحيح ، ولكن اشتغاله باللهو وانحرافه في بعض السلوكيات مما اشتهر على ألسنة المؤرخين .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٣ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٧ / ٢٣٦ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٢ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٣٣ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ٧ / ٨٤ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٧ / ٢٤١ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٢ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٦٣ ؛ الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١ / ٧٢ .

(٣) ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٤١ ؛ الدميري : المصدر السابق ١ / ٧٢ ؛ السيوطي : المصدر السابق ص ٢٣٣ .

وقد تنبه كثير من المؤرخين وخاصة المتأخرين منهم ، لهذا الأمر ، ورفضوا ما ألصق بالوليد من التهم الكفرية والفسق ، مثل : ابن الأثير حيث قال : ((وقد نزّه قوم الوليد بن يزيد مما قيل فيه ، وانكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قيل عنه ، وألصق به ، وليس بصحيح))[١] .

ونفى الذهبي عن الوليد الكفر والزندقة ، وقال : ((لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة))[٢] .

وقال ابن خلدون : ((لقد ساءت القالة فيه كثيراً وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به))[٣] .

ويقول ابن تغرى بردى : ((ذكر عنه بعض أهل التاريخ أموراً أستبعد وقوعها))[٤] .

ويروي ابن الأثير عن شبيب بن شيبة أنه قال : كنا جلوساً عند المهدى فذكروا الوليد فقال المهدى : كان زنديقاً ، فقام أبو علاثة الفقيه ، فقال : يا أمير المؤمنين : إن الله عز وجل أعدل من أن يولي الخلافة النبوية وأمر الأمة زنديقاً ، لقد أخبرني من كان يشهده ... بمروءة في طهارته وصلاته . فقال المهدى : بارك الله عليك يا أبا علاثة[٥] .

وقد تنبه المهديّ بعد ذلك إلى خطورة هذه التهمة فلما ذكر في مجلسه الوليد وقيل إنه كان زنديقاً قال : مَهْ خلافة الله أجلُّ من يجعلها في زنديق[٦] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٥ / ٢٩٠ .

(٢) تاريخ الإسلام ص ٢٩٤ ، حوادث سنة (١٢١ - ١٤٠ هـ) ؛ انظر الصفدى : المصدر السابق ١ / ١٦٤ نقلاً عن شيخه الذهبي .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٢٥ .

(٤) النجوم الزاهرة ١ / ٢٩٨ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٩١ .

(٦) ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٣١ ؛ سير أعلام ٥ / ٣٧٢ من طريق مصعب الزبيري .

وليس معنى ذلك أننا ننزه الوليد من كل شيء . وربما كان عنده ميل إلى اللهو والعبث ، ولكنه لم يصل به الحد إلى أن يتّهم بشرب الخمر فوق الكعبة ، وهل ضاقت عليه الدنيا ، فلم يجد مكاناً يشرب فيه الخمر إلا فوق الكعبة ؟![١] .

ومن المعلوم أن أول من ذكر بأن الوليد أراد أن يبني غرفة فوق سَطح الكعبة ويشرب فيها الخمر هو المؤرخ الشيعي اليعقوبي حيث قال : ((كان الوليد مهملاً لأمره قليل العناية بأطرافه . وكان صاحب ملاه وقيان وإظهار للقتل والجور ، وتشاغل عن أمور الناس ، وشرب ومجون ، فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للّهو ، ووجه مهندساً لذلك))[٢] .

والحقيقة أن المؤرخين الثقات أشاروا إلى مراد الوليد من بناء القبة أو الغرفة فوق سطح الكعبة ، مثل الحافظ ابن عساكر ، حيث أورد الخبر في تاريخه هكذا : ((أراد الوليد بن يزيد الحج وقال : أشرف فوق ظهر الكعبة))[٣] .

ودلالة العبارة واضحة وهي أن يشرف من فوق ظهر الكعبة لمراقبة الطواف ، وما يتعلق بخدمة الحجاج والزوّار .

وصرح ابن الجوزي بقصد الوليد من بناء القبة وقال : ((إن الوليد بن يزيد كان أمر بقبة من حديد أن تعمل وتركب على أركان الكعبة ويخرج لها أجنحة لتظله إذا حج وطاف))[٤] .

وقال في موضع آخر : ((أراد الوليد الحج ، فاتخذ قبة من ساج ليجعلها حول الكعبة ليطوف هو ومن أحب من أهله ونسائه فيها))[٥] .

---

(١) انظر عبد الشافي : العالم الإسلامي ص ١٩٩ ؛ حسين عطوان : الوليد بن يزيد ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٣ بدون سند .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ، المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٣١ مخطوط ؛ وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٦ / ٣٧١ وقد تصحفت فيه الكلمة إلى " اشرب " وذكر المحقق في الهامش أن الكلمة أشرف كما هي في الأصل عند ابن عساكر .

(٤) المنتظم ٧ / ٢٣٧ .

(٥) المصدر نفسه ٧ / ٢٣٧ .

ويبدوا أن النص صحّف وحرّف قراءة كلمة " أشرف " إلى " أشرب " بقصد أو بغير قصد كما في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ، ومما زاد الطين بلّة أن بعض المؤرخين تناقلوه مصحفاً[١] .

بين الوليد ومعاوية بن عمرو بن عتبة :

٨ - العتبّى عن أبيه ، قال : سمعتُ معاوية بن عَمرو بن عُتبة[٢] يحدِّث ، قال : إني لقاعد بباب هشام بن عبد الملك ، وكان الناس يتقربون إليه بعَيب الوليد بن يزيد ، قال : فسمعت قوماً يعيبونه ، فقلت : دَعُونا من عَيب من يلزمنا مَدْحُه ووَضْعِ من يجب علينا رَفعُه . وكانت للوليد بن يزيد عيون لا يبرحون بباب هشام ، فنقلوا إليه كلامي وكلامَ القوم ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى راح إليَّ مولىً للوليد ، قد التحف على ألف دينار ، فقال لي : يقول لك مولاي : انفق هذه في يومك ، وغداً أمامك . قال : فمُلئت رُعْباً من هشام وخَشيت سطوتَه ، ورماه الله بالعّلة فدفّناه لثمانية عشر يوماً بعد ذلك اليوم . فلما قام الوليد بعده دخلت عليه ، فقال لي : يابن عُتبة ، اتراني ناسياً قُعودك بباب الأحول يُهْدمنى وتبنيني ، ويَضَعني وتَرْفعنى ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، شاركتَ قومَك في الإحسان ، وتفردّت دونهم بإحسانك إليّ ، فلستُ احمد لك نفسى في اجتهاد ، ولا أعْذرها في تقصير ، وتشهد بذلك ألسنةُ الجائرين بنا ، ويُصَدِّق قولهم الفِعال منا ، قال كذلك أنتم لنا آل أبي سفيان ، وقد أقطعتُك مالى بالبَثَنِّيةُ[٣] وما أعلم لقُريش مثلَه . [٤ / ٤٥١]

---

(١) انظر المرتضى : امالى المرتضى ١ / ١٢٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٦٤ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٧٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٤ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٣٣ .

(٢) معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، لعله الجد الثاني للشاعر العتبى ومعاوية هذا قتل والده عمرو بن عتبة في فتنة ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ (جمهرة أنساب العرب ص ١١٢) .

(٣) البثنية : بالتحريك وكسر النون وياء مشددة مدينة بالشام ، ومن أرذعات من عمل دمشق (الروض المعطار ص ٧٩) .

٩ - قال معاوية بن عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد حين تغيّر له الناسُ وطَعنوا عليه : يا أمير المؤمنين ، إنه يُنطقني الأنس بك ، وتسكتني الهيبة لك ، وأراك تأمن أشياء أخافُها عليك ، أفأسكت مُطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كلٌّ مقبول منك ، والله فينا عِلْمُ غيب نحن صائرون إليه . فقتل بعد ذلك بأيام .

[٤ / ٤٦٠] ومثله [١ / ١١] ولكن عن عمرو بن عتبة بدلاً من معاوية بن عمرو

دراسة النصوص :

لم أجد من ذكر النص رقم (٨) من المؤرخين .

ويمكن حدوث هذه الواقعة لأن معاوية بن عمرو بن عتبة كان يفد على هشام بن عبد الملك ، وكان من فصحاء العرب[1] .

أما النص رقم (٩) أورد ابن قتيبة[2] والطبري[3] والجهشياري[4] مثله .

معاملة الوليد لآل هشام بن عبد الملك :

١٠ - أول شيء نظر فيه الوليد أن كتب إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك[5] أن يأتي الرُّصافة يُحصى ما فيها من أموال هشام وولده ، يأخذ عُماله وحَشمه ، إلا مسلمة بن هشام ، فإنه كتب إليه أن لا يعرض له ولا يدخل منزله ، وكان مسلمة كثيراً ما يكلم أباه في الرفق بالوليد . ففعل العباس ما أمره به . وكتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر ، فقدِم عليه من العراق ، فدفع

---

(١) صلاح الدّين المنجد : معجم بني أمية ص ١٧٥ مستخرج من تاريخ دمشق .

(٢) عيون الأخبار ١ / ٩٢ نقلاً عن العتبى وفيه عمرو بن عتبة بدلاً من معاوية بن عمرو عتبة .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٣٨ .

(٤) الوزراء والكتاب ص ٦٩ وفيه عمرو بن عتبة بدلاً من معاوية بن عمرو .

(٥) العباس بن الوليد بن عبد الملك الأموي ، أبو الحارث ، وقيل أبو الوليد . من أم نصرانية ، كان أكبر ولد أبيه ، وكان يسكن حمص واستعمله أبوه عليها ، وولاّه المغازى غيرمرة ، حيث افتتح حصوناً كثيرة وكان شاعراً ، ومات في سجن مروان في حرّان . انظر : (صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ص ٧٩) .

إليه خالد بن عبد الله القسرى ومحمداً وإبراهيم ، ابنى هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وأمره بقتلهم . [٤ / ٤٥٢]

١١ - فحدّث أبو بشر بن السرىّ(١) قال : رأيتهم قدِم بهم يوسف بن عمر الحيرة(٢) وخالد في عباءة في شقٍّ مِحْمل فعذّبهم حتى قتلهم . [٤ / ٤٥٢]

١٢ - أبو الحسن المدائني قال : واشتد - الوليد - على بنى هشام وأضرّ بهم ، وضرَب سليمان بن هشام مائة سوط ، وحلق رأسه ولِحيته ، وغَرّبه إلى عُمان ، فلم يزل محبوساً حتى قتل الوليد . وحبس يزيد بن هشام ، وهو الأفقم ، فرمَاه بنو هشام وبنو الوليد . وكان اشدَّهم قولاً فيه يزيد بن الوليد ، وكان الناس إلى قوله أميلَ ، لأنه كان يظهر النُّسك . ولما دفع الوليدُ خالدَ بن عبد الله القسرىّ إلى يوسف بن عمر فقتله ، غضبت له اليمانيّة كُلها وغيرهم ، فأتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأرادوه على البيعة وخلع الوليد ، فامتنع عليهم وخاف أن لا تُبايعه الناس ، ثم لم يزل الناسُ به حتى بايعوه سرّاً .
[٤ / ٤٦٢]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة توضح بعض تصرفات الوليد بن يزيد إبان خلافته تجاه معارضيه في عهد هشام بن عبد الملك ، ولم يستثنى من أولاد هشام إلا العباس ، الذي كان يرى أن عزل الوليد بمثابة بداية انهيار الحكم الأموي وزواله(٣) . وكان يقول : ((يا بني مروان ؛ إني أظن الله أذن في هلاككم))(٤) .

---

(١) أبو بشر بن السّرىّ : لم أجد له ترجمة .

(٢) الحيرة : بالكسر ثم السكون ، وراءٍ ، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف (معجم البلدان ٢ / ٣٧٦) .

(٣) ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٢٧٣ وقد أبدى العباس رأيه في شعر طويل نصح به بني أمية الإجتماع وترك الفرقة .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٣٩ .

ولذلك لما كلف الوليد بن يزيد العباس مصادرة ما يملك أبناء هشام وعماله ، وحَبْسُ معاونيه[١] استثنى مسلمة بن هشام ، لأنه كان يكثر على أبيه في الرفق بالوليد ، والكف عنه[٢] ، وقد ورد في بعض المصادر أن مسلمة بن هشام كان يشابه الوليد في سلوكه ولذلك كان هشام بن عبد الملك يعاتب ابنه مسلمة بن هشام ويقول : ((يُعيّرنى الوليد بك ، وأنا أُرشحك للخلافة))[٣] .

أما قضية خالد بن عبد الله القسرى ، فإن المصادر التاريخية تذكر أن الوليد غضب عليه بسبب ما اخفى عنه من معلومات عن الذين أرادوا اغتياله ، وكان معظمهم من اليمانية وقضاعة من أهل دمشق ، وكان هؤلاء أجمعوا على قتل الوليد ، فلما أتوا خالداً ودعوه إلى أمرهم لم يُجبهم ، فسألوه أن يكتم عليهم ، فقال : لا أسمِّى أحداً منكم ، فلما أراد الوليد الحج خاف خالد أن يغتالوه في الطريق فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أخّر الحج العام ، فقال : ولم ؟ فلم يخبره ، فأمر بحبسه وأن يستأدى ما عليه من أموال العراق[٤] ثم أمر بقتله[٥] .

مقتل الوليد بن يزيد وعمره وولايته :

١٣ - قُتل بالبخراء[٦] ، من تَدْمر على ثلاثة أميال ، يوم الخميس لليلتين بقينا من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وعشرين ومائة ، وهو ابن خمس وثلاثين ، أو سِتٍّ وثلاثين . [٤ / ٤٥٢]

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢١٦ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٤١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٦٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٤ ؛ انظر حسين عطوان : الوليد بن يزيد ص ٣٤٦ .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٦٤ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٣٣ ؛ ابن الجوزى : المصدر السابق ٧ / ٢٤٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٨١ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ١٧٥ ؛ سير أعلام ٥ / ١٧٢ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٨ ، ٢١ .

(٥) خليفة ابن خياط : المصدر السابق ص ٣٦٢ .

(٦) البخراء : هي أرض بالشام سميت بذلك لعفونة تربتها ونتن ريحها . (الحميرى : الروض المعطار ص ٨٤) .

١٤ - قال حاتم بن مسلم[1] : ابن خَمس وأربعين وأشهر . وكانت ولايتُه سنةً وشهرين واثنين وعشرين يوماً . [٤ / ٤٥٢]

١٥ - قال إسماعيل : وحدثني عبد الله بن واقد[2] قال : حدثني يزيد بن فروة[3] مولى بني أمية ، قال : لما أُتي يزيد برأس الوليد بن يزيد ، قال لي : أنْصبه للناس ، قلتُ : لا أفعل ، إنما ينصب رأس الخارج . فحلف لينصبنّ ولا ينصبه غيري ، فوضع على رُمح ونُصب على درج مسجد دمشق . ثم قال : اذهب فطُف به في مدينة دمشق . [٤ / ٤٦١ - ٤٦٢]

١٦ - خليفة بن خياط قال[4] : حدثني الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا بالوليد أخذ المُصْحف وقال: أُقتل كما قُتل ابن عمّي عثمان.[٤ / ٤٦٢]

دراسة النصوص :

النصان رقم (١٣ ، ١٤) فيهما تاريخ ومكان قتل الوليد بن يزيد وعمره وولايته .

وقد اتفقت المصادر على مكان وفاته[5] وكذا تاريخ وفاته[6] أما عمره : فقد

---

(١) حاتم بن مسلم ، وهو حاتم بن أبي صغيرة البصرى ، أبو يونس ، وأبو صغيرة جده لأنه ، وقيل زوج أمه ، ثقة من السادسة . [ابن حجر : التقريب ص ١٤٤] .

(٢) عبد الله بن واقد الجرمي ، شهد مقتل الوليد بن يزيد ، ووصف في قتله . (مختصر تاريخ دمشق ١٤ / ٩٠) .

(٣) يزيد بن فروة مولى بني مروان ، وهو الذي نصب رأس الوليد بنيزيد على درج مسجد دمشق ، ثم طاف به في دمشق كرهاً وبضغط من يزيد بن الوليد . (مختصر تاريخ دمشق ٢٧ / ٣٩٤ - ٣٩٥) .

(٤) تاريخ خليفة ص ٣٦٥ .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٦٣ ؛ ابن حبّان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٨ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢١ ؛ القضاعى : تاريخ القضاعى ص ٣٧٤ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٣٧ ؛ العظيمى : تاريخ حلب ص ٢١٢ ؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ص ٢٩٤ ، حوادث وفيات (١٢١ - ١٤٠ هـ) ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢٠ .

(٦) المصادر السابقة وابن كثير : البداية ١٠ / ٧ .

اختلف المؤرخون في ذلك على عدة أقوال .

فذكر بعضهم أنه قتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة(١) .

وذكر بعض آخر : بأنه قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة(٢) .

وقال العظيمى : ابن سبع وثلاثين سنة(٣) .

وقال الآخرون : ابن ثمان وأربعين سنة(٤) .

وقال المسعودي : ابن أربعين(٥) .

وقال الآخرون : ابن احدى وأربعين سنة(٦) .

وقال بعضهم : ابن اثنين وأربعين سنة(٧) .

وقيل : ابن أربع أو خمس وأربعين سنة(٨) .

وقيل أيضاً : ابن ست وأربعين سنة(٩) .

وفي قول آخر لابن كثير قال : ابن إحدى وثلاثين سنة(١٠) .

---

(١) خليفة : المصدر السابق ص ٣٦٣ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٣٧ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٥٣ .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٣٦٣ ؛ الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٥٧ عن طريق الواقدي ؛ الربعي : المصدر السابق ص ١٢١ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٣٨ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٣ .

(٣) تاريخ حلب ص ١٠١ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٥٧ عن طريق هشام بن محمد الكلبي ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٨٩ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ١٠ / ١٣ .

(٥) مروج الذهب ٣ / ٢٢٤ .

(٦) الطبري : التاريخ ٧ / ٢٥٣ في قول بعضهم ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٨٩ .

(٧) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٠ ؛ الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٥٣ في قول بعضهم .

(٨) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٦٣ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٣٧ .

(٩) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٨٩ .

(١٠) البداية والنهاية ١٠ / ١٣ .

والراجح أنه قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة لأن أباه يزيد مات في سنة ١٠٥ هـ وعُمر الوليد كان خمس عشرة سنة كما نص ذلك الطبري[١] وابن الأثير[٢] وبهذا نستنتج أن ولادته كانت عام تسعين وهو ما أكده خليفة ابن خياط[٣] وابن المنظور[٤] والكتبي[٥] .

مدة ولايته :

اختلف المؤرخون في مدة ولايته ، فذكر بعضهم أن مدة ولايته كانت سنة وشهرين واثنين وعشرين ليلة[٦] . وهو ما يوافق رواية ابن عبد ربه .

وذكر الآخرون : سنة وثلاثة أشهر[٧] .

وقال اليعقوبي : سنة وخمسة أشهر[٨] .

أما العظيمي فلم يحدد الشهور بل اكتفى : سنة وأشهر[٩] .

وقال ابن كثير في رواية أخرى : سنة وستة أشهر[١٠] .

وإذا أخذنا بما ذكر الجمهور في تاريخ ولايته ٦ / ٤ / ١٢٥ هـ تكون مدة خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً . وهو موافق لما ذكر المصنف في

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٠٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٥ / ٩١ .

(٣) تاريخ خليفة ص ٣٦٣ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٦ / ٣٦٣ .

(٥) عيون التواريخ ٥ / لوحة ١٩ .

(٦) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٦ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٢٤ ؛ القضاعي : التاريخ ص ٣٧٥ ؛ حمزة الأصفهاني : سني ملوك الأرض ص ١٢٦ ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٢٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٨٩ .

(٧) ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٨ وزاد اثنين وعشرين يوماً ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٣ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ١٣ .

(٨) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٤ .

(٩) تاريخ حلب ص ١٠١ .

(١٠) البداية والنهاية ١٠ / ١٣ .

روايته عن حاتم بن مسلم .

أما النص رقم (١٥) فقد ذكره كل من خليفة والطبري ، وابن عساكر[١] ، وقال اليعقوبي وابن الجوزي أن اتباع يزيد بن الوليد احتزوا رأس الوليد وقطعوا يده ، فنصب رأسه بدمشق[٢] .

ولعل سبب نصب رأس الوليد هو حتى يعرف أتباع الوليد في دمشق أنه قتل فينهزمون وتنقطع آمالهم[٣] .

أما النص رقم (١٦) فقد ذكره عن طريق خليفة بن خياط ، ووافقه جمع من المؤرخين على ذلك[٤] .

---

(١) تاريخ خليفة ص ٣٦٣ ؛ تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٥١ وفيه أنه قطع يده اليسرى ؛ ابن عساكر : التاريخ ، المجلد ١٧ القسم الثاني (ص ٩٣٦ - ٩٣٧) .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٤ ؛ المنتظم ٧ / ٢٤٩ .

(٣) انظر حسين عطوان : الوليد بن يزيد ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٣٦٥ ؛ الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٥١ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، المجلد ١٧ القسم الثاني ص ٩٣٢ مخطوط ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٧ / ٢٤٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٨٨ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٢ ، تاريخ الإسلام ص ٢٩١ حوادث وفيات بين (١٢١ - ١٤٠ هـ) ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء ١ / ١٦٤ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٢ .

٩ – خلافة يزيد بن الوليد (١٢٦ هـ) .

نسبه وبيعته :

١ – بويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ستّ وعشرين ومائة . وأمه ابنة يزدجرد بن كِسْرى ، سباها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف ، فبعث بها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك ، فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ، ولم تلد غَيره . [٤ / ٤٦٤]

٢ – قال عبد العزيز : بويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة . [٤ / ٤٦٤]

دراسة النصوص :

النصان (١ ، ٢) فيهما نسب أم يزيد بن الوليد وبيعته ، أما أمه فهي شاه أفريد بنت فيروز بن الملك يزدجرد ، فقد ذكرها المؤرخون بأقوال مقاربة لما هنا[١] ، وكانت لها أخت أخذها الحجاج ، فكانت عنده بالعراق[٢] .

وقيل أن يزيد كان يفتخر بهذا النسب حيث يقول :

أنا ابن كسرى وأبي مروان   وقيصر جدي وجدي خاقان

وإنما قال ذلك لأن جَده فيروز وأم بنت قيصر ، وأمه شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك[٣] .

ولا خلاف بين المؤرخين في تاريخ بيعته وهو كما ذكر ابن عبد ربه[٤] . إلا

(١) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٦٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٥ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٩٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٣٩ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٧٦ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٨٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٣١٠ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٢ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٧ ؛ السيوطي : تاريخ خلفاء ص ٢٣٥ .

(٢) الذهبي : المصدر السابق ٥ / ٣٧٥ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ١٨ ، ٧ / ١٦٥ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٣١٠ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٥ / ٣٧٥ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ١٨ ؛ السيوطي : المصدر السابق ص ٢٣٥ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٣٦٨ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٣٥ ؛ ابن قتيبة : المصدر السابق ص ١٦٠ دون ذكر الشهر ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٩١ دون ذكر الشهر .

ما تفرد به المسعودي من قوله : كان ذلك في ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة[١] . والقضاعي : ليلتين بقينا من جمادى الآخرة[٢] وكذا نقل الصفدي[٣].
وكان عمره حينئذ تسعاً وثلاثين سنة كما نقل ذلك عن خليفة بن خياط[٤] .

خطبة الخلافة :

٣ - بَقِيُّ بن مَخْلد[٥] قال : حَدَّثني خليفة بن خيَّاط قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم[٦] قال : حدثني إبراهيم بن إسحاق[٧] ، أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما قتل الوليد بن يزيد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، إني ما خرجتُ أشرا ولا بَطر ، ولا حَرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، ولا بي اطراءُ نفسي ، ولا تزكية عَمَلي ، وإنّي لظلوم لنفسي إن لم يَرْحمني ، ولكني خرجتُ غضباً لله ودينه ، وداعياً إلى كتابه وسُنّة نبيه ، حين دَرَستْ معالم الهُدى ، وأطفى نور أهل التقوى ، وظهر الجبّار[٨] العنيد ، المُستحل الحُرمة ، والرَّاكب البِدعة ، والمُغيِّر السُّنة . فلما رأيتُ ذلك أشفَقْتُ إذ غَشِيَتْكم

---

(١) مروج الذهب ٣ / ٤٣٣ ؛ وانظر الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢١ .

(٢) تاريخ القضاعي ص ٣٧٦ .

(٣) تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٦٩ ، ومعنى ذلك أنه ولد في عام ٨٧ هـ وهذا يخالف ما أورده خليفة نفسه بأن ولادته كانت سنة ٩٦ هـ (تاريخ خليفة ص ٣٦٩) وهي احدى روايات ابن كثير ، وفي رواية أخرى أنه ولد سنة ٩٠ هـ (انظر البداية والنهاية ١٠ / ١٨) .

(٥) بَقِيُّ بن مَخْلد : بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ أحد علماء الأندلس ذو رحلة واسعة ، وكان ورعا فاضلاً زاهداً مجاب الدعوة وتوفي بالأندلس سنة ست وسبعين ومائتين . ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٦) إسماعيل بن إبراهيم الشعيراوي العتكي أحد شيوخ خليفة بن خياط في التاريخ ، وكان قد اهتم بتفصيل أخبار الفتنة زمن الوليد بن يزيد وأخبار الخوارج في العراق والحجاز . انظر : (د. أكرم ضياء العمري : مقدمة تاريخ خليفة ص ٢٣) .

(٧) إبراهيم بن إسحاق : لم أجد له ترجمة .

(٨) يعني الوليد بن يزيد .

ظُلمة ولا تُقْلع ، على كثير من ذُنوبكم ، وقَسْوة من قُلوبكم ، وأشفقت أن يَدْعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيُجيبه من أجابه منكم ، فاستخرتُ ا لله في أمرى ، وسألتُه أن لا يُكلني إلى نفسي ، وهو ابن عمي في نسبي ، وكَفِيء في حَسَبي ، فأراح ا لله منه العباد ، وطَهّر منه البلاد ، ولايةً من ا لله وعَزْماً ، بلا حَوْل منّا ولا قُوة ، ولكن بحول ا لله وقوته ، وولايته وعِزّته ، أيها الناس ، إنّ لكم عليّ إن وليتُ أموركم ألاّ أضع لَبِنَة على لَبنة ، ولا حَجَراً على حَجَر ، ولا أَنْقُل مالاً من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ ثُغَرَه ، وأُقيم مصالحه ، مما تَحْتاجون إليه ، وتَقْوَون به ، فإن فضَلَ شيء رَدَدْته إلى البلد الذي يليه ، وهو من أحوج البُلدان إليه ، حتى تستقيم المعيشةُ بين المسلمين وتكونوا فيه سواءً ، ولا أُجَمِّركم في بعوثكم[١] فتُفتتنوا وتُفْتن أهاليكم . فإن أردتم بيعتي على الذي بذلتُ لكم فأنا لكم به ، وإن مِلْتُ فلا بَيعة لي عليكم ، وإن رأيتم أحداً أقوى عليها منّي فأردتم بيعته فأنا أول من يبايعه ، ويدخل في طاعته ، أقول قولي هذا وأستغفر ا لله لي ولكم . [٤ / ٩٥ - ٩٦] ونحوه [٤ / ٤٦٢ - ٤٦٣]

دراسة النص :

هذه الخطبة التي استهل بها يزيد بن الوليد خلافته ، وقد أوردها بعض المؤرخين[٢] وقد أسندها المصنِّف إلى خليفة بن خياط وساق بسنده ، وهذا السند فيه رواة لم أقف على من تكلم فيهم جرحاً أو تعديلاً مما يدل على أنهم من المجاهيل غير المشهورين بالعلم .

---

(١) أجَمّر الجيش : حبسه في أرض العدو و لم يُقْفِلْه .

(٢) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٦٥ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٥ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ٥٧ - ٥٨ نفس سند ابن عبد ربه ؛ ابن طباطبا : الفخرى في آداب السلطانية ص ١٢٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٧٥ نقلاً عن عن خليفة بن خياط ؛ والكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢١ .

وأوردها الطبري بتفصيل أكثر مما ذكره ابن عبد ربه[١] من طريق المدائني عن شيوخه .

واكتفى كل من ابن الجوزي وابن الأثير بذكر موجز منها[٢] .

وعلى أية حال فإن يزيد بن الوليد يظهر في هذه الخطبة الصلاح والتقوى وقد وصفه بعض العلماء بذلك ، كما يبرر خطبته هذه قتل الوليد بن يزيد ، ولكنهم لو تركوه وشأنه لكان خيراً للأمة وللخلافة بني أمية ، غير أنهم ((لم يقابلوا السيئة بالحسنة بل قتلوه بعد سنة من ملكه))[٣] ولم تطل أيامه وقد قيل : أعدلا بني مروان الأشج والناقص ، الأشج عمر بن عبد العزيز والناقص يزيد بن الوليد لأنه نقص العشرة في رواتب الجند التي زادها الوليد ، ورأى أنها غير وجه حق ، كما سيأتي تفصيل ذلك بعد قليل .

توقيعاته ومراسلاته :

٤ - خليفة بن خيّاط قال : كتب يزيد بن الوليد ، المعروف بالناقص - وإنما قيل له الناقص لفرط كماله - إلى مروان بن محمد - وبلغه عنه تلكؤ في بيعته - : أما بعد ، فإني أراك تقدِّم رجلاً وتُؤخّر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام . فأتته بيعته .

[**١ / ٥٠**] ومثله [**٤ / ٢١٠**] و [**٤ / ٤٦٤**]

٥ - ولما بلغ مروان أنّ يزيد قطع البعوث إليه كتب ببيعته ، وبَعث وفداً عليهم سليمان بن عُلاثة العُقيلي[٤] . فخرج ، فلما قَطعوا الفُرات لقيهم بريدٌ بموت يزيد ، فانصرفوا إلى مروان بن محمد . [**٤ / ٤٦٤ - ٤٦٥**]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) المنتظم ٧ / ٢٥٠ - ٢٥١ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٩٢ .

(٣) انظر ابن حبيب : جهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار لوحة ٤١ مخطوط .

(٤) سليمان بن عُلاثة : ذكره الطبري في تاريخه ٧ / ٢٩٦ باسم سليمان بن عبد الله بن علاثة ، ولم أقف له على ترجمة .

٦ - وقع إلى صاحب خراسان في المُسوِّدة : نَجَم أمرَ أنت عنه نائم ، وما أراك منه أو منيّ بسالم . [٤ / ٢١٠]

دراسة النصوص :

النص رقم (٤) لم أجده في تاريخ خليفة كما ذكر المصنف ، ولعله سقط من النسخة الموجودة من تاريخ خليفة . وقد ذكره ابن قتيبة[١] . ونقله الصفدي مثله[٢] أما سبب تسمية يزيد بالناقص فقد ذكرت أقوال أخرى وهي أنه نقص الزيادة التي كان زادها الوليد في أعطيات الجند وهي عشرة عشرة وردّ العطاء إلى ما كان أيام هشام[٣] .

وقيل : بل سُمي بذلك لنقصان كان في أصابع رجليه[٤] .

وقيل : لقصر مدتّه ، وقيل غير ذلك[٥] .

وأول من سماه بهذا الإسم مروان بن محمد[٦] .

النص رقم (٥) ذكره الطبري بأكثر مما ذكر المصنف ، حيث كان مروان ابن محمد قد عارض البيعة مطالباً بدم الوليد بن يزيد . إلا أن يزيد بن الوليد كاتبه وأقنعه أن يبايعه على أن يوليه ما كان عبد الملك بن مروان وَلّى أباه محمد

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٩٧ .

(٢) تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٢ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٠ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٦١ - ٢٦٢ ، ٢٩٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٣٤ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ٧ / ٢٥٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٩١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٧ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٧٥ ؛ الصفدي : المصدر السابق ١ / ١٧١ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢١ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٠ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٢١ ؛ الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١ / ٧٣ .

(٥) الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧١ .

(٦) ابن الجوزي : المصدر نفسه والصفحة ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٩١ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٣ .

ابن مروان[1] من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذّرَبيجان ، فبايع مروان للخليفة ووجه إليه بالبيعة مع محمد بن عبد الله بن عُلاثة[2] ، ونفراً من وجوه الجزيرة[3] .

أما النص رقم (٦) لم أجد من ذكره من المؤرخين . وصاحب خراسان الذي وقع إليه يزيد بن الوليد هو نصر بن سيارالليثي ؛ وقد ولاّه إياها هشام بن عبد الملك واستمر عليها حتى مات هشام[4] وحينما ولّى الخلافة الوليد بن يزيد أقره عليها حتى قتل[5] وكذلك يزيد بن الوليد حتى انقضى أمر بني أمية[6] .

بعض عماله :

٧ - كان على شرطته بُكَير بن الشماخ اللّخْمي[7] .

وكاتب الرسائل ابن سليمان بن سعد[8] .

وعلى الخراج والجند والخاتَم الصغير والحرس النَّضرُ بن عمرو ، من أهل اليمن .

---

(١) محمد بن مروان بن الحكم الأمير ، والد الخليفة مروان . وكان بطلاً شجاعاً شديد البأس . له عدّة مصافّات مع الروم . وكان يتولى الجزيرة وغيرها . وتوفى سنة ١٠١ هـ . (الذهبي : العبر ١ / ٩١) .

(٢) هكذا في الطبري ، والذي في العقد كما في النص السابق سليمان بن عُلاثة العُقيلي .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٩٥ - ٢٩٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٧ مختصراً .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٥٩ .

(٥) خليفة بن خياط : المصدر نفسه ص ٣٦٦ .

(٦) خليفة بن خياط : المصدر نفسه ص ٣٧٠ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٨ وفيه نيابة خراسان . انظر ما ذكر الطبري في تاريخه ٧ / ٢٧٧ ، وابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٢ من امتناع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل يزيد منصور بن جمهور ، وكان يزيد قد ولاه منصور مع العراق .

(٧) بُكَير بن الشماخ اللّخْمي : كان يتولى كتابة الرسائل حتى مات يزيد بن الوليد . (تاريخ خليفة ص ٣٧١) .

(٨) وهو ليث بن سليمان بن سعد الخشني ، كاتب الرسائل ليزيد بن الوليد . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢١ / ٢٥٥) .

وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حُميد الكلبيّ[1] ، ويقال ، مولاه .

[٤ / ٤٦٤]

دراسة النصوص :

النص رقم (٧) يضم عدداً من عمال يزيد بن الوليد . وقد ذكر بعض المؤرخين أن بُكير بن الشماخ اللخمي كان على شرطة يزيد بن الوليد[2] .

كما ذكر بعضهم أن ابن سليمان بن سعد وهو ثابت وقيل ليث كان كاتب الرسائل ليزيد[3] . وذكر بعضهم أيضاً أن النصر بن عمر كان على الخراج والجند والخاتم والحرمين[4] .

وأورد خليفة بن خياط والجهشياري أن عبد الرحمن بن حميد الكلبيّ كان على خاتم الخلافة[5] . أما مولى يزيد هو القطن[6] ، كان يتولى حجابته[7] .

استخلاف إبراهيم بن الوليد وعبد العزيز بن الحجاج :

٨ - العلاء بن يزيد بن سنان[8] قال : حدّثني أبي قال : حضرتُ يزيدَ بن

---

(١) عبد الرحمن بن حميد الكلبي : وفي تاريخ خليفة عبد الرحمن بن حنبل الكلبي كان يتولى خاتم الخلافة . (تاريخ خليفة ص ٣٧١) .

(٢) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٧١ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٥ وفيه يزيد بدلاً من بكير .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٧١ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٦٩ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٧٨ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ١٣٢ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢١ / ٢٥٥ .

(٤) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٧١ وفيه النّضر بدلاً من النصر ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٦٩ وفيه النّضر .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٧١ وفيه عبد الرحمن بن حنبل الكلبي ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٦٩ .

(٦) انظر المصادر السابقة .

(٧) خليفة : المصدر السابق ص ٣٧١ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ص ٦٩ ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٧٨ .

(٨) العلاء بن يزيد : لم أجد له ترجمة .

الوليد حين حضرتْه الوفاةُ فأتاه قَطن ، فقال : أنا رسولُ مَن وراءَ بابك ، يسألونك بحقّ الله لو ولّيت أمرهم أخاك إبراهيم بن الوليد . فَغضِب وضَرب بيده على جَبهته وقال : أنا أُوَلّي إبراهيم ! ثم قال لي : يا أبا العلاء ، إلى من ترى أن أعهد ؟ قلت : أمر نهيتُك عن الدخول في أوله ، فلا أُشير عليك بالدُّخول في آخره . قال : فأصابتْه إغماءةُ حتى ظننتُ أنه قد مات ، ففعَل ذلك غيرَ مرّة ، ثم خرجتُ من عنده . فقعَد قَطن وافتعل عهداً على لسان يزيدَ بن الوليد لإبراهيم ابن الوليد ، ودعا ناساً فأشهدهم عليه . قال : والله ما عَهد إليه يزيدُ شيئاً ولا إلى أحد من الناس .

وقال يزيد في مرضه : لو كان سعيدُ ين عبد الملك[1] قريباً مني لرأيتُ فيه رأيي . [٤ / ٤٦٥]

٩ - وفي رواية أبي الحسن المدائني ، قال : لما مرض يزيدُ قيل له : لو بايعتَ لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده[2] ؟ فقال له قيس بن هانىء العَبْسى : اتق الله يا أمير المؤمنين ، وانظُر لنفسك ، وأرْضِ الله في عباده ، فاجعل وليّ عهدك عبدَ الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فقال يزيد : لا يَسألني الله عن ذلك ، ولو كان سعيدَ بن عبد الملك مني قريباً لرأيتُ فيه رأيي .

[٤ / ٤٦٥]

١٠ - وكان يزيدُ يرى رأي القَدَرية ويقول بِقَوْل غيلان[3] فألحت القدريةُ

---

(١) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، أبو عثمان ويعرف بسعيد الخير ، كان حسن السيرة ومن محدثي الموصل ، وقد غزا سعيد أرض الروم سنة خمس ومائة ، وغزا الصائفة سنة ست ومائة وقتل يوم نهر بن فطر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . المنجد : معجم بني أمية (ص ٥٩ - ٦٠) .

(٢) عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك بن مروان ، كان وجيهاً عند يزيد بن الوليد لقيامه معه في محاربة الوليد ، وتزوج عبد العزيز هذا أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك وكان أخا أبي العباس السفاح لأمه . انظر : معجم بني أمية ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) غيلان بن أبي غيلان ، هو غيلان يونس ، ويقال ابن مسلم ، أبو مروان المعروف بغيلان القدريّ ، وكان من غلاظ القدرية ، وقد قطع يده ورجله بسبب بدعته هذه ، وصلب في عهد يزيد بن عبد الملك ، وقيل في عهد هشام ، وكان غيلان مفوهاً . انظر : (مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ٢٣٩ - ٢٤٨) .

عليه وقالوا : لا يحل لك إهمالُ أمر الأُمة ، فبايع لأخيك إبراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده . فلم يزالوا به حتى بايع لإبراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده . [٤ / ٤٦٥ - ٥٦٦]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة تعالج مسألة ولاية العهد بعد الخليفة يزيد بن الوليد .

فالنص رقم (٨) ذكره خليفة بن خياط[١] . وكذا الجهشياري[٢] والأزدي[٣] وابن عساكر[٤] والذهبي[٥] ، وكلها تتفق على أن الخليفة لم يستخلف أحداً وإنما افتعل ذلك مولاه قطن .

أما النص رقم (٩) فلم أجد من ذكره بعد البحث في مضانه وهو بمعنى النص الأول إلا أنه أغفل مسألة افتعال قطن للإستخلاف .

والنص رقم (١٠) فيه أن الخليفة يزيد بن الوليد كان يرى رأي القدرية ، وأن القدرية هي التي حملت يزيد على أن يبايع لأخيه إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من بعده . وهو ما أشار إليه الطبري[٦] مما يدل على تأثير القدرية عليه ومكانتها لديه . ولكن ابن كثير يذكر أن جماعة من الأمراء والكبراء والوزراء قد حرضوا على ذلك[٧] .

وقد نقل الذهبي عن الإمام[٨] الشافعي أنه قال : ولى يزيد بن الوليد فدعا

---

(١) تاريخ خليفة ص ٣٦٩ بنفس السند ولكن فيه " العلاء بن برد " بدلاً من " العلاء بن يزيد " .

(٢) الوزراء والكتاب ص ٦٩ .

(٣) تاريخ الموصل ص ٥٩ نقلاً عن خليفة بن خياط ، وفيه" العباس بن يزيد بن يسار " بدلاً من " العلاء بن يزيد بن يسار " .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٧ / ٢٤٧ من طريق خليفة بن خياط .

(٥) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٧٧ ؛ تاريخ الإسلام ص ٣٤ - ٣٥ حوادث (سنة ١٢١ - ١٤٠ هـ) .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٩٥ عن طريق أحمد بن زهير عن علي بن محمد .

(٧) البداية والنهاية ١٠ / ١٧ .

(٨) الذهبي : العبر ١ / ١٢٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٨ .

الناس إلى القدر وحملهم عليه[١] ، وقد وصفه الذهبي بذلك ، وقال في سير أعلام النبلاء : وهو عند المعتزلة أفضل من عمر بن عبد العزيز للمذهب[٢] .

ويذكر المسعودي أنه كان يرى رأي المعتزلة[٣] ، والمعتزلة والقدرية شيء واحد .

وكيفما كان الأمر فإن إبراهيم بن الوليد استُخْلِفَ على الناس ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[٤] .

وفاته وولايته وعمره :

١١ - مات يزيد بن الوليد بدمشق لعشر بَقين من ذي الحجة سنة ستّ وعشرين ومائة ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة . وصلّى عليه أخوه إبراهيم بنُ الوليد بن عبد الملك . ومات ولم يبلغ الأربعين . [٤ / ٤٦٤]

١٢ - مات يزيد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ستّ وعشرين ومائة . وكانت ولايتُه خمسة أشهر وأثنى عشرَ يوماً . [٤ / ٤٦٥ - ٤٦٦]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة تتعلق بوفات يزيد بن الوليد وعمره ومدة ولايته وهي كما يلي :

(١) تاريخ وفاة يزيد :

ذكر جمهور المؤرخين ما يوافق رواية ابن عبد ربه وهي : أن يزيد بن الوليد توفى لعشر بقين من شهر ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة[٥] .

---

(١) الذهبي : العبر ١ / ١٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٧٦ ؛ تاريخ الإسلام ص ٣١٢ حوادث (١٢٦ هـ) . وانظر الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ١٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٧٦ .

(٣) مروج الذهب ٣ / ٢٣٤ ، انظر الصفدي : تحفة ذوب الألباب ١ / ١٧١ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٩٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٢ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢١ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ١٧ .

(٥) خليفة : التاريخ ص ٣٦٩ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٩٨ ؛ ابن حبّان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٨ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢١ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٣١٠ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٨ .

وذكر المسعودي أن وفاته كانت في خلال ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ[١] .

وذكر الذهبي وابن كثير رواية أخرى أنه توفى اليوم السابع من ذي الحجة[٢].

(٢) مكان وفاته :

يتفق المؤرخون بأن يزيد بن الوليد توفى في مدينة دمشق[٣] ودفن بها[٤] .

(٣) عمره :

اختلف في تحديد عمره على عدة أقوال : فذكر خليفة بن خياط أنه توفى وهو ابن خمس وثلاثين سنة[٥] .

وقال الطبري : توفى وهو ابن ثلاثين سنة[٦] .

فيما ذكر خليفة بن خياط والطبري في رواية أخرى أنه توفى وهو ابن ست وثلاثين سنة[٧] .

وذكر ابن قتيبة الدينوري أن عمر يزيد كان اثنين وأربعين سنة[٨] . كما ذكر القضاعي أن عمره كان أربعين سنة[٩] .

وقيل ابن سبع وثلاثين سنة[١٠] كما قيل ابن ست وأربعين سنة[١١] .

---

(١) مروج الذهب ٣ / ٢٣٣ ؛ انظر العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٧٦ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٨ أورد ابن كثير أقوالاً أخرى في سنة وفاته .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٦٩ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٦ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٣٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٣١٠ .

(٤) المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٣٣ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٦٩ ؛ وكذا نقل الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٢ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٩٨ عن طريق هشام الكلبي . انظر ابن الجوزي ٧ / ٢٥٦ ؛ ابن كثير ١٠ / ١٨ .

(٧) المصادر السابقة .

(٨) المعارف ص ١٦٠ .

(٩) تاريخ القضاعي ص ٣٧٧ .

(١٠) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٩٨ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٣٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٣١٠ .

(١١) المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٣٣ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٣١٠ ؛ ابن كثير ١٠ / ١٨ .

وهذا الإختلاف في تقدير عمره راجع إلى الاختلاف في تاريخ ولادته[١] .

(٤) ذكر من صلى عليه :

يذكر بعض المؤرخين أن أخاه إبراهيم بن الوليد هو الذي صلى عليه[٢] وهذا موافق لما عند المصنف .

(٥) مدة خلافته :

ذكر بعض المؤرخين أن مدة خلافته كانت خمسة أشهر[٣] . وذكر بعضهم أنها ستة أشهر[٤] ورجح ذلك ابن كثير[٥] . وفي رواية عند ابن الجوزي وابن الأثير بأن خلافته خمسة أشهر واثني عشر يوماً[٦] وهذا موافق لما ذكر المصنف .

والجمع بين هذه الأقوال يسير ، فبعضهم حذف الأيام واكتفى بالأشهر وبعضهم جبر الأيام فقال ستة أشهر ، وبعضهم نص على المدة الفعلية .

كما أنه يمكن التعليل بأنهم اختلفوا في بداية الخلافة هل هي من تاريخ البيعة أم من مقتل الخليفة الوليد بن يزيد وصرح ذلك حمزة الأصفهاني : بأن الفتنة بعد قتل الوليد شهران وخمسة وعشرون يوماً ، أما ولاية يزيد بن الوليد شهران

---

(١) ذكر خليفة وابن كثير أنه وُلد سنة ٩٦ هـ ، وفي رواية أخرى لابن كثير سنة ٩٠ هـ . انظر : تاريخ خليفة ص ٣٦٩ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٨ .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٣٦٩ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٣٦ ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٧٧ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٢ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ١٨ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٧ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٢٩٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٣٣ ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٧٧ ؛ الصفدي : المصدر السابق ١ / ١٧٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٨ في رواية ذكرها بصيغة التمريض (قيل) ؛ ابن حبيب : جهينة الأخبار ، لوحة ٤١ مخطوط .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٢٩٨ في قول ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ٢١٢ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٦ وفيه وليلتين أو وأياماً ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٦ .

(٥) البداية والنهاية ١٠ / ١٨ .

(٦) المنتظم ٧ / ٢٥٦ ؛ الكامل في التاريخ ٥ / ٣١٠ .

وتسعة أيام[١] .

(٦) سبب وفاته :

لم يورد ابن عبد ربه سبب وفاته إلاّ أن بعض المؤرخين قالوا توفى بالطاعون[٢] . وأورد اليعقوبي بأن أخاه إبراهيم بن الوليد سقاه السمَّ[٣] وهذا قول ضعيف ، وقد أورده بصيغة التمريض ، ولم يذكر سنداً ، كما لم يذكره غيره من ثقات المؤرخين الذين نصوا على سبب الوفاة . والله أعلم .

---

(١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١٢٦ .

(٢) الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٦ .

١٠ - خلافة إبراهيم بن الوليد (١٢٦ هـ) .

بيعته وصراعه مع مروان بن محمد :

١ - بويع إبراهيم بن الوليد ، وأمه بربرية ، فلم يَتم له الأمر ، وكان يدخل عليه قومٌ فيسلِّموه بالخلافة ، وقوم يسلّمون بالإمرة ، وقوم لا يُسلمون بخلافة وبإمرة ، وجماعة تُبايع ، وجماعة يأبون أن يبايعوا ، فمكث أربعة أشهر ، حتى قدِم مروانُ بن محمد فخلع إبراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجَّاج ، ووَلِي الأمر بنفسه . [٤ / ٤٦٦]

٢ - وفي رواية خليفة بن خيَّاط قال : لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن الوليد دعا قيساً وربيعة ، ففرضَ لستّة وعشرين ألفاً من قيس وسبعة آلاف من ربيعة وأعطاهم أعطياتهم ، وولّى على قيس إسحاق بن مسلم العقيلي[١] ، وعلى ربيعة المُساور بن عقبة[٢] ، ثم خرج يريد الشام ، واستخلف على الجزيرة أخاهُ عبدَ العزيز بن محمد بن مروان ، فتلقّاه وجوه قيس : الوثيق بن الهُذَيل بن زُفَر[٣] ، ويزيدُ بن عمر بن هبيرة الفَزاري[٤] ، وأبو الورد بن الهُذَيل بن زفر[٥] ، وعاصم ابن عبد الله بن يزيد الهلالى[٦] ، في خمسة آلاف من قيس . فساروا معه حتى

(١) إسحاق ن مسلم بن عاصم العقيليّ ، أبو صفوان ، كان قائداً من قواد مروان بن محمد ، وولي أرمينية ، وشهد مع مروان حربه بعين الجرّ ، وبقي إلى خلافة بني العباس ، ولما توفى صلّى عليه المنصور . (مختصر تاريخ دمشق ٤ / ٣١٢ - ٣١٣) .

(٢) المساور بن عقبة ، وفي مختصر تاريخ دمشق : مساور بن عتبة الربعيّ ، من وجوه أصحاب مروان ابن محمد الذين خرجوا معه من الجزيرة إلى دمشق في طلب الخلافة . وكان المساور أميراً على من معه من ربيعة . (مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٣٩) .

(٣) الوثيق بن الهذيل : لم أجد له ترجمة .

(٤) يزيد بن عمر بن هبيرة ، أبو خالد الفزاري ، أصله من الشام ، ولد سنة ٨٧ هـ ، واستعمل على العراق سنة ١٢٨ هـ ، وجمع له المصران ، وكان سخياً ، شجاعاً ، خطيباً . مختصر تاريخ دمشق ٢٧ / ٣٩٣ .

(٥) أبو الورد بن الهذيل : لم أجد له ترجمة .

(٦) عاصم بن عبد الله : لم أجد له ترجمة .

قَدِم حلب ، وبها بِشْر ومَسرور ، ابنا الوليد بن عبد الملك أرسلهما إبراهيم بن الوليد حتى بلغه مسيرُ مروان بن محمد ، فالتقوا ، فانهزم بِشْرُ ومَسرور من ابن محمد من غيرِ قتال ، فأخذهما مَروان فحبسهما عنده . ثم سار مَروان حتى أتى حِمص ، فدعاهم للمسير معه والبيعة لولي العهد ، الحكم وعثمان ، ابنى الوليد بن يزيد ، وهما محبوسان عند إبراهيم بن الوليد بدمشق ، فبايعوه ، وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد .

وبلغ عبدَ العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ما لقى سليمان وهو مُعسكر في ناحية عَيْن الجَرّ[١] ، فأقبل إلى دِمشق ، وخرج إبراهيم بن الوليد من دمشق ، ونزل بباب الجابية وتهيأ للقتال ، ومعه الأموال على العجل ، ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبدُ العزيز بن الحجَّاج وسليمان بن الوليد فدخلا مدينة دمشق يُريدان قتل الحكم وعثمان ابنى الوليد وهما في السجن . وجاء يزيد بن خالد ابن عبد الله القَسرى[٢] فدخل السجن فقتل يوسف بن عمر ، والحكم وعثمان ابنى الوليد بن يزيد ، وهما الحملان ، وأتاهم رسولُ إبراهيم ، فتوجّه عبد العزيز ابن الحجاج إلى داره ليخرج عياله ، فثار به أهل دمشق فقتلوه واجتزّوا رأسه ، فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية[٣] ، وكان محبوساً مع يوسف بن عمر واصحابه فأخرجوه ووضعوه على المنبر في قيوده ، ورأس عبد العزيز بين

---

(١) عين الجرّ : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . (معجم البلدان ٣ / ٢٠٠) .

(٢) يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْرى البَجَلى ، حبسه الوليد بن يزيد في عسكره ، فلما قتل الوليد تخلّص ، فكان مع يزيد ، فلما مات يزيد ودخل مروان دمشق واختفى ثم قتل سنة ١٢٧ هـ على يد رجل يقال له : صعصعة من بنى نمير . مختصر تاريخ مشق ٢٧ / ٣٣٩ .

(٣) هو زياد بن عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب ، أبو محمد السفياني ، كان من وجوه بني حرب ، ولما خرج يزيد بن الوليد ، وجهه الوليد بن يزيد إلى دمشق فأقام بها ، ثم رحل إلى حمص ، ولما قتل الوليد خرج بالجيش يطالب بدم ، غير أنه حبس بالقصر حتى أطلقه مروان بن محمد ، ثم قتل في المدينة في عهد بني العباس . (صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ص ٤٢ - ٤٣) .

يديه ، وحلّوا قيوده . فخطبهم وبايع لمروان وشتم يزيد وإبراهيم ابني الوليد ، وأمر بجُثة عبد العزيز فصُلبت على باب الجابية منكوساً ، وبعث برأسه إلى مروان ابن محمد . واستأمن أبو محمد لأهل دمشق ، فأمَّنهم مروان ورضي عنهم . وبلغ إبراهيم فخرج هارباً حتى أتى مروان فبايعه وخلعَ نفسه ، فقبِل منه وأمّنه ، فسار إبراهيمُ فنزل الرّقة على شاطيء الفرات ، ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأذن منه ، فأمّنه ، فأتاه فبايعه . واستقامت لمروان بن محمد . وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع أشهراً . قال ابو الحسن : شهرين ونصفا .

[٤ / ٤٦٧ - ٤٦٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (١) تضمن اسم أم إبراهيم بن الوليد ، وبيعته ، وما قام به مروان بن محمد من خلعه .

أما أمه فيذكر المؤرخون بأنها أم ولد وأنها[١] بربرية[٢] وكان اسمها خشف[٣] وقيل نعمة[٤] وقيل سعار[٥] .

وأما بيعته ، وأن الناس كانوا يسلِّمون عليه بالخلافة مرة ، وتارة بالإمرة ، وتارة لا يسلِّمون بخلافة ولا بإمرة ، فقد ذكرها المؤرخون[٦] مما يدل على ضعفه

---

(١) اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٣٣٧ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٩٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٣٩ ؛ القضاعي : التاريخ ص ٣٧٨ ؛ ابن عساكر : التاريخ ٧ / ٢٤٧ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٥٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٣١١ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٠٥ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٧٧ .

(٢) العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠٢ ؛ الذهبي : المصدر نفسه والصفحة .

(٣) القضاعي : المصدر السابق ص ٣٧٨ ؛ العظيمي : المصدر السابق ص ١٠٢ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٥٣ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٥٠٥ .

(٤) القضاعي : المصدر نفسه ص ٣٧٨ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٥٠٥ .

(٥) اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٧٧ .

(٦) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٠ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٧٧ ؛ الأزدي : التاريخ

⟸

وسقوط هيبته . ويذكر المؤرخون أن ولايته كانت أربعة شهور[١] .

كما ذكروا قدوم مروان ، وخلعه إبراهيم ، ثم قتله لولى عهده عبد العزيز بن الحجاج[٢] .

أما النص رقم (٢) فيظهر أن ابن عبد ربه نقله من تاريخ خليفة بن خياط[٣] . وقد ذكره الطبري[٤] والمسعودي[٥] وابن الجوزي[٦] وابن الأثير[٧] والنويري[٨] والذهبي[٩] ، بنحوه .

وليس هناك ثمة كبير خلاف بين المؤرخين في هذه الرواية سوى ما ذكره بعضهم من استخلاف مروان بن محمد أخاه عبد العزيز على الجزيرة[١٠] ، في حين ذكر الطبري[١١] وابن الأثير[١٢] بأن مروان بن محمد استخلف ابنه عبد الملك على الجزيرة ، حينما أراد الخروج إلى الشام .

ص ٦٠ ؛ القضاعي : المصدر السابق ٢٧٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ٧ / ٢٤٨ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٥٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٣١١ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٥٠٥ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٦ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٣٧ .

(١) ابن حبيب : جهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار مخطوط لوحة ٤١ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٠٥ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٣٧ .

(٣) تاريخ خليفة ص ٣٧٢ - ٣٧٤ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٣٠٠ - ٣٠٢ .

(٥) مروج الذهب ٣ / ٢٣٩ .

(٦) المنتظم ٧ / ٢٥٧ .

(٧) الكامل في التاريخ ٥ / ٣٢١ - ٣٢٣ .

(٨) نهاية الأرب ٢١ / ٥٠٣ .

(٩) سير أعلام ٥ / ٣٧٧ وفيه شيء من الاختصار الشديد .

(١٠) خليفة : المصدر السابق ؛ المسعودي : المصدر السابق ؛ النويري : المصدر السابق .

(١١) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٣٠٠ .

(١٢) الكامل في التاريخ ٥ / ٣٢١ .

١١ - خلافة مروان بن محمد بن مروان (١٢٦ - ١٣٢ هـ).

نسبه وولادته :

١ - بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم . وأمه بنت إبراهيم بن الأشتر ، قال بعضهم : بل كانت أمة لخبّاز لمصعب بن الزبير أو لابن الاشتر . واسم الخبّاز رُزبا وقال بعضهم : كان رُزبا عبداً لمسلم بن عمرو الباهلي[١] .

[٤ / ٤٦٨]

٢ - الوليد بن هشام عن أبيه ، وعبد الله بن المغيرة عن أبيه . وأبو اليقظان قالوا : وُلِدَ مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين . وأم مروان أمة لمصعب ابن الزبير .

[٤ / ٤٦٩]

دراسة النصوص :

النص رقم (١) يتضمن نسب مروان بن محمد وبيان أمه ، أما نسبه فهو موافق لما ذكر مصعب الزبيري وابن حزم[٢] وكذلك ما ذكره المؤرخون[٣] . غير أن الذهبي أورد نسبه كالتالي : مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم[٤] وهذا خطأ ولعله سبق قلم .

وأما أمه فقد اختلف المؤرخون فيها ، فورد كما في النص أنها ابنة إبراهيم ابن الأشتر . وقيل بل هي جارية له أخذها محمد بن مروان من عسكر إبراهيم

---

(١) مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد بن زيد بن قضاعى الباهليّ ، والد قتيبة بن مسلم أمير خراسان ؛ كان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية ، ووجّهه إلى عبيد الله بن زياد بتوليته إياه الكوفة عند توجّه الحسين رضي الله عنه إليها . وتوفى على مصعب سنة ٩٢ هـ . انظر : (مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٢) نسب قريش ص ١٦٩ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص ١٠٧ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٤٧ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعى ص ٣٨٠ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠٢ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٦١ ؛ صلاح الدين المنجد : معجم بنى أمية ص ١٦١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٦ / ٧٤ .

يوم قتل ابن الأشتر[١] .

وقيل كانت جارية لمصعب بن الزبير ، فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان[٢] فكانت أم ولد[٣] كردية[٤] . وقيل رومية[٥] .

فأما اسمها فوقع اختلاف كذلك فيه فقيل : ريّا[٦] . وقال المسعودي في قول آخر أنها طرونة[٧] وقال ابن الجوزي أن اسمها مارية البرما[٨] ، وقال بعضهم أن اسمها كان لبابه[٩] .

وتضمن النص رقم (٢) تاريخ ولادته ومكانها ، فكانت سنة اثنتين

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٨٦ ، ٣٥١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٤٤٢ عن طريق علي بن محمد ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٨٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ /٥٠٨ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٦ / ٧٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٤٨ ؛ انظر : معجم بني أمية لصلاح الدين المنجد ص ١٦١ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٤٠٤ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٤٨ ؛ انظر معجم بني أمية للمنجد ص ١٦١ .

(٣) اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٣٨ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ ؛ الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ من طريق هشام بن محمد ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٦١ .

(٤) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ١٨٦ ، ٣٥١ ؛ الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ من طريق هشام بن محمد ؛ ابن حبّان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٦٩ ؛ القضاعي : التاريخ ص ٣٨٠ ؛ العظيمي : التاريخ ص ١٠٢ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٦٠ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ٦ / ٥٤ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٥٠٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٤٨ .

(٥) ابن الجوزى : المصدر السابق ٧ / ٢٦٠ .

(٦) اليعقوبى : المصدر السابق ٢ / ٣٣٨ ؛ المسعودى : المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ .

(٧) المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ .

(٨) المصدر السابق ٧ / ٢٦٠ .

(٩) ابن حبّان : المصدر السابق ص ٥٦٥ ؛ القضاعى : المصدر السابق ص ٣٨٠ ؛ العظيمى : المصدر السابق ص ١٠٢ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٥٠٨ ؛ الذهبي : سير أعلام ٦ / ٧٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٤٨ ؛ انظر معجم بني أمية للمنجد ص ١٦١ .

وسبعين[١] بالجزيرة وكان أبوه والياً عليها[٢] .

وقد أشار المصنف إلى بيعته ولكنه لم يحدد تاريخها ، وكانت بيعته بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع وعشرين ومائة[٣] .

وذكر العظيمي أنها كانت في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائة[٤] .

أولاده :

٣ - عبدُ الملك ، ومحمد ، وعبد العزيز ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأبان ، ويزيد ، ومحمد الأصغر ، وأبو عثمان . [٤ / ٤٦٩]

دراسة النص :

أورد ابن حزم أسماء أولاد مروان بن محمد أكثر مما ذكره ابن عبد ربه ، حيث أضاف عبد الغفار ، وعبد الرحمن ، وعثمان[٥] . في حين لم يورد ابن حزم عبد الله ومحمد الأصغر .

وذكر اليعقوبي أربعة من أولاد مروان هم : عبد الملك ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومحمد[٦] .

كما ذكر القضاعي والنويري اثنين فقط هما عبد الله وعبيد الله[٧] .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٤٠٤ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٦ / ٧٤ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٣٧ ، وقيل سنة ثلاث وتسعين كما في معجم بني أمية للمنجد ص ١٦١ .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٤٠٤ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٦ / ٧٦ ؛ السيوطي : المصدر السابق ص ٢٣٧ ؛ انظر معجم بني أمية للمنجد ص ١٦١ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٠ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٤٧ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢٣ وفيه : لثلاث خلون من صفر ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٨٠ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٦ / ٧٥ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٩ ؛ انظر معجم بني أمية للمنحد ص ١٦١ .

(٤) تاريخ حلب ص ١٠٣ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ص ١٠٧ .

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٤٧ .

(٧) تاريخ القضاعي ص ٣٨٤ ؛ نهاية الأرب ٢١ / ٥٣٨ .

ما فعله مروان بعد ولايته :

٤ – لما قدم مروان نبش يزيد من قبره وصلبه . وكان يُقرأ في كتب : يا مبذّر الكُنوز ، يا سجّاداً بالأسحار ، كانت ولايتُك لهم رحمة ، وعليهم حُجّة ، نبشوك فصَلبوك . [٤ / ٤٦٦]

دراسة النص :

يتضمن هذا النص بأن مروان لما قدم دمشق نبش قبر يزيد بن الوليد وصلبه . وهذا الخبر ذكره الجاحظ[1] وابن قتيبة[2] والقضاعي[3] ونقله الصفدي والسيوطي[4] . وكلهم لم يسندوا الخبر .

وقيل : إن أهل دمشق هم الذين نبشوا قبر يزيد بن الوليد واخرجوه وصلبوه على باب الجابية[5] .

وذكر الطبري أن موالى الوليد بن يزيد هم الذين نبشوه[6] . وكذا نقل ابن الجوزي[7] وابن الأثير[8] وهذا القول أقرب إلى الصواب ، خاصة وأن الذين ذكروه أئمة يعتمد عليهم في التاريخ .

أما قوله ((وكان يُقرأ في كتب ! يا مبذّر الكنوز ... إلخ)) فقد أورده الجاحظ وابن قتيبة بسياق الجمع : ((وكانوا يقرؤون في كتبهم ... إلخ))[9] .

---

(١) البيان والتبيين ٢ / ٧٠ .

(٢) المعارف ص ٣٦٧ ؛ عيون الأخبار ٢ / ٢٤٩ .

(٣) تاريخ القضاعي ص ٣٧٧ .

(٤) تحفة ذوي الألباب ١ / ١٧٢ ؛ تاريخ الخلفاء ص ٢٣٧ .

(٥) النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٠٨ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٣١١ عن طريق أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال حدّثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد مولى عثمان بن عفان .

(٧) المنتظم ٧ / ٢٥٩ .

(٨) الكامل في التاريخ ٥ / ٣٢٣ .

(٩) البيان والتبيين ٢ / ٧٠ ؛ عيون الأخبار ٢ / ٢٤٩ .

وهي إن ثبتت تدل على معارضة نبش قبره واستنكار الناس لهذا الفعل ، والثناء على الخليفة يزيد بن الوليد .

عُمّاله :

٥ - كاتبه عبد الحمد بن يحيى بن سعيد[1] ، مولى بنى عامر بن لُؤَى ، وكان مُعلِّماً .

وكان على القضاء سليمان بن عبد الله بن عُلاثة ، وعلى شرطته الكوثر بن عُتبة وأبو الأسود الغنوى[2] ، وكان للحَرس نوب ، في كل ثلاثة أيام نوبة ، يلى ذلك صاحب النَّوبة .

وعلى حجابته صقلا ومقلاص . وعلى الخاتم الصغير عبد الأعلى بن ميمون ابن مهران ، وعلى ديوان الجُند عمران بن صالح مولى بنى هُذيل .

[٤ / ٤٦٩]

دراسة النص :

النص السابق فيه أسماء عمال مروان بن محمد ، مثل عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، وكان كاتباً لمروان[3] وقد ترجم محمد بن خلف المعروف بوكيع في كتاب القضاة لسليمان بن عبد الله بن علاثة ، وأورد بعض قضاياه ، ولكنه لم يحدد الفترة الزمنية لتولية القضاء[4] .

---

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد الأنباري ، أبو يحيى الكاتب ، العلامة البليغ ، تلميذ سالم مولى هشام بن عبد الملك ، سكن الرَّقة ، وكتب الرسُّل لمروان بن محمد الحمار ، وله عقب . انظر : (الذهبي : سير أعلام ٥ / ٤٦٢) .

(٢) كوثر بن عبد الله الأسود الغنوي ، كان مع مروان لما هزم سليمان بن هشام وغلب على دمشق ، وكان من المقربين لمروان بن محمد ، قتله أحد موالى مروان . انظر : الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٨٥ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٤٠٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٧٢ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢١٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٣٨ .

(٤) أخبار القضاء ٣ / ٢١٧ وما بعده ص ٢١٩ .

وكان على شرطة مروان بن محمد كوثر بن الأسود الغنوي[١] وعلى حرسه سقلاب مولاه[٢] وحاجبه سقلاب ويقال مقلاص[٣] وذكر اليعقوبي ان حاجبه كان سليم مولاه[٤] ، وربما تولى بعد مقلاص ، وعلى الخاتم الصغير عبد الأعلى ابن ميمون[٥] ، وعلى ديوان الجند عمران بن صالح مولى هذيل[٦] .

توقيعاته ومراسلاته :

٦ - كتب إلى نصر بن سيّار[٧] في أمر أبي مسلم[٨] : تحوّل الظاهر يدلّ على ضعف الباطن ، وا لله المُستعان .

- ووقع إلى ابن هُبيرة[٩] أمير خُراسان : الأمر مُضطَرب ، وأنت نائم وأنا ساهر .

---

(١) خليفة : التاريخ ص ٤٠٨ ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٣٤٦ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ١ / ١٨٥ .

(٢) اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٤٦ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٤٠٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٣٨ .

(٤) اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٣٤٦ .

(٥) خليفة : المصدر الاسبق ص ٤٠٨ .

(٦) خليفة المصدر السابق ص ٤٠٨ .

(٧) نصر بن سيّار بن رافع يكنى أبا الليث ، ولاه هشام بن عبد الملك خراسان فلم يزل والياً عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة ، فخرج يريد العراق فمات في الطريق بناحية ساوة وله عقب ذو عدد . (ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠٩ تحقيق د. ثروت عكاشة) .

(٨) أبو مسلم وهو عبد الرحمن بن مسلم . ذكروا أن مولده سنة مائة ، واختلفوا في نسبه اختلافاً كثيراً ، فقال بعضهم : هو من أصبهان ، وقال بعضهم : هو من خراسان ، وقيل من العرب . وادعى أنه من ذرية سليط بن علي بن عبد ا لله بن عباس ، ونسبه أبو دلامة إلى الأكراد ، وقتله أبو جعفر برومية المدائن سنة سبع وثلاثين ومائة . انظر : (ابن قتيبة : المعارف ص ٤٢٠) .

(٩) ابن هبيرة : أبو خالد يزيد بن عمر بن هُبيرة الفزاري ، أمير العراقيين في عهد مروان ، كان بطلاً شجاعاً ، سائساً جواداً ، فصيحاً ، خطيباً ، وقتل في ذي العقدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة . انظر : (الذهبي : سير أعلام ٦ / ٢٠٧ - ٢٠٨) .

- وإلى حوثرة بن سهيل(١) حين وجهه إلى قحطبة(٢) : ((كن من بيات المارقة على حذر)) .

- ووقع حين أتاه غرق قحطبة وانهزام ابن هبيرة : هذا وا لله الإدبار ، وإلا فمن رأى مَيْتاً هَزم حيّاً .

- وفي جواب أبيات نصر بن سيّار إذ كتب إليه :

أرى خَلَل الرّماد وَمِيضَ جَمْرٍ ويوشك أن يكون له ضِرَام(٣) :

((الحاضر يَرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثُّؤْلول))(٤) فكتب نصر : الثُّؤْلول قد امتدت اغصانُه ، وعَظُمت نكايته . فوقع إليه : يداك أوكَتَا وفُوكَ نفخ . [٤ / ٢١٠] انظر [٤ / ٤٧٧ - ٤٧٨]

٧ - وبعث إلى مروان بن محمد قائدٌ من قَوّاده بغلام أسود ، فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه يَلْحاه ، ويُعنِّفه ، فكتب وأكثر ، فاستثقل ذلك مروان ، وأخذ الكتاب فوقّع في أسفله : أما أنك لو عَلِمتَ عدداً أقَل من واحد ولوناً شرّاً من أسود لبعثتَ به . [٤ / ١٥٦]

دراسة النصوص :

النص رقم (٦) فيه بعض توقيعات مروان بن محمد التي بعثها إلى بعض عماله وولاته .

فكتب إلى نصر بن سيّار في أمر أبي مسلم الخراساني : ((تحوّل الظاهر يدّل على ضعف الباطن وا لله المستعان)) وكان نصر هذا والياً على خراسان منذ

---

(١) حوثرة بن سهيل : ابن العجلانى الباهلي كان أمير مصر لمروان وكان رجل سوء سفاكاً للدماء . (انظر : ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٥ / ١٦) .

(٢) قحطبة : واسمه زياد بن شبيب ، وقحطبة لقب . انظر : تاريخ خليفة ص ٣٩٠ .

(٣) الضرام : الواحد ضَرَم وضرمةُ ، وهو ما دَقّ من الحَطَب و لم يكن جزلاً تثقب به النار . انظر : (اللسان ١٢ / ٣٥٥) .

(٤) الثُّؤْلول : الخُرَّاج ، وقيل هو بثر صغير صلب مستدير على شتى

خلافة هشام بن عبد الملك[١] ولم يزل عليها حتى نفاه عنها أبو مسلم[٢] ، وقد استنجد بمروان عدة مرات في أمر خراسان عند خروج ابن مسلم عليها ولم يجد أذناً صاغية لاستنجاداته ، لأن مروان كان مشغولاً بحروب الخوراج بالجزيرة وغيرها[٣] .

كما أن نصر بن سيار لم يجد من يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاريّ - عامل مروان على العراق - المدد والنصرة على عدوه ، حيث كان عامل العراق مشغولاً بإخماد الفتن في قطره[٤] مما أدى إلى ضعف موقف نصر أمام ثورات العباسيين في خراسان حتى اضطر إلى الخروج من خراسان بعد أن غلب عليها أبو مسلم الخراساني ، واستحوذ على أمرها[٥] .

فكان جواب مروان يفسر الحدث ، ويبيّن أنه قد وقع تفريط من العمال سابقاً حتى نجحت الثورة ضد الأمويين ولم يعد لهم ولاء في قلوب الناس في تلك المنطقة .

وقد أورد الطبري[٦] خبر رسالة نصر بن سيار لمروان بن محمد وما تضمنته من الشعر فذكر ثلاثة أبيات ، وتوقيع مروان عليه بقوله : ((الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول قبلك)) فبعث نصر رسالة أخرى إلى الخليفة في جواب رسالته مفادها بأن الأمر قد اتسع ولا يستطيع وحده حسم الأمر .

وكان مروان عاجزاً عن نصرته بسبب ما أحاط بدولته من الثورات

---

(١) خليفة : التاريخ ص ٣٥٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ / ١٤٩ .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٤٠٦ .

(٣) خليفة : المصدر نفسه ص ٣٩٦ ؛ المسعودي : مروج ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ / ١٤٩ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٤٦٤ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٥٧ .

(٥) المسعودي : المصدر نفسه ٢ / ٢٥٨ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٣٦٩ ؛ انظر : المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٣٥٥ - ٣٥٦ وفيه ست أبيات .

والمشكلات الكثيرة[١] ، فأعاد هل الجواب متنصلاً من المسئولية ويحمل الوالي تبعة ما حدث بقوله : ((يداك أوكتا وفوك نفخ)) وهو مثل مشهور ذكر أبو عبيدة القاسم بن سلام بأن أصل هذا المثل : أن رجلاً كان في بعض جزائر البحر ، فأراد أن يعبر على زقٍّ وقد نفخ فيه فلم يحسن احكامه . حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق ، فلما غشيه الموت استغاث رجلاً ، فقال له الرجل : ((يداك أوكتا وفوك نفخ)) يقول : أنت فعلت هذا بنفسك[٢] .

أما توقيع مروان إلى ابن هبيرة أمير خراسان ، فإن المصادر التاريخية تشير إلى أن ابن هبيرة كان والياً على العراق وليس على خراسان كما ذكر المصنف . ولَعلّ ذلك سبق قلم .

وقد وجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على العراق سنة ثمان وعشرين ومائة لحرب من بها من الخوارج[٣] .

وأما توقيعه إلى حوثرة بن سهيل الباهلي ، وفيه تحذيره من مباغتة العدو له وهو لا يدري .

وكان مروان أمدّ ابن هبيرة بحوثرة بن سهيل[٤] ، وجعل على الساقة زياد بن سهيل الغطفانيّ[٥] .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٢) كتاب الأمثال ص ٣٣١ تحقيق عبد المجيد قطاش دمشق الطبعة الأولى دار المأمون للتراث ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٤٠٦ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٣٤٧ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٦٦ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٧ / ٣٨٧ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ١ / ١٢٨ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٣٩٧ ؛ الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤١٠ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١١٦ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٨٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في تاريخ ٥ / ٤٠١ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤١٠ ؛ انظر ابن الأثير ٥ / ٤٠٣ ويذكر أن ابن هبيرة استعمل حوثرة بن سهيل على مُقدمته وأمره بالمسير إلى الكوفة .

وتوقيع مروان حين أتاه خبر غرق قحطبة بن شبيب وانهزام ابن هبـيرة : هـو تفسير لما دار بين قحطبة وابن هبيرة من القتال : وذلك أن قحطبة توجه نحـو ابـن هبيرة وسار إلى حلوان ثم نزل بخانقين[١] ، وابن هبيرة في جلولاء ، وبينهما خمسة فراسخ ، وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفاً مبادراً إلى الكوفة غير أن قحطبة رحـل يريد الكوفة أيضاً حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هبيرة . والتقـى أصحـاب ابن هبيرة مع قحطبة ، فانهزم أهل الشام وولوا مدبرين ، في حين أصابت قحطبـة طعنة في وجهه فوقع في الفرات وهلك ، ولا يعلم أصحاب ابن هبـيرة بذلـك[٢] . وعلى ذلك وقّع مروان معاتباً لابن هبيرة في انهزامه رغم غرق عدوه وموته .

وأما النص رقم (٧) فقد أورد الجهشياريّ نصاً مشابهاً له[٣] .

وهذه الرواية غير مسندة وفي لفظها نكارة إذ أن التشـاؤم مـن بعـض الألـوان مخالف لقواعد الإسلام ، ولعلها لا تثبت .

علاقته بمعاوية بن عمر بن عتبة :

٨ - العُتبيّ عن أبيه قال :

قبض مروان بن محمد من معاوية بن عمر بن عُتبـة مَالَـه بالفِرسـان[٤] وقـال : إنّي قد وجَدت قطيعة عمِّك لأبيك : إني أقطعتُك بُستاني . والبُسـتان لا يكـون إلا غامراً[٥]، وأنا مُسلّم إليك الغامرَ وقابض منك العامر ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد بينها وبين حلوان اثنا عشـر فرسـخ . (ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٣٨٩) .

(٢) انظر تفصيل ذلك كل من :

خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ؛ الطبري : تـاريخ الأمـم والملـوك ٧ / ٤١٠ - ٤١٥ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١١٦ - ١١٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظـم ٧ / ٢٨٧ ؛ ٢٩٣ - ٢٩٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤٠١ - ٤٠٤ .

(٣) الوزراء والكتاب ص ٨١ .

(٤) الفرسان : من قرى أصبهان . (معجم البلدان ٤ / ٢٨٣) .

(٥) الغامر من الأرض والدور خلاف العامر . (اللسان ٥ / ٣٢) .

إن سَلفك الصالح لو شَهدوا مجلسنا هذا كانوا شُهوداً علـى مـا ادّعيتَـه ، وشُـفعاء فيما طلبتُه ، يسألونك إليّ مكافأة إحسان سلفي إليهم فَشَفِّع فينا الأموات واحفظ منا القَرَبات ، واجعل مَجلسَك هذا مجلساً يُلزِم مَن بعدنا شُـكْرَه ؛ قـال : لا والله إلا أن أجعلها طُعمة منيِّ لك ، لا قَطِيعة من عمّك لأبيك ؛ قال : قد قَبِلتُ ذلك ، ففعل . [٢ / ١٥٠ - ١٥١]

دراسة النص :

لم أجد من ذكر هذا النص في المصادر التاريخية والأدبية ، ومعاويـة بـن عمـر ابن عتبة قد تقدمت ترجمته في خلافة الوليد بن يزيد .

انتهاء عهد مروان بن محمد وهزيمته :

٩ - وسار قحطبة حتى نزل بحلوان(١) ، ووجّه أبا عون(٢) في نحو مـن ثلاثـين ألفاً إلى مروان بن محمد ، فأخذ على شهرزور(٣) حتى أتى الزاب(٤) ، وذلك برأي أبي مسلم . [٤ / ٤٨١]

١٠ - فحدّث أبو عَون عبد الملك بن يزيد قال : قال لي أبو هاشمُ بكَير بـن ماهان(٥) : أنت والله الذي تسير إلى مروان ، ولَتَبعثنّ إليه غُلامـاً مـن مذحـج(٦)

---

(١) حلوان : من كور الجبل وبمقربة من شهرزور وخانقين .. وهي مدينـة سـهلية جبليـة علـى سـفح الجبل المطل على العراق . (الروض المعطار ص ١٩٥) .

(٢) هو عبد الملك بن يزيد ، أبو عون الأزدي الجرجاني ، مولى بني هناءة مـن الأزد ، أحـد قـواد بـني العباس . تولى أمرة مصر في خلافة السفاح لصالح بن علي مرقين ، وكانت ولايتـه الثانيـة عليهـا ثلاث سنين وستة أشهر . انظر : (مختصر تاريخ دمشق ١٥ / ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٣) شهرزور : هي في جهة حلوان وبقرب كوثى من بـابل .. ومعناهـا نصـف الطريـق . (الـروض المعطار ص ٣٥٠) .

(٤) الزاب : بين الموصل وأربل ، وهو الزاب الأعلى وهو المقصود هنا لأنه يوجد ثلاث زواب معروفة من سواد العراق . (ياقوت : معجم البلدان ٣ / ١٣٨) .

(٥) بُكير بن ماهان أبو هاشم الحارثي ، أحد دعاة بني العباس ، قدم البلقاء من أرض الشام ، وفي سنة (١١٨ هـ) وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان والياً علـى شـيعة بـني العبـاس فنـزل مروان وغير اسمه ، وتسمى بخداش ودعا إلى محمد بن علي فسارع إليه الناس وقبلوا لما جـاءهم بـه وسمعوا له وأطاعوا . انظر : (ابن بدران : تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٣ / ٢٩١) .

(٦) مذحج : قبيلة يمنية من كهلان ، وهم بنو مذحج ، واسمه مالك بن زيد بن يشجب بن عريب بـن زيد بن كهلان ، ومن مذحج : بنو سعد العشيرة ، وبنو مراد بن مالك . (القلقشندي : القلائد الجمان ص ٨٩ - ٩٠) .

يقال له عامر[١] فليقتلنّه . فأمضيت وا لله عامَر بن إسماعيل على مُقدّمتي ، فلقى مروانَ فقتله .

ثم سار قحطبة من حُلوان إلى ابن هُبيرة بالعراق ، فالتقوا بالفرات فاقتتلوا حتى اختلط الظلام وقُتل قَحطبة في المَعركة وهو لا يُعرف . فقال بعضهم : غَرِق في الفرات .

ثم انهزم ابن هبيرة حتى لحق بواسط[٢] ، وأصبح المُسوِّدة وقد فَقدوا أميرَهم ، فقدَّموا الحسن بن قَحطبة .

ولما بلغ مروانَ قتلُ قَحطبة وهزيمةُ ابن هُبيرة قال : هذا وا لله الإدبار ، وإلا فمتى رأيتم ميِّتاً هَزم حَيّاً ! وأقام ابن هبيرة بواسط ، وغلبت المُسوِّدة على العراق ، وبايعوا لأبي العباس عبد ا لله بن محمد بن علي بن عبد ا لله بن عبّاس لثلاث عشرةَ ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ووجَه عَمَّه عبدَ ا لله بن علي لقتال مروان وأهل الشام ، وقدّمه على أبي عَون وأصحابه ووجّه أخاه أبا جَعفر إلى واسط لقتال ابن هُبيرة . وأقام أبو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزاب ، وأمضى عبد ا لله بن عليّ أبا عون في طلبه ، وأقام على دمشق ومدائن الشام يأخذ بيعتها لأبي العباس .

[٤ / ٤٨١ - ٤٨٢]

١١ - قال أبو العباس الهلالي حين دخل على أبي العباس السفّاح : ((الحمد لله الذي أبدلنا بِحمار الجزيرة وابنِ أمة النّخَع ابن عم رسول ا لله ﷺ وابن عبد المطلب)) وكان مروان بن محمد أحزم بني مروان وأنجدَهم وأبلَغهم ، ولكنه ولي الخلافة والأمر مُدبر عنهم . [٤ / ٤٦٨]

---

(١) هو عامر بن إسماعيل المسلمي . انظر : (الجهشياريّ : الوزراء ص ٧٩) .

(٢) مدينة بناها الحجاج ، وهي تتوسط بين الكوفة والبصرة ، وتبعد عنهما مسافة واحدة . (معجم البلدان ٥ / ٤١١) .

١٢ - قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال مُلكه : قد احتجت إلى أن تصير مع عدوّي وتُظهر العُذر بي ؛ فإنّ إعجابهم بأدبك وحاجتَهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظنِّ بك ، فإن استطعتَ أن تنفعني في حياتي وإلا لم تعجز عن نفع حَرمي بعد موتي . فقال عبد الحميد : إن الذي أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي ، وما عندي غيرُ الصبر معك ، حتى يفتَح الله عليك أو أُقتل معك ، وأنشأ يقول :

أُسِرُّ وفاء ثم أظهر غَدرة فمن لي بعذر يُوسع الناس ظَاهرةُ

[١ / ٧٩]

١٣ - قال مولى مروان : كنتُ مع مَروان وهو هارب ، فقال لي يوماً : أين عَزبت عنا حلومُنا في نسائنا ! ألا زوّجناهم من أكفائهن من قُريش فكُفينا مُؤْنتهن اليومَ . [٤ / ٤٧٢]

١٤ - وقال : بعض آل مروان ، ما كان شيءٌ أنفعَ لنا في هَرمنا من الجوهر الخفيف الثّمن الذي يُساوي خمسة دنانير فما دون ، كان يُخرجه الصبيّ والخادم فيَبيعه ، وكنا لا نستطيع أن نُظهر الجوهرَ الثّمين الذي له قيمةٌ كثيرة .

[٤ / ٤٧٢]

١٥ - قالوا : والتقى مروانُ وعامرُ بن إسماعيل ببُوصير[1] من أرض مِصر ، فقاتلوهم ليلاً ، وعبد الله وعبيدُ الله ، ابنا مروان ، واقفان ناحيةً في جمع من أهل الشام ، فحمل عليهم أهلُ خُراسان فأزالوهم عن مَراكزهم ، ثم كَرُّوا عليهم فهزموهم حتى رَدُّوهم إلى عَسْكرهم ورَجعوا إلى موقفهم .

ثم إنّ أهلَ الشام بدَءوهم فحملوا على أهل خُراسان، فكُشفوا كَشْفاً قَبيحاً، ثم رجعوا إلى أماكنهم ، وقد مَضى عبيدُ الله وعبدُ الله ، فلم يروا أحداً من أصحابهم ، فمضوا على وجوههم وذلك في السَّحر. وقتل مروان وانهزم الناسُ ،

---

(١) بوصير : قرية من قرى مصر ، ويسمى بوصير قُوريدُس . وبها قتل مروان بن محمد . (معجم البلدان ١ / ٦٠٣) .

وأخذوا عسكر مروان وما كان فيه ، وأصبحوا فاتّبعوا الفَلّ وتفرّق الناس ، فجعلوا يقتتلون مَن قدروا عليه ، ورَجع أهلُ خُراسان عنهم . فلما كان الغدُ لَحِق الناسُ بعبد الله وعبيد الله ابني مروان وجعلوا يأتونهما مُتقطّعين العشرةَ والعشرين وأكثر وأقلَّ ، فيقولان : كيف أمير المؤمنين ؟ فيقول بعضهم : تركناه يُقاتلهم ، ويقول بعضهم: انحاز وثاب إليه قومٌ ، ولا ينْعونه ، حتى أتوا الحرَونَ .

فقال : كنت معه أنا ومولىً له فصُرع فجررَتُ برجله ، فقال : أوجعتَني . فقاتلت أنا ومولاه عنه ، وعلموا أنه مروان ، فألحّوا عليه ، فتركتُه ولحقتُ بكم ، فبكى عبدُ الله . فقال له أخوه عبيدُ الله : يا ألأمَ الناس ! فررتَ عنه وتبكي عليه ! ومضوا .

فقال بعضهم : كانوا أربعة آلاف ، وقال بعضهم ؟ كانوا ألفين . فأتوا بلادَ النوبة[1] ، فأجرى عليهم ملكُ النوبة ما يُصلحهم ، ومعهم أمُّ خالد بنت يزيد[2] وأمُّ الحكم بنت عُبيد الله[3] صبَّية جاء بها رجلٌ من عسكر مَروان حين انهزموا فدَفعها إلى أبيها ثم أجمع ابنا مروان على أن يأتيا اليمن وقالا : نأتيها قبل أن يأتيها المسوِّدة فنتحصَّنُ في حُصونِها وندعوا الناس .

فقال لهم صاحب النوبة : لا تفعلوا ، إنَّكم في بلاد السُّودان وهم في عدد كثير ، ولا آمن عليكم ، فأقيموا ، فأبَوْا .

قال : فاكتُبوا إليّ كتاباً ، فكتبوا له : إنا قَدِمنا بلادَك فأحسنتَ مَثوانا وأشرت علينا أن لا نَخرج من بلادك فأبينا وخرجنا من عندك وافرَين راضِيَين شاكرَين لك بطيبِ أنفسنا . وخرجوا ، فأخذوا في بلاد العدّو .

---

(١) بلاد النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر ، وهي بعد أسوان . (معجم البلدان ٥ / ٣٥٧) .

(٢) أم خالد بنت يزيد : لم أجد لها ترجمة .

(٣) أم الحكم بنت عبيد الله بن مروان ، وتزوجها ابن عمها محمد بن عبد الله بن مروان . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٠٧) .

فكانوا ربما عَرضوا لهم ولا يأخذون منهم إلا السلاحَ ، وأكثر من ذلك لا يعرضوا له . حتى أتوا بعضَ بلادهم ، فتلقّاهم عظيمُهم فاحتسبهم ، فطلبوا الماءَ ، فَمنعهم و لم يُقاتلهم و لم يُخلّهم وعطّشهم ، وكان يبيعهم القِرْبة بخمسين درهماً ، حتى أخذ منهم مالاً عظيماً . ثم خَرجوا فساروا حتى عَرض لهم جبلٌ عظيم بين طريقين ، فسلك عبدُ الله أحدهما في طائفة ، وسلك عبيدُ الله الآخر في طائفة أُخرى ، وظنّوا أن للجبل غايةً يَقطعونها ثم يَجْتمعون عند آخرها ، فلم يلتقوا ، وعَرض قومٌ من العدوّ لعبيدُ الله وأصحابه فقاتلوهم . فقُتل عبيد الله ، وأخذت أمّ الحكم بنته ، وهي صبّية ، وقُتل رجلٌ من أصحابه ، وكَفّوا عن الباقين وأخذوا سلاحَهم ، وتقطع الجيشُ ، فجعلوا يتنكّبون العُمران فيأتون عليه الأيامَ ، فَتمضي طائفةٌ وتُقيم الأخرى ، حتى بلغ العطشُ منهم ، فكانوا ينحرون الدَّابة فَيقْطعون أكراشَها فيشربونه ، حتى وصلوا إلى البحر بحيال المندب[1] ، ووفاهم عبدُ الله وعليه مِقْرمَة[2] قد جاء بها . فكانوا جميعاً خمسين أو أربعين رجلاً ، فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحَرون[3] ، وعفّان مولى بني هاشم[4] ، فعبّر التجار السُّفن ، فعبروا بهم إلى المندب ، فأقاموا بها شهراً فلم تحملهم ، فخرجوا إلى مكة . وقال بعضُهم : أُعْلِم بهم العاملُ فخرجوا مع الحُجّاج عليهم ثياب غِلاظ وجباب الأكرياء ، حتى وافَوْا جَدّة وقد تقطعت أرجلُهم من المشي . فمروا بقومٍ ، فرقّوا لهم فحملوهم . وفارق الحجاجَ عبدُ الله بجدّة . ثم حجّوا وخرجوا من مكة إلى تُباله[5] .

---

(١) بحيال المندب : باب المندب هو منتصف في البحر الأحمر بين اليمن والصومال .

(٢) المقرمة : من القِرام ، وهو من صوف ملوّن فيه ألوان من العِهن ، وهو صفيق يتخذ سِتراً . (اللسان ١٢ / ٤٧٤) .

(٣) الحجاج بن قتيبة : لم أجد له ترجمة .

(٤) عفّان : لم أجد له ترجمة .

(٥) تباله : في الحجاز في طريق مكة من اليمن وبينهما أربع مراحل ، وهي قرية صغيرة وبها عيون متدفقة ومزارع ونخل . الروض المعطار ص ١٢٩ .

وكان على عبد الله فصّ أحمر كان قد غيّبه حين عبرَ إلى المندب ، فلما أمِن استخرجه ، وكانت قيمته ألفَ دينار ، وكان يقول وهو يَمشي : ليتَ به دابّة . حتى صار في مِقْربة تكون عليه بالنهار ويَلْبسها بالليل . فقالوا : ما رأينا مثلَ عبدَ الله ، قاتلوا فكان أشدَّ الناس ، ومَشَوا فكان أقواهم ، وجاعُوا فكان أصبرهم ، وعَرُوا فكان أحسنهم عُرياً .

وبَعَث ، وهم بالمندب ، إلى العدوّ الذين أخذوا أُمَّ الحكم بنت أخيه عُبيد الله ففدَاها وردَها إليه ، فكانت معه . ثم أُخِذَ عبدُ الله فقُدم به على المهديّ ، فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مَروان بن الحكم ، فكلّمتِ العباسَ بن يعقوب ، كاتِب عيسى بن علي[1] ، وأعطتْه لؤلؤاً ليكلِّم فيه عيسى : فكَلَّمه وأعلمه بما أعطته فلم يُكلم فيه عيسى بنُ المهديّ ، أراد المهديّ أن يقتله ، فقال له عيسى : إن له في أعناقنا بيعة ، وقد أعطى كاتبي قيمة ثلاثين ألف درهم فحبسه المهدي . [٤ / ٤٦٩ - ٤٧٢]

دراسة النصوص :

النص رقم (٩) ذكره النويري[2] بدون إسناد ، وهو يشير إلى مسير قحطبة القائد العباسي إلى حلوان وإرساله فرقة من جيشه لمحاربة مروان بن محمد عند الزاب الأعلى .

أما النص رقم (١٠) فإنه يشمل عدّة أمور :

---

(١) عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، عم السفاح والمنصور ، ولد سنة (٨٣ هـ) ، وكان له مذهب جميل معتزلاً للسلطان ، توفي سنة (١٦٠ هـ) عن عمر يناهز ٨٠ سنة ، وقيل توفي سنة ١٦٣ أو سنة ١٦٤ هـ وصلى عليه موسى بن المهدي . انظر : (الخطيب : تاريخ بغداد ١١ / ١٤٧ - ١٤٨) .

(٢) نهاية الأرب ٢١ / ٥٣٧ .

١ - قتل عامر بن إسماعيل لمروان بن محمد :

وهذا موافق لما ذكره أبو حنيفة الدينوري[١] وابن حبّان[٢] في حين يذكر بعض المؤرخين الآخرين الذي قتل مروان واجتز رأسه هو رجل من أهل الكوفة يدعى ربيع الزمان[٣] ، ويسمي الطبري هذا الرجل المغود[٤] .

وذكر ابن الأعثم الكوفي : أن رجلاً من أصحاب عامر بن إسماعيل يقال له محمد بن سهاب المازني طعنه في خاصرته طعنة جَنَدَله قتيلاً وأحدقت به الخيل[٥] . مما يدل على أن عامر بن إسماعيل لم يباشر القتل .

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن مراد من قال قتله عامر بن إسماعيل يقصد كونه أميراً على السرية التي تولت ذلك .

لذلك نراه يبعث رأس مروان بعد قتله إلى صالح بن علي ، باعتباره قائد الفرقة[٦] .

أما ما يشير إليه النص من أن بكير بن ماهان قال سيقتل مروان بن محمد غلام من مذحج اسمه عامر ، فوقع الأمر كما قال ، ذكر ذلك بعض المؤرخين[٧] .

---

(١) الأخبار الطوال ص ٣٦٧ .

(٢) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص ٥٧٠ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٤٤٠ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٣٥ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٣٠٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٢٦ .

(٤) المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ من طريق علي بن محمد قال حدثني أبو طالب الأنصاري . انظر ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٤٨ ويسميه مغود .

(٥) الفتوح ٤ / ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٦) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٠ ؛ ابن أعثم : المصدر السابق ٤ / ٣٦٥ ؛ الأزدي : المصدر السابق ص ١٣٥ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٣٠٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٢٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٤٨ .

(٧) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤١ - ٤٤٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٢٨ .

ولكن ذلك غير صحيح لأنه لا يعلم الغيب إلاّ الله ، وأبو عون راوية الخبر مستور الحال من ناحية العدالة ، وقد تكون الرواية وضعت بعد ذلك بقصد تعظيم داعية العباسيين بكير بن ماهان وأنه يعلم خبايا الأمور قبل وقوعها .

٢ - مقتل القائد العباسي قحطبة وهزيمة ابن هبيرة في العراق : وهو ما أشارت إليه المصادر التاريخية[١] .

٣ - انتصار أتباع أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي . ودخولهم العراق، ثم أخذ البيعة لأبي العباس السفاح ، وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة .

وهو ما قرره بعض المؤرخين[٢] .

وقيل : في شهر ربيع الآخر[٣] . وقيل : في شهر جمادى الأولى[٤] .

٤ - توجيه أبي العباس لعمه عبد الله بن علي لقتال مروان بن محمد وأهل الشام : وهذا مطابق لما أورده المؤرخون[٥] .

٥ - توجيه أبي العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لقتال أبي هبيرة : وهو ما أشار إليه مؤرخي تلك الفترة[٦] .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٤١٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٩٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤٠٤ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٢٠ عن طريق الواقدي ، وليس فيه تحديد اليوم ؛ ابن حبان : المصدر السابق ص ٥٧٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٠٨ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٢٠ عن طريق أبو معشر وأحمد بن ثابت وهشام بن محمد ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٠٨ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٢٠ عن طريق الواقدي أيضاً ؛ ابن لأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٠٨ .

(٥) خليفة : التاريخ ص ٤٠٣ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٢٥ .

(٦) أبو حنيفة : الأخبار الطوال ص ٣٧٠ - ٣٧١ ؛ الأزدي : المصدر السابق ص ١٢٥ .

أما النص رقم (١١) ذكر الطبري ما يوافق الرواية[١] وجـاء في النص عـدة أمور أهمها :

١ – وصف مروان بالحمار : وهو لقب عرف به[٢] .

وذكر السيوطي أسباباً لذلك وقـال : ((ويلقـب بالحمـار لأنـه كـان لا يجف له لِبْد في محاربة الخارجين عليه .

وكان يصل السير بالسير ، ويصبر على مكاره الحرب .

ويقال في المثل: فلان أصبر من حمار في الحروب ؛ ولذلك لقب به))[٣].

وقيل : لأن العرب تسمي كل مائة سنة حماراً ، فلمـا قـارب ملـك بـني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك[٤] .

وأورد ابـن حبّـان : أن مـروان يقـال لـه مـروان الحمـار ، وإنمـا عـرف بالحمار لقلة عقله[٥] . وهذا شاذ ويخالف الواقع .

وكان يلقب أيضاً بالجعدي ، نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم[٦] .

وقيل أن خاله الجعد بن درهم فنسب إليه[٧] .

---

(١) التاريخ ٧ / ٤٤٣ عن طريق أحمد بن زهـير وعلـي بـن محمـد ، وفيـه دخـل عبـد الله بـن عيّـاش المنتوف على أبي العباس ، بدلاً من ابن العباس الهلالي .

(٢) ابن حبّان : السيرة النبوية وأخبار الخلفـاء ص ٥٦٩ ؛ العظيمـي : تـاريخ حلـب ص ٢١٢ ؛ ابـن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤٢٩ ؛ ابن كثـير : البدايـة والنهايـة ٩ / ٣٦٤ ؛ البلخـي : البـدء والتاريخ ٦ / ٥٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٣٧ .

(٤) السيوطي : المصدر السابق ص ٢٣٧ .

(٥) المصدر السابق ص ٥٦٩ .

(٦) ابن حبّان : المصدر السابق ص ٥٦٩ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٣٦٤ .

والجعد بن درهم قتله خالد بن عبد الله القسري في الكوفة يوم عيد الأضحى سنة ١٢٤ هـ ، لأنه أنكر صفات الله سبحانه وتعالى ، وانظر ترجمته في ابن كثير (٩ / ٣٦٤) .

(٧) مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ص ١٥٥ ، وهذا القول عن مجهول ولم يقـل بـه أحـد والمعروف أن أم مروان بن محمد أمه كردية .

٢ – وجاء في النص أنه ابن أمة النخع : وهذا يوافق ما ذكره بعض المؤرخين من أن أمه كانت جارية لإبراهيم بن الأشتر ، وأخذها محمد أبو مروان من عسكر إبراهيم يوم قتل ابن الأشتر[١] .

٣ – قوله : ((كان مروان بن محمد أحزم بني مروان ...)) له شاهد من وصف أبي جعفر المنصور له بقوله : ((لله درّ مروان ، ما كان أحزمه وأسوسه ، وأعفّه عن الفيء))[٢] .

أما النص رقم (١٢) فيبدوا أن المصنف نقله من ابن قتيبة[٣] ، وأورد الجهشياري[٤] والمسعودي[٥] ما يوافق الرواية ، وهذا ينبئ عن خلق عبد الحميد الكاتب وإخلاصه للخليفة ووفائه بالعهد رغم خطورة الموقف ، وتدهور الوضع .

وأما النصان رقم (١٣) و (١٤) فلم أقف على من ذكرهما غير المصنف .

النص رقم (١٥) أورده المصنف بدون إسناد وإنما صدره بقوله : قالوا و لم يحدد أسماءهم .

وقد ذكره اليعقوبي بطوله مع اختلاف بسيط[٦] ، أما الطبري فقد أشار إليه إشارة وهو عنده من طريق أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم قال حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد قال[٧] ..

وقد اشتملت الرواية على أمور عدّة منها :

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ عن طريق محمد بن علي المدائني ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٠٨ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٦ / ٧٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٤٨ .

(٢) انظر صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ص ١٦٢ .

(٣) عيون الأخبار ١ / ٢٦ – ٢٧ بدون إسناد .

(٤) الوزراء والكتاب ص ٧٩ .

(٥) مروج الذهب ٣ / ٢٦٣ .

(٦) تاريخ اليعقوبي (٢ / ٣٤٧ – ٣٤٨) .

(٧) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٤٣٨ .

١ - إلتقاء مروان بن محمد وأتباعه مع عامر بن إسماعيل وجيشه ببوصير في أرض مصر .

وهو ما تؤكده المصادر التاريخية[١] . وقد كان عامر بن إسماعيل وأبو عون عبد الملك بن يزيد تحت امرة صالح بن علي الذي كلفه أبو العباس السفاح بطلب مروان ومطاردته عند هروبه إلى فلسطين[٢] .

٢ - (إلتفاف فلول الجيش الأموي مع عبد الله وعبيد الله ابني مروان بن محمد ثم لجوءهم إلى بلاد النوبة واتصالهم بملكها) .

وهذا له شاهد أورده الأزديّ قال : لما قتل مروان خرج ابناه عبيد الله وعبد الله ، فأخذا بمن تبعهما من وجوه أهل الشام نحو النوبة[٣] وعند ابن الأثير أنه لما قتل مروان هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى أرض الحبشة[٤] .

ولا تعارض بين النصَّين لأن الوصول إلى أرض الحبشة لمن يأتي من مصر يكون عند بلاد النوبة ، وأهل المنطقة كلّهم كانت تسمى الحبشة[٥] .

أما إتصالهم بملك النوبة ، فقد أورده ابن الجوزي ، وذكر ما دار بينهما من حديث كان نتيجته أن أمر ملك النوبة بإخراج عبيد الله وأتباعه من البلاد بعد ثلاث ، وإلا سيكون مآلهم القتل[٦] .

وهذه الرواية تخالف ما ذكره المصنف واليعقوبي[٧] في تاريخه حيث أشار كل منهما إلى ترحيب ملك النوبة بعبيد الله وأخيه وأتباعهم ،

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٤٦ .

(٢) الطبري : تاريخ الطبري ٧ / ٤٤٠ .

(٣) تاريخ الموصل ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٤) الكامل في التاريخ ٥ / ٤٢٧ .

(٥) لأن الحبش والحبشة جنس من السودان . انظر : مختار الصحاح : مادة حبش ص ١٠٦ ، ولسان العرب ٦/٢٧٨.

(٦) المنتظم ٧ / ٣٠٨ .

(٧) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٤٨ .

ومعاملته الطيبة لهم . بل نصح لهم وحذرهم من الخـروج إلى بـلاد الحبشـة وذلك حينما عزموا على الذهاب إلى أرض اليمن عبر الحبشة .

٣ - وصول عبيد الله وعبد الله ابنا مروان إلى بلاد الحبشة وما لاقوه فيها من المعاناة ، وقتل عبيد الله بن مروان .

هذا له شاهد عند الطبري[١] بإسناده المشار إليه أعلاه وكذا عند ابن الأثير[٢].

وعند ابن الجوزي كذلك لكن الذي قتل عنده هو عبد الله ، أما عبيد الله فإنه كان في سجن أبي جعفر المنصور[٣] . وعاش إلى أيام المهديّ مستخفيّاً ، على حد قول احدى روايات ابن عساكر[٤] .

والصحيح أن الذي قتل هو عبيد الله ، فأما عبد الله بن مروان فإن المصادر تؤكد أنه من الذين نجو ولكنه انكشف أمره فيما بعد للعباسيين على يد نصر بن محمد الأشعث الخزاعي بالشام فبعث به إلى المهديّ[٥] . ولم يزل محبوساً إلى أيام الرشيد ، فأخرج ضريراً فمات ببغداد[٦] . وقيل مات في الحبس[٧] .

مقتله ومدة ولايته :

١٦ - وقتل مروان ببوصير من أرض مصر في ذي الحجّة سنة اثنتين وثلاثين ومائة . [٤ / ٤٦٩]

١٧ - وقتل بقرية من قرى مصر يقال لها بُصير ، يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجّة سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وكانت ولايته خمس سنين وستة أشهر وعشرة أيام . وقُتل وهو ابن ستين سنة . [٤ / ٤٦٩]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٤٣٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٥ / ٤٢٧ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٣٠٦ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٣٣ / ٣٦ من طريق إسماعيل بن علي الخُطَيّ .

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٣ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ٢٤٢ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٨٤ - ٣٨٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤٢٧ .

(٦) القضاعي : المصدر السابق ص ٣٨٥ ؛ وانظر ابن عساكر ١٠ / ٧٤٠ .

(٧) ابن عساكر : تاريخ ابن عساكر ٣٣ / ٣٦ .

دراسة النصوص :

النصان رقم (١٦ و ١٧) يحددان تاريخ قتل مروان بن محمد ومكانه ومدة ولايته ، وهذا موافق لما ذكره جمهرة المؤرخين في تاريخ قتله ومكانه[١] . وقيل لثلاث خلون من شهر ربيع الأول[٢] .

أما عمره فاختُلِف فيه على عدة أقوال :

ذكر بعض المؤرخين بأن عمره تسعاً وستين سنة[٣] .

وذكر البعض الآخر تسعاً وخمسين سنة[٤] . وأشار الآخرون : بأنه كان ابن ثمان وخمسين سنة[٥] . وقيل : اثنين وستين سنة[٦] وأورد اليعقوبي بأنه أربعاً وستين ، وقيل : ثمان وستين[٧] . وأشار الأزدي إلى ثلاث وستين[٨] . وقيل : سبعين سنة[٩] .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٤٦ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٤٤٢ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٣٧ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٤٧ ؛ القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٨٤ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٣٠٥ ، ٣٢٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤٢٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٣٨ .

(٢) الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٢٣ .

(٣) الطبري : التاريخ ٧ / ٤٤٢ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٤٧ ؛ العظيمي : التاريخ ص ١٠٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٣٢٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٢٨ ؛ ابن حبيب : جهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار ، مخطوط لوحة ٤١ .

(٤) القضاعي : تاريخ القضاعي ص ٣٨٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٣٨ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٣٢٠ .

(٦) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ ؛ ابن الجوزي المصدر السابق ٧ / ٣٢٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٢٨ .

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٤٦ .

(٨) تاريخ الموصل ص ١٣٧ .

(٩) المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ .

وكل هذه الأقوال تخالف ما ذهب إليه ابن عبد ربه وهو أن مروان توفي وهو ابن ستين سنة ، وهذا هو الأرجح ، لأنه ثبت تاريخ ولادته وهو سنة (٧٢ هـ)[١] وقد توفي سنة (١٣٢ هـ) كما بيّنا في السابق .

فأما مدة ولايته فذكر المؤرخون أنها كانت خمس سنين وأيام ، وذلك من بيعة السفاح[٢] .

وأما إلى أن قتل وغلب عليه فتكون خمس سنين وأشهراً[٣] .

وذكر ابن أعثم الكوفي بأنها كانت خمس سنين وشهرين[٤] .

أما العظيمي فذكر أنها كانت ستة سنين غير الأشهر[٥] ، وكل هذه الأقوال متقاربة .

---

(١) خليفة: التاريخ ص ٤٠٤ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ٧٤ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣٧ ، خلافاً لما ذكره الطبري بأنه ولد سنة ٧٦ هـ . انظر (تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٢٥٦) .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٤٧ ؛ حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ص ١٢٦ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٥٣٨ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٤٩ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٧ / ٤٤٢ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٦٣ ؛ القضاعي : المصدر السابق ص ٣٨٤ ؛ العظيمي : تاريخ حلب ص ١٠٣ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٣٢٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٢٨ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٢٣٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١٠ / ٤٩ .

(٤) الفتوح ٤ / ٣٦٦ .

(٥) تاريخ العظيمي ص ١٠٣ .

الفصل الثالث

الروايات المتعلقة بالأمراء والولاة للخلافة الأموية

- عبد العزيز بن مروان .
- بشر بن مروان .
- الحجاج بن يوسف .
- عروة بن الزبير .
- نافع بن علقمة .
- خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد .
- أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .
- هشام بن إسماعيل المخزومي .
- قتيبة بن مسلم الباهلي .
- خالد بن عبد الله القسري .
- موسى بن نصير .
- يزيد بن المهلب .
- عدي بن أرطاه .
- مسلمة بن عبد الملك .
- يزيد بن أبي مسلم .

١ - عبد العزيز بن مروان عامل مصر* (٦٥ - ٨٥ هـ) .

١ - ولما انصرف مَروانُ بن الحكم من مِصْر إلى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على مصر ، وقال له حين ودَّعه : أَرْسِلْ حكيماً ولا تُوصه . أي بني ، انظر إلى عُمَّالك ، فإن كان لهم عندك حقٌّ غُدوةً فلا تُؤخّره إلى عشيَّة ، وإن كان لهم عشيّةً فلا تؤخره إلى غُدوة ، وأَعطهم حقوقَهم عند مَحلها ، تستوجب بذلك الطاعة منهم . وإياك أن يظهر لرعيتك منك كَذِب فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدّقوك في الحق . واستشِر جلساءَك وأهلَ العلم ، فإن لم يَستَبن لك فاكتُب إليّ يأتِك رأيي فيه إن شاء الله تعالى ، وإن كان بك غضب على أحد من رعيَّتك فلا تواخذه به عند سَوْرة الغضب ، واحبِس عنه عُقوبتك حتى يَسْكُنَ غضبُك ، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكنُ الغضب منطفيء الجَمْرة ؛ فإن أول من جعل السجن كان حكيماً ذا أناة . ثم انظر إلى أهل الحَسب والدين والمروءة ، فليكونوا أصحابَك وجُلساءك ، ثم اعرف منازلهم منك على غير استرسال ولا انقباض . أقول هذا واستخلِف الله عليك . [١ / ٤٢]

دراسة النص :

ذكر المؤرخون تولية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز على مصر ؛ بعد ما استتبّ له الأمر في الشام ومصر وذلك سنة خمس وستين[١] .

ولم يزل عبد العزيز والياً عليها حتى وافته المنيّة سنة (٨٥ هـ)[٢] ووصيّة

---

* عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، أبو الاصبع الأموي ، أمه ليلى بنت زبّان بن الاصبع ، وكان جواداً كريماً ، ولاه أبوه مصر ، وجعله وليَّ العهد بعد أخيه عبد الملك وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وتوفى قبل عبد الملك في جمادى الأولى سنة (٨٥ هـ) . (البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٨٣ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٥ / ١٥٤) .

(١) الكندي : تاريخ ولاة مصر ص ٤٤ ؛ الذهبي : دول الإسلام ١ / ٤٨ ؛ العبر ٤ / ٧١ ، ١ / ٥٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٩٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ / ٧٣ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٢٣٦ ؛ خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٨٩ ، ٢٩٧ وفيه سنة (٨٤ هـ) ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٤٥ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٤ ؛ الكندي : المصدر السابق ص ٤٩ وفيه سنة ٨٦ هـ .

مروان لابنه عبد العزيز ذكرها المصنف من غير اسناد ، وأوردها النويريّ بطولها[1] ولم يذكر لها اسناداً . وأشار ابن كثير إلى الوصية دون أن يفصلها[2] .

وذكر الكندي نصين فيهما وصية مروان لابنه عبد العزيز ، وهي بمعنى آخر[3] ، غير ما ذكر المصنف هنا . وأشار صاحب النجوم الزاهرة إلى ((أن مروان أوصى ولده عبد العزيز بوصايا كثيرة مضمونها الرفق بأهل مصر))[4] . ومضمون الوصية حكم وارشادات مستفيضة يحرص على مثلها .

٢ - ومنهم[5] عبد العزيز بن مروان ، حدّه عمرو بن الاشدق . [**٦ / ٣٤٩**]

النص السابق يشير بأن عبد العزيز بن مروان كان قد حُدّ بسبب شربه الخمر ، ولم يذكر ابن عبد ربه لروايته سنداً . ولعله نقله من ابن قتيبة والذي أورد مثل هذا النص وبدون سند أيضاً[6] ، وذكر البلاذري مثله معلقاً عن المدائني[7] . ولا يمتنع أن يقع من الإنسان معصية ويطهر منها بالحد والتوبة ، لكن قبل هذا نحتاج إلى صحة النقل وهي غير متوفرة في هذا النص ، وعبد العزيز بن مروان وثقه أهل العلم مثل ابن سعد والنسائي[8] واثنوا على استقامته وديانته .

٣ - ودخل كُثَير عَزّة[9] على عبد العزيز بن مروان ، فأنشده مِدحَته التي يقول فيها :

---

(١) المصدر السابق ٦ / ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ٨ / ٢٥٩ .

(٣) القضاء والولاة ص ٤٧ - ٤٨ .

(٤) ابن تغرى بردى ١ / ١٦٦ .

(٥) أي ممن حُدّ من الأشراف في الخمر وشُهر بها .

(٦) كتاب الأشربة ص ٣٢ تحقيق محمد كرد على .

(٧) أنساب الأشراف ٥ / ١٨٤ وفيه اضطراب فيمن حدَّ عبد العزيز .

(٨) الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٥٠ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٣ / لوحة ٢٩ .

(٩) كُثَيِّر عَزّة : هو كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدنى ، أبو صخر ، امتدح عبد الملك بن مروان وغيره ، وكان شيعياً ، يقول بتناسخ الأرواح ، وكان خشبياً يؤمن بالرجعة ، على حد قول الزبير بن بكار ، وكان قد تتّيم بِعَزَّة ، وشبب بها ، ومات سنة سبع ومئة . [الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ١٥٢] .

وأنت فلا تُفقَد ولا زال مِنكـمُ إمـامُ يُحيَّـا في حِجَـاب مُسَـدَّن[1]
أشَمُّ مـن الغـادين في كُـل حُلَّـة يميسون في صَبْغ من العَصْب متْقـن[2]
لم أزر حمْرُ الحَواشِي يَطَونـها بـأقـدامِـهم في الحَضْـرميّ المُلَسَّـن[3]

فاستحسنها وقال لـه : سل حـاجتك ؛ فقـال : تُولِّيـني مكـانَ ابـن رُمَّانـة[4] كاتبك ؛ فقال له : ويلك ! ذا كاتب وأنت شـاعر ، فكيـف تقـوم مَقامـه وتسُـد مَسَّده ؟ فلما خرج من عنده ندم وقال :

عَجبتُ لأخذى خُطَّة العَجْز بعدمـا تبيّن من عبد العزيـز قبُولُهـا
لئـن عـاد عـبـد العـزيـز بمثْـلـهـا وأَمْكننى منـها إذاً لا أقـولها

[٣ / ٨]

٤ - ودخل كُثير عَزَّة على عبد العزيز بن مروان وهو مريض ، فقال : لو أن سُرورك لا يتمّ إلا بأن تَسْلم وأسْقَم لدعوتُ ربي أن يَصرِف ما بـك إليَّ ، ولكن أسأل الله لـك أيهـا الأمير العافيـة ، ولى في كَنفـك النِّعمـة . فضحـك وأمـر لـه بجائزة ، فخرج وهو يقول :

ونعـودُ سـيدنا وسـيد غَيْرنـا ليـتَ التشـكي كـان بـالعُوَّاد
لـو كـان يُـقْبَـل فِدْيـةُ لَفدَيتُـه بالمصطفى مـن طـارفي وتِلاَدِى

[٢ / ٤٤٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣) لم أجد من ذكره غير المصنِّف .

وأما النص رقم (٤) فقد أورد مثله ابن قتيبة[5] ، ولكنه ذكر عبد الملك بن

---

(١) مُسَدَّن : مرسل .

(٢) العصب : ضرب من برود اليمن ، سمى عصباً ، لأن غزله يعصب أي يُدْرَج . (اللسان ١ / ٦٠٤) .

(٣) الملسن من النعال : ما فيه طوال ولطافة على هيئة .

(٤) لم أقف له على ترجمة .

(٥) عيون الأخبار ٣ / ٥٠ من طريق المدائني .

مروان بدلاً من عبد العزيز بن مروان ؛ وذكر القيرواني مثله[١] . وعلى الرغم مما يظهر في النص من تملق كُثير لأجل الوصول إلى جائزته كعادة الشعراء ، إلا أن كرم عبد العزيز بن مروان وعطاياه له أوجبت محبته له حتى أنه لما توفى عبد العزيز توقّف عن الشعر ، ولما سئل قال :

ذهب الشباب فما أطرب ومات عبد العزيز فما أرغب[٢]

وكان عبد العزيز متصفاً بالجود والكرم[٣] .

٢ - بشر بن مروان بن الحكم* .

١ - حدث عباس بن المُفضّل[٤] قاضى المدينة ، قال : حدّثني الزّبير بن بكّار[٥] : قاضى مكّة عن مصعب بن عبد الله ، قال : دخل الشعبيّ على بشر بن مروان ، وهو والي العراق لأخيه عبد الملك بن مروان ، وعنده جارية في حِجرها

(١) زهرة الآداب ١ / ٣٥٨ .

(٢) انظر : العقد ٣ / ٤٦ ؛ ونحوه ٥ / ٣٢٦ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٨٣ .

* بشر بن مروان بن الحكم الأمويُّ ، ولِيَ العراقين لأخيه عند مَقْتَل مصعب بن الزبير سنة (٧٢ هـ) ، ووجه معه روح بن زنباع كالوزير ، وكان على البصرة ، ثم ضُمَّت إليه البصرة سنة (٧٤ هـ) عقب خالد بن عبد الله القسرى ، فقدمها بشر إليها في ذي الحجة من هذا العام ، وبذلك دانت له العراق كلّها فصار من الأمراء القريشيين القلائل الذين جمعت لهم الكوفة والبصرة ، و لم يزل على ولايته حتى وافته المنية سنة خمس وسبعين بالبصرة ، وله نيِّف وأربعون سنة . تاريخ خليفة ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ؛ المعارف ص ٣٥٥ ؛ أنساب الأشراف ٥ / ١٧٢ - ١٧٨ ؛ الوزراء والكتاب ص ٣٦ ؛ مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢١٥ - ٢١٧ ؛ سير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٥ - ١٤٦ .

(٤) لم أقف له على ترجمة .

(٥) الزّبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب الأسَديُّ المدنيّ ، أبو عبد الله بن أبي بكر ، كان قاضياً بمكة ، وكان ثقة ثبتا وعالماً بالنسب ، عارفاً بأخبار المتقدمين ، ومآثر الماضين ، توفى في ذى القعدة سنة (٢٥٦ هـ) وبَلغ أربعاً وثمانين سنة ، ودفن بمكة وصلى عليه ابنه مصعب . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ / ٢٧٧ - ٢٧٨) .

عُود . فلما دخل الشعبيّ أمرها فوضعت العُود . فقال له الشعبى : لا ينبغى للأمير أن يَستحى من عَبده . قال : صدقتم . ثم قال للجارية : هاتِي ما عندك ، فأخذت العود وغَنَّت :

ومما شجاني أنها يومَ ودّعتْ — تولّت وماءُ العَين في الجفن حائرُ

فلمّا أعادت من بعيد بنظرة — إليّ التفاتاً أسلمتْه المحاجر

فقال الشعبيّ: الصغير أكيسهما ، يريد الزير[١] . ثم قال : يا هذه أرخِي من بَمّك[٢]، وشُدى من زيرك . فقال له بشر بن مروان :وما عِلْمك؟ قال : أظن العمل فيهما . قال : صدقت ، ومن لم ينفعه ظنّه لم ينفَعه يقينه . [٦ / ١٤]

دراسة النص :

النص السابق أورده ابن عبد ربه بسند معضل ، وعباس بن المفضل لم أجد له ترجمة . وما دام أننا لا نعلم مصدر الرواية فإنا لا نستطيع أن نثبت بها شيئاً ، وربما يكون هذا المصدر الخفيّ من السند أحد الكذّابين الذين كانوا يختلقون الحكايات والخزعبلات ، وهذه الرواية تخالف سيرة الإمام الشعبى العالم الجليل والفقيه الذي كان من أفقه العلماء في عصره[٣] .

ولم أجد من ذكر هذا النص من المؤرخين .

وأورد البلاذري رواية منقطعة من طريق الهيثم بن عَديّ – وهو ضعيف – أن الشعبى استأذن يوماً على بشر بن مروان ، فلما أذن له ودخل عليه ، فكان مما رأى في مجلس بشر ، حُنين بن بلوغ العبادى[٤] المغني وهو جالس على كرسيّ

---

(١) الزِّير : ما استحكم فتله من الأوتار . (ابن منظور : لسان العرب ٤ / ٣٣٨) .

(٢) البمُّ : الوتر الغليظ من أوتار المزاهر (أي العود) . (ابن منظور : لسان العرب ١٢ / ٥٦) .

(٣) الذهبي : سير أعلام ٤ / ٢٩٩ .

(٤) حنين بن بلوغ العبادى من تميم ، وقيل من بنى الحارث بن كعب ، ويُكنى أبا كعب ، كان شاعراً مغنياً فحلاً من فحول المغنين ، وله صنعة فاضلة متقدمة ، وكان يسكن الحيرة ، ويُكرى الجمال إلى الشام وغيرها ، وكان نصرانياً . انظر : الأصفهاني : الأغاني ٢ / ٣٣٤ .

وعليه قباء خُشك شوى وقد لاث رأسه بمنديل مصري فتفنّى فقلتُ يا حُنين أرخ من البَمّ واشدد من الزير ، فقال بشر وما يدريك ما هذا ، قلت ظننت أن الأمر هناك ووجدته في نفسي قال فهو وا لله هناك[1] .

٣ - الحجاج بن يوسف الثقفي* .

نسب الحجاج وولادته :

١ - دخل المغيرة بن شعبة[2] على زوجته فارعة ، فوجدها تتخلّل حين انفلتت من صلاة الغداة ، فقال لها : إن كنتِ تتخللين من طَعام البارحة فإنك لقذرة ، وإن كان من طَعام اليوم إنك لنَهِمة ، كنتِ فبنْت . قالت : وا لله ما فَرحنا إذ كُنّا ولا أَسفنا إذ بنّا ، وما هو بشيء مما ظننتَ ، ولكنّي استكتُ فأردت أن أتخلّل للسواك .

فندم المغيرةُ على ما بَدر منه ، فخرج أسفاً ، فلقى يوسف بن أبي عُقيل ، فقال له : هل لك إلى شيء أدعوك إليه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : إني نزلتُ

---

(١) البلاذرى : الأنساب الاشراف ٥ / ١٧٢ - ١٧٣ .

* الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، أبو محمد ، وأمه فارعة بنت همام بن عروة الثقفية ، ولد سنة (٤١ هـ) وقيل سنة (٣٩ هـ) أو (٤٠ هـ) ، وكان الحجاج دقيق الصوت فصيحاً حسن الحفظ للقرآن ، وكان أول أيامه معلماً ، ولاه عبد الملك امرة الحجاز ، بعد غلبته على خلافة عبد ا لله بن الزبير سنة (٧٣ هـ) ثم عزله عبد الملك وولاه على العراق سنة (٧٥ هـ) وجمعت له المشرق كلّه ، وفتحت أيامه عديد من الفتوح في بلاد ما وراء النهر ، وكذا في الهند ، كان جباراً ظلوماً ، يأخذ على الناس بالظن ، وعدم اطاعتهم للخلافة توفي بمدينة واسط في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك في شهر رمضان سنة (٩٥ هـ) عن عمر يناهز ثلاث وخمسين سنة . (المعارف ص ٣٩٥ - ٣٩٨ ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٩٣ ؛ الوزراء والكتاب ص ٤٣ ؛ المنتظم ٦ / ٣٣ ؛ سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤٣) .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود ، يكنى أبا عبد ا لله ، أمه من بنى نصر بن معاوية ، ولي البصرة نحواً من سنتين وله بها فتوح ، وولى الكوفة وما بها في سنة خمسين . (خليفة : الطبقات ص ٥٣) .

الساعة عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوَّجْها فإنها تنجب لك ، فتزوجها فولدتْ له الحجّاج . [٥ / ١٣] ونحوه [٦ / ١١٩]

٢ - قال أبو الحسن المدائني : كانت أمّ الحجاج الفارعة بنت همّار .
[٥ / ١٤]

٣ - ومما رواه عبد الله بن مسلم بن قتيبة[١] قال : إن الحجاج بن يوسف كان يُعلّم الصبيان بالطائف ، واسمه كُليب ، وأبوه يوسف معلّم أيضاً .
[٥ / ١٣]

دراسة النصوص :

أشارت المصادر إلى زواج يوسف بن الحكم بالفارعة[٢] بنت همام بن عروة ابن مسعود الثقفي عقب طلاق المغيرة بن شعبة لها[٣] .

فقد أورد الأصفهاني وابن الجوزي بأن الفارعة أنجبت للمغيرة بنتاً[٤] ويضيف الأصفهاني بأنه لما ماتت ابنة المغيرة هذه نازع الحجاجُ عروةَ بن المغيرة إلى زياد في ميراثها ، فأغلط الحجاج لعروة ، فأمر به ابن زياد فضرب أسواطاً على رأسه ، قال : لأبي عبد الله تقول هذه المقالة ![٥] .

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكوفيّ ، أبو محمد ، العلامة الكبير ، ذو الفنون ، كان صادقاً فيما يرويه ، عالماً باللغة ، وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر ، والفقه ، قال عنه الخطيب البغدادي : كان ثقة ديّناً فاضلاً ، أكثر التّصنيف والتأليف في فنون العلم والأدب ، توفى في رجب ببغداد فجأة ، وله ثلاث وستون سنة . (الفهرست لابن النديم ص ١١٥ ؛ الذهبي : العبر ١ / ٣٩٧ ؛ سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٦ - ٣٠٢) .

(٢) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٦٣ " فريعة " بالتصغير .

(٣) الجاحظ : المحاسن والأضداد ص ١٥٨ ؛ الأصفهاني : الأغاني ٦ / ٢٠١ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٣٦ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٣ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٢ / ١١٥ - ١١٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ٣٠ نقلاً من ابن عبد ربه ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٥٦ مخطوط .

(٤) الأصفهاني : المصدر السابق ٦ / ٢٠٢ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ٣٣٦ .

(٥) الأغاني ٦ / ٢٠٢ نقلاً عن عمر بن شبة .

وينفرد المسعودي[١] من بين المؤرخين المتقدّمين بأن الزوج الأول لفارعة بنت همام هو الحارث بن كلدَة[٢] ثم تزوجها بعده يوسف بن الحكم أبي عقيل أبو الحجاج[٣] . وتبعه بعض المؤرخين المتأخرين نقلاً عنه[٤] .

وأيّما كان الأمر فإن فارعة انجبت ليوسف ولداً سماه حجاجاً ، وذلك سنة واحد وأربعين[٥] . وقيل سنة تسع وثلاثين[٦] . وقيل سنة أربعين[٧] .

وما ذكره ابن عبد ربه من أن اسم والدها هبار فلم أجد من وافقه على ذلك وربما أنه وقع تصحيف في مخطوطة العقد لابن عبد ربه .

النص رقم (٣) لم أجده في مصنفات ابن قتيبة التي اطلعت عليها[٨] .

وفي النص أمران :

أولهما : أن الحجاج وأبَاه كانا يُعلّمان الصبيان بالطائف .

ثانيهما : أن الحجاج كان اسمه كليباً .

---

(١) مروج الذهب ٣ / ١٣٢ .

(٢) الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج من ثقيف . طبيب العرب في زمانه ، وإليه ينتمي بنو نافع . ومات فلا خلافة عمر . انظر ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٠٥ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٨ .

(٣) مروج الذهب ٣ / ١٣٢ .

(٤) ابن خلكان : مصدر سابق ٢ / ٢٩ ، ٣٠ نقلاً عن المسعودي ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٥٧ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٢٤ نقلاً عن ابن خلكان .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٠٥ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٠١ ؛ ابن العديم : بغية الطلب ٥ / ٢٠٤٠ ؛ الكتبي : مصدر السابق ٤ / ٢٥٦ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٢٥ .

(٦) ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٥٢ وقيل سنة (٤٢) ؛ ابن العديم : مصدر سابق ٥ / ٢٠٤٠ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٢٥ .

(٧) ابن بدران : مصدر سابق ٤ / ٥٢ ؛ ابن العديم : مصدر سابق ٥ / ٢٠٣٩ .

(٨) رجعت إلى بعض مؤلفاته المطبوعة . مثل : كتاب المعارف ، وعيون الأخبار ، والأشربة المنسوب إليه ، والشعر والشعراء .

فأما الأمر الأول : فتروي كتب التاريخ والأدب بأن الحجاج كان قد اشتغل معلماً بالطائف[١] ، حيث يعلِّم الصبيان القرآن . وكذلك أبوه[٢] . كما كان أخوه معلِّماً أيضاً[٣] .

وأما الأمر الثاني : وهو أن الحجاج كان يسمى كليباً فقد ذكر ذلك بعض المصادر[٤] وتذكر أن أمه هي التي سمته بذلك[٥] ، ويبدو وا لله أعلم أن هذا كان في صغره ثم ترك الاسم الأول وسمي الحجاج .

نساؤه :

٣ - الشَّيباني عن عَوانَة قال : ذُكِرت النِّساءُ عند الحجاج فقال : عندي أربع نِسوة ، هند بنت المهلب ، وهند بنت أَسماء بن خارجة ، وأُم الجُلاس بنت عبد الرحمن بن أَسيد ، وأمة ا لله بنت عبد الرحمن بن جَرير بن عبد ا لله البجلي .

فأما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتىً بين فتيان ، يلعب ويلعبون . وأما ليلتي عند هند بنت أسماء ، فليلة ملك بين الملوك ، وأما ليلتي عند أم الجُلاس فليلة أعرابيّ مع الأعراب في حديثهم وأشعارهم . وأما ليلتي عند أمة ا لله بنت عبد الرحمن بن جرير فليلةُ عالم بين العلماء والفقهاء . [٦ / ١٠٤ - ١٠٥]

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٢٥٢ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ١٠٤ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٠٧ ؛ أبو حيان : البصائر والذخائر مجلد ٢ قسم ١ / ٤٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٣٦ ؛ الكتبي : مصدر سابق ٤ / ٢٥٨ ؛ ابن كثير ٩ / ١٢٤ نقلاً عن ابن عبد ربه في عقده ؛ انظر : د. عبد الواحد ذنوبة في كتابه العراق في عهد الحجاج وفيه مناقشات مفيدة ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٢٥٢ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٢٤ .

(٣) المبرد : مصدر سابق ٢ / ١٠٤ .

(٤) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٠٧ ؛ أبو حيان : البصائر والذخائر م ٢ قسم ١ / ٤٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك ٦ / ٣٣٦ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٥٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٢٤ .

(٥) الجاحظ : الحيوان ١ / ١٥٨ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٣٩٧ .

٤ - دخلت ليلى الاخليلية[1] على الحجاج فأنشدته :

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضة   تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُضال الذي بها   غلام إذا هَزَّ العَناة سقاها

فقال لها : لا تقولي : غلام ، ولكن قولي : همام . ثم قال : أيّ النساء أحبُّ إليك أنزلك عندها ؟ قالت : ومَن نساؤُك أيها الأمير ؟ قال : أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموية . وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية ، وهند بنت المهلّب بن أبي صفرة العَتكيَّة . قالت : القيسية أحبّ إليّ . فلما كان من الغد دخلت عليه . قال : يا غلام ، اعطها خمسمائة . قالت : أيها الأمير ، أحسبها أُدْماً[2] . قال قائل : إنما أمر لك بشاء قالت : الأمير أكرم من ذلك . فجعلها إبلاً إناثاً على استحياء ، وإنما أمر لها بشاء أولاً . [١ / ٣٢٢ - ٣٢٣]

٥ - قال بُدَيح[3] : وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان ، وكان زوّج ابنته أم كُلثوم من الحجّاج على ألفي ألف في السّر وخمسمائة ألف في العلانية ، وحملها إليه إلى العراق ، فمكث عنده ثمانية أشهر . قال بُديح : فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان ، خرجنا معه حتى دخلنا دمشق ، فإنّا لنَحُطّ رحالنا إذ جاءنا الوليدُ بن عبد الملك على بغلة وَرْدة[4] ومعه

---

(١) هي ليلى بنت عبد الله بن الرّحّال بن شداد بن كعب بن معاوية ، ومعاوية هو الأخيل بن عبادة ابن عقيل . كانت من أشعر النساء ، لا يقدم عليها في الشعر غير خنساء ، وكانت قد هاجت النابغة الجعدي ، ووفدت على عبد الملك ثم على الحجاج تشكو إليه القحط وما أصاب ذويها ، فأكرمها الحجاج وأعطى لها أموالاً كثيراً ، وتزوجها توبة بن الحمير فأحبها كثيراً ، وتوفيت بقومس ، وقيل بحلوان سنة (٧٥ هـ) . (ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٧٢ - ١٧٨) ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٦٨ - ٧٠ مخطوط .

(٢) الأدم : البيض من الإبل ، وهي أكرمها .

(٣) بُدَيح : مولى عبد الله بن جعفر ، كان من أهل المدينة ، وفد على معاوية مع مولاه ابن جعفر . (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٥ / ١٧٤) .

(٤) الورد : لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء . (اللسان ٣ / ٤٥٦) .

الناس ، فقُلنا : جاء إلى ابن جعفر ليُحييه ويَدعوَه إلى منزله . فاستقبله ابنُ جعفر بالترحيب ؛ فقال له : لكن أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً ؛ فقال : مهلاً يا ابن أخي ، فلستُ أهلاً لهذه المَقالة منك ؛ قال : بلَى ولشر منها ؛ قال : وفيم ذلك ؟ قال : إنك عَمدت إلى عقيلة نساء العرب ، وسيّدة بني عبد مناف ، فَفَرشتها عبد ثقيف يتفخّذها . قال : وفي هذا عَتْب عليّ يا ابن أخي ؟ قال : وما أكثرُ من هذا ؟ قال : وا لله إنّ أحقّ الناس أن لا يلوموني في هذا لأنت وأبوك ، إن كان من قبلكم من الولاة ليصلون رحمى ، ويعرفون حقّى ، وإنك وأباكَ منعتماني ما عندكما حتى ركبنى من الدَّين ما وا لله لو أن عبداً مُجدَّعاً حبشياً أعطاني بها ما أعطاني عبدُ ثقيف لزوّجتها ، فإنما فَديتُ بها رقبتي من النار . قال : فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ، ومضى حتى دخل على عبد الملك - وكان الوليدُ إذا غضب عُرِف ذلك في وجهه - فلما رآه عبدُ الملك قال : ما لك أبا العبَّاس ؟ قال : انك سلّطت عبد ثقيف وملّكته ورفعته ، حتى تفخذ نساء عبد مناف ، وأدرَكْته الغيرة . فكتب عبدُ الملك إلى الحجاج يعزم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلّقها . فما قطع الحجاج عنها رزقاً ولا كرامةً يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا . قال : وما زال واصلاً لعبد ا لله بن جعفر حتى هلك .

قال بُدَيح : فما كان يأتي علينا هلالٌ إلا وعندنا عِيرٌ مقبلة من الحجاج ، عليها لُطف[١] وكسوة وميرة[٢] ، حتى لحق عبد ا لله بن جعفر با لله . ثم استأذن ابن جعفر على عبد الملك ، فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره ، ثم سأله فألطف المسألة ، حتى سأله عن مطعمه ومشْربه ، فلما انقضت مسألتُه ، قال له يحيى بن الحكم : أمن خبيثة كان

---

(١) اللطف : جمع لطفة بالضم ، وهي الهدية .

(٢) الميَرَةُ : الطعامُ يمتارُه الإنسان ، والميرةُ : هي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع . انظر : (لسان العرب ٥ / ١٨٨) .

وجهك أبا جعفر ؟ قال : وما الخبيثة ؟ قال : أرضك التي جئت منها ؛ قال : سبحان الله ! رسول الله ﷺ يُسميها طيبة ونُسميها خَبيثة ! لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفين ، فلما خرج من عنده هَيّأ له ابنُ جعفر هدايا وألطافا . فقلت لبُديح : ما قيمة ذلك ؟ قال : قيمته مائة ألف ، من وصفاء ووصائف وكسوة وحرير ولُطَف الحجاز . قال : فبعثني بها ، فدخلتُ عليه وليس عنده أحد ، فجعلت أعرِض عليه شيئاً شيئاً . قال : فما رأيتُ مثل إعظامه لكلّ ما عرضت عليه من ذلك ، وجعل يقول كلما أريتُه شيئاً : عافى الله أبا جعفر ، ما رأيت كاليوم ، وما كُنّا نُريد أن يتكلّف لنا شيئاً من هذا ، وإن كنّا لمتذممين مُحتَشمين . قال : فخرجت من عنده ، وإذِن لأصحابه ، فوالله لبينا أنا أُحدثه عن تعجب عبد الملك وإعظامه لما أهدى إليه ، إذا بفارس قد أقبل علينا ، فقال : أبا جعفر ، إن أمير المؤمنين يقرأ السلام عليك ، ويقول لك : جمعت لنا وخش[1] رقيق الحجاز وأُبّاقهم[2] ، وحبستَ عنا فلانة ، فابعث بها إلينا وذلك أنه حين دخل عليه أصحابه جعل يُحدّثهم عن هدايا ابن جعفر ويُعظمها عندهم ؛ فقال يحيى بن الحكم : وماذا أهدى إليك ابن جعفر ؟ جمع لك وخش رقيق الحجاز وأبّاقهم وحبس عنك فلانة ؟ قال : ويلك ! وفلانة هذه ؟ قال : ما لم يسمع والله أحد بمثلها قطّ جمالاً وخُلقاً وأدباً لو أراد كرامتك بعث بها إليك ؛ قال : وأين تراها ، وأين تكون ؟ قال : هي والله معه ، وهي نفسه التي بين جنْبيه - فلما قال الرسول ما قال ، وكان ابنُ جعفر في أذنه بعض الوَقْر إذا سمع ما يكره تصامّ[3] ، فأقبل عليه فقال : ما يقول يا بُديح ؟ قال : قلت : فإن أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول : إنه جاءني يريد من ثغر كذا يقول : إن الله نصر المسلمين وأعزّهم : قال : اقرأ أمير المؤمنين السلام ، وقل له : اعزّ الله نصرك ،

---

(١) الوخش : رذالةُ الناس وسقاطهم . (اللسان ٦ / ٣٧١) .

(٢) الإبّاق : هرب العبد من سيده ، واستخفى (اللسان ١٠ / ٣) .

(٣) تصامّ : تصام عنه وتصامَّه : أراه أنه أصَمُّ وليس به . (اللسان ١٢ / ٣٤٣) .

وكبت عدوك ؛ فقال الرسول : يا أبا جعفر ، إني لست أقول هذا ، وأعاد مقالته الأولى . فسألنى ، فصرفتُه إلى وجه آخر ؛ فأقبل عليّ الرسول ، فقال : يا ماصَّ ، أيرُسُل أمير المؤمنين تهكُّم ؟ وعن أمير المؤمنين تُجيب هذا الجواب ؟ أما وا لله لأطِلَّن دَمَك ؛ فانصرف . وأقبل عليَّ ابن جعفر فقال : من تُرى صاحبنا ؟ قال : صاحبك بالأمس ؛ قال : أظنه ، فما الرأي عندك ؟ قلت : يا أبا جعفر ، قد تكلَّفت ، فإن منعتَها إياه جعلتَها سبباً لمنعك ، ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بناتك ما كنتُ أرى أن تمنعها إيّاه ؛ قال : ادْعُها لى ، فلما أقبلت رحَّبَ بها ، ثم أجلسها إلى جَنْبه ، ثم قال : أما وا لله ما كنتُ أظن أن يفرق بيني وبينك إلا الموت ؛ قالت : وما ذاك ؟ قال : انه حدث أمر وليس وا لله كائناً فيه إلا ما اجبتِ ، جاء الدهر فيه بما جاء ؛ قالت : وما هو ؟ قال : ان أمير المؤمنين بعث يطلبك ، فإن تَهْوين فذاك ، وإلا وا لله لا يكون أبداً ؛ قالت : ما شيء لك فيه هوىً ولا أظن فيه فرجاً عنك إلاّ فديتُه بنفسي ، وارسلت عينيها بالبكاء ؛ فقال لها : أما إذا فعلتِ فلا تَرَينَّ مكروهاً . فمسحَتْ عينيها ، وأشار إليّ فقال : ويحك يا بُديح استحثّها قبل أن تتقدّم إليّ من القوم بادرة . قال : ودعا بأربع وصائف ودعا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار ، ودعا مولاة له كانت تلى طيبة ، فدحست لها رَبْعةً عظيمة مَمْلوءة طيبة ، ثم قال : عَجلها ويلك ! فخرجت أسوقها حتى انتهيتُ إلى الباب ، وإذا الفارس قد بلّغ عنّى ، فما تركنى الحُجّاب أن تمسّ رجلاى الأرض حتى أُدخلتُ على عبد الملك وهو يتلظّى ؛ فقال لى : يا ماصّ ! وكذا أنت المُجيب عن أمير المؤمنين والمُتهكّم برُسله ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، ائذن لى أتكلّم ؛ قال : تكلم ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ما أرى ، وهل أنا إلا عبد من عبيد أمير المؤمنين ، نعم قد قلت ما بلغك ، وقد يعلم أمير المؤمنين أنّا إنما نعيش في كنف هذا الشيخ ، وان الله لم يزل إليه مُحسناً فجاءه من قِبَلك شيء ما أتاه قطُّ مثله ، إنما طلبتَ نفسه التي بين جَنْبيه ، فأجبْتُ بما بَلغك لا سهل الأمر عليه ، ثم سألنى فأخبرتُه ، وأستشارنى فأشرتُ عليه ، وها هى ذه

قد جئتُك بها ؛ قال : ادخلها ويلك ! قال : فادخلتها عليه ، وعنده مسلمة ابنه غلام ما رأيت مثلَه ولا أجْمل منه حين اخضرّ شاربُه ، فلما جلست وكلّمها اعجب بكلامها ، فقال : لله أبوك ! امْسكُكِ لنفسي أحبُّ إليك ، أم أهبُك لهذا الغلام ؟ فإنه ابن أمير المؤمنين ؛ قالت : يا أمير المؤمنين لستُ لك بحقيقة ، وعسى أن يَكون هذا الغلام لى وَجْهاً ؛ قال : فقام من مكانه ما راجعها ؛ فدخل واقبل عليها مسلمة ؛ فقال : يا لَكاعِ ، اعلى أمير المؤمنين تختارين ؟ قالت : يا عدوّ نفسه ، إنما تلومني ان اخترتُك ! لعمر الله ، لقد قال[1] رأى من اختارتك . قال : فضيَّقت والله مجلسه ؛ واطلّع عليها عبدُ الملك ، قد ادّهنى بدُهن وارى الشّيب ، وعليه حُلة تتلألأ كأنها الذهب ، بيده مخصرة يخطرُ بها ، فجلس مجلسة على سريره ، ثم قال : أيها ! لله أبوك ! أُمْسِكُكِ لنفسى أحبُّ لك ، أم أهبك لهذا الغلام ؟ قالت : ومن أنت أصلحك الله ؟ قال لها : لخصيّ : هذا أمير المؤمنين ؛ قالت : لست مُختارة على أمير المؤمنين أحداً ، قال : فأين قولُكِ آنفاً ! قالت : رأيت شيخاً كبيراً ، ورأى أمير المؤمنين أشبّ الناس وأجملهم ، ولست مختارة عليه أحداً ، قال : دُونكما يا مسلمة ، قال بُدَيح : فَنَشرتُ عليه الكُسوة والدنانير التي معى ، وأريتُه الجوارى والطيب ؛ قال : عافى الله ابن جعفر ، أخشى أن لا يكون لها عندنا نفقة وطيب وكسوة ؟ فقلت : بلى ، ولكنه أحبّ أن يكون معها ما تكتفى به حتى تستأنس . قال : فقبضها مَسلمة . فلم تلبث عنده إلا يسيراً حتى هَلكت . قال بُدَيح : فوالله الذي ذهب بنفس مسلمة ، ما جلستُ معه مجلساً ، ولا وقفتُ موقفاً أُنازعه فيه الحديث إلا قال : ابغني مثلَ فلانة ، فأقول : ابغنى مثلَ ابن جعفر . قال : فقلت لبُديح : ويلك ! فما أجازه به ؟ قال : قال : حين دفَع إليه حاجبه ودَينه ، لأجيزنّك جائزة ، لو نُشِرَ لى مروان من قبره ما زِدْته عليها ، فأمر له بمائة ألف ، وأيم الله إنّى لا أحسبه انفقَ في هديتّه ومسيره ذلك وجاريته التى كانت عِدلَ نفسه مائتى ألف .

[٢ / ٧١ - ٧٦]

---

(١) قال : أخطأ وضعف . (اللسان ١١ / ٥٣٤) .

٦ - وعن العتبى عن أبيه قال : أمهر الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر[١] تسعين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأمهل عبدَ الملك ، حتى إذا أطبق الليل دقّ عليه الباب . فأذن له عبدُ الملك . فدخل عليه . فقال له : ما هذا الطُّروق أبا يزيد ؟ قال : أمرٌ والله لم يُنْتَظر له الصبح ، هل علمت أن أحداً كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبى سفيان وآل الزبير ابن العوام ؟ فإنى تزوجت إليهم ، فما فى الأرض قبيلة من قريش أحبّ إليّ منهم ، فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوّج إلى بنى هاشم ؟ وقد علِمْتُ ما يقال فيهم في آخر الزمان ، قال : وصلتْك رحم ، وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها ولا يُراجعه في ذلك . فطلقها . فأتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة فجعل الحجاج يقع بخالد وينتقصه ، ويقول : إنه صيّر الأمر إلى ما هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلاً . فقال له عمرو بن عتبة : إن خالداً أدرك مَنْ قَبْلَهُ ، وأتعب من بعده ، وعلم علماً فسلّم الأمر أهله ، ولو طُلب بقديم لم يغلب عليه ، أو بحديث لم يسبق إليه . فلما سمعه الحجاج استحى ، فقال : يابن عتبة ، انا نسترضيكم بأن نعتب عليكم ، ونستعطفكم بأن ننال منكم ، وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تُحبون أن تحلموا فتعرضنا للذى تحبون .

[٦ / ١٢٢]

دراسة النصوص :

أورد ابن عبد ربه النص رقم (٣) عن الشيباني عن عوانة بن الحكم . وقد ورد في النص أسماء نساء الحجاج بن يوسف ، اللاّتي اجتمعن عنده ، وعددهنّ أربع وهنّ :

---

(١) ابنة عبد الله بن جعفر : هي أمُّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأُمها : زينب بن علي بن أبي طالب ، وجدتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٤٠) .

١ – هند بنت أسماء بن خارجة بن حصين بن حُذيفة الفزاري :

وقد تزوجها قبل الحجاج كل من عبيد الله بن زياد وبشر بن مروان بن الحكم[١] وولدت للأخير عبد الملك[٢] ولما أراد الحجاج الزواج بهند بنت أسماء أرسل إليها أيوب بن القرية ليخطب له ، فقال : أخطب عَلَيّ هند بنت أسماء ، ولا تزد على ثلاث كلمات . فأتاهم فقال : أتيتكم من عند من تعلمون ، والأمير مُعطيكم ما تسألون ، أفتنكحون أم تَرُدّون ؟ قالوا : بل أنكحْنا وانعمْنا . فرجع ابن القرية إلى الحجّاج فقال : أقرّ الله عينَك ، وجمَع شملَك ، وانبت رَيْعك ؛ على الثبات والنبات ، والغنى حتى الممات ؛ جعلها الله وَدُوداً ولوداً ، وجمع بينكما على البركة والخير[٣] .

٢ – هند بنت المهلّب بن أبي صفرة :

تزوجها الحجاج ، وكان أبوها وأسرتها ذات علاقة طيبة بالخلافة ، ولكن حينما ثار أخوها يزيد ، لم يتوانى الحجاج في تأديبه والقضاء على ثورته ، على الرغم من أن أخته هند كانت تحته ، وقد طلق الحجاج هند بنت المهلّب ، ثم ندم بعد ذلك أشد الندامة[٤] . وكانت هند قد طلبت إلى يزيد بن عبد الملك الأمان لأخيها فأمّنَه[٥] .

٣ – أم الجلاس :

أورد ابن عبد ربه أن أم الجلاس كانت من زوجات الحجاج بن يوسف في موضعين من كتابه ، فمرة يذكر بأنها : أم الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد[٦] ،

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٣ / ١٦٠ ؛ ٣ / ١٥١ ؛ ابن حبيب : المحبّر ص ٤٤٣ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٠٦ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣ / ٦٩ .

(٤) ابن أعثم : مصدر سابق ٤ / ١٥٤ .

(٥) ابن الأثير : مصدر سابق ٥ / ٨٩ .

(٦) انظر العقد ٦ / ١٠٤ – ١٠٥ .

ومرة بأنها : أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموية[١] .

وقد سبقه إلى ذلك أبو العباس المبرد[٢] . وهذا يدل على أن ابن عبد ربه نقل ذلك من المبرد . والصحيح أنها أم الجلاس بنت سعيد بن عبد الرحمن بن عَتَّاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس[٣] ، وقد وقع للمبرد خلط في سياق نسبها فجعلها اثنتين وتبعه على ذلك ابن عبد ربه . وأضاف المبرد أن الحجاج تزوج أم الجلاس عقب طلاقه لابنة عبد الله بن جعفر[٤] .

٤ – أمة الله بنت عبد الرحمن بن جرير بن عبد الله البجلي :

ولم أجد من ذكرها ، وفي النص وصف لحالته مع كل واحدة في ليلتها ، ويظهر في النص التكلف والصناعة .

وأما النص رقم (٤) فقد أورده المبرد[٥] ، والمسعودي[٦] ، وأبو إسحاق القيرواني[٧] بألفاظ متقاربة . وقد أكرم الحجاج ليلى الأخيلية ، وخيّرها على من تنزل من زوجاته[٨] . فاختارت النزول عند ليلى بنت أسماء بن خارجة لأنها ابنة عمها[٩] . وفي النص السابق رقم (٣) سماها هند بنت أسماء وهو الموافق لما ذكره علماء النسب ، مما يدل على ضعف هذه الرواية . وقد أعطى الحجاج لليلى أموالاً كثيراً، قدرها المبرد خمسمائة إبلاً إناثاً[١٠]؛ وقيل مائة ناقة ورعاتها[١١].

---

(١) انظر العقد ١ / ٣٢٢ ؟

(٢) انظر الكامل في اللغة ١ / ٣٥٠ ، ١ / ٣٠٦ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ٤ / ١ / ٤٥٧ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١١٣ .

(٤) المصدر السابق ١ / ٣٥٠ .

(٥) الكامل في اللغة ١ / ٣٠٦ .

(٦) مروج الذهب ٣ / ١٧٩ ولم يذكر أم الجلاس .

(٧) زهر الآداب ٢ / ٩٣٧ نقلاً عن المبرد ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٦١ – ٦٢ .

(٨) انظر المصادر السابقة .

(٩) الأصبهاني : الأغاني ؛ المبرد : المصدر السابق ؛ القيرواني : المصدر السابق ٢ / ٩٣٧ .

(١٠) المبرد : المصدر السابق ١ / ٣٠٦ ؛ القيرواني : المصدر السابق ٢ / ٩٣٧ نقلاً عن المبرد .

(١١) ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١٧٧ .

النصان رقم (٥ ، ٦) فيهما أخبار زواج الحجاج من ابنة عبد الله بن جعفر.

فالنص رقم (٥) لم أجد من ذكره غير صاحب الأغاني[١] . وأشار ابن منظور إلى أن عبد الله بن جعفر وفد على عبد الملك بن مروان فأهدى له رقيقاً من رقيق المدينة . فقال له يحيى بن الحكم ما فعلت خبيثة – ويعني المدينة – ؟ قال له عبد الله بن جعفر : سماها رسول الله ﷺ الطَيْبَة وسميتها خبيثة[٢] .

وهذا النص الطويل فيه تفصيلات دقيقة وفيه ألفاظ منكرة وغريبة فلعله موضوع كله أو بعضه .

أما النص رقم (٦) أورده المبرد بكامله[٣] ، وذكر ابن عساكر نصاً قريباً ومختصراً نقلاً عن محمد بن ادريس الشافعي[٤] وأورد ابن سعد[٥] قول رجل قال لسعيد بن المسيب : إني رأيت حمامة وقعت على منارة المسجد . فقال ابن المسيب يتزوج ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

وذكر مصعب الزبيري[٦] وابن حبيب[٧] أن القاسم بن محمد بن جعفر تزوّج أمَّ كلثوم ، فولدت له بنتاً ، فلما مات عنها تزوّجها الحجاج بن يوسف . وزاد ابن حبيب أن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب تزوجها بعد الحجاج . وتشير بعض المصادر إلى أن الحجاج بن يوسف تزوّجها عندما كان والياً على المدينة ومكّة[٨] .

---

(١) كتاب الأغاني ١ / ٤٩٩ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٥ / ١٧٤ .

(٣) الكامل ١ / ٣٤٩ ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٦٥ نقلاً عن المبرد .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٢ / ١٢٥ .

(٥) الطبقات الكبرى ٥ / ١٢٤ من طريق الواقدي .

(٦) نسب قريش ص ٨٢ – ٨٣ .

(٧) المحبّر ص ٤٣٩ .

(٨) مصعب الزبيري : المصدر السابق ص ٨٣ ؛ الأصفهاني : الأغاني ١٣ / ١٠٢ ؛ انظر عبد الواحد دنون : العراق في عهد الحجاج بن يوسف ص ٣١ – ٣٣ .

واكتفى ابن حزم بالإشارة إلى زواج الحجاج بن يوسف من أم كلثوم بنت جعفر[١] . وأورد الكتبي أنّ الحجاج لما تزوّج أم كلثوم أمره عبد الملك أن يطلقها وذلك نتيجة من إلحاح خالد بن يزيد في ذلك[٢] .

أول ما عرف من شدة الحجاج :

٧ - لحق الحجاج بن يوسف برَوح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان ، فكان في عديد شُرطته إلى أن شكا عبد الملك بن مروان ما رأى من انحلال عسكره ، وأنّ الناس لا يرحلون برحيله ، ولا ينزلون بنزوله ، فقال روح بن زنباع : يا أمير المؤمنين ، إنّ في شرطتى رجلاً لو قلّده أمير المؤمنين أمر عَسكره لأرحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله ، يقال له الحجاج بن يوسف . قال : فإنا قد قلدناه ذلك . فكان لا يقدر أحدٌ أن يتخلّف عن الرّحيل والنزول إلا أعوان روح ابن زنباع . فوقف عليهم يوماً وقد رحل الناسُ وهم على طعام يأكلون ، فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين ؟ فقالوا له : أنزل يابن الّلخناء[٣] ، فكُلْ معنا . فقال : هيهات ! ذهب ما هنالك . ثم أمر بهم فجلدوا بالسّياط وطَوَّفهم في العسكر . وأمر بفَساطيط رَوح بن زنباع فأُحرقت بالنار . فدخل روح بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكياً . فقال له : ما لك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شُرطتي ضرب عبيدي وأحرق فساطيطي . قال : عليّ به . فلما دخل عليه قال : ما حملك على ما فعلتَ ؟ قال : ما أنا فعلتُه يا أمير المؤمنين . قال : ومن فعله ؟ قال : أنت والله فعلته ، إنما يدي يدُك وسوطي سوطُك وما على أمير المؤمنين أن يُخْلِف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين ، وللغُلام غلامين ، ولا يَكْسرنى فيما

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٢٦٣ - ٢٦٥ .

(٣) اللخن : نَتْنُ الريح عامّة ، واللخن قبح ريح الفرج وامرأة لخناء ويقال : يا ابن اللخناء : أي التي لم تختن ، وكان هذا السب يجري على ألسنة العرب في القديم . (لسان العرب ١٣ / ٣٨٣) .

قدّمنى له ، فأخلف لروح بن زنباع ما ذهب له ، وتقدّم الحجاج في منزلته . وكان ذلك أول ما عرف من كفايته . [٥ / ١٤]

دراسة النص :

النص رقم (٧) أورده ابن قتيبة بسنده عن الهيثم عن مجالد عن الشعبى[١].

ونقل ابن خلكان[٢] وابن نباتة مثله[٣] . كما نقل ابن كثير[٤] وعز الدين عبد الله بن عمر[٥] عن ابن عبد ربه .

وهذه النقول كلها بدون اسناد ما عدا ابن قتيبة وسنده لا يعتمد عليه . فالهيثم ومجالد ضعيفان .

ويظهر في النص قدرة الحجاج بن يوسف وكفايته القيادية وشدّته وحزمه في أموره مما جعل الخليفة ينظر إليه نظرة خاصة ، فلما اكتسب ثقته أسند إليه أموراً مهمة فيما بعد[٦] .

ولايته على الحرمين ثم عزله :

٨ - عمران بن عبد العزيز[٧]قال لما وَلى الحجاجُ بن يوسف الحرمين بعد قَتْلِه ابن الزبير استخلص إبراهيم بن محمد بن طلحة[٨]فقرّبه وعظّم منزلته،فلم تزل تلك

---

(١) عيون الأخبار ١ / ١٦ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ / ٣٠ - ٣١ .

(٣) سرح العيون ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ١٢٤ .

(٥) غاية المرام ١ / ١٨١ .

(٦) انظر في هذا الأمر مناقشة الدكتور عبد الواحد دنون في كتابه العراق في عهد الحجاج بن يوسف ص ٣٤ - ٣٥ .

(٧) هو عمران بن عبد العزيز أبو اثبت الزّهري قال يحيى بن معين والبخاري منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : ليس هو عندى بالمتين حديثه يتكلم فيه (الجرح والتعديل ٦ / ٣٠١ ولسان الميزان ٤ / ٣٤٧) .

(٨) إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، كان من رجال الكمال ، ولى خراج العراق لابن الزُّبير ووفد على عبد الملك ، وكان فصيحاً قوّالاً بالحقِّ ، صارماً ، أطلق عليه " أسد قريش " وكان أعرج ، وثقه أهل العلماء . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٢ - ٥٦٣ .

حالهُ عنده حتى خرج إلى عبد الملك بن مروان ، فخرج معه مُعَادِلاً ، لا يُقصر لـه في برّ ولا إعظام ، حتى حضَر به عبدَ الملك ، فلما دخل عليه لم يَبـدأ بشـيء بعـد السلام إلا أن قال له : قَدِمتُ عليك أمير المؤمنين برجُل الحجـاز ، لم أدعَ لـه بهـا نظيراً في الفَضْل والأدب والمُروءة وحُسن المذْهب ، مع قَرابة الرّحم ووُجوب الحق وعِظَم قَدْر الأُبُوة ، وما بلوتُ منه في الطاعة والنصيحـة وحُسـن المـؤازرة ، وهـو إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وقد أحضرتُه بابَك ليَسْهُل عليه إذنُك ، وتَعرِفَ لـه ما عَرّفتك ؛ فقال : أذكرتنا رحماً قريبة وحقّاً واجباً ، يا غلام ، ائذن لابراهيم بن محمد بن طلحة . فلما دخل عليه أدناه عبدُ الملك حتى أجلسه على فِراشـه ، ثـم قال له : يابن طلحة ، إن أبا محمد ذكّرنا ما لم تزل نعرفك به في الفَضْـل والأدب والمروءة وحُسن المذهب ، مع قرابة الرحم ووجـوب الحـق وعِظَـم قـدر الأبـوّة ، وما بلاه منك في الطاعة والنصيحة وحُسن الموازرة ، فلا تدعنّي حاجة في خاصَّـة نفسك وعامّتك إلا ذكرتَها ؛ فقـال : يـا أمـير المؤمنـين ، إنّ أولَ الحوائـج وأحـقَّ ما قُدم بين يدي الأمور ما كان لله فيـه رضـاء ، ولحـقّ نبيـه ﷺ أداء ، ولـك فيـه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وعندي نصيحة لا أجد بُـدّاً مـن ذكرهـا ، ولا أقـدر على ذلك إلا وأنا خالٍ فأخلِني يا أمير المؤمنين تَرِد عليـك نصيحـتي ؛ قـال : دون أبي محمد ؟ قال : نعم ، دون أبي محمد . قال عبد الملك للحجّاج : قُـم . فلمـا خَطْرَف[1] السترُ أقبل عليَّ ، فقال : يابن طلحة ، قُـل نصيحتـك ؛ فقـال : تـا لله يا أمير المؤمنين ، لقد عَمـدت إلى الحجـاج في تَغَطرسـه ، وتَعَجْرُفـه ، وبُعـده مـن الحق ، وقُربه من الباطل ، فولّيته الحرمـين ، وهمـا مـا همـا وبهمـا مـا بهمـا مـن المهاجرين والأنصار والموالى الأخيار يَطؤُهم بطغام[2] أهل الشـام ورَعَـاعٍ لا رَوِيَّـة لهم في إقامـة حَق ولا في إزاحـة بـاطل ، ويَسـومهم الخسفَ ويحكـم فيهـم بغـير السُّنَة ، بعد الذي كان من سَفْك دمائهم ، وما انتُهِك من حُرمَهم ، ثم ظننتَ أنّ

---

(١) خطْرف : أي انسدل وأرخى . انظر : العقد ٢ / ٧٩ هامش (١) .

(٢) الطغام : أرذال الناس وحمقهم . (المعجم الوسيط ٢ / ٥٥٨) .

ذلك فيما بينك وبين ا لله زاهـق[١] ، وفيمـا بينـك وبـين نَبيـك غـداً إذا جاثَـاك[٢] للخصومة بين يدى ا لله في أُمته ، أما وا لله لا تَنْجو هنالك إلا لُحجة ، فاربَعْ علـى نفسك[٣] أودَع .

فقال له عبد الملك : كذبْتَ ومِنت وظنّ بك الحجّاج ما لم يَجده فيك ، وقد يُظنّ الخير بغير أهله ، قُم فأنت الكاذب المائن . قال : فقمتُ وما أعرِف طريقاً ، فلما خَطـرف الستر لَحِقنـى لاحـق ، فقـال : احبِسـوا هـذا ، وقـال للحجّـاج : ادخل ، فدخل ، فمكث مَلِيّـاً مـن النهـار لا أشـك أنهمـا في أمـرى ، ثـم خـرج الأذِن ، فقال : ادخل يابن طلحة ، فلما كُشف لى السـتر لَقِيَنـى الحجّـاج ، وهـو خارج وأنا داخـل ، فـاعتَنَقنى وقبّـل مـا بـين عينـىّ ، وقـال : أمـا إذا جَـزىَ ا لله المتواخِيَيْن خيراً بفضل تواصُلهم فجزاك ا لله عنّى أفضِلَ الجزاء ، فوا لله لئن سَلِمْتُ لك لأرفعنّ ناظرك[٤] ، ولأعلينّ كعبك ، ولأتبعنّ الرجال غُبـار قدميـك ؛ قـال : قلت : يهزأ بي وحق الكعبة . فلما وصلتُ إلى عبد الملك أدنانى حتى أدنانى عن مجلسي الأول ، ثم قال : يابن طلحة ، لعل أحـداً شـاركك في نصيحتـك هـذه ؟ قلت : وا لله يا أمير المؤمنين ، ما أعلم أحداً انصعَ عندى يداً ولا أعظم معروفاً من الحجاج ، ولو كنت محابياً أحداً لغرض دُنيا لحابيتُه ، ولكنـى أثـرتُ ا لله ورسـوله وآثرتُك والمؤمنين عليه ؛ قال : قد عَلمتُ أنك لم تُرد الدنيا ، ولو أردتها لكـانت لك في الحجّاج ، ولكن أردت ا لله والدارَ الآخرة ، وقـد عزلتُـه عـن الحرمـين لمـا كرهتَ من ولايته عليهما ، وأعلمته انـك استنزلتنى لـه عنهمـا استقلالاً لهمـا ، ووَلّيتُه العراقيين ، وما هنالك من الأمور التي لا يَدْحضها إلا مثْله ، واعلمتـه أنـك استدعَيْتنى إلى ولايته عليهما استزادةً له ، لأُلزمه بذلك من حقّك ما يـؤدى إليـك

(١) زاهق : هالك وباطل . (انظر اللسان ١٠ / ١٤٧) .

(٢) المجاثاة للخصومة : أن يجلس كل على ركبتيه مستوفزاً . العقد ٢ / ٨٠ هامش (٣) .

(٣) أربع على نفسك : أى كف وارفق . العقد ٢ / ٨٠ هامش (٤) .

(٤) في سير أعلام : استصغاراً لهما .

عنّى أجرَ نصيحتك ، فاخرج معه فانك غير ذامٍّ لصُحبَته فخرجتُ مع الحجاج وأكرمنى أضعاف إكرامه . العقد [٢ / ٧٨ - ٨١]

دراسة النص :

النص (٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخه مطولاً[١] وأورد الكتبي مثله[٢] وذكر الذهبي مختصراً[٣] ، نقلاً عن الزبير بن بكار قال : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنى عمران بن عبد العزيز الزهري قال : ثم ساقه مختصراً ، ومحمد بن يحيى هو الكناني أبو غسان المدني ، ثقة أخرج له البخاري كما في التقريب[٤] . وعمران ابن عبد العزيز الذي علقه عنه ابن عبد ربه ضعيف كما رأيت . والنص واضح الدلالة على شجاعة إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وأدائه لواجب النصيحة وقول الحق .

ويجب أن نشير هنا إلى أنه ورد في النص لفظة منكرة لا يمكن أن تنسب إلى مثل هذا العالم الجليل وهي قسمه بالكعبة : " وحق الكعبة " والكعبة مخلوق من مخلوقات الله ، ولا يجوز الحلف بها ، لقول النبي ﷺ : ((إذا حلفت بالكعبة فاحلف برب الكعبة))[٥] ، وقوله ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))[٦] ، وقوله : ((من كان حالفاً فليحلف با لله أو ليصمت))[٧] . ولعله وقع سقط في قول إبراهيم بن محمد بأن كان : " وحق رب الكعبة " وا لله أعلم .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٧ / ١٤٢ - ١٤٥ من طريق الزبير بن بكار .

(٢) عيون التواريخ ٤ / ٣٤٦ - ٣٤٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٣ .

(٤) ابن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب ص ٩٠٧ (طبعة أبى الأشبال) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٦٩ .

(٦) رواه الترمذي في سننه حديث رقم ١٥٧٤ وقال هذا حديث حسن ، انظر تحفة الأحودى ٥ / ١١٣ . وصححه الحاكم . وانظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٥٢٥ وفيه مناقشة مفيدة في هذا الباب .

(٧) جزء من حديث أخرجه البخاريّ في صحيحه . انظر صحيح البخاري مع الفتح برقم ٦٦٤٦ .

الحجاج والياً على العراق :

٩ - بعث عبدُ الملك بن مروان الحجّاج بن يوسف والياً على العراق وأمره أن يَحْشر الناسَ إلى المهلّب في حَرب الأزارقة . فلما أتى الكُوفة صَعِد المِنبَر مُتلثّماً متنكّباً قوسَه ، فجلس واضعاً إبهامه على فيه . فنظر محمد بن عُمير بن عطارد التميمي[١] ، فقال : لعن الله هذا ولعن من أرسله إلينا ! أرسل غلاماً لا يستطيع أن ينطق عِيّاً ، وأخذ حصاةً بيده ليَحْصبه بها . فقال له جليسُه : لا تَعجل حتى نَنظرَ ما يَصنع فقام الحجاج فكشف لِثامَه عن وجهه وقال :

أنا ابنُ جَلا وطَلّاع الثّنايا ... متى أضع العِمامةَ تَعْرفوني
صليبُ العُود من سَلَفي نزار ... كنصل الشيفِ وضّاح الجَبين
أخو خَمْسين مُجتمعُ أشدى ... ونجَّذني مداورة الشُّئون

أما والله إني لأحملُ الشرَّ بثقله ، وأحذوه بنَعله ، واجزيه بمثله ؛ أما والله إني لأرى رءوساً قد أينعت وحان قِطافُها ، وكأني أرى الدماء بين العمائم واللِّحى تترقرق :

هذا أوانُ الشد فاشتدّي زيْم[٢] ... قد لَفّها الليلُ بسوّاق حُطَمْ[٣]
ليس براعي إبلٍ ولا غَنم ... ولا بجزّار على ظَهر وَضَمْ[٤]

ألا إنّ أميرَ المؤمنين عبدَ الملك بن مروان كَبَّ[٥] كنانته فعجَم عيدانها ، فوجدني أصلبها عوداً ، فوجّهني إليكم ، فإنكم طالما سعيتم في الضّلالة ، وسَننتم

---

(١) محمد بن عمير بن عطارد ينتسب إلى زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكان له شرف وقدر بالكوفة ، وولي أذْربيجان . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .

(٢) زيم : اسم فرس . اللسان ١٢ / ٢٨٠ .

(٣) الحُطْم : الراعي إذا كان قليل الرحمة للماشية ، عسوفاً عنيفاً . (اللسان ١٢ / ١٣٩) .

(٤) الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى من الأرض . (اللسان ١٢ / ٦٤٠) .

(٥) كَبّ : قَلَب . (اللسان ١ / ٦٩٥) .

سُنن البَغى . أما وا لله لألحونّكم لحوَ العصا ، ولأعصَبنّكم عصْب السَّلمة[١] ، ولأقرعنّكم قَرْع المروة ، ولأضربنّكم ضَرْب غَرائب الإبل . وا لله ما أخْلق إلاّ فَريت[٢] ، ولا أعد إلا وفّيت . إنـي وا لله لا أُغمز تَغمازَ التّين ، ولا يُقعقع لي بالشنان[٣] . إياى وهذه الزّرافات والجماعات ، وقيل وقال وما يقول ، وفيم أنتم ونحو هذا ، من وجدتُه بعد ثالثة من بعث المُهلّب ضربت عنقه . ثم قال : يا غلام ، إقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ عليهم : بسم ا لله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان إلى مَن بالكوفة من المسلمين . سلام عليكم . فلم يقُل أحد شيئاً . فقال الحجاج : اسكت يا غلام ، هذا أدب ابن نهِية[٤] وا لله لأؤدّبنهم غير هذا الأدب أو ليستقيمن . إقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ قولَه : " سلام عليكم " لم يبقَ أحد في المسجد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام . ثم نزل ، فأتاه عُمير بن ضابىء[٥] فقال : أيها الأمير ، إنّى شيخ كبيرٌ عَليل ، وهذا ابني أقوى على الغَزْو منّي . قال : أجيزُوا ابنَه عنه ؛ فإن الحَدَثَ أحبُّ إلينا من الشيخ . فلما ولّى الرجلُ ، قال له عنبسة ابن سعيد[٦] ، أيها الأمير ، هذا الذي رَكَض عثمان برجله وهو مقتول . فقال ، رُدُّوا الشيخ ،

---

(١) السَّلمة : نوع من العضاه ، وقال أبو حنيفة : سلب العيدان طولاً ، شبه القضبان وليس له خشب وان عظم . (اللسان ١٢ / ٢٩٦) .

(٢) الفرى : القطع . (اللسان ١٥ / ١٥٣) .

(٣) الشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق ، وقعقعتها : تحريكها ، يريد أنه لا يخدع . وأصل المثل من تحريك الجلد اليابس للبعير ليقزع . انظر هامش العقد ٥ / ١٨ رقم الهامش (٧) .

(٤) ابن نهية : صاحب شرطة العراق من قبل الحجاج .

(٥) عمير بن ضابىء بن الحارث ، يقال إن عمير وطىء على جنب عثمان حين قتل ، فقتله الحجاج بعد ذلك . ابن دريد : الاشتقاق ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٦) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ، أبو خالد ، وقيل أبو أيوب ، أخو عمرو ابن سعيد الأشدق ، كان من أهل المدينة وكان مع أخيه حين غلب على دمشق أيام عبد الملك ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان انقطاع عنبسة إلى الحجاج بن يوسف . (مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ٣٣٩) .

فردُّوه ، فقال اضربوا عُنقه . فقال فيه الشاعر[١] :

تجهَّزْ فإمّا أن تزو ابنَ ضابىء عُمَير وإمّا أن تزور المهلّبا

هما خطتّا خَسْفُ بخاؤك منهما ركوبُك حَوْليّاً من الثّلج أشهبا

ثم قال : دُلّوني على رجل أوليه الشرطة . فقيل له : أيّ الرّجال تريد ؟ قال : أريده دائم العُبوس ، طويلَ الجلوس ؛ سمينَ الأمانة ، أعجفَ الخِيانة ، لا يَحْنق في الحق على حُرّ أو حُرة ، يهون عليه سؤال الأشراف في الشَفاعة . فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عُبيد التميمي . فأرسل إليه فاستعمله . فقال له : لستُ أقبلها إلا أن تكفيني عُمالَك ولدَك وحاشيتَك . فقال الحجاج : يا غلام ، نادِ : مَن طَلب إليه منهم حاجةً فقد برئتْ الذمةُ منه . قال الشعبيُّ : فوا لله ما رأيتُ قطُّ صاحب شرطة مثلَه ، كان لا يَحبس إلا في دَيْن ، وكان إذا أُتي برجل نَقب على قوم وَضع مِنْقبته في بَطنه حتى تَخرج من ظهره ، وكان إذا أُتي برجل نَبّاش[٢] حَفر له قبراً ودفنه فيه حيّاً ، وإذا أُتي برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحاً قطع يَده ، فربما أقام أربعين يوماً لا يُؤتى إليه بأحد . فضمّ الحجاجُ إليه شُرطة البَصرة مع شُرطة الكوفة . [٥ / ١٧ - ١٩]

١٠ - لما قدم الحجاج العِراق والياً عليها خرج عُبيد الله بن ظَبْيان متوكِّئاً على مولى له وقد ضَرَّ به الفالج[٣] ، فقال : قَدِم العراق رجلٌ على ديني ؛ فقال له حُضين بن المُنذِر الرَّقاشيّ[٤] : فهو إذاً منافق ؛ قال عبيد الله : إنه يَقْتل المنافقين ؛ قال له حُضين : إذاً يقْتلك . [٤ / ٤٤]

---

(١) الشاعر هو عبد الله بن الزبير الأسدي . (انظر : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٠٨) .

(٢) النّباش : يُفتِّش القبور عن الموتى ليسرق أكفانهم وحُليَّهم . (المعجم الوسيط ٢ / ٨٩٧) .

(٣) الفالج : شلل يصيب أحد شِقّي الجسم طولاً . (المعجم الوسيط ٢ / ٦٩٩) .

(٤) حُضين بن المنذر بن الحارث بن وعله بن المجالد بن اليثربي بن الحارث بن مالك الشيباني الرَّقاشي الربعي البصري ، أبو ساسان ، تابعيّ ثقة ، كان فارساً شجاعاً وشاعراً ، شهد صفين مع علي بن أبي طالب ضي الله عنه ، وكان صاحب رايته يومئذ ، كما كان صاحب شرطة علي ، ووفد على معاوية ، وأدرك خلافة سليمان بن عبد الملك ، ومات فيها . انظر : (ابن العديم : بغية الطلب ٦ / ٢٨٢٧ - ٢٨٤١ ؛ وابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٩٣ - ١٩٨) .

١١ - العتبى قال : دخل جامع المُحاربيّ[١] على الحجاج - وكان جامعُ شيخاً صالحاً خطيباً لبيباً جَريئاً على السُّلطان ، وهو الذي قال للحجّاج إذ بنى مدينة واسط[٢] : بنيتها في غير بَلدك . وتُورثها غير ولدك - فجعل الحجّاج يشكو سُوء طاعة أهلِ العِراق وقُبح مَذْهَبهم . فقال له جامع : أما إنه لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ما شنئوك لِنَسبك ولا لِبَلدك ، ولا لذاتِ نفسك ، فَدَعْ عنك ما يُبْعِدُهم منك إلى ما يُقَربهم إليك ، والتَمِس العافية مِمَّن دونك تُعطَها ممن فوقك ، وليكُن إيقاعُك بعد وَعيك ، ووعيدك بعد وعْدك . قال الحجَّاج : ما أرى أن أرُدّ بنى اللّكيعة إلى طاعتى إلا بالسّيف ؛ قال : أيها الأمير ، إنّ السيف إذا لاقى السيفَ ذَهب الخِيار ؛ قال الحجّاج : الخيار يومئذ لله ؛ قال : أجل ، ولكنَّك لا تَدْرى لمن يجعله الله ؛ فَغضَب وقال : يا هَنَاهُ[٣] ، إنك من مُحارب ؛ فقال جامع :

للحرب سُمينا وكُنّا محارباً إذا ما القَنا أمسى من الطَّعن أحمرا

فقال الحجاج : والله لقد هَممت بأن أخْلع لسانك فأضربَ به وجهك ؛ قال جامع : إن صَدَقناك أغضبناك ، وإن غششناك أغضبنا الله ، فغضبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله ؛ قال : أجل ، وسَكن وشُغِل الحجاج ببعض الأمر ، فانسلّ جامع ، فمرّ بين الصُّفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صُفوف العراق ، فأبصر كبْكَبة فيها جماعة من بَكْر العراق ، وقَيْس العِراق ، وتَميم العراق ، وأزْد العراق ، فلمّا رأوه اشْرَأَبّوا إليه ، وقالوا له : ما عِندك ؟ دفع الله عنك ؛ قال : وَيحكم أعُمّوه بالخَلْع كما يَعمّكم بالعداوة ، وَدَعُوا التعادى ما عادَاكم ، فإذا ظَفِرتم تراجعتُم وتعاديتم ، أيها التميميّ ، هو أعْدىَ لك من

(١) جامع بن شداد المحاربي ، أبو صخرة ، الإمام الحُجّة ، أَحَدُ علماء الكوفة . ثقة ، توفى سنة ثمان عشرة ومئة . الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) واسط : مدينة في العراق بين البصرة والكوفة ، وبناها الحجاج بن يوسف وكان بداية بناها سنة ٨٤ هـ ، والفراغ منها سنة ٨٦ هـ . (معجم البلدان ٥ / ٤٠٠ - ٤٠١) .

(٣) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان . العقد ٢ / ١٨٠ هامش رقم (١) .

الأزديّ ، وأيها القيسي هو أعدى لك من التّغلبي ، وهل ظَفِر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقي نعه منكم . وهرب جامع من فوْره ذلك إلى الشام ، واستجار بزُفَر ابن الحارث فأجاره . [٢ / ١٧٩ - ١٨٠]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة تناولت أخبار ولاية الحجاج بن يوسف على العراق وما جرى عند وصوله إليها .

فالخبر رقم (٩) وما تضمنه من خطبة الحجاج الطويلة أورده المؤرخون والأدباء بين مطول ومختصر[1] .

وقد تضمن النص عدة مسائل أهمها :

١ - تعيين عبد الملك الحجاج والياً على العراق سنة خمس وسبعين ، وهو موضع اتفاق بين المؤرخين[2] . وكان الحجاج قبل ذلك والياً على مكة والمدينة واليمن واليمامة ثلاث سنين[3] .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٣٠٧ - ٣٠٨ مختصراً الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ٩٣ - ٩٤ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ١ / ٣٨٠ - ٣٨٢ خبراً شبيهاً وقريباً منه ؛ الفسوي : كتاب المعرفة والتاريخ ٢ / ٤٨٠ - ٤٨١ بسند فيه : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال حدثنا الوليد قال حدثنا عبد الله بن يزيد بن أبي مسلم ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧٣ ؛ ابن اعثم الكوفي : الفتوح مجلد ٤ جزء (٧ / ٣ - ١١) ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٢٠٢ عن طريق أبو زيد قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسّان عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٣٣ - ١٣٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٧٤ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٢ / ١٢٧ - ١٢٨ من طريق خليفة بن خياط ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٥٨ ؛ ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٥ / ٢٠٧٧ - ٢٠٧٩ ؛ الكتبي : عيون ٤ / ٤٤ - ٤٨ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٧٤ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧٣ ؛ الفسوى : المعرفة والتاريخ ٢ / ٤٨٠ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٢٠٢ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٢٢ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٣ ؛ ابن جوزى : المنتظم ٦ / ١٤٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٧٤ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٠٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢٠٧ ؛ الكتبي : مصدر سابق ٤ / ٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٢٥ .

(٣) اليعقوبي : مصدر سابق ٢ / ٢٧٣ ؛ الطبري : مصدر سابق ٦ / ٢٠٢ ؛ المسعودي : مصدر سابق ٣ / ١٢٢ وفيه إشارة إلى مدة ولايته وهي ثلاث سنين ؛ ابن الجوزي : مصدر سابق

⇐

ويورد ابن قدامة[١] وابـن خلكـان[٢] والذهـبي[٣] قصـة مفادهـا أن عبـد الملـك بـن مروان عزل الحجاج عن ولاية الحرمين نتيجة للنصيحة التي وجهها إليه إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وأخـبره بقسـوة الحجـاج ومعاونيـه مـن أهـل الشـام علـى أهـل الحرمين ، فقبل عبد الملك بهذه النصيحة وعزله عن ولاية الحرمين وولاه العراق .

وقد كانت الظروف التي تمر بها بلاد العراق من الفتن والقلاقل في هذه الفترة تتطلب أن يولى عليها رجل مثل الحجاج[٤] في قوته وقدرته على ضبط الأمور .

وقـد صـرح بذلـك عبـد الملـك قـائلاً : ((ولّيتــه العــراق لأن فيهــا أمــوراً لا يدحضها[٥] إلا هو))[٦] . كما أنّ خلـو منصـب الولايـة في العـراق بعـد وفـاة أخي الخليفة بشر بن مروان[٧] كان يستدعي تعيين رجل لا يقل كفـاءة عـن بشـر ابن مروان .

٢ – أمر عبد الملك بن مروان لحجاج في أن يحشر الناس إلى المهلّب في حرب الأزارقة : ويذكر المؤرخـون بـأن الحجـاج حـين تـولى العـراق أمـر النـاس بحـرب الأزارقة وشدد عليهم[٨] . وذلك حينما زاد خطرهم واستفحل أمرهم .

---

٦ / ١٤٢ ؛ النويري : مصدر سـابق ٢١ / ٢٠٧ ؛ ابـن كثـير : مصـدر سـابق ٩ / ١٢٥ ؛ ابـن بدران : مصدر سابق ٤ / ٥٢ .

(١) التبيين في أنساب القرشيين ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ / ٤١ نقلاً عن القاضي المعافى زكريا من كتابه الجليس والأنيس .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٣ عن طريق الزبير بن بكّار .

(٤) من هذه القلاقل والفتن ثورة الخوارج التي استفحل أمرها في خراسان وغيرها .

(٥) لا يدحضها : لا يغسلها ولا يزيلها . (اللسان ٧ / ١٥٣) .

(٦) ابن قدامة : مصدر سابق ص ٣٢٦ ؛ ابـن خلكـان : مصـدر سـابق ٢ / ٤٢ ؛ الذهـبي : مصـدر سابق ٤ / ٥٦٣ وفيه لما هناك من الأمور .

(٧) توفى بشر بن مروان سنة خمس وسبعين . انظر : تاريخ خليفة ص ٢٧٣ ؛ سير أعلام ٤ / ١٤٦ ؛ العبر للذهبي ٣ / ٦٣ وقيل انه توفى سنة أربع وسبعين انظر : نهاية الأرب ٢١ / ٢٠٦ .

(٨) خليفة : التاريخ ص ٢٧٢ ؛ الطبري : التـاريخ ٦ / ٢٠٤ ؛ ابـن اعثـم : الفتـوح ٤ / ٩ – ١٠ ؛ وانظر العراق في عهد الحجاج بن يوسف للدكتور عبد الواحد دنون ص ٦٨ – ٦٩ وفيه مناقشة مفيدة لهذا الموضوع .

٣ - صعود الحجاج على المنبر متنكراً وسكوته : أورد الطبري بأن الحجاج قدم الكوفة في شهر رمضان سنة خمس وسبعين(١) . وكانت بدايته بالمسجد(٢) . ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الحجاج صعد المنبر متنكراً ، وهو متلثّم ومعتم بعمامته(٣) . فلما اجتمع الناس قام الحجاج وكشف عن وجهه وقال قولته المشهورة :

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا   متى أضع العِمامة تعرفوني(٤)

وقد بيّن الحجاج في هذه الخطبة سياسته نحو العراق وأنه سيكون حازماً ، ولن يتهاون مع أحد خالف هذه السياسة ، ثم حث على الجهاد والإنضمام إلى جيش المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج(٥) .

٤ - قصّة عمير بن ضابىء مع الحجاج : تتفق بعض المصادر التاريخية والأدبية مع ما أورد ابن عبد ربه من أن عمير بن ضابىء أتى إلى الحجاج معتذراً عن الخروج والإنضمام إلى جيش المهلب بن أبي صفرة لكبر سنه ، وعرض أن يكون ابنه بدلاً عنه ، وقبل الحجاج ذلك ، ولم يكن يعرف من هو عمير بن ضابىء ، فأخبره عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي أن عميراً كان من قتلة أمير

---

(١) الطبري : مصدر سابق ٦ / ٢٠٩ .

(٢) الطبري : مصدر سابق ٦ / ٢٠٢ ؛ ابن اعثم : الفتوح ٤ / ٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٧٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٤٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢٠٧ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧٣ ؛ الطبري : مصدر سابق ٦ / ٢٠٢ ؛ ابن أعثم : مصدر سابق ٤ / ٥ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٣٣ ؛ ابن الجوزي : مصدر سابق ٦ / ١٤٩ ؛ ابن منظور : مصدر سابق ٦ / ٢٠٦ ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ٤ / ٢٧٤ ؛ النويري : مصدر سابق ٢١ / ٢٠٧ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤٥ .

(٤) الأصمعي : الأصمعيات ص ٧٣ من قصيدة سحيم بن وثيل الرياحي . انظر بقية الأبيات في ابن الجوزي : مصدر سابق ٦ / ١٥٨ - ١٥٩ ؛ الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ص ٩٤ ؛ الكتبي : مصدر سابق ٤ / ٤٥ .

(٥) راجع العراق في عهد الحجاج بن يوسف ص ٦٧ للدكتور عبد الواحد دنون طه .

المؤمنين عثمان بن عفان ، فأمر الحجاج بضرب عُنقه[١] .

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن الحجاج عرف أن عمير بن ضابىء كان ممن اشترك في قتل أمير المؤمنين عثمان دون إشارة من أحد ، فقال له : ألست الذي غزا أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : بلى ، قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : حبس أبي ، وكان شيخاً كبيراً[٢] .

كما تشير بعض الروايات إلى أن هناك سبباً آخر لقتله ، وهو أنه تأخر عن المدّة التي حُدّدت للإلتحاق بمعسكر المهلب ، وقد سمع النداء[٣] .

وأيما كان الأمر فإن عمير بن ضابىء ضربت عنقه وانهب ماله[٤] ، حسبما ذكرت تلك المصادر .

ونتيجة لذلك خاف الناس وامتلأت قلوبهم رعباً حتى اسرعوا إلى الالتحاق بجيش المهلب فازدحموا على الجسر[٥] . ونقل الطبري أنه في تلك الليلة عبر الجسر أربعة آلاف من مذْحج[٦] . ولكثرة خروج الناس وازدحامهم على الجسر سقط

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١ / ٣٥٢ ؛ الطبري : مصدر سابق ٦ / ٢٠٧ ؛ ابن أعثم : مصدر سابق م٤ جـ ٧ / ١٠ ؛ المسعودي : مصدر سابق ٣ / ١٣٦ ؛ ابن الجوزي : مصدر سابق ٦ / ١٦١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٧٨ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٠٧ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٥٢ - ٥٤ .

(٢) الطبري : التاريخ ٦ / ٢٠٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٧٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢١١ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٢٠٧ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٦١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٧٨ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٢١١ - ٢١٢ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٥٤ .

(٤) ارجع إلى المصادر السابقة .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٢٠٧ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ١٣٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٧٩ ؛ النويرة : المصدر السابق ٢١ / ٢١٢ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٥٤ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٢٠٧ عن طريق عبد الله بن أبي عبيدة .

بعضهم في نهر الفرات ، حين ضاق بهم الجسر ، فأمر الحجاج بعقد جسرين[١] .

٥ - طلب الحجاج رجلاً يوليه شرطة الكوفة ، وما اشترط فيه من أوصاف . أوردته بعض المصادر التاريخية والأدبية[٢] .

وأضاف ابن قتيبة : ((وإذا أتي برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أتي برجل يشكُّ فيه وقد قيل إنه لص و لم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط))[٣] . وأكد خليفة بن خياط بأن عبد الرحمن بن عبيد السعدي كان على شرطة الكوفة قبل أن ينزل واسط[٤] . كما أكد أن الحجاج ضم لعبد الرحمن بن عبيد شرط البصرة ، وكان عبد الرحمن بن عبيد إذا انحدر إلى البصرة استخلف على شرطة الكوفة ابن أخيه مودوداً ، وإذا شخص عن البصرة استخلف عليها صاحب شرط من قبله ، ثم عزله الحجاج فولّى شرطة الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البجلي ، وشرطة البصرة عامر بن مسمع بن مالك[٥] وينبغي الإشارة هنا إلى أن بعض العقوبات التي كان يمارسها صاحب الشرطة يصعب تصديقها وفيها مبالغة ، وتلك الأخبار وإن وردت في مصادر متعدّدة إلاّ أنها ليست لها أسانيد يعتمد عليها .

النص رقم (١٠) لم أجد من ذكره ، على الرغم من أن حُضين بن المنذر له ترجمة وافية في تاريخ بن عساكر[٦] وبغية الطلب في تاريخ حلب[٧] .

---

(١) المسعودي : المصدر السابق ٣ / ١٣٧ .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ /١٦ ؛ ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ١ /٣٤٣- ٣٤٤ ؛ الأصفهاني : محاضرات الراغب ١ / ١٦٥ ؛ القيرواني : زهر الآداب وثمر ألباب ٢ / ١٠٠٦ - ١٠٠٧ .

(٣) عيون الأخبار ١ / ١٦ .

(٤) تاريخ خليفة ص ٣٠٨ .

(٥) تاريخ خليفة ص ٣٠٨ .

(٦) ابن عساكر : التاريخ ١٤ / ٣٩٠ - ٤٠٣ .

(٧) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٦ / ٢٨٢٧ - ٢٨٤١ .

أما النص رقم (١١) فقد أورده بعض الأدباء[1] ، كما أورده ابن حجر العسقلاني في كتابه تهذيب التهذيب[2] وزفر بن الحارث الذي استجار به جامع المحاربي كان قد تحصَّنَ بقرقيسيا في الشام[3] .

الحجاج وعبد الملك :

١٢ - قال عبد الملك بن مروان للحجّاج : إنّه ليس من أحدٍ إلا وهو يعرف عيب نفسه فصِفْ لي عيوبك . قال : أعفني يا أمير المؤمنين ؛ قال : لست أفعل ؛ قال : أنا لجوج[4] لدُود[5] حَقُود حَسُود ؛ قال : ما في ابليس شرٌّ من هذا .

[٢ / ٣٢٤] ونحوه [٥ / ٤٩]

١٣ - وبلغه - أي الحجاج - أنه - أي عبد الملك بن مروان - عَطس يوماً فحمد الله وشمَّته أصحابُه فردّ عليهم ودعا لهم ، فكتب إليه : بلغني ما كان من عُطاس أمير المؤمنين ، ومِن تشميت أصحابه له ورده عليهم ، فياليتَني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً . [٥ / ٥٣]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٢) فليس له سند يعول عليه ، وذكر بعض المؤرخين والأدباء ما يوافق الرواية[6] ، غير أنه يظهر عليه لوائح الوضع لاستبعاد وقوعه بهذه الصورة .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ١٣٥ - ١٣٧ بدون اسناد ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ / ٢١٢ بدون اسناد ؛ أبو إسحاق القيرواني : زهر الآداب ٢ / ٩٠٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٩٥ .

(٣) انظر ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٤٣ .

(٤) لجوج : المتمادي في الخصومة . (اللسان ٢ / ٣٥٣) .

(٥) لدود : شديد الخصومة . (اللسان ٣ / ٣٩٠) .

(٦) الجاحظ : البيان ٣ / ٢٥٥ ، الحيوان ٣ / ١٤٦ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ / ٨ ؛ ابن عبد البّر : بهجة المجالس وأنس المجالس ١ / ٥٣٦ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢١٧ ؛ القالى : الأمالى ٢ / ١٢٥ ؛ وانظر ذيل القالى ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢٦٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٣٨ نقلاً عن الأصمعي ؛ العصامى : سمط النجوم العوالى ٣ / ١٨١ .

وأما النص رقم (١٣) فقد أورده المصنف بدون إسناد ، و لم أجد من ذكره غير صاحب الأمالي[١] ، وإسناده فيه مجاهيل ، والكتبي بدون إسناد[٢] ، ورغم ما في النص من نكارة فإنه لا يستبعد وقوعه ممن يريد التقرب والنفاق للخليفة .

الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك :

١٤ - قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل عليه ، وعليه درع وعمامة سوداء ، وقوس عربيَّة وكنانة ، فبعَثَتْ إليه أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان[٣] : من هذا الأعرابيّ المستلئم في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث إليها : هذا الحجاج بن يوسف . فأعادت الرسولَ إليه تقول : وا لله لأن يخلو بك مَلَك الموتِ أحبُّ إليَّ من أن يخلو بك الحجاج . فأخبره الوليد بذلك وهو يمازحه . فقال : يا أمير المؤمنين ، دَع عنك مفاكهة النساء بزخرف القَول ، فإنما المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة[٤] فلا تُطْلعها على سرك ، ومُكايدة عدوّك . فلما دخل الوليدُ عليها أخبرها بمقالة الحجاج . فقالت : يا أمير المؤمنين . حاجتي أن تأمره غداً يأتيني مُستلئما ، ففعل ذلك ، وأتى الحجاج فَحَجَبْته ، فلم يزل قائماً ، ثم قالت له : إيه يا حجاج ، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتلك عبد ا لله بن الزّبير وابن الأشعث ؟ إيه أما وا لله لولا أن ا لله علم أنك من شرار خلقه ما ابتلاك

---

(١) محمد اليزيدي : كتاب الأمالي ص ٧٨ في سنده : حدثنا أبو جعفر قال حدثني أصحابنا ... و لم يسمهم فهم بهذا مجاهيل العين .

(٢) عيون التواريخ ٤ / ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٣) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، أمها ليلى بنت سهيل بن حَنْظَلة بن الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، ولدت للوليد بن عبد الملك عدة ولد وهم : عبد العزيز ، ومحمد ، وعائشة . مصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٦٥ ، ١٦٨ .

(٤) القُهْرَمَان : أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه . وهي كلمة فارسية . (المعجم الوسيط ٢ / ٧٦٤) .

برَمْي الكعبة ، وقتل ابن ذات النِّطَاقين ، وأوّل مولود ولد في الإسلام .

أما نَهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ أوطاره منهن ، فإن كُنّ ينفرجن عن مثلك ، فما أحقَّه بالأخذ عنك ، وإن كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك . أما وا لله لقد نقص نساء أمير المؤمنين الطيّب عن غدائرهن فبِعْنَه في أعطية أهل الشام حين كنتَ في أضيق من القَرَن[1] قد أظلّتك رماحُهم ، وأثخنك كِفاحهم ؛ وحين كان أمير المؤمنين أحبَّ إليهم من آبائِهم وأبنائِهم ، فما نجّاك ا لله من عدو أمير المؤمنين إلا بحبّهم إياه .

و لله دَرّ القائل إذ نظر إليك ، وسنان غزاله[2] بين كتفيك :

أسد عليّ وفي الحروب نعامةٌ ربداءُ تجْفِلُ[3] من صفير الصّافر

هلاّ برزت إلى غزالة في الوَغى بل كان قلبُك في مخالب طائر

صَدعت غزالة جمعه بعساكر تركت كتائبه كأمس الدّابر

ثم قالت : اخرُج مَذْموماً مدحوراً . [٥ / ٤٣ - ٤٤]

١٥ - كتب الوليدُ بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسفَ يَأمُره أن يكتب إليه بسيرته فكتب إليه : إني ايقظت رأيي وأنمتُ هواى ، فأدْنيت السيّد المطاع في قومه ، ووليت الحربَ الحازمَ في أمره ، وقلّدت الخراجَ المُوقّرَ لأمانته ، وقَسَمْت لكل خَصْم من نفسى قِسماً أُعطيه حظّاً من لطيف عِنايتي ونظري ، وصَرَفْت السيفَ إلى النَّطِف[4] المُسيء ، والثوابَ إلى المُحْسِن البريء ، فخاف المُريبُ صولةَ العِقاب ، وتمسَّك المُحسن بحظّه من الثواب . [١ / ٢٢ - ٢٣] ونحوه [٥ / ٣٦]

---

(١) القرن : الجَعبة . (اللسان ١٣ / ٣٣٩) .

(٢) وغزالة هذه زوجة شبيب الخارجي الذي عجز الحجاج عن قتله وهرب منه ، وكانت من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم . انظر : كتاب الأخبار الموفقيات هامش رقم (٦) .

(٣) جَفَل : شرد ونفرَ . (المعجم الوسيط ١ / ١٢٧) .

(٤) النّطف : المتهم بريبة . (المعجم الوسيط ٢ / ٩٣٠) .

دراسة النصوص :

أما النص رقم (١٤) فقد أورده الزبير بن بكار[١] وابن قتيبة[٢] وذكر المسعودي رواية قريبة من ذلك[٣] . ونقل ابن الجوزي مثل ذلك عن طريق زهير ابن حسن مولى الربيع بن يونس[٤] . وقد ذكر ابن الجوزي زيادة في الرواية وهي : ((أن الحجاج قدم على الوليد بن عبد الملك فصلى عنده ركعتين وركب الوليد فمشى الحجاج بين يديه ، فقال له الوليد : أركب يا أبا محمد . فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني أستكثر من الجهاد ، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً ، فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل فركب مع الوليد))[٥]. وعلى كل فإن النص فيه غرائب ، وفيه عبر ومواقف إذا كان صحيحاً .

النص رقم (١٥) ذكره ابن حبيب[٦] وابن قتيبة[٧] ، كما ذكر أبو حيان التوحيدي رواية مشابهة[٨] ، وقد تضمن النص بيان سيرته وسياسته في العراق عندما طلب منه الخليفة ذلك[٩] . وهذا موافق للمشهود من سيرة الحجاج ، فإن المقياس عنده في المعاملة هو الولاء للدولة .

---

(١) الأخبار الموفقيات ص ٤٧٦ – ٤٧٩ بسند فيه : عبيد الله بن موسى بن طلحة قال : حدثني زهير ابن حسن مولى الربيع بن يونس .

(٢) عيون الأخبار ١ / ١٦٩ – ١٧٠ .

(٣) مروج الذهب ٣ / ١٦٨ .

(٤) أخبار الأذكياء ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٥) نفس المصدر ص ٢٢٣ .

(٦) كتاب المحبّر ص ٤٤٧ .

(٧) عيون الأخبار ١ / ١٠ .

(٨) البصائر والذخائر المجلد ١ / ٢٦٨ .

(٩) انظر ما كتبه عبد الواحد دنون في كتابه العراق في عهد الحجاج ص ٢٠٠ .

الحجاج وبناء مدينة واسط :

١٦ - العتبى قال : دخل جامع المحاربيّ على الحجاج - وكان جامع شيخاً صالحاً خطيباً لبيباً جريئاً على السُّلطان ، وهو الذي قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط : بنيتها في غير بلدك ، وتُورثها غير ولدك ... الخ . [٢ / ١٧٩]

١٧ - وقالوا في الحجاج بن يوسف ، إذ بنى مدينة واسط ، بناها في غير بلده ، وأورثها غير ولده . [٦ / ٢٢٣]

دراسة النصوص :

النصّان السابقان يشيران إلى انتقاد بعضهم بناء الحجاج لمدينة واسط ، والمراد واسط التي بناها الحجاج ، وهي التي تتوسط بين الكوفة والبصرة وتبعد عنهما مسافة واحدة[١] .

وقد بدأ بناءها سنة (٨٣ هـ)[٢] ، وقيل سنة (٨٤ هـ)[٣] ، وقيل سنة (٧٥ هـ)[٤] والراجح القول الأول ، وهي السنة التي هرب فيها ابن الأشعث[٥] ، وهذا قول أغلب المؤرخين كما سبق . أما نهاية بناء المدينة وإتمامها فكانت في عام (٨٦ هـ)[٦] وقيل : (٧٨ هـ)[٧] .

(١) اليعقوبي : البلدان ص ٣٢٢ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣١١ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٣٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٩٩ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٤٠٠ ؛ المشترك وضعاً والمفترق صَقْعاً ص ٤٣١ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٨٨ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٣٨٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ١٤٧ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٢٤٩ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٤٠٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٤٩٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٥٤ ؛ ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٨٢ .

(٣) البلاذري : المصدر السابق ص ٢٨٨ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٤٠١ ؛ المشترك وضعاً ص ٤٣١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٢٤ .

(٤) ابن الجوزي : شذور العقود في تاريخ العهود لوحة ٢٥ مخطوط .

(٥) اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٢٧٩ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٤٠١ ؛ ٥ / ٤٠٢ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٢٤ ؛ ابن بدران : المصدر السابق ٤ / ٨٢ .

(٧) بحشل : تاريخ واسط ص ٤٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٩٩ ؛ شذور العهود لوحة ٢٥ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٨٢ .

الحجاج وسليمان بن عبد الملك :

١٨ - كان سليمان بن عبد الملك يكتب إلى الحجَّاج في أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتباً فلا ينظر له فيها . فكتب إليه : بسم ا لله الرحمن الرحيم . من سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف : سلام على أهل الطاعة من عباد ا لله . أما بعد : فانك امرؤ مَهْتوك عنه حجابُ الحقّ ، مُولَع بما عليك لا لك ، مُنصرف عن منافعك ، تارك لحظّك ، مُستخف بحق ا لله وحق أوليائه . لا ما سلف إليك من خير يعطفك ، ولا ما عليك لا لك يصرفك . في مبهمة ، من أمرك مغمور منكوس ، معصوصر[1] عن الحق اعصيصارا ، ولا تنكب[2] عن قبيح ، ولا ترعوى عن إساءة ، ولا ترجو ا لله وقاراً ، حتى دُعيت فاحِشاً سبّاباً . فقِسْ شِبرك بفترك وأحذُ زمام نَعلك بحذو مثله . فأيم ا لله لئن أمكننى ا لله منك لأدوسنّك دَوسة تلين فرائصُك[3] ، ولأجعلنّك شريداً في الجبال ، تلوذ بأطراف الشمال ، ولأعلقنّ الرُّومية الحمراء[4] بثَدْييها . علم ا لله ذلك منّي وقضَى لي به عليّ فقِدْماً غرّتك العافية ، وانْتحيت[5] اعراضَ الرجال ، فإنك قَدَرْتَ فبذخْت[6] ، وظَفِرت فتعدَّيت ، فرويدكَ حتى تنظر كيف يكون مصيرُك إن كانت بي وبك مُدة أتعلّق بها ، وإن تكن الأخرى فأرجو أت تؤول إلى مَذلة ذليلة ، وخِزية طويلة ، ويُجعل مصيرُك في الآخرة شرَّ مصير والسلام .

فكتب الحجاج : بسم ا لله الرحمن الرحيم . من الحجاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد . فإنك كتبتَ إليّ

---

(١) معصوصر : ممنوع محبوس . انظر : العقد ٥ / ٤١ هامش رقم (٦) .

(٢) نكب : عدل ومال ، ونكب عن شيء أي عدل ومال عن شيء . (اللسان ١ / ٧٧٠) .

(٣) الفرائص : جمع فريصة وهو اللحم الذي بين الكتف والصدر ، وقيل أصل مرجع المرفقين ، وقيل المُضْغَة التي بين الثدي ومرجع الكتف من الرجل والدابة . (اللسان ٧ / ٦٤) .

(٤) يقصد بذلك زينب بنت يوسف أخت الحجاج ، كما سيدل على ذلك جواب الحجاج في النص .

(٥) يقال : انتحاه ، إذا اعتمده بالكلام وقصده .

(٦) البذخ : هو الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره . (اللسان ٣ / ٧) .

تذكر أني امرؤ مَهْتوك عني حجاب الحق ، مُولَـع بما علـيّ لا لى ، مُنصـرف عـن منافعي ، تـارك لحظّـي ، مُسـتخفّ بحقّ الله وحـق وليّ الحـق ، وتذكـر أنـك ذو مصاولة[١] . ولعمري انك لصبيّ حديث السنّ تُعذَر بقلّـة عقلـك وحداثـة سـنّك ويُرقَب فبك غيرُك . فأما كتابك إليّ فلعمري لقد ضعف فيه عقلك ، واسـتُخِفّ به حلمك ، فلله أبوك ، أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك ، ورجاء الله دون رجائك ، وأمـتَّ غيظـك ، وأمّنـت عـدوَّك ، وسـترت عنـه تدبيرك ، ولم تُنَبّهه فَيلتمسَ من مكايدتك ما تَلتمـس مـن مُكايدتـه ، ولكنّـك لم تَستشِـف[٢] الأمـور علماً ، ولم تُرزق من امرك حَزْمـاً جمعـت أمـوراً دلاّك فيهـا الشـيطان علـى أسـوأ أمرك ، فكان الجفاءُ من خليقتك ، والحُمق مـن طبيعتـك ، وأقبـل الشـيطان بـك وأدبر ، وحدّثك أنـك تكـون كـاملاً حتـى تتعـاطى مـا يعيبـك . فتحذلقت[٣] حنجرتك لقوله ، واتسعت جوانبها لكذبه . وأما قولُك لـو ملكـك الله لعلّقـت زينب بنت يوسف بثدييها . فأرجو أن يُكرمها الله بهوانك ، وأن لا يُوفِّق ذلـك لك إن كان ذلك مـن رأيـك ، مع أنّـي اعـرف أنـك كتبـتَ إليّ والشـيطان بـين كتفيك ، فشرُّ مُمْلٍ على شر كاتب راض بالخسف ، فـأحْر بـالحُمق أن لا يدلـك علـى هُـدى ، ولا يـردّك إلا إلى رَدى[٤] ، وتحلَّـب فـوك للخلافـة ، فـأنت شـامخ البَصر ، طامح النّظر ، تظن أنك حين تملكها لا تَنْقطع عنك مُدتها إنهـا للقطـة[٥] الله التي أسأل الله أن يهملك فيها الشكر . مع أني أرجو أن ترغب فيمـا رغـب فيه أبوك وأخوك فأكون لك مثلى لهما ، وإن نفخ الشيطان في منخريك فهـو أمـر

---

(١) المصاولة : المُواثبَة . (اللسان ١٢ / ٣٨٧) .

(٢) لم تستشف : أي لم تستوعب . والاستشفاف في الأصل : أن تشرب جميع ما في الإناء ولا تسترِ فيه شيئاً .

(٣) الحذلقة : التصرف بالظَّرف ، والمُتَحَذْلق هو المُتَكيِّس بالذي يريد أن يزداد على قدره ويقال رجل حذْلَق : كثير الكلام . انظر : (اللسان ١٠ / ٤١) .

(٤) الردى : الهلاك . (اللسان ١٤ / ٣١٦) .

(٥) أي أنها من الله يؤتيها من يشاء .

أراد الله نزعه عنك وإخراجه إلى من هو أكمل به منك . ولعمري إنها لنصيحة ، فإن تقبلها فمثُلها قبل ، وإن تردها عليّ اقتطعتُها دونك وأنا الحجاج .
[٥ / ٤١ - ٤٣]

١٩ - صعد خالد بن عبد الله القسري[1] المنبر في يوم جمعة وهو إذ ذاك على مكة ، فذكر الحجاج ، فحمد طاعته وأثنى عليه خيراً . فلما كان في الجمعة الثانية ورَد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك ، يأمره فيه بشتم الحجاج ونشر عُيوبه وإظهار البراءة منه . فصعد المِنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنّ إبليس كان ملكاً من الملائكة ، وكان يُظْهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً ، وكان الله قد علم من غِشّه وخُبثه ما خَفي على ملائكته فلما أراد الله فضيحته أمره بالسُجود لآدم ، فظهر لهم منه ما كان مخفيه ، فلعنوه . وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنّا نرى له به فضلاً ، وكأنّ الله قد أطلع أميرَ المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي عنا ، فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فلعنه ، فالعنوه لعنه الله ، ثم نزل .
[٥ / ٣٠ - ٣١]

٢٠ - قال ابن عَياش : فلما هلك الوليد واستخلف سليمانُ استعملَ يزيدَ ابن المُهلّب على العراق وأمره بقتل آل أبي عَقيل[2] ، فقتلهم . [٥ / ٥٧]

دراسة النصوص :

النص رقم (١٨) أورده ابن عبد ربه بدون إسناد ويوضح النص أن العلاقة بين سليمان بن عبد الملك - أيام كان ولياً للعهد - وبين الحجاج بن يوسف ، ليست جيدة ولا يذكر تفسيراً لذلك ، والنص فيه ألفاظ غريبة ومنكرة لا يحتمل صدورها من الحجاج إلى ولي العهد سليمان بن عبد الملك .

---

(١) انظر ترجمته في فصل الأمراء .

(٢) هم آل الحجاج .

و لم أجد من أورد هذا النص من المؤرخين والأدباء . وسيرة سليمان بعد خلافته مع أثار الحجاج تدل على عدم رضاه عن تصرفات الحجاج ، وربما يكون مبعث ذلك مظالم الحجاج الكثيرة ، وا لله أعلم .

أما النص رقم (١٩) فقد أورده المصنف بدون إسناد على عادته في كثير من النصوص . وذكره الفاكهي[١] والفاسى[٢] ونقله أبو إسحاق القيرواني[٣] والنجم بن عمر بن فهد[٤] بدون إسناد ، وهما متأخران ؛ وربما يكون مصدرهما ابن عبد ربه . وكان خالد بن عبد ا لله القسرى والياً على مكة أيام الوليد بن عبد الملك[٥] ، ولما توفى الوليد وخلفه أخوه سليمان أقرّ خالد بن عبد ا لله على ولاية مكة[٦] . ويذكر ابن فهد :

أن خالد القسري كان يذكر الحجاج في خطبته في كل جمعة إذا خطب ويقرظه[٧].

ولذلك تحير حين جاءت كتب سليمان – كما تذكر الرواية – تأمره بلعن الحجاج وقال : كيف أصنع ؟ كيف أكذب نفسي في هذه الجمعة بذمه وقد مدحته في الجمعة التي قبلها ؟ ما أدري كيف أصنع ؟[٨] ثم استدل بقصة إبليس ، ولعن الحجاج وسبه تنفيذاً لأمر الخليفة .

---

(١) أخبار مكة ٣ / ١٦٧ – ١٦٨ من طريق عبد ا لله بن أحمد بن أبي مَسَرّة .

(٢) العقد الثمين ٤ / ٢٧٦ نفس سند الفاكهي .

(٣) زهر الآداب ١ / ٣٤٢ .

(٤) إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢ / ١٢٢ .

(٥) خليفة : التاريخ ص ٣١٠ ؛ ابن فهد : مصدر سابق ٢ / ١٢٢ ؛ عز الدين عبد ا لله عمر : غاية المرام ١ / ١٩٤ .

(٦) خليفة : مصدر سابق ص ٣٠٧ ؛ الأزرقي : أخبار مكة ٢ / ٦٠ ؛ ابن فهد : مصدر سابق ٢ / ١٢٢ ؛ عز الدين عبد ا لله : مصدر سابق ١ / ١٩٤ .

(٧) ابن فهد : مصدر سابق ٢ / ١٢٢ .

(٨) ابن فهد : مصدر سابق ٢ / ١٢٢ .

أما النص رقم (٢٠) فذكر خليفة أن سليمان بن عبد الملك ولّى يزيد بن المهلّب العراق ، وذلك في سنة ست وتسعين[1] ولكن لم يذكر أمر سليمان بن عبد الملك بقتل آل أبى عقيل . مما يدل على ضعف الرواية وذكر خليفة بن خياط أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الرحمن أن يأخذ آل بني أبى عقيل ويحاسبهم[2] . أي يستخرج منهم الأموال التي أخذوها بغير حق ويصادرها . وأشار ابن الجوزي ولكن بدون إسناد أن سليمان جعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبى عقيل ويبسط عليهم العذاب وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب[3] .

شدته وعنفه :

٢١ - أخذ الحجاج اعرابيّاً لِصّاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قَرَعه بسوط قال : يا ربّ شكراً ، حتى ضربه سبعمائة سوط . فلقيه أشعب فقال له : أتدري لم ضربك الحجّاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك إن الله تعالى يقول : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنّكم** ﴾ قال وهذا في القرآن ؟ قال : نعم . فقال الاعرابيّ :

يارب لا شكراً فلا يزِدْني   اسأت في شكرك فاعفُ عنّي
باعدْ ثواب الشاكرين منّي

[٣ / ٤٧٩] ونحوه [٦ / ٤٣٣]

---

(١) تاريخ خليفة ص ٣١٣ ؛ ٣١٧ .

(٢) خليفة : المصدر نفسه ص ٣١٨ ؛ انظر الزمخشري : ربيع الأبرار ٤ / ٧٢ وفيه أمر سليمان لصالح بن عبد الرحمن في تتبع آثار الحجاج .

(٣) المنتظم ٧ / ١٨ ؛ وانظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨٨ - ٥٨٩ .

٢٢ - أبو داود المصحفّى[1] ، عن النضر بن شُميل[2] ، قال : سمعت هشاماً[3] يقول : احْصوا من قتل الحجاج صبراً ، فوجدوا مائة ألف وعشرين ألفاً . [٥ / ٤٦] ونحوه [٥ / ٥٠]

٢٣ - الأصمعي قال : عرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صَلْب وَوُجد فيهم اعرابيّ أُخذ يَبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن اطلق فأنشأ الأعرابيّ يقول :

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط ... خَرِينا وبُلنا لا نخاف عِقاباً

[٥ / ٤٦]

٢٤ - لما قدِم عبدُ الملك بن مروان المدينة نزل دارَ مروان ، فمرّ الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد ، وعلى الحجاج سيف مُحلّى ، وهو يخْطِر مُتبختراً في المسجد ، فقال له رجل من قريش : من هذا التّخْطارة ؟ فقال خالد بخ بخ ! هذا عمرو بن العاص فسمعه الحجاج فمال إليه ، فقال : قلتَ : هذا عمرو بن العاص ! وا لله ما سَرّى أن العاص ولدنى ولا ولدتُه ، ولكن إن شِئتَ اخبرتُك من أنا ، أنا ابن الأشياخ من ثَقيف ، والعقائل من قريش ، والذي ضَرب مائة ألف بسيفه[4] هذا ، كُلهم يشهد على أبيك بالكفر وشرب

---

(١) أبو داود المصحفيّ : هو سُليمان بن سلم بن سَابق الهداديُّ ، أبو داود البلخيّ المصاحفي . كان شيخاً فاضلاً ومن خيار المسلمين ، توفى سنة ٢٣٨ هـ . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤ / ١٧٦) .

(٢) النّضْر بن شُمَيل المازنيّ ، أبو الحسن النّحوي البصري نزيل مرو ، وكان إماماً في العربية والحديث ، وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان ، وأخرج كتباً كثيرة ، وولى قضاء مرو وكان من فصحاء الناس وعلمائهم بالأدب وأيام الناس ، وتوفى سنة ٢٠٣ هـ وقيل ٢٠٤ هـ . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٩١) .

(٣) هو هشام بن حسان الأزدي القُردوسي هو عبد ا لله البصري أحد الأعلام والعباد توفى سنة ١٤٨ هـ . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٢ - ٣٥) .

(٤) هكذا في موضع ، وفي الموضع الآخر ٥ / ٢٠ (مائة) فقط بدون ألف فلعلها سقطت .

الخمر ، حتى أقرُّوا أنه خليفة ، ثم ولّى وهو يقول : هذا عمرو بن العاص !

[٤ / ٤٤] ونحوه [٥ / ١٩ - ٢٠]

٢٥ - قيل للحجاج : كيف وجدتَ منزلَك بالعراق أيها الأمير ؟ قال : خير مَنزِل ، ولو أدركتُ بها أربعة نفَر فتقرَّبت إلى الله سبحانه وتعالى بدمائهم ؟ قيل له : ومن هم ؟ قال : مقاتل بن مِسْمع ، وَلِي سجستان[1] ، فأتاه الناس فأعْطاهم الأموال ؛ فلما قدِم البصرة بسط له الناسُ أرديتهم فمشى عليها ؛ فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون .

وعبيد الله بن ظبيان خطب خُطبة أوجَز فيها ، فناداه الناس من أعراض المَسْجد . كثّر الله فينا أمثالك ؛ قال : لقد كلّفتم ربكم شططاً .

ومَعْبد بن زُرارة[2] ، كان ذات يوم جالساً على طريق ، فمرّت به امرأة ، فقالت : يا عبد الله ، أين الطَّريق لِمكان كذا ؟ فقال : لِمثلي يُقال يا عبد الله ! ويلك !

وأبو السَّمَّال الحنفيّ[3] ، أضلّ ناقته ، فقال : والله لئن لم تُردَّ عليَّ ناقتي لا صلّيتُ أبداً .

قال ناقل الحديث : ونَسِيَ الحجاج نفسه ، وهو خامس هؤلاء الأربعة ، بل هو أشدُّهم كفراً وأعظمهم إلحاداً ، حين كتب إلى عبد الملك بن مروان في عَطْسة عَطسها فشمَّته أصحابُه وَردَّ عليهم : بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين وتَشْميت أصحابه له وردّه عليهم ، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

---

(١) مقاتل بن مسمع : كان مع عبد العزيز بن عبد الله القسرى بالأهواز في قتال الخوارج ، وقد أبلى بلاءاً حسناً في ذلك حتى قتل . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٤٢) .

(٢) معبد بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي ، أبو القَعْقَاع ، قد قاد ورأس قومه في حربهم مع بنى عامر يوم رحرحان ، غير أنه أسروه ، ومات في أيديهم ، كما قتل في هذه المعركة أخوه يثربيّ . ابن دريد : الاشتقاق ص ٢٣٧ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ .

(٣) وعند عيون الأخبار أبو سماك ، وكليهما تحريف والصحيح سمّاك بن الوليد الحَنَفي ، أبو الزميل . (خليفة : كتاب الطبقات ص ٢٩٠) .

وكتابُه إليه : إنّ خليفة الرَّجل في أهلِه أكرمُ عليه من رَسوله إليهم ، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين .

[٢ / ٣٥٣ - ٣٥٤] ونحوه [٥ / ٥٢ - ٥٣]

٢٦ - محمد بن المُنتشر بن الأجدع الهَمداني[١] قال : دَفع إليَّ الحجاج رجلاً ذمّياً وأمرني بالتشديد عليه والاستخراج منه . فلما انطلقتُ به ، قال لي : يا محمد ، أن لك لشرفاً وديناً ، وإني لا أُعطى على القسر شيئاً ، فاستَأْذِني وارفُق بي . قال : ففعلتُ ، فأدَّى إليّ في أُسبوع خمسمائة ألف . فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه ، فانتزعه من يدي ودفعه إلى الذي كان يتولى له العذاب ، فدقّ يديه ورجليه ، ولم يُعطهم شيئاً . قال محمد بن المنتشر : فانى لسائرُ يوماً في السوق ، إذا صائح بى : يا محمد ، فالتفتُّ ، فإذا أنا به مُعَرَّضاً على حمار مَدقوقَ اليدين والرجلين ، فخفت الحجاج إن أتيتُه وتذمَّمتُ منه[٢] ، فملتُ إليه ، فقال لي : إنك وليتَ منّى ما ولى هؤلاء ، فرفقتَ بي وأحسنتَ إليَّ ، وإنهم صنعوا ما ترى ، ولم أُعطهم شيئاً ، ولي خمسمائة ألف عند فلان ، فخذها مكافأة لما أحسنتَ إليَّ . فقلت : ما كنْتُ لآخذ منك على معروفي أجراً ، ولا لأرْذأك على هذه الحال شيئاً . قال : فأمّا إذ أبيتَ فاسمع منّي حديثاً أحدثك به حدَّثنيه بعضُ أهل دينك عن نبيك ﷺ أنه قال : ((إذا رضى ا لله عن قوم أنـزل عليهم مطر في وقته ، وجعل المال في سُمَحائِهم ، واستعمل عليهم خِيارهم . وإذا سخِطَ على قوم أنزل عليهم المطر في غير وَقته ، وجعل المال في بُخلائهم ، واستعمل عليهم شرارهم)) . فانصرفتُ ، فما وضعت ثوبى حتى أتاني رسول الحجّاج . فسرتُ إليه ، فألفيتُه جالساً على فراشه والسيف مُصَلت بيده ، فقال لى : ادنُ ،

---

(١) محمد بن المُنْتَشِر بن الأجدع بن مالك الهمدانيّ ثم الوادعيّ ، ابن أخي مسروق بن الأجدع ، ووالد إبراهيم بن محمد بن المنتشر وكان له أخ يقال له : المغيرة بن المنتشر . ويقال المُنْتَشِر المُنْذِر . (المزى : تهذيب الكمال ٢٦ / ٤٩٦) .

(٢) تذممت منه : استحييت .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال لي : ادْن ، فدنوتُ شيئاً . ثم قال لي الثالثة : ادْن ؛ لا أبا لك ! فقلتُ : ما بي إلى الدنو من حاجة ، وفي يد الأمير ما أرى ، فضحك وأغمد سيفَه ، وقال : اجلس ، ما كان من حديث الخبيث ؟ فقلت له : أيها الأمير ، والله ما غششتُك منذ استنصحتَني ، ولا كذبتُك منذ استخبوتنى ، ولا خنتُك منذ ائتمنتني ، ثم حدَّثته . فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعرض عنّى بوجهه ، وأومأ إليَّ بيده ، وقال : لا تُسَمه ؛ ثم قال : إنّ للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث . [٥ / ٢٩ - ٣٠]

٢٧ - ابن فُضيل[١] قال : حدّثنا أبو نعيم قال : أمر الحجاجُ بماهان[٢] أن يصلب على بابه . فرأيتُه حين رفعت خشبته يُسبح ويُهَلل ويكبر ويعقد بيده ، حتى بلغ تسعاً وتسعين ، وطعنه رجلٌ على تلك الحال . فلقد رأيتها بعد شهر في يده . قال : وكنّا نرى عند خشبته بالليل شبيهاً بالسراج . [٥ / ٥٠]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢١) أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار بدون سند[٣] وكذا ابن عبد ربه لم يسنده وإنما ذكره تحت عنوان " النوادر والملح " ومرة تحت عنوان " نوادر أشعب " . ورغم أن الحجاج كان معروفاً بشدته في تأديب العُصاة والمخالفين ، بل وتعديه الحق إلا أنه لا يمكن أن يكون سبب استمرار الحجاج في ضرب الأعرابي حتى أوصله إلى سبعمائة سوط لأجل شكره لله تعالى ، وتفسير أشعب للأعرابي لا معنى له ، وقد اشتهر أشعب بالضحك والمرح وهذه الحكاية موضوعة والأبيات الشعرية يظهر فيها من سوء الأدب على الله سبحانه وتعالى

(١) ابن فضيل : محمد بن الفضيل بن غزوان ، مولى بني ضَبَّة ، مات سنة خمس وتسعين ومائة . (خليفة : كتاب الطبقات ص ١٧١) .

(٢) ماهان : لعله ماهان بن بَهْمَن بن نسك ، التميمي بالولاء ، المعروف بميمون ؛ والد إبراهيم الموصليّ المغنى النديم . انظر (الأغاني ٥ / ١٦٩ ؛ وفيات الأعيان ١ / ٤٢) .

(٣) عيون الأخبار ٢ / ٥٧ .

ما يدل على أن واضعها زنديق ، أو غافل متساهل لا يدري مواضع الكلام . وقد نقل الأصبهاني[١] والحصري[٢] مثل هذه الرواية وهما من جماعي الأخبار والنوادر وإن كانت سيئة المعنى ولا يعتمد على نقلها ولا يفرح به .

النص رقم (٢٢) أورده ابن عبد ربه معلقاً عن أبي داود المصاحفي عن النضر بن شُمَيل عن هشام بن حسان . فالأول هو أبو داود سليمان بن سلم بن سابق الهَدَادي المصاحفي البلخي ثقة من الحادية عشرة[٣] . والثاني هو أبو الحسن النضر بن شُمَيل النحوي المازني البصري فهو ثقة ثبت أيضاً من كبار التاسعة[٤] . والثاني هشام بن حسان الأزدي ثقة من السادسة[٥] .

فرجاله ثقات كما ترى لكنه غير متصل الإسناد إلى المصنف . والنص ذكره جمع من المؤرخين[٦] . لكن أن أغلبهم من المتأخرين ، والمسعودي لم يعاصر الحدث ، ولم يسند روايته . وكثرة عدد المقتولين صبراً يصعب تصديقه . والذي يظهر أن الرواية مفتعلة والعدد مبالغ فيه جداً لتشويه سمعة الحجاج وهو مشهور بالظلم والإسراف في القتل دون محاكمة . لكن لا يبلغ هذا العدد بل ولا عُشْره .

---

(١) الأغاني ١٧ / ٨٣ - ١٠٥ .

(٢) جمع الجواهر (ذيل زهر الآداب) ص ٥٤ - ٥٦ .

(٣) ابن حجر : التقريب ص ٢٥١ .

(٤) ابن حجر : المصدر نفسه ٥٦٢ .

(٥) ابن حجر : التقريب ص ٥٧٢ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٥٧ ؛ التنبيه والاشراف ص ٢٧٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٣٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨٧ ؛ ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٥ / ٢٠٤٥ نفس سند ابن عبد ربه ولكن أبو عيسى الترمذي ، والنضر بن شميل يروى هشام بن حسان الأزدي وهو ثقة ، والرواية ليست منقطعة ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٤٢ نفس سند ابن العديم ؛ ابن بدران : تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٨٣ ؛ انظر العراق في عهد الحجاج ص ٢٠٩ - ٢١٤ وفيه فوائد .

أما النص رقم (٢٣) فقد علقه ابن عبد ربه عن عبد الملك بن قريب الأصمعي وهو صدوق من التاسعة[١] ، وليس له سند متصل ، وانقطاعه واضح ، وأورد بعض المؤرخين رواية توافق ما ذكره ابن عبد ربه[٢] ، كما تورد المصادر التاريخية والأدبية روايات متفاوتة في عدد الذين كانوا في سجون الحجاج . فمثلاً : بعض المصادر تجعل المسجونين خمسين الف رجل وثلاثين ألف امرأة[٣] ويقال أن سليمان بن عبد الملك أخرج في يوم واحد ثمانين ألفاً[٤] . وزاده الراغب الأصبهاني إلى مئة وأربعة وثلاثين ألف رجل وامرأة[٥] كما أوصل الديار بكري والدميري عدد المسجونين إلى ثلاثمئة ألف ما بين رجل وامرأة[٦] .

وهذا الاختلاف والاضطراب في ذكر الأعداد يكفي في الدلالة على ضعف الرواية والمبالغة التي لحقتها فيوجد فرق كبير بين أقل عدد وأكثر عدد ذكرته الروايات . ولا شك عندي أن الحجاج من الأمراء الظلمة ، وقد فسرت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - حديث رسول الله ﷺ ((إن في ثقيف كذاب ومبير))[٧] بأن الحجاج هو المبير ، فوصفته بالمبير أي المهلك لكثرة من

---

(١) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ص ٣٦٤ برقم ٤٢٠٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٣٧ ؛ ابن العديم : ٥ / ٢٠٤٤ بنفس سند ابن عبد ربه ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٧٢ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٢٦ نقلاً عن الهيثم بن عدى ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٤٢ ونقله بسند متصل ؛ ابن بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٨٣ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٠٥ ؛ التنبيه والاشراف ص ٢٥٧ ؛ المجهول : العيون والحدائق ص ١٠ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٢٧٢ نقلاً عن المسعودي ؛ الدميري : الحياة الحيوان الكبرى ١ / ١٩٢ .

(٤) المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ٩٧ ؛ ابن بدران : مصدر سابق ٤ / ٨٣ وفيه ثلاثون ألف امرأة من بين الثمانين ألفاً . ولم يذكر أن سليمان أفرج هؤلاء .

(٥) محاضرات الأدباء ٢ / ٨٤ .

(٦) الديار بكري : تاريخ الخميس ٢ / ٣١٤ ؛ حياة الحيوان الكبرى ١ / ٦٧ .

(٧) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦ / ٧٦ - ٧٧ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ، حديث رقم ٢٥٤٥ .

يظلم ويقتل . ولكن هذه الأعداد فيها مبالغة واضحة[١] .

النص رقم (٢٤) أورد الأصبهاني[٢] وابن الأثير[٣] مثله ، كما أورد ابن الجوزي[٤] نصاً قريباً مما ذكره ابن عبد ربه ؛ وكلها بدون إسناد . وفي النص ما يدل على الكذب والجهل فأين عمرو بن العاص المتوفى سنة (٤٣ هـ) من خالد بن يزيد ؟

وولية الحجاج على المدينة كانت بعد مقتل عبد الله بن الزبير سنة (٧٣ هـ) ولا يمكن أن يكون خالد بن يزيد القرشي لا يعرف عمرو بن العاص القرشي والصحابي الشهير لو كان موجوداً في المدينة .

النص رقم (٢٥) أورد ابن قتيبة ما يوافقه[٥] ، وذكر الزبير بن بكار مثل هذه الرواية[٦] ، وعنده : ((ثلاثة لو أدركتهم لقتلتهم)) والتلفيق في الرواية ظاهر .

النص رقم (٢٦) ذكره المبرد بكامله[٧] ، وسمى الرجل المراد استخراج المال منه وهو أزاد مَرْو بن الهريد . وهو من كبار الدهاقين وأكثرهم ثروة . ونقله ابن العديم مختصراً[٨] .

والنص رقم (٢٧) لم أجد من ذكره ، وماهان بن بهيمن المعروف أيضاً بميمون ، وأورد الأصفهاني قول أحد أبناء ميمون ((كان جَدُّنا ميمون هرب من جور بعض عُمّال بني أميّة ، فنزل بالكوفة)) .

---

(١) راجع ما كتبه عبد الواحد دنون في كتابه : العراق في عهد الحجاج بن يوسف ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) الأغاني ١٧ / ٣٤٦ تحقيق علي محمد البجاوي - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

(٣) الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨٧ .

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك ٦ / ٢٣٨ .

(٥) عيون الأخبار ١ / ٢٦٩ - ٢٧٠ عن طريق إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو السُّكين ، قال حدثني عَمُّ أبى زحْرُ بن حصين قال ، قال رجل للحجاج .

(٦) الأخبار الموفقيات ص ٤٧٥ - ٤٧٦ عن طريق المدائني .

(٧) الكامل في اللغة ١ / ٣٠٤ .

(٨) بغية الطلب في تاريخ حلب ٥ / ٢٠٧٢ .

صور من مواقفه ومجالسه :

٢٨ - الشيبانيّ قال : خرج الحجاج متصيداً بالمدينة فوقف على اعرابيّ يرَعى إبلاً له ، فقال له : يا اعرابيّ ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الاعرابيّ : غَشُوم ظَلُوم لا حيّاه الله ؛ فقال فَلِم لا شَكَوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فأظلم وأغْشَم ، فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيلُ ، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي ، فأُخذ وحُمِل ، فلما صار معهم ، قال من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ، فَحرَّك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجاج ، قال : ما تشاء يا أعرابيّ ، قال : السرّ الذي بيني وبينك أحبُّ أن يكون مكتوماً ؛ قال : فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله . [٣ / ٤٧٧ - ٤٧٨]

٢٩ - قال[1] : وورد على الحجاج بن يوسف سُلَيكُ بن سُلكة ، فقال : أصلح الله الأمير ، أرعنى[2] سَمْعَك ، واغضض عنّي بصَرك ، واكْفُف عنّي غَرْبك . فإن سمعتَ خطأ أو زَللاً فدونك والعقوبة . قال : قل . فقال : عصى عاصٍ من عُرض العَشيرة فحُلِّف على اسمى ، وهُدِم منزلى وحُرِمْتُ عطائى . قال : هيهات ! أوما سمعت قول الشاعر :

جانِيك من يَجني عليك وقد ... تُعْدى الصحَاحَ مبارِكُ الجُرْب
ولَرُبَّ مأُخُوذٍ بذنْب عَشيرةٍ ... ونَجا المقارفُ[3] صاحبُ الذّنب

فقال : أصلح الله الأمير ، إني سمعتُ الله عز وجلّ يقول غير هذا . قال : وما ذاك ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها العزيز إنَّ له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدَنا مكانَهُ إنَّا نراك من المُحسنين . قال معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجَدْنا متاعنا عِندَه إنّا إذاً لظالِمُون** ﴾[4] . قال الحجّاج : عليَّ بيزيد بن أبي مسلم .

---

(١) أي العتبى .

(٢) أي أعرنى .

(٣) القارف : صاحب الذّنب .

(٤) سورة يوسف الآية (٧٨ - ٧٩) .

فمَثل بين يديه . فقال : افكُك لهذا عن اسمه ، واصكُك له بعَطائه ، وابْنِ له منزلَه ، ومُرْ منادياً ينادي : صدق الله وكذب الشاعر .

[١ / ٣٠ - ٣١] ونحوه [٥ / ١٥ - ١٦]

٣٠ - قال الشّعبيُّ : أتى بي الحجاج مُوثقاً ، فلما جئتُ باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم كاتبُه ، فقال : إنا لله يا شعبي لما بين دَفَّتيك مِن العلم ، وليس اليومُ بيوم شفاعة . قلت له : فما المخرج ؟ قال : بُؤْ للأمير بالشرك والنِّفاق على نفسك وبالحَرَى أن تنجوَ . ثم لقيني محمد بن الحجَّاج[1] فقال لي مثلَ مَقالة يزيد . فلما دخلتُ على الحجاج قال لي : وأنت يا شعبيّ فيمن خَرج علينا وأكثر ؟ قلتُ : أصلح الله الأمير ، نَبا بنا المنزل ، وأجدبَ بنا الجَناب[2] ، واستحَلسَنا الخوف[3] ، واكتحلنا السَّهر ، وضاف المَسلك ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررةً أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال : صدق والله ما برُّوا بخروجهم علينا ولا قووا ، فاطلقوا عنه . فاحتاج اليّ في فريضة بعد ذلك فارسل إليّ فقال : ما تقول في أُم وأخت وجدّ ؟ قلت : إختلف فيها خمسة من أصحاب محمد ﷺ : عبد الله بن مسعود ، وعلي ، وعثمان ، وزيد ، وابن عباس . قال : فما قال فيها ابن عباس ، إن كان لمنْقَباً[4] ؟ قلت : جعل الجَد أباً و لم يعط الأخت شيئاً ، وأعطى الأم الثلث . قال : فما قال فيها ابن مسعود ؟ قلت جعلها من ستّة ، فأعطى الجدّ ثلاثة ، وأعطى الأمَّ اثنين ، وأعطى الأخت سهماً . قال : فما قال زيد ؟ قلت : جعلها من تسعة ، فأعطى الأم ثلاثة ، وأعطى الجد أربعة ، وأعطى الأخت اثنين ، فجعل الجدّ معها أخاً . قال : فما قال فيها أميرُ المؤمنين عثمان ؟

---

(١) محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولاّه عبد الملك اليمن فلم يزل والياً حتى مات بها في حياة أبيه . (ابن قتيبة : المعارف ص ٣٩٦) .

(٢) الجناب ، بالفتح : الفناء والناحية . (اللسان ١ / ٢٧٩) .

(٣) استحْلسنا الخوف : لم يفارقنا . (اللسان ٦ / ٥٦) .

(٤) النِّقاب والمِنقَب ، بالكسر والتخفيف : الرجل العالم بالأشياء الكثير . (اللسان ١ / ٧٦٩) .

قلتُ : جعلها ثلاثة . قال : فما قال فيها أبو تراب ؟ قلت : جعلها من ستة ، فأعطى الأخت ثلاثة ، وأعطى الأمّ اثنين ، وأعطى الجدّ سهماً . قال : مُرْ القاضي فَلْيُمْضْها على ما أمضاها أمير المؤمنين . فبينما أنا عنده إذ جاءه الحاجبُ فقال له : إن بالباب رسلاً . فقال : ايذن لهم . قال : فدخلوا وعمائهم على أوساطهم ، وسيوفُهم على عواتقهم ، وكُتبهم بأيمانهم ، وجاء رجل من بنى سليم يقال له شبابة بن عاصم ، فقال له : من أين ؟ قال : من الشام . قال : كيف تركت أميرَ المؤمنين وكيف تركت حَشَمَه ؟ فأخبره . قال : هل وراءك من غيث ؟ قال : نعم . أصابتني فيما بينى وبين الأمير ثلاث سحائب . قال : فانعتْ لي كيف كان وَقْع المطر وتَباشيره ؟ قال : أصابتنى سحابة بحُوّارين[١] فوقع قطرصغار وقطر كبار ، فكانت الصغار لُحْمة للكبار ، ووقع نشيطاً ومتداركاً ، وهو السَّيح[٢] الذي سمعن به ، فَوادٍ سائلٍ ، ووادٍ نازح ، وأرض مُقبلة ، وأرض مُدبرة . وأصابتنى سحابة بسراء[٣] فلبدّت الدمات[٤] ، وأسالت العَزَاز[٥] ، وأدحضت التِّلاع[٦] ، وصدعت عن الكمأة أماكنها . وأصابتنى سحابة بالقريتين[٧] فقاءَت الأرض بعد الرَّى ، وامتلأت الأخاديد ، وأفعمت الأودية ، وجِئْتك في مثل وِجار الضَّبُع[٨] . ثم قال : إيذن : فدخل رجل من بنى أسد .

---

(١) حوّارين : قرى من حلب معروفة ؛ وهي من ناحية حمص . (معجم البلدان ٢ / ٣٦٢) .

(٢) السَّيح : الماء الطاهر الجاري على وجه الأرض . (اللسان ٢ / ٤٩٢) .

(٣) بسراء : لعلها تحريف من بُسْرُ : بالضم ، وهي اسم قرية من أعمال حوران من أراضى دمشق . (معجم البلدان ١ / ٤٩٨) .

(٤) الدِّمات : السُّهول من الأرض . (اللسان ٢ / ١٤٩) .

(٥) العزاز : المكان الصُّلْب السريع السيل . (اللسان ٥ / ٣٧٦) .

(٦) أدحضت التلاع : جعلتها زلقة . والتِّلاع : مسايل الماء . (اللسان ٨ / ٣٦) .

(٧) لعله يقصد بالقريتين : قرية كبيرة من أعمال حمص تدعى " القريتين " . (انظر معجم البلدان ٤ / ٣٨٢) .

(٨) وِجار الضَّبُع : حجر الضَّبُع . (اللسان ٥ / ٢٨٠) .

فقال : هل وراءَك من غيث ؟ قال : لا ، كثر الأعصار ، وأغبرت البلاد ، وأيقنّا أنه عام سَنة . قال : بئس المُخبر أنت . قال : أخبَرْتُك الذي كان . ثم قال : إيذن . فدخل رجل من أهل اليمامة[1] . قال : هل وراءك من غيث ؟ قال : نعم ، سمعت الرُّوَّاد يدعون إلى الماء وسمعت قائلاً يقول : هَلُّم طَعَنَكم إلى محّلة تطفأُ فيها النيران ، وتشكّى فيها النساء ، وتنافس فيها المعزى قال الشعبيّ : فلم يدر الحجاج ما قال . فقال له : تبّاً لك ! إنما تُحدّث أهل الشام فأفْهِمهم . قال : أصلح الله الأمير ، أخصب الناسُ ، فكَثُر التمر والسمن والزُّبد واللّبن ، فلا توقَد نار يُختبز بها . وأما تشكّى النساء ، فإن المرأة تظلّ تربُق[2] بهَمْها ، وتمخَضَ لبنها ، فَتبيت ولها أنينُ من عَضُدها . وأما تنافسُ المِعزى ، فإنها تَرى من أنواع الثمر وأنواع الشجر ونَوْر النبات ما يُشبع بطونَها ولا يُشبع عيونها ، فتبيتُ وقد امتلأت أكراشها ، ولها من الكِظّة[3] جرّة[4] ، فتبقى الجِرّة حتى تستنزل الدرّة . ثم قال : إيذن ، فدخل رجل من الموالى كان من أشد الناس في ذلك الزمان . فقال له : هل وراءك من غيث ؟ قال : نعم ، ولكنى لا أُحسن أن أقول ما يقول هؤلاء . قال : فما تُحسن ؟ قال : أصابتني سحابة بحُلوان ، فلم أزل أطأ في أثارها حتى دخلتُ عليك . فقال : لئن كنتَ أقصرَهم في المطر خُطبة ، فإنك لأطولُهم بالسيف خُطوة . [٥ / ٣٢ - ٣٥]

(١) اليمامة : الإقليم الثاني أو الثالث ، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر ، وبينها وبين البحرين عشرة أيام ، وكانت تسمى اليمامة حَوّاً ، وهي التي افتتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه في أيام أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وقتل فيها مسيلمة الكذاب . (معجم البلدان ٥ / ٥٠٥) .

(٢) الرُّبْقُ : بالضم والكسر ، هو خيط يثنى حَلْقه ثم تجعل رأس الشاة فيه . (لسان العرب ١٠ / ١١٣) .

(٣) الكِظّة : شيء يعترى الانسان ويجده في بطنه عند الامتلاء من الطعام . (لسان العرب ٧ / ٤٥٧) .

(٤) الجِرّة : ما يخرج البعير والشاة من بطنها لتَمْضَغه ثم تبلعه . (اللسان ٤ / ١٣٠) .

٣١ - الأصمعيّ قال : بعث الحجاج إلى يحيى بن يَعمَر[١] ، فقال له : أنت الذي تقول : إنّ الحسين بن علي بن عمّ رسول الله ﷺ ابن رسول الله ، لتأتينّي بالمخرج مما قلت أو لأضربنَّ عنقك ؛ فقال له ابن يَعمر : وإن جئتُ بالمخرج فأنا آمن ؟ قال : نعم ؟ قال : إقرأ : ﴿ **وتلك حُجَّتنا أتيناها إبراهيم على قومه** ﴾ إلى قوله: ﴿ **ومن ذُريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وعيسى** ﴾[٢] فمن أقرب : عيسى من إبراهيم ، وما هو ابنُ بنته ، أو الحسين من محمد ﷺ ؟ فقال له الحجاج : والله لكأني ما قرأت هذه الآية قط ، ووَلاّه قضاء بلده ، فلم يزل بها قاضياً حتى مات . [٢ / ١٧٥] ونحوه [٥ / ٢٠]

٣٢ - قال زيد بن عمر : سمعت طاووساً[٣] يقول : بينا أنا بمكة إذ رُفعتُ إلى الحجاج بن يوسف ، فثنى لى وساداً فجلستُ ، فبينا نحن نتحدّث إذ سمعتُ صوتَ اعرابيّ في الوادي رافعاً صوته بالتّلبية ، فقال الحجاج ، عليّ بالمُلبي . فأتى به ، فقال : ممن الرجل ؟ قال : من أفناء الناس ؛ قال : ليس عن هذا سألتُك ؛ قال : فعمّ سألتني ؟ قال : من أيّ البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن ؛ قال له الحجاج : فكيف خلّفت محمد بن يوسف ، يعني أخاه ، وكان عامله على اليمن . قال : خلَفته جسيماً خرّاجاً ولاجاً ؛ قال : ليس عن هذا سألتُك. قال: فعمّ سألتني ؟ قال : كيف خلَّفت سيرته في الناس ؟ قال : خلفتَ طلوُماً غَشُوماً عاصياً للخالق مطيعاً للمخلوق . فأزورّ من ذلك الحجاج وقال : ما أقدمك على هذا ، وقد تعلم مكانه مني ؟ فقال له الأعرابيّ : أفتراه بمكانه منك أعزّ منى

---

(١) يحيى بن يعمر : أبو سليمان العدواني البصري ، الفقيه والعلامة المقريء ، قاضي مرو ويكنى أبا عديّ توفى قبل تسعين . (الذهبي : سير أعلام ٤ / ٤٤١ - ٤٤٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآيات ٨٣ - ٨٥ .

(٣) طاووس بن كيسان ، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمنيّ الجندي الحافظ الفقيه القدوة أحد علماء اليمن ، كان كثير الحج والعبادة مات سنة (١٠٦ هـ) . (الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ١٠٤ ؛ الذهبي : سير أعلام ٥ / ٣٨ - ٤٩) .

بمكاني من الله تبارك وتعالى ، وأنا وفدٌ بيته وقاضٍ دَينه ومُصدّق نبيه ﷺ .
قال : فوجم لها الحجاج ولم يُحر له جواباً حتى خرج الرجل بلا إذن . قال :
طاووس : فتبعته حتى أتى المُلتزَم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك
ألوذ ، فاجعل لي في اللَّهف إلى جوارك ، الرص بضمانك متدوحة عن مَنع
الباخلين وغنى عما في أيدي المستأثرين . اللهم عُد بفَرجك القريب ، ومعروفك
القديم ، وعادتك الحَسَنة . قال : طاووس : ثم اختفى في الناس فألقيتُه بعرفات
قائماً على قَدَميه وهو يقول : اللهم إن كنتَ لك تَقْبل حَجي ونَصَبي وتعبي ،
فلا تَحرِمني أجر المُصاب على مُصيبة ، فلا أعلمُ مصيبة أعظم ممّن وَرَد حَوضك
وانصرف محروماً من سَعة رحمتك . [٣ / ٤٢٣ - ٤٢٤]

دراسة النصوص :

النص رقم (٢٨) ذكر القيرواني نحوه[١] وأورد الرقام[٢] وابن خلكان[٣]
والكتبي[٤] وابن كثير[٥] نصوصاً قريبة منه . وبين رواية ابن عبد ربه والروايات
الأخرى خلاف في بعض نقاط :

١ - ذكر ابن عبد ربه أن الحجاج خرج متصيداً بالمدينة ؛ بينما تذكر
الروايات الأخرى ما عدا رواية الكتبي : أن الحجاج خرج من مكة يريد المدينة ،
وذلك حين فرغ من ابن الزبير[٦] .

٢ - ذكر ابن عبد ربه عن الرجل : أنه أعرابياً يرعى إبلاً له . بينما يذكر
الرقام أن الحجاج دخل بستان لآل مُنية فيه مولى لهم[٧] .

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر ص ١٨ .
(٢) العفو والاعتذار ١ / ٢٨٢ نقلاً عن الأصمعي ؛ وأيضاً ١ / ٤٣ - ٤٤ نقلاً عن العلابيّ .
(٣) وفيات الأعيان ٢ / ٣٩ - ٤٠ نقلاً عن الحسن بن محمد بن هلال الصابىء .
(٤) عيون التواريخ ٤ / ٢٦٣ .
(٥) البداية والنهاية ٩ / ١٢٧ نقلاً عن الأصمعي عن عمه .
(٦) الرقام : مصدر سابق ١ / ٢٤٣ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٢٧ .
(٧) مصدر سابق ١ / ٢٤٣ .

٣ - يذكر ابن عبد ربه أن الأعرابي لم يعرف الحجاج إلا بعد وصول أصحابه . بينما تذكر الروايات الأخرى ما عدا رواية الكتبي أن الحجاج هو الذي عرف نفسه للرجل وقال : أنا الحجاج وكشف عن لثامه[١] .

٤ - لم يذكر ابن عبد ربه اسم الأعرابي . في حين تورد الروايات الأخرى اسم الرجل مع اختلاف بينها .

٥ - تذكر الروايات الأخرى أن الرجل ادعى أنه مصاب بصرع[٢] ، أما ابن عبد ربه فلا يذكر ذلك . ولكن مع هذا الاختلاف إلا أن جميع الروايات متفقة على ترك الحجاج للرجل دون عقوبة .

النص رقم (٢٩) فيه خبر سُلّيك بن سلكه مع الحجاج ، وسُليك هذا لم يعاصر الحجاج بن يوسف[٣] . ولَعلَ الذي يقصد ابن عبد ربه هو فرعون بن عبد الرحمن المعروف بابن سُلكه[٤] ، فإنه الذي قد ضرب على اسمه في الديوان ومنع عطاؤه ، وهدمت داره ، بسبب أن أخاه خرج مع ابن الأشعث في ثورة القراء المشهورة سنة ٨٣ هـ[٥] . والرواية بكاملها أوردها الكتبي وابن كثير نقلاً عن الهيثم بن عدى[٦] . والأبيات الشعرية التي تمثل بها الحجاج بن يوسف هي لذؤيب ابن كعب بن عمرو ، وقد قالها لأبيه في يوم تياس[٧] . والنص فيه إذعان

(١) الرقام : مصدر سابق ١ / ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ ابن خلكان : مصدر سابق ٢ / ٤٠ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٢٧ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) يذكر محقق كتاب العقد أن سليك بن سلكة قتل في الجاهلية ١ / ٣٠ هامش رقم (٤) .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٨٤ .

(٥) ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٣٠ .

(٦) عيون التواريخ ٤ / ٢٥٩ - ٢٦٠ مخطوط ؛ المصدر نفسه ٩ / ١٣٠ - ١٣١ دون أن يذكر اسم ابن سلكة . انظر أحمد صفوت : جمهرة خطب العرب ص ٣٨٩ نقلاً عن ابن عبد ربه .

(٧) ابن عبد ربه : العقد ٥ / ٢٣٧ ويوم تياس كانت حرب بين بنى سعد بن زيد مناة ، وبين عمرو ابن تميم ، فقطع غيلان بنى مالك رجل الحارث بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة ، فطلبوا القصاص ، فأقسم غيلان لا يعقلها حتى تحشى عيناه تراباً ثم اقتتلوا وتياس في بلاد بنى تميم . انظر : (العقد ٥ / ٢٣٦) ، (ومعجم ما استعجم ٣٢٨) .

الحجاج إلى الحقّ وعودته إليه رغم ما اشتهر به من قساوة وظلم[١] .

والنص رقم (٣٠) أورده المؤرخون بين مطول ومختصر[٢] .

وكان الشعبي قد خرج مع عبد الرحمن بن أشعث في فتنة قراء أهل الكوفة على الحجاج ، وانهزموا أمام جيوشه ، واستطاع الشعبي أن يفلت وينجو بجلده ويهرب إلى الريّ ، وذلك سنة (٨٣ هـ) ، وقد نادى منادى الحجاج : ((من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن ، وكان قد ولاه الريّ وسار إليه ، فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبيّ)) . وتشير بعض المصادر إلى أن الشعبي وصل إلى الحجاج مقيّداً ومكبلاً بالحديد . في حين أن البعض الآخر لا يشيرون إلى ذلك ، ويجمع بين هذه الأقوال بأن الشعبي لم يكن مقيّداً في مسيره من الريّ إلى العراق ولكنه حين أدْخِل على الحجاج قيّدوه ، وهذا ما أشار إليه الشعبي نفسه من أن قتيبة بن مسلم أمير الريّ أوصى لمن بعث معه قائلاً : ((إذا نظرتم إلى خضراء واسط فاجعلوا في رجليه قيداً ، ثم ادخلوه على الحجاج))[٣] ، ومهما يكن الأمر ، فإن المصادر تتفق على أن الحجاج لم يصبه بأذى واستمع إلى اعتذاره وقبله . أما المسألة التي عرضها الحجاج على الشعبي في الفرائض وما ذكر من اختلاف الصحابة في قسمتها فتجد تفصيلها في المصنف لابن أبي شيبة كتاب الفرائض[٤] ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري[٥] .

---

(١) انظر الكتبي : المصدر السابق والصفحة .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦ / ٢٤٩ ؛ خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٨٧ – ٢٨٨ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ١٠٤ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٣٧٥ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٥٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٢٤٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٤٩٣ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١١ / ٢٥٨ – ٢٦٠ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ١٣٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٥٣ .

(٣) انظر ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١١ / ٢٥٩ .

(٤) ١١ / ٢٩٢ – ٢٩٨ .

(٥) ١٢ / ١٩ – ٢٣ .

النص رقم (٣١) ذكر أبو العرب التميمي وأبو القاسم الزجاجي مثله[١] وأورد ابن منظور رواية قريبة منه مع اختلاف بسيط[٢] . كما أورد ابن كثير نصاً قريباً[٣] . والاختلاف في نقطتين هما :

١ - ذكر ابن عبد ربه أن الحجاج بعث إلى يحيى بن يعمر ، فقال له : أنت الذي تقول : إنّ الحسين بن علي ابن عمّ رسول الله ﷺ ابنُ رسول الله ... الخ[٤].

في حين ذكر ابن منظور أن يحيى بن يعمر كان عند الحجاج فذكر الحسين بن علي ، فقال الحجاج لم يكن من ذرية النبي ﷺ فقال يحيى بن يعمر : كذبت أيها الأمير[٥] .

٢ - الخلاف الثاني : ذكر ابن عبد ربه أن الحجاج عيّنه قاضياً[٦] ، فيما ذكر ابن منظور أن الحجاج نفاه إلى خراسان[٧] .

والراجح أنه لا خلاف بينهما فإن الحجاج استدعى يحيى بن يعمر من خراسان ، وكان يحيى بن يعمر يكتب ليزيد بن المهلب على الرسائل فكانت تعجبه كتاباته التي تصل إليه من قبل يزيد ، فسأل من يكتب ليزيد ؟ فقيل له : يحيى بن يعمر . فكتب إلى يزيد يأمره بحمله إليه على البريد ، فقدم إليه ، فرآه فصيحاً[٨] . ولا عجب في ذلك فإنه كان من أفصح الناس وأعلمهم

---

(١) كتاب المحن ص ٣٣٢ ، بسند فيه الشعبي دون أن يذكر ولاية يحيى قضاء خراسان ؛ كتاب أخبار أبي القاسم الزجاجي ص ١٠١ بسند فيه الرياشي ، دون أن يذكر ولاية يحيى قضاء خراسان .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢١٢ عن طريق عاصم بن بهدلة .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٣٣ .

(٤) العقد ٢ / ١٧٥ ؛ ٥ / ٢٠ .

(٥) مصدر سابق ٦ / ٢١٢ .

(٦) مصدر سابق ٢ / ١٧٥ ؛ ٥ / ٢٠ .

(٧) مصدر سابق ٦ / ٢١٢ .

(٨) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٤١ ؛ ابن منظور : مصدر سابق ٦ / ٢١١ ، وفيه المهلب بدلاً من يزيد .

بالعربية[١] ووصفه الذهبي بأنه كان ذا لَسن وفصاحة[٢] ، ووقع بينهما الكلام عن الحسين أثناء مجالسهما . فنفاه الحجاج إلى خراسان فأقبل عليه الأمير قتيبة بن مسلم – والي خراسان بعد يزيد بن المهلب[٣] – وولّاه على قضاء خراسان[٤] .

النص رقم (٣٢) لم أعثر على من ذكره كما أورده ابن عبد ربه ، ولكن أوردت بعض المصادر الأدبية جزءً منه من باب الحكايات والنوادر وهو أن الحجاج سأل أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف ، فقال : كيف تركته ؟ قال : عظيماً سميناً . قال : ليس عن هذا أسألك . قال : تركته ظلوماً غشوماً ، قال : أوما علمت أنه أخي ؟ قال : أتراه بك أعزَّ منّي با لله[٥] . ومع هذه الجرأة لم يمس الحجاج الرجل بالسوء بل خلى سبيله[٦] . وولاية محمد بن يوسف أخو الحجاج على اليمن ، في زمن عبد الملك بن مروان ذكرها خليفة بن خياط[٧] وابن أعثم الكوفي[٨] ولما استخلف الوليد بن عبد الملك أُقِرَّ عليها حتى مات الوليد[٩] .

بعض رسائله وتوقيعاته :

٣٣ – كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم ، والِيه بخراسان : أما بعد ، فإن وكيع بن حسّان[١٠] كان بالبصرة منه ما كان ، ثم صار لصّاً

(١) ابن دريد : الاشتقاق ص ٢٦٨ .

(٢) سير أعلام ٤ / ٤٤٢ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٢٩٥ .

(٤) الذهبي : سير أعلام ٤ / ٤٤٢ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ١٥٦ ؛ ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ، المجلد الأول ص ١٨٠ ؛ انظر التنوخي : الفرج بعد الشدّة ١ / ٣٩٨ .

(٦) التنوخي : المصدر السابق ١ / ٣٩٨ .

(٧) تاريخ خليفة ص ٢٩٣ .

(٨) الفتوح المجلد الرابع ٧ / ٣٩ .

(٩) خليفة : مصدر سابق ص ٣١١ .

(١٠) وكيع بن حسّان بن قيس بن أبي سوء ، أبو مُطرف ، كان سيّد بني تميم ، وقد حبسه عبد العزيز ابن عامر عامل سجستان ، إلا أنه هرب إلى خراسان ، وكان قد اشترك مع قتيبة في حروبه ومغازيه ، وخاصة ضد الترك ، وقد بايعه الناس أميراً على خراسان . وذلك حين خلع قتيبة وخرج على سليمان . (ابن قتيبة المعارف ص ٤١٥ – ٤١٦) .

بسجِسْتان[1] ، ثم صار إلى خُراسان ، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدِم بناءَه ، واحُلل لواءه . وكان على شرطة قتيبة فعزله ، وولّى الضّبيّ[2] عم مسعود بن الخطاب .

[١ / ٥١]

٣٤ – وبلغ الحجاج أن قوماً من الأعراب يُفسدون الطريق ، فكتب إليهم : أما بعد ، فإنكم قد استخفّتكم الفِتنة : فلا عن حق تقاتلون ، ولا عن مُنكر تنهون ، وإني أهُمّ أن ترِد عليكم منّي خَيل تَنسِف الطارفَ والتّالد ، وتَدَع النساءَ أيامَى ، والأبناءَ يتامَى ، والديارَ خراباً . فلما أتاهم كتابُه كفّوا عن الطريق .

[١ / ١٥١]

٣٥ – وقّعَ في كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كَثرةَ الجراد وذَهَاب الغلات[3] وما حلّ بالناس من القحط : إذا أَزِف خراجُك فانظر لرعيّتك في مصالحها ، فبيت المال أشدّ اضطلاعاً بذلك من الأرملة واليتيم وذى العَيْلة .

– وفي كتاب قتيبة إليه أنه على عُبور النّهر ومُحاربة الترك : لا تخاطر بالمسلمين حتى تعرفَ موضع قدمك ، ومرمى سهمك .

– وفي كتاب صاحب الكوفة يُخْبره بسوء طاعتهم وما يقاسي من مُداراتهم : ما ظنّك بقوم قتلوا مَن كانوا يعبدونه .

– وفي قصة محبوس ذكروا أنه تاب : ما على المحسنين من سبيل .

– وإلى قتيبة : خُذ عسكرك بتلاوة القرآن ، فإنه أمنع من حُصونك .

– وفي كتابه إلى بعض عُماله : إيّاك والملاهي حتى تستنظف[4] خراجَك .

– وفي كتابه إلى ابن أخيه : ما رَكِبَ يهوديٌّ قبلك مِنْبراً .

---

(١) سجستان : إحدى البلدان في المشرق الإسلامي في جنوبي هراة ، وأرضها كلها رملة ، وكان يقال رام شهرستان ، وبينهما وبين هراة عشرة أيام ثمانون فرسخاً . (معجم البلدان ٣ / ٢١٤ – ٢١٥) .

(٢) الضّبيّ : هو ضرار بن الحصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي . انظر : الطبري : التاريخ ٦ / ٤٣٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٢٩٣ .

(٣) الغلة : ما يرده بيت المال ويأخذ التجار عن الدراهم . (الجرجاني : التعريفات ص ٢٠٩) .

(٤) يقال : استنطق الوالي ما عليه من الخراج استوفاه . (اللسان ٩ / ٣٣٧) .

- وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مسلم : أنت أبو عبيدة هذا القرن .
[٤ / ٢١٧ - ٢١٨]

٣٦ - كتب - الوليد - إلى الحجاج لما بلغه أنه خَرق[١] فيما خَلّف له عبد الملك ، يُنكر ذلك عليه ويُعرفه أنه على غير صواب ، فوقَّع في كتابه : لأجمعنَّ المال جَمْع من يعيش أبداً ، ولأُفرقنَّه تفريق من يموت غداً . [٤ / ٢٠٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (٣٣) لم أجد من ذكره كما هو غير المصنِّف . وذكر ابن قتيبة : ((أن الحجاج كتب إلى قتيبة بن مسلم يأمره بقتل وكيع بن حسان))[٢] .

وكان وكيع قد اختلف مع عبد العزيز بن عبد الله بن عامر - والي سجستان - حتى أُلقي في السجن ؛ غير أنه استطاع - بمكره - أن يخرج من السجن ، ومن ثم أتجه إلى خراسان ، وعليها قتيبة بن مسلم ، وأصبح من المقربين إليه وولاه بعض عمله[٣] .

النص رقم (٣٤) لم أقف على من ذكره .

وكذا النص رقم (٣٥) لكن ذكر ابن قتيبة عن طريق المدائني أن قتيبة بن مسلم كتب إلى الحجاج يشكو قلة مَرْزِئَته[٤] من الطعام وقلّة غشيانه النساء وحَصَره على المِنْبر فكتب إليه : استَكْثر من الألوان لتُصِيبَ من كل صَحْفة شيئاً ، واستَكْثِر من الطَّرُوقة[٥] تَجدْ بذلك قوَّةً على ما تريد ، وأُنزل الناس بمنزل رجل واحد من أهل بيتك وخاصّتك ، وارْمِ ببصرك أمَامك تبلُغ حاجتك[٦] .

---

(١) الخَرق : توسع في الكرم والسخاء ، يقال : تخرّق في الكرم بمعنى اتّسع . ويقال : هو يتخرَّق في السخاء إذا توسَّع فيه . (اللسان ١٠ / ٧٤) .

(٢) المعارف ص ٤١٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤١٥ - ٤١٦ .

(٤) المرزئة من الطعام : الإصابة منه . (اللسان ١ / ٨٦) .

(٥) الطروقة : زوجة الرجل ، وأنثى الفحل . (اللسان ١٠ / ٢١٦) .

(٦) عيون الأخبار ٢ / ١٧٤ .

والنص رقم (٣٦) لم أجد من ذكره من المؤرخين وغيرهم ، ويظهر أنه من توقيعات الحجاج[1] .

وهذه التوقيعات ذات معان راقية وحكم بليغة . وبعضها غير واضح المعنى مثل كتابه لابن أخيه .

خطبه :

٣٧ - قال مالك بن دينار[2] : غدوت للجمعة قريباً من المنبر ، فصعد الحجاج ، ثم قال : إمرؤ حاسب نفسه ، امرؤ راقب ربه ، امرؤ زوّر عمله[3] . امرؤ فكّر فيما يقرؤه زاجراً ، امرؤ أخذ بغيان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جَمَله ، فإن قاده إلى حق تبعه ، وإن قادهُ إلى معصية الله كفّه . إننا والله ما خُلقنا للفناء ، وإنما خُلقنا للبقاء ، وإنما ننتقل من دار إلى دار . [٤ / ١١٧]

٣٨ - أراد الحجاج أن يحجّ . فاستخلف محمداً ولده على أهل العراق ، ثم خطب فقال : يا أهل العراق ، إني أردتُ الحج وقد استخلفتُ عليكم محمداً ولدي ، وأوصيتُه فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأنصار فإنه أوصى فيهم أن يقبل من مُحسنهم ، ويتجاوز عن مُسيئهم ، وإني أوصيته ألا يقبل من مُحسنكم ، وألاّ يتجاوز عن مُسيئكم . ألا وإنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفي : لا أحسن الله له الصحابةَ . وأنا أعجل لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل . [٥ / ٤٧] ونحوه [٤ / ١١٩]

٣٩ - ذكروا أن الحجاج مَرض ففرح أهل العراق ، وقالوا : مات الحجاج .

---

(١) أحمد صفوت : جمهرة رسائل العرب ٢ / ٥٧٨ .

(٢) مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى ، كان عابداً زاهداً ومات سنة ٢٣٠ هـ . (انظر ابن حجر : التقريب ص ٥١٧) .

(٣) زوّر عمله : حسنه وزينه . (المعجم الوسيط ١ / ٤٠٦) .

فلما بلغه تحاملَ حتى صَعِد المنبر فقال : يا أهل الشقاق والنفاق ، نفخ ابليس في مناخِركم فقُلتم : مات الحجاج ، مات الحجاج . فَمه ، وا لله ما أحب ألا أموت . وما أرجو الخير كُلّه إلاّ بعد الموت ، وما رأيت ا لله عز وجلّ كتب الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه ، إبليس . ولقد رأيت العبد الصالح سأل ربّه قال : ﴿ **ربّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾[1] ففعل ثم اضمحل كأن لم يكن .

[٤ / ١٢٣] ونحوه [٥ / ٤٦ - ٤٧]

٤٠ - خطب الحجاج أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إني لم أجد لكم دواء لدائكم من هذه المغازى والبُعوث ، لولا طيب ليلة الأياب ، وفَرْحة القَفَل[2] ، فإنها تُعْقِب راحة ؛ وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الرّاحة بكم . وما أراكم إلا كارهين لمقالتي ، وإني وا لله لرديتكم أكره . ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمّلت نفسي مقاساتكم ، والصبر على النظر إليكم ، وا لله أسأل حُسن العون عليكم، ثم نزل.

[٤ / ١١٩]

٤١ - قال الهيثم بن عدى : خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السُّوق ، فراعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد ا لله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساويء الأخلاق ، وبنى اللّكيعة[3] ، وعَبيد العصا ، وأولاد الإماء ، والفَقْع[4] بالقرقرة[5]. إني سمعتُ تكبيراً لا يراد به ا لله ، وإنما يراد به الشيطان ، وإنما مثلى ومثلكم

---

(١) سورة ص ، الآية ٣٥ .

(٢) القفل : الرجوع . (اللسان ١٢ / ٥٦٠) .

(٣) اللّكيعة : اللئيمة .

(٤) الفقع : الكمأة البيضاء الرخوة .

(٥) القرقر : الأرض المنخفضة .

ما قال ابن برّاق الهمداني[1] :

وكنتُ إذا قوم غَزَوني غَزَوتُهم ... فهل أنا في ذا يالَهَمْدان ظالم

متى تَجْمعَ القلب الذّكيّ وصارماً ... وأنفاً حَمِيّاً تجْتَنِبْك المظالم

أما وا لله لا تقرع عصاً بعصاي إلا جعلتُها كأس الدابر . [٤ / ١١٥]

٤٢ - قام خطيباً فحمد ا لله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّ ا لله تبارك وتعالى نَعى نبيكم ﷺ إلى نفسه فقال : ﴿ **إنك ميتٌ وإنهم ميّتون** ﴾[2] . وقال : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبل الرُّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** ﴾[3] . فمات رسول ا لله ﷺ ، ومات الخلفاء الراشدون والمهتدون المهديّون ، ومنهم أبو بكر وعمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاوية ، ثم وَليكم البازل[4] الذّكر ، الذي جَرَّبته الأمور ، وأحكمته التَّجارب ، مع الفقه ، وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللّين لأهل الحق ، والوطء[5] لأهل الزّيغ ، فكان رابعاً من الوُلاء المهديين الراشدين ، فاختار ا لله له مما عنده ، والحقه بهم ، وعهد إلى شبيهه في العقل والمروءة والحزم والجَلَد والقيام بأمر ا لله وخلافته ، فاسمعوا له وأطيعوه أيها الناس . وإيّاكم والزَّيغ ، فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله . ورأيتم سِيرتي فيكم ، وعرفتُ خِلافكم ، وقَبلتكم على معرفتي بكم ، ولو علمتُ أنّ أحداً أقوى عليكم منّي أو أعرف بكم ما وليتكم ، فإياي وإياكم ، من تكلّم قتلناه ، ومن سَكت مات بدائه غمّاً ثم نزل . [٤ / ١٢٢]

---

(١) ابن براق : هو الشاعر عمرو بن الحارث بن منية بن سهر بن سهم الهمداني ؛ وبراقة أمه ، ينسب إليها . ابن بدران : (تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٧٣) وانظر محمد أبو الفضل إبراهيم محقق كتاب شرح نهج البلاغة ١ / ٣٤٣ هامش (٤) .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٤ .

(٤) البازل : الرجل الكامل في تجربته ، ويقصد عبد الملك بن مروان . (اللسان ١٢ / ٥٢) .

(٥) الوطء : في الأصل : الدوس بالقدم ، والوطأة : الأخذة الشديدة . (اللسان ١ / ١٩٧) .

٤٣ – خطب الحجاج فقال : اللهم أرني الغيّ غيّاً فاجتنبَه ، وأرني الهُدى هدىً أتبعه ، ولا تكلني إلى نفسي فأضلّ ضلالاً بعيداً . وا لله ما أحبّ أن ما مضى من الدنيا لى بعمامتي هذه ، ولما بقي منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء .
[٤ / ١١٥]

٤٤ – خطب فقال في خطبته : سوطي سيفي ، ونجاده في عنقي ، قائمة في يدي وذبابة قلادة لمن اغترّ بي . فقال الحسن : بؤساً لهذا ، ما أغرَّه با لله .
[٤ / ١٢٤]

٤٥ – خطب الحجاج في يوم جمعة فأطال الخطبة ، فقام إليه رجل فقال : إن الوقت لا ينتظرك ، والربَّ لا يعذرك . فأمر به إلى الحبس فأتاه آلُ الرجل وقالوا : إنه مجنون ، فقال إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خَلّيت سبيله . فقال الرجل : لا وا لله ، لا أزعمُ أنه ابتلاني وقد عافاني . [٤ / ١٢٣]

٤٦ – اتقوا ا لله ما استطعتم ، فهذه لله وفيها مثوبة . ثم قال : واسمعوا وأطيعوا ، فهذه لعبد ا لله وخليفة ا لله وحبيب ا لله[1] عبد الملك بن مروان . وا لله لو أمرتُ الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذُوا في باب غَيْره لكانت دماؤهم لي حلالاً من ا لله ، ولو قُتل ربيعة ومضر لكان لي حلالاً . عذيرى من هذه الخمراء ، يرمى أحدهم بالحجر إلى السماء ، ويقول : يكون إلى أن يقع هذا خير . وا لله لأجعلنكم كأمس الدّابر . عَذِيرى من عَبْد هُذيل[2] ، إنه زعم أنه أمِن عند ا لله ، يقرأ القرآن كأنه رجز الاعراب ، وا لله لو أدركتُه لقتلتُه .
[٤ / ١١٧ – ١١٨]

٤٧ – حمد ا لله وأثنى عليه ثم قال : إن ا لله كفانا مئونة الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، فليت ا لله كفانا مَئونة الآخرة ، وأمرنا بطلب الدنيا . مالي أرى عُلماءكم يُدهنون ، وجُهّالكم لا يتعلمون ، وشِرارَكم لا يَتُوبون ! مالي أراكم

---

(١) حبيب ا لله ليس في سنن أبي داود .

(٢) عبد هذيل : المراد عبد ا لله بن مسعود الهذلي . راجع مختصر سنن أبي داود ٧ / ٢٦ .

تحرِصون على ما كُفِيتم ، وتُضيعون ما به أُمِرْتم ! إنَّ العِلم يُوشك أن يُرفع ، ورُفْعه ذهابُ العلماء . ألا وإنِّي أَعْلم بشراركم من البيطار بالفَرس : الذي لا يَقْرءون القرآن إلا هُجْراً[1] ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبراً[2] . ألا وإنّ الدنيا عَرَض حاضر ، يأكل منها البَرّ والفاجِر . ألا وإنَّ الآخرةَ أجَلُ مستأخر ، تحكم فيه ملك قادر . ألا فاعلموا وأنتم من الله على حَذَر ، واعلموا أنّكم مُلاقوه ، لِيَجْزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنى . ألا وإنّ الخيرَ كلّه بحذافيره في الجَنَّة ، ألا وإنّ الشر كلّه بحذافيره في النار ، ألا وإن من يعمل مِثقال ذَرّة خيراً يَرَه ، ومن يعمل مِثْقال ذَرّة شرّاً يَرَه ، واستغفر الله لي ولكم .
[٤ / ١١٨]

٤٨ - ثم يتَكلّم رويداً فلا يكاد يُسمع ، ثم يتزيد في الكلام ، فيخرج يده من مطرفه ، ثم يزجر الزَّجرة فيقرع بها أقصى من في المسجد . [٥ / ٣٠]

٤٩ - أبو الحسن المدائني قال : أخبرني من دخل المسجد ، والحجاج على المنبر ، وقد ملأ صوته المسجد بأبيات سويد بن أبي كاهل اليَشْكري حيث يقول :

رُبّ من انضجتُ غيظاً صَدره ... قد تمنّى لي موتاً لم يُطع
ساء ما ظَنُّوا وقد أبليتُهم ... عند غايات المدى كيف أقع
كيف يرجون سِقاطي بعد ما ... شَمِل الرأس مشيب وصلع

[٥ / ٣٦]

٥٠ - وخطب الحجاج أهل العراق ، فقال : يا أهل العراق ، بلغني أنكم تروون عن نبيكم أنه قال : من ملك عشرة رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عُنقه ، حتى يفكّه العَدل أو يوبقه الجوز . وأيم الله ، إني لأحبُّ إليّ أن أُحشر مع أبي بكر وعمر مغلولاً من أن أحشر معكم مطلقاً .
[٥ / ٤٦]

---

(١) الهجر : الترك والاغفال .

(٢) دبراً : أي في آخر وقتها .

٥١ - فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج ، فلما كان بالعشيّ أتاه بريد من اليمن بوفاة محمد أخيه . ففرح أهل العراق ، وقالوا انقطع ظهرُ الحجاج وهيض جناحُه فخرج فصعد المنبر ثم خطب الناس ، فقال : أيها الناس ، محمدان في يوم واحد ! أما وا لله ما كنت أُحب أنهما معي في الحياة الدنيا لما أرجو من ثواب ا لله لهما في الآخرة . وأيم ا لله ، ليُوشكنّ الباقي منى ومنكم أن يَفْنى ، والجديد أن يبلى والحيّ منى ومنكم أن يموت ، وأن تُدال الأرض منّا كما أدلنا منها ، فتأكل من لُحومنا وتشرب من دمائنا ، كما قال ا لله تعالى : ﴿ **ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾[1] . ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائي نبيُّ ا لله من كل ميتٍ ... وحسبي ثوابُ ا لله من كل هالك
إذا ما لقيتُ ا لله عني راضياً ... فإنّ سُرور النّفس فيما هُنالك

ثم نزل وأذن للناس فدخلوا عليه يُعزونه ، ودخل فيهم الفرزدق فلما نظر إليه قال : يا فرزدق ، أما رثيتَ محمداً ؟ قال : نعم أيها الأمير وأنشد :

لئن جزع الحجاج ما من مُصيبة ... تكون لمحزون أمضّ وأوجعا
من المصطفى والمنتقى من ثقاته ... جناحاه لما فارقاه وودّعا
كلاهما عتيق فارقاه كلاهما ... ولو نُزعا من غيره لتضَعْضَعا
ولو أن يَومْي جمعتنيه تتابعاً ... على شامخ صعب الذرى لتصدّى
سميّا رسول ا لله سماهما به ... ابُ لم يكن عند الحوادث أخضعا

قال : أحسنتَ وأمر له بصلة . فخرج وهو يقول : وا لله لو كلفّني الحجاج بيتاً سادساً لضرب عنقي قبل أن آتيه به ، وذلك أنه دخل و لم يُهيء شيئاً .

[٥ / ٤٧ - ٤٨] ونحوه [٤ / ١٢٢ - ١٢٣]

٥٢ - ولما مات محمد بن الحجاج جزع عليه جَزعاً شديداً ، وقال : إذا غسَّلتموه وكفَّنتموه فأذنوني ، ففعلوا ، فنظر إليه وقال متمثّلاً :

---

(١) سورة يس ، الآية ٥١ .

الان لما كنتَ أكمل من مشى ... وافترّ نابُك عن شباه القارِحِ[1]
وتكاملت فيك المُروءة كلها ... وأعنت ذلك بالفعل الصالح

فقيل له : اتق ا لله واسترجع ؛ فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . [٣ / ٢٣٠]

دراسة النصوص :

تمثل هذه الخطب على تنوعها سياسة الحجاج بن يوسف تجاه أهل العراق وما يلقاه من العنت منهم وما يتحمله أهل العراق من شدة أميرهم الغشوم الحازم الذي وطد أركان الحكم الأموي في المشرق وقمع المعارضة الشديدة ، وحاول أن يشغلهم بالمغازي ، ولا شك أن بعضاً من هذه الخطب مزورة عليه أو مزاد فيها ، لكنها مع هذا تعكس الحالة النفسية لأهل العراق ولأميرهم وتحكي العلاقة المتوترة ، وشدة المعارضة لسياسته والتي أنعكس تصويرها في تلك الخطب بالتحدي والإثارة من الحجاج ، والتنفيس عمّا يجد أهل العراق بتلك الأقاويل والدعايات التي تشوه صورته وتشفي شيئاً من غليلهم .

... : أظنه ، فما الرأي عندك ؟ قلت : يا أبا جعفر ، قد تكلّفت ، فإن ...

(٢) ... : انه حدث أمر وليس وا لله كائناً فيه إلا ... فيه بما جاء ؛ قالت : وما هو ؟ قال : ان أمير المؤمنين بعث يطلبك ، فإن تهوين فذاك ، وإلا وا لله لا يكون أبداً ؛ قالت : ما شيء لك فيه هوىً ولا أظن فيه فرجا عنك إلا فديته بنفسي ، وارسلت عينيها بالبكاء ؛ فقال ...

وصائف ودعا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار ، ودعا مولاة له كانت تلي ...

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٢ / ١٤١

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٢٠٦ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ / ٢٤٥ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٥٣ بسند فيه المنقري عن أبي عبد الرحمن العتبي عن أبيه ؛ ابن الجوزي ... ٦ / ٢١٨ من طريق محمد بن عائشة

وعبارات سقيمة ، وفي ثبوتها نظر .

النص رقم (٣٩) فيه خطبة الحجاج لما بلغه أن الناس فرحوا بمرضه وأشاعوا موته ، وقد أورد هذه الخطبة بعض المؤرخين[١] .

النص رقم (٤٠) ويحكي أسلوباً من أساليب الحجاج في معالجة وضع أهل العراق وأن اشغالهم بالمغازي والبعوث من أنجع الوسائل ، ونتيجة لهذه السياسة فقد توسعت رقعة الخلافة في إمرته ، وكثرت الفتوح ، وخاصة في بلاد الهند وما وراء النهر ، وقد برز في عهده عدد من الفاتحين أمثال : قتيبة بن مسلم ، ومحمد بن القاسم الثقفي .

وقد انفرد ابن عبد ربه بذكر هذه الخطبة ، فلم أجدها في غيره من المصادر .

النص رقم (٤١) ذكر الجاحظ وابن أبي الدنيا نحوه[٢] ، وأورد الطبري رواية قريبة منه[٣] ، مع تفاصيل أخرى ، وذكره الثعالبي مختصراً[٤] ، وابن عساكر وابن أبي حديد[٥] والعُصامي[٦] . ويؤرخ الطبري هذه الحادثة في اليوم الثالث من قدومه إلى العراق[٧] ، ويظهر أن الحجاج في هذه الخطبة لم يقتصر على التهديد والإنذار والوعيد بل سب أهل العراق وشتمهم وأقذع في نعتهم ، ثم ختمها بتأهبه التام للقضاء على كل محاولة يريدون بها المخالفة أو يبتغون بها الفتنة[٨] .

---

(١) المدائني : كتاب التعازي ص ٥١ ؛ ابن قتيبة : المصدر السابق ٢ / ٢٤٤ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ١٥٠ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ٣٤٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ٥ / ٢٠٨٠ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٦ / ٢٣٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٤٤ .

(٢) البيان والتبيين ٢ / ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٢٠٦ نقلاً عن عمر بن شيبة .

(٤) ثمار القلوب ص ٦٢٨ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ١٢ / ١٣٩ ؛ شرح نهج البلاغة ١ / ٣٤٣ - ٣٤٤ ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٦٢ مختصراً .

(٦) سمط النجوم العوالي ٣ / ٧٩ .

(٧) الطبري : مصدر سابق ٦ / ٢٠٦ ؛ وانظر الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٥١ .

(٨) انظر علي صافي : الحجاج حياته وخطابته ص ٥١ .

النص رقم (٤٢) أورده ابن عبد ربه بدون إسناد . ولم أجد من ذكره من المؤرخين ، ونقلها صاحب جمهرة خطب العرب[١] ، ويبدو أن هذه الخطبة كانت بعد وفاة عبد الملك ، ويلاحظ في الخطبة عدم ذكر اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخلفاء الراشدين – رضوان الله عليهم – مع ذكر اسم معاوية رضي الله عنه . وهذه إن ثبتت دليل على صحة ما يرمى به من النصب[٢] ومعاداة أهل بيت النبوة كما هو مذهب النواصب[٣] .

النص رقم (٤٣) ذكر هذه الخطبة الجاحظ[٤] وهي خطبة جميلة الألفاظ والمعاني .

النص رقم (٤٤) أورد الكتبي مثله[٥] . وفيه تهديد الحجاج لدعاياه في العراق وخاصة المخالفين لأمر الخلافة والخارجين عليها .

النص رقم (٤٥) أورده ابن عبد ربه بدون إسناد وذكر الجاحظ[٦] والمرتضى[٧] مثله .

ونقل ابن كثير أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حملك على ذلك ؟ فقال : إنما نجيء للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تفتق[٨] ماشئت بعد من تفتقه[٩] . فلعل هذه حادثة أخرى

---

(١) أحمد صفوت : جمهرة خطب العرب ص ٢٨٤ .

(٢) راجع الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٣٩ .

(٣) عن مذهب النواصب انظر ابن أبي العز الدمشقي : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٢ / ١٣٧ ؛ وانظر صافي : الحجاج حياته وخطابته ص ٥٥ وقد نقل الخطبة من العقد .

(٥) عيون التواريخ ٤ / ٢٦١ مخطوط .

(٦) البيان والتبيين ٢ / ٢٩٨ نقلاً عن أبي الحسن المدائني .

(٧) أمالي المرتضى ١ / ٢٩٨ .

(٨) تفتق : تفتق فلان بالكلام : أنطق به لسانه .

(٩) البداية والنهاية ٩ / ١٢٧ وذكره بصيغة التضعيف فقال : وَرُوي عن شهر بن حوشب وغيره .

وقعت مع ابن عمر في الحجاز .

النص رقم (٤٦) أورده أبو داود في سننه من طريقين[١] ، كما أورد النص ابن أبي الدُّنيا[٢] والمسعودي[٣] وابن عساكر[٤] . وتوجد زيادات في النص ليست عند أبي داود ، مما يؤكد قلة عناية بعض الاخباريين والأدباء بضبط النصوص كما هو ديدن المحدثين . وقد علق الشيخ محمد حامد الفقي في تحقيقه لتهذيب سنن أبي داود للمنذري على مواضع من الخطبة فقال : كذب الحجاج ، فلقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يقرأوا القرآن على قراءة ابن أم عبد الله بن مسعود . وإنما سياسة الدنيا والرياسات حملت الحجاج أن يقول هذا[٥] . وقال عند قوله في الخطبة : ((ولو أخذت ربيعة بمضر ...)) وما كان للحجاج أن يخالف صريح أمر الله في قوله تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ ولكن قاتل الله السياسة ورياسة الدنيا فهي التي جعلته وغيره يتأولون التأويلات التي توقع في هذه المخالفات الصريحة لهدى رسول الله ﷺ [٦] .

النص رقم (٤٧) لم أجد من ذكره من المؤرخين[٧] . ولم يسنده ابن عبد ربه . وهي خطبة وعظية تدل على بلاغة الحجاج وقدرته البيانية .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب الأمراء ٤ / ٢١٠ حديث رقم ٤٦٤٣ من طريق : محمد بن العلاء ، حدثنا أبو بكر (وهو ابن عياش) عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول : فذكره ، وبرقم ٤٦٤٥ من طريق : قطن بن نسير ، حدثنا داود بن سليمان عن شريك عن سليمان الأعمش : فذكره نحوه .

(٢) الاشراف في منازل الأشراف ص ١٣٥ - ١٣٦ من طريق أبي القاسم واصل بن عبد الأعلى الأسدي ، وهو ثقة ، قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم .

(٣) مروج الذهب ٣ / ١٥١ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٢ / ١٥٩ بسند أبي داود ؛ انظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٧٤ .

(٥) تهذيب سنن أبي داود ٧ / ٢٦ ؛ انظر حاشيته على مختصر أبي داود للمنذري ٧ / ٢٦ .

(٦) نفس المصدر ٧ / ٢٧ .

(٧) أورد أحمد صفوت في جمهرة خطب العرب ص ٢٨٢ - ٢٨٣ هذه الخطبة من بين خطب الحجاج نقلاً عن ابن عبد ربه .

النص رقم (٤٨) لم أجد من ذكره . وفيه ما كان يصنع الحجاج أثناء خطبته على المنبر ، حتى يستجلب سامعيه .

والنص رقم (٤٩) أورده ابن العديم[١] .

أما النص رقم (٥٠) فلم أجد من أشار إليه ، وما نسب فيه من الحديث إلى النبي ﷺ لم أقف عليه ، ولا أظنه يصح بهذا اللفظ .

النصان رقم (٥١ ، ٥٢) تضمنا وفاة محمد بن الحجاج ، ومحمد بن يوسف في يوم واحد ، وخطبة الحجاج في ذلك ورثاؤه لهما . وقد أشارت المصادر إلى ما يؤكد ذلك[٢] ، وذكرت الخطبة[٣] ، والشعر[٤] ، وأورد المدائني النص الأخير كاملاً[٥] .

وقد ذكر هذا القول البلاذري ونسبه إلى أيوب بن القرية[٦] .

وفاة الحجاج بن يوسف :

٥٣ - مات الحجاج بن يوسف في آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، فَتَفَجّع عليه الوليد وولّى مكانه يزيدَ بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، فكفَى وجاوز . فقال الوليدُ : مات الحجّاج ووليّتُ مكانَه يزيد بن أبي مُسلم ، فكنت كمن سَقط منه درهم وأصاب ديناراً . وكان الوليدُ يقول : كان عبد الملك يقول : الحجاج جِلْدة ما بين عينيّ وأنفي . وأنا أقول : إنه جلدةُ وجهي كُلّه .

[٥ / ٥٥]

---

(١) بغية الطلب ٥ / ٢٠٨٧ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١ / ٢٤٤ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ١٠٦ ؛ الزمخشري : ربيع الأبرار ص ١٩٣ ؛ أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر مجلد ٣ قسم ٢ ص ٢٥٩ ؛ الكتبي : عيون ٤ / ٥١ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ؛ ابن نباته : سرح العيون ص ١٨٤ .

(٣) انظر المصادر السابقة .

(٤) الشعر والشعراء ١ / ٤٣٢ ؛ وانظر الكتبي : المصدر السابق والصفحة .

(٥) كتاب التعازي ص ٥٨ - ٥٩ ، ص ٤١ .

(٦) فتوح البلدان ص ٢٨٨ .

٥٤ – لما مات الحجاج دخل الناس على الوليد يعزُّونه ويثنون على الحجاج خيراً ، وعنده عمر بن عبد العزيز ، فالتفت إليه ليقول فيه ما يقول الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين وهل كان الحجاج إلاّ رجلاً منا ؟ فرضيها منه . [٥ / ٥٧]

٥٥ – قال : ولما بلغ عمر بن عبد العزيز موت الحجاج خرّ ساجداً وكان يدعو الله أن يكون موتُه على فراشه ليكونَ أشدَّ لعذابه في الآخرة . [٥ / ٥٥]

دراسة النصوص :

النص رقم (٥٣) يحدد تاريخ وفاة الحجاج بن يوسف في أواخر خلافة الوليد بن عبد الملك .

وتذكر المصادر أن وفاته كانت في شهر رمضان سنة خمس وتسعين[١] . وقيل في شهر شوال[٢] بمدينة واسط[٣] عن عمر يناهز ثلاث وخمسين سنة[٤] وقيل أربع وخمسين[٥] وقيل خمس وخمسين[٦] . في حين كانت وفاة الوليد بن

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٩ ؛ ص ١٧٤ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٧٤ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٩٣ ؛ الجهشياري : الوزراء ص ٤٣ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٩٣ ؛ ابن الجوزي : شذور العقود لوحة ٢٢٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨٤ ؛ ابن العديم : بغية الطلب ٥ / ٢٠٩٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٧٢ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٣٢ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ٣٤٣ .

(٢) الطبري : مصدر سابق ٦ / ٤٩٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٤ ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ٤ / ٥٨٤ ؛ ابن العديم : مصدر سابق ٥ / ٢٠٩٣ ؛ الكتبي : مصدر سابق وصفحة .

(٣) ابن قتيبة : مصدر سابق ١٥٧ ؛ ص ١٧٤ ؛ الطبري : مصدر سابق ٦ / ٤٩٣ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٧٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٤٥ .

(٤) خليفة : تاريخ ص ٣٠٧ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٧ ؛ الطبري : مصدر سابق ٦ / ٤٩٣ ؛ ابن الجوزي : مصدر سابق ٧ / ٤ ؛ ابن منظور : مصدر سابق ٦ / ٢٣٢ .

(٥) المسعودي : مصدر سابق ٣ / ١٧٥ ؛ الطبري : مصدر سابق ٦ / ٤٩٣ ؛ ابن الجوزي : مصدر سابق ٧ / ٤ ؛ الكتبي : مصدر سابق وصفحة ، ابن منظور : مصدر سابق ٦ / ٢٣٢ .

(٦) ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٤٥ .

عبد الملك في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين[1] كما تقدم . وأن الذي خلفه في ولاية العراق هو يزيد بن أبي مسلم ، فقد ثبت أن الحجاج بن يوسف لما حضرته الوفاة استخلف يزيد بن أبي مسلم على خراج العراق[2] ، فأقره الوليد بعد موته ولم يغيّر أحداً من عمال الحجاج[3] .

أما قول الوليد بن عبد الملك : ((بأن عبد الملك كان يقول : أن الحجاج جلدة ما بين عيني وأنفي ، وأنا أقول : إنّه جلدة وجهي كُلّه)) . فقد أورده الجاحظ في عدة مواضع من كتابه البيان والتبيين[4] . كما أورد ابن قتيبة الدينوريّ مثل ذلك[5] وجلدة ما بين العينين أو ما بين العين والأنف معناها : هو مثلها في مكان العزة والقرب . وهذا دليل على مكانة الحجاج عند عبد الملك وابنه الوليد لما تميز به من ضبط الأمور لهما في أمارته على العراق .

وأما النصان (٥٤ ، ٥٥) فلم أجد من ذكرهما غير المصنِّف لم يسندهما . وعمر بن عبد العزيز لم يكن يرضى النيل بالحجاج أو شتمه ، بل وكان ينهى عن ذلك ، وقال للذي شتم الحجاج عنده – وهو رباح بن عبيدة – ((مهلاً يا رباح ، فإنه بلغني أن الرجل يظلم بالمظلمة ، ولا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه ، حتى يستوفي حقه ، ويبقى للظالم الفضل عليه))[6] .

وفي النص الأخير منهما ألفاظ منكرة ، لا يتوقع صدورهما من عمر بن عبد العزيز مع علمه وفضله .

الأقوال في الحجاج :

---

(١) خليفة : مصدر سابق ص ٣٠٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق المجلد ١٧ القسم الثاني رقم ٨٥١ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٧٢ .

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٤٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٥٨٤ .

(٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ٤ / ٥٨٤ .

(٤) البيان والتبيين ١ / ٢٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ .

(٥) عيون الأخبار ٢ / ٤٩ .

(٦) انظر ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٢٩ .

٥٦ – ميمون بن مهران عن الأجلج ، قال : قلت للشعبي : يزعمُ الناس أن الحجاج مُؤمن . قال : مُؤمن بالجبت والطاغوت كافر با لله . [٥ / ٥٠]

٥٧ – علي بن عبد العزيز عن إسحاق بن يحيى عن الأعمش[1] ، قال : اختلفوا في الحجاج فقالوا : بمن ترضون ؟ قالوا : بمجاهد[2] . فأتوه ، فقالوا : إنا قد اختلفنا في الحجاج . فقال : أجئتم تسألوني عن الشيخ الكافر ؟ . [٥ / ٥٠]

٥٨ – محمد بن كثير عن الأوزاعي[3] قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : كان الحجاج بن يوسف ينقضُ عرى الاسلام عروة عروة . [٥ / ٥٠]

٥٩ – عطاء بن السائب ، قال : كنت جالساً مع أبي البختريّ[4] ، والحجاج يخطب ، فقال : في خطبته : إنّ عثمان عند ا لله كمثل عيسى بن مريم ، قال ا لله فيه : ﴿ **إنّي متوفّيك ورافعك إليّ ومُطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين**

---

(١) الأعمش : هو سليمان بن مهران الأسديّ الكاهليّ مولاهم ، أبو محمد ، علامة الإسلام ، ومحدّث الكوفة وعالمها ، كان أَقرأ الناس لكتاب ا لله وأعلمهم بالفرائض وأحفظهم للحديث ، كان عابداً حتى قيل أنه لم تفته التكبيرة الأولى من سبعين سنة . توفي سنة ثمان وأربعين ومئة . (الذهبي : العبر ١ / ١٦٠ – ١٦١) .

(٢) مجاهد بن جَبْر ، أبو الحجَّاج المَكّي ، الأسود ، مولى السائب بن أبي السائب المخزوميّ ، الإمام ، شيخ القراء والمفسِّرين ، وكان ثقة ، وثقه يحيى بن معين وطائفة ، سكن الكوفة بأخره ، مات سنة ثلاث ومئة ، وقيل سنة أربع أو ثمان ، أو سبع ومئة . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٥٦) .

(٣) الأوزاعيّ : هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعيّ ، والأوزاع بطن من همدان ، وهو من انفسهم ، ولد سنة ثمان وثمانين ، كان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلاً خيّراً كثير الحديث والعلم والفقه حُجّة ، توفى سنة سبع وخمسين ومئة . انظر : (ابن سعد : الطبقات الكبرى ٧ / ٤٨٨) .

(٤) أبو البختريّ : هو سعيد بن فيروز ابن أبي عمران الطائي مولاهم الكوفي ، ثقة ثبت فيه تشيع قليل الإرسال من الثالثة ، مات سنة ثلاث وثمانين ومئة . انظر : (ابن حجر : التقريب ص ٢٤٠) .

اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾[1] . فقال أبو البختريّ : كفر وربِّ الكعبة . [٥ / ٥٠ - ٥١]

٦٠ - أبو أمية[2] عن أبي مُسهر[3] قال : حدّثنا هشام بن يحيى عن أبيه قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم .
[٥ / ٤٩]

٦١ - وحلف رجل بطلاق امراته إن الحجاج في النار . فأتى امرأته فمنعتْه نفسها . فسأل الحسن بن أبي الحسن البصري . فقال : لا عليكَ يابن أخي ، فإنه إن لم يكن الحجاج في النار فما يضُرّك أن تكون مع امرأتك على زنى .

[٥ / ٤٩] نحوه [٤ / ١٢٤] وفيه أن المسؤول ابن شبرمة بدلاً من الحسن البصري

٦٢ - أبو أمية عن إسحاق بن هشام عن عثمان بن عبد الرحمن الجمحيّ[4] عن عليّ بن زيد ، قال : لما مات الحجاج أتيت الحسن فأخبرتُه ، فخرّ ساجداً .
[٥ / ٤٩]

٦٣ - علي بن عبد العزيز عن إسحاق عن جرير بن منصور ، قال : قلت لإبراهيم : ما ترى في لَعْن الحجاج ؟ قال : ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ **ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾[5] ، فأشهد أن الحجاج كان منهم . [٥ / ٤٩]

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٥ .

(٢) أبو أمية : هو محمد بن إبراهيم بن مسلم الخزاعي الطرسوسي ، بغدادي الأصل من طبقة الحادية عشرة ، مات سنة ١٧٣ هـ . (التقريب ص ٤٦٦) .

(٣) أبو مسهر : هو عبد الأعلى بن مُسهر الغساني من كبار العاشرة ، مات سنة ١١٨ هـ وله سبعون سنة . (التقريب ص ٣٣٢) .

(٤) عثمان بن عبد الرحمن الجُمحيُّ ، أبو عمرو ، ويقال أبو عمر البصريّ . قال البخاري : مجهول ، وقال أبو حاتم ليس بالقويّ يكتب حديثه ولا يحتج به ، توفى سنة (١٨٤ هـ) . انظر : (ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ / ١٢٠) .

(٥) سورة هود ، الآية ١٨ .

٦٤ - كثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان[١] ، قال : سألتُ ميمون بن مهران فقلت : كيف ترى في الصلاة خلف رجل يذكر أنه خارجي ؟ فقال : إنك لا تصلّي له إنما تصلّي لله ، قدكنا نصليّ خلف الحجاج وهو حَروريّ أزرقيّ . قال : فنظرت إليه ، فقال : أتدري ما الحروريُّ الأزرقيّ ؟ هو الذي إن خالفت رأيه سمّاك كافراً واستحلّ دمك . وكان الحجاج كذلك . [٥ / ٤٨]

٦٥ - أبو بكر بن عيّاش قال : سُمِعَ صِياحُ الحجاج في قبره ، فأتوا إلى يزيد ابن أبي مُسلم فأخبروه ، فركب في أهل الشام فوقف على قبره فتسمّع ، فقال : يرحمك الله يا أبا محمد . فما تدع القراءةَ حتى مَيتاً . [٥ / ٥٥ - ٥٦]

٦٦ - أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : قيل لعبد الله بن عمر : هذا الحجاج قد وَلي الحرمين . قال : إن كان خيراً شكرنا ، وإن كان شرّاً صبرنا . [٥ / ٤٩]

٦٧ - ابن أبي شيبة قال : قيل للحسن : ما تقول في قتال الحجاج ؟ قال : إنّ الحجاج عقوبةٌ من الله فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسَّيف . [٥ / ٤٩ - ٥٠]

دراسة النصوص :

النص رقم (٥٦) أورده ابن عبد ربه معلقاً عن ميمون بن مِهران ، عن الأجلح بن عبد الله الكندي ، والأجلح يتّهم بالتّشيع . وقال النسائي : ضعيف ليس بذاك ، وكان له رأي سوء[٢] . وقال إبراهيم بن يعقوب الجُوزجانيُّ : مفتري ، وكان يُعدّ من شيعة الكوفة[٣] . وبذلك تسقط الرواية لضعفه وبدعته وهذه الرواية موافقة لبدعته وهواه فلا يحتج بها . وقد أورد ابن أبي الدنيا[٤]

---

(١) جعفر بن برقان الكِلابيُّ ، مولاهم ، الجزري الرقي ، أبو عبد الله . قدم الكوفة ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان من الخيّار ، وكان مستجاب الدعوة ، صدوق من الثامنة توفى سنة ١٥٤ هـ عن عمر يناهز ٤٤ سنة . ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢ / ٧٦ - ٧٧) .

(٢) الحافظ المزى : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢ / ٢٧٨ ؛ ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ١ / ١٧١ .

(٣) المزى : المصدر السابق ٢ / ٢٧٨ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ١ / ١٧١ .

(٤) الاشراف في منازل الأشراف ص ١٣٧ .

وابن العديم[١] وابن منظور[٢] وابن كثير[٣] ما يوافق الرواية وهي كلها من طريق الأجلح .

النص رقم (٥٧) أورده ابن عبد ربه معلقاً عن علي بن عبد العزيز ، عن إسحاق بن يحيى ، عن الأعمش .

وعلي بن عبد العزيز هو المشهور بعلي بن غُراب الفَزَاريُّ ، ويقال ان غراب لقب ، قال عنه الإمام أحمد : كان يدلس ، وقال ابن نمير : له أحاديث منكرة . وقال أبو داود : ضعيف ترك الناس حديثه . وأنا لا أكتب حديثه . وقال عنه الجوزجاني : ساقط ، وقال الخطيب : أظنه طعن عليه لأجل مذهبه فإنه كان يتشيع . وقال ابن حبان : حدث بالأشياء الموضوعة فبطل الاحتجاج به وكان غالياً في التشيع . وتوفى علي بن عبد العزيز سنة (١٨٤ هـ) بالكوفة[٤] .

والنص أورده ابن عساكر في تاريخه[٥] . كما أورده ابن كثير[٦] عن يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش . ويحيى هذا صدوق يخطيء ورمي بالتشيع[٧] . وبذلك تكون الرواية ضعيفة ، ويصعب الاعتماد عليها .

النص رقم (٥٨) أورده ابن عبد ربه معلقاً عن محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي عن الأوزاعيّ عن القاسم بن محمد . ومحمد بن كثير صدوق كثير الغلط[٨] . وأورد ابن منظور[٩] وابن كثير[١٠] مثل هذه الرواية ، وكلام القاسم

---

(١) بغية الطلب ٥ / ٢٠٤٢ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٢٨ .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٤٣ نقلاً عن ابن عساكر .

(٤) انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ / ٣١٣ - ٣١٤ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ١٢ / ١٨٧ وفيه سقط ، وانظر ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٢٨ .

(٦) البداية والنهاية ٩ / ١٤٣ .

(٧) ابن حجر : التقريب ص ٥٩٥ .

(٨) ابن حجر : التقريب ص ٥٠٤ ؛ العقيلي : الضعفاء ٤ / ١٢٨ .

(٩) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٢٨ .

(١٠) البداية والنهاية ٩ / ١٤٣ .

ابن محمد الفقيه المشهور إذا ثبت فهو واضح المعنى ومستقيم فإن الأفعال المخالفة للشريعة مما ينقض عرى الإسلام .

النص رقم (٥٩) ذكره المصنف معلقاً عن عطاء بن السائب ، وعطاء اختلط في آخر عمره كما قال ابن عدى ، فمن سمع منه قديماً مثل الثوري وشعبة فحديث مستقيم . ومن سمع منه بعد الاختلاط فحديثه فيه بعض النُّكرة[١] .

وأبو البختري ثقة إلا أن فيه تشيعاً . وقد أورد ابن منظور نصاً مشابهاً[٢] . وله شاهد أخرجه أبو داود في سننه[٣] قال : حدثنا أبو ظفر عبد السلام ، حدثنا جعفر عن عون قال سمعت الحجاج يخطب وهو يقول إن مثل عثمان عند الله كمثل عيسى بن مريم ... فذكره . وهذا الإسناد حسن ، فعبد السلام بن مطهَّر الأزدي صدوق[٤] .

وجعفر هو ابن سليمان الضبعي، صدوق زاهد لكنه كان يتشيّع[٥] وعوف هو ابن أبي جميلة العبدي ، ثقة رمى بالقدر وبالتشيع[٦] .

النص رقم (٦٠) جاء بسند فيه أبو أمية عن أبي مسهر قال : حدثنا هشام ابن يحيى عن أبيه .

وأبو أمية هو محمد بن إبراهيم بن مسلم الخزاعي ، صدوق ، صاحب حديث يهم[٧] ، وأبو مسهر هو عبد الأعلى بن مُسْهِر الغساني ، ثقة فاضل[٨] ، وهشام

---

(١) المزى : تهذيب الكمال ٢٠ / ٩١ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢١٥ .

(٣) سنن أبي داود ٤ / ٢٠٩ حديث رقم (٤٦٤١) .

(٤) ابن حجر : التقريب ص ٣٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٠ .

(٦) المصدر نفسه ص ٤٣٣ .

(٧) ابن حجر : التقريب ص ٤٦٦ .

(٨) ابن حجر : المصدر نفسه ص ٣٣٢ .

ابن يحيى بن يحيى الغساني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وسكت عنه[١] ، وقال أبو حاتم الرازي : صالح الحديث[٢] . ويحيى بن يحيى الغسّاني : ثقة[٣] . وأورد المؤرخون ما يوافق الرواية بألفاظ مختلفة[٤] .

النص رقم (٦١) أورده ابن عبد ربه بدون اسناد ، وذكر مثله ابن قتيبة بدون اسناد[٥] ، ونقله ابن الجوزي عن ابن عبد ربه[٦] وأورد الكتبي مثله[٧] وما ورد في النص لا يشبه كلام أهل العلم ، فضلاً عن كلام الحسن بن أبي الحسن البصري ، العالم الجليل ، ولا يجوز نسبته لأحد من أهل العلم لما فيه من الكلام الساقط المخالف للشرع ، ومن المعلوم أنه لا يقطع لأحد من أهل القبلة بالنار كما هو مذهب السلف .

النص رقم (٦٢) فيه : عثمان بن عبد الرحمن القريشي الجُمحيّ ، قال فيه البخاري : مجهول ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي[٨] ، وكذلك علي بن زيد بن جدعان ، فإنه ضعيف[٩] .

---

(١) كتاب الثقات ٩ / ٢٣٢ .

(٢) الجرح والتعديل ٩ / ١٩٧ .

(٣) ابن حجر المصدر السابق ص ٥٩٨ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٥ من طريق المدائني ، وفيه : « إذا أتت فارس بأكاسرتها ، والروم بقياصرتها أتينا بالحجاج فكان عدلاً بهم » ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨٦ من طريق الأوزاعي ، وفيه : « لو تخابثت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم » ؛ ابن العديم : بغية الطلب ٥ / ٢٠٤٣ - ٢٠٤٤ من طريق صالح بن سليمان ، ويوافق عبارة ابن الأثير ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٧٤ ويوافق عبارة ابن الجوزي ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٣٩ نقلاً عن البيهقي ، ويوافق عبارة ابن الأثير وكرر في ٩ / ١٤٢ .

(٥) عيون الأخبار ٢ / ٢٤٥ .

(٦) المنتظم ٧ / ٤ .

(٧) عيون التواريخ ٤ / ٢٦١ مخطوط .

(٨) المزي : تهذيب الكمال ١٩ / ٤٣٢ .

(٩) ابن حجر : التقريب ص ٤٠١ .

وقد ذكره ابن العديم[١] وابن منظور[٢] ، وابن كثير[٣] .

النص رقم (٦٣) فيه علي بن عبد العزيز تقدم تضعيف ابن حبان له ، إضافة إلى تدليسه وتشيعه . أما إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، فقد تكلم في رواياته وخاصة سماعه من جرير[٤] . وله شاهد عند ابن سعد في الطبقات[٥] باسناد صحيح ، وقد ذكره بعض المؤرخين[٦] . وجواب إبراهيم النخعي الفقيه المشهور واضح ومقصوده أنه يجوز لعن الظالمين كما هو لفظ القرآن ، أما المعين فلا يلعن ، هكذا جرت السنة عند أهل العلم .

النص رقم (٦٤) لم أجد من ذكره غير ابن عبد ربه ، وقد ساقه معلقاً على طريقته في نقل النصوص . وكثير بن هشام الطلابي أبو سهل الرقي ثقة من التاسعة[٧] . وجعفر بن برقان الكلابي الرقي صدوق ، من السابعة[٨] وهذا الإسناد حسن . وقد ثبت أن بعض الصحابة والتابعين صلوا خلف الحجاج حينما كان في الحجاز والعراق . أمثال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما[٩] -

---

(١) بغية الطلب ٥ / ٢٠٩٦ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٣١ .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٤٥ .

(٤) ابن حجر : التقريب ص ١٠٠ .

(٥) الطبقات الكبرى ٦ / ٢٧٩ عن محمد بن عبد الله الأسدي قال : حدثنا سفيان عن منصور ، وهذا إسناد صحيح .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥٨٦ ؛ ابن العديم : مصدر سابق ٥ / ٢٠٤٢ بسند فيه : أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور وهذا إسناد متصل صحيح ؛ الكتبي : مصدر سابق ٤ / ٢٧٤ ؛ ابن منظور : مصدر سابق ٦ / ٢٢٩ ؛ ابن كثير : مصدر سابق ٩ / ١٤٣ .

(٧) ابن حجر : التقريب ص ٤٦٠ .

(٨) المصدر نفسه ٢ / ١٢٩ .

(٩) أبو الحسن الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٦١ .

والحسن البصري – رحمه الله[١] – رغم ظلمه وبطشه الشديد . وقد فسَّر ميمون ابن مهران وصفه للحجاج بأنه حروري أزرقي بتفسير واضح مقبول ، فهو يشبه الحرورية والأزارقة في الحكم على مخالفيهم بالكفر واستحلال دمائهم لا أنه يعتنق مذهب الخوارج ، لأن الحجاج اشتهر في محاربته الخوارج ، بل وأفرط في قتلهم ، وخاصة في بلاد ما وراء النهر بقيادة المهلب بن أبي صفرة .

النص رقم (٦٥) ذكره معلقاً عن أبي بكر بن عيّاش وهو ثقة عابد كانت وفاته سنة ١٩٤ هـ[٢] ولم يدرك أيام الحجاج . وأورد الجهشياري نحوه[٣] ، بصيغة التمريض ، وبدون إسناد . وذكر ابن الجوزي مثله[٤] عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش ، كما ذكر مثله الكتبي مختصراً[٥] .

وسماع الأحياء لأصوات الأموات في قبورهم غير ممكن ، لأن الأحياء لا يسمعون أصوات الأموات لعدم التناسب بين الحياتين ، الحياة الدنيا والحياة البرزخية في القبر ، ويدل على هذا حديث سؤال الملكين . وفيه : ((ويُضرَبُ بمَطارِقَ من حديد ضَربةً ، فيصيحُ صيحةً يَسمَعُها من يَليه غيرَ الثقلينِ))[٦] .

النص رقم (٦٦) لم أجد من ذكره ، وكانت ولاية الحجاج بن يوسف على الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان سنة (٧٣ هـ)[٧] ، واستمرت إلى سنة

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٤١ .

(٢) ابن حجر : التقريب ص ٦٢٤ .

(٣) الوزراء والكتاب ص ٤٣ ، وفيه حكى أنّه سُمِع من قبر الحجاج صوت .

(٤) المنتظم ٧ / ٥ بسند فيه : ابن أبي سمية عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش .

(٥) عيون التواريخ ٤ / ٢٧٤ .

(٦) أخرجه البخاريّ في صحيحه (مع الفتح ٣ / ٢٧٥) كتاب الجنائز – باب ما جاء في عذاب القبرِ ، حديث رقم (١٣٧٤) .

(٧) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٢ / ١٧٠ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢ / ١٠١ .

(٧٥ هـ) حيث عزل عنها واسندت إليه ولاية العراق[١] . وكلام ابن عمر صحيح مستقيم موافق للمشهور من أحواله .

والنص رقم (٦٧) أورده ابن سعد بنحوه باسناد صحيح[٢] ، وذكره ابن كثير[٣] ، وكلام الحسن هذا كان أيام ثورة ابن الأشعث والقراء .

المتفرقات :

٦٨ - أبو عوانة عن عاصم عن أبي وائل[٤] قال بعث إليّ الحجاج فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : ما أرسل إليّ الأمير حتى عرف إسمي ؛ قال : متى تقرأ من القرآن ؟ قلتُ اقرأ منه ما لو تبعتُه كفاني ؛ قال : إني أريد أن أستعين بك في عملي ؛ قلت : إن تستعن بي تستعن بكبير أخرف ضَعيف يخاف أعوان السوء ، وإن تدعني فهو أحبّ إليّ ، وإن تُقحمني اتقحَّم ، قال : إن لم أجد غيرَك أقحمتُك ، وإن وجدتُ غيرَك لم أقحمك ... قلت : وأخرى ، أكرم الله الأمير ، إني ما علمتُ الناس هابوا أميراً قطّ هيبَتهم لكَ ، والله إني لأتعارّ من الليل فما يأتيني النوم من ذِكرك حتى أصبح هذا ولستُ لك على عمل ؛ قال : هيه ، كيف قلتَ ؟ فأعدتُ عليه ؛ فقال : إني والله لا أعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجرأ على دَمٍ مني ، انصرف . قال : فقمت فعدلتُ عن الطريق كأنّي لا أبصر ؛ فقال : أرشدوا الشيخ . [٢ / ١٧٦] ومثله [٥ / ٣١]

---

(١) الفاسي : المصدر السابق ٢ / ١٧٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٧ / ١٦٤ ، قال : اخبرنا عارم بن الفضل ، حدثنا حماد بن زيد عن أبي التيّاح قال شهدت الحسن ... وهذا اسناد صحيح رجاله كلهم ثقات ، وأبو التيّاح هو يزيد بن محمد الضبعي ، بصري مشهور بكنيته ثقة ثبت . انظر : (التقريب ٢ / ٣٦٣) .

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٤٢ ، وفيه : « إنما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف » .

(٤) في الأصل عن عاصم بن أبي وائل ، وهو خطأ . وعاصم هو ابن بُهدلة بن أبي النجود الأسديّ الكوفيّ ، أبو بكر المقريّ ، صدوق ، يَروي عن أبي وائل . انظر : (تهذيب التهذيب ٥ / ٣٦ - ٣٧) . وأبو وائل هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفيّ ، ثقة مخضرم ، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وله مائة سنة . روى عنه عاصم بن بُهدلة . (تهذيب التهذيب ٤ / ٣٢٩) .

٦٩ - أبو حاتم عن الأصمعي قال : خرج الحجاج يوماً فأصحر ، وحضر غَداؤه ، فقال : اطلبوا من يتغذّى معنا ، فطلبوا ، فلم يجدوا إلا أعرابياً في شَمْله فأتوه به ، فقال له : هَلُم ، فقال له : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته ؛ فقال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعاني إلى الصيام فأنا صائم ؛ قال : صوم في مثل هذا اليوم على حرّ ، قال : صُمت ليوم أحرُّ منه ؛ قال : فافطر اليوم وصم غداً ؛ قال : ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إليّ ؟ قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل ليس إليه سبيل ؛ قال : إنه طعام طيّب ؛ قال : والله ما طَيّبه خبّازك ولا طبّاخك ، ولكن طيّبته العافية ؛ قال الحجاج : تالله ما رأيت كاليوم ، أخرجوه عنّي . [٣ / ٤٤٤]

٧٠ - أبو بكر بن أبي شيبة باسناده قال : دخل عبد الرحمن بن أبي ليلى على الحجاج ، فقال : لجلسائه : إن أردتم أن تنظروا إلى رجل يَسُب أميرَ المؤمنين عثمان بن عفان ، فهذا عندكم ، يعني عبدَ الرحمن ؛ فقال عبد الرحمن : معاذ الله أيها الأمير أن أكون أسُبّ أمير المؤمنين . انه ليحجزني عن ذلك ثلاث آيات في كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا . وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾[١] . فكان عثمان منهم . ثم قال : ﴿ **والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[٢] . فكان أبى منهم . ثم قال : ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾[٣] . فكنت أنا منهم ، فقال : صدقت . [٢ / ١٧٥ - ١٧٦] ونحوه [٥ / ٣١ - ٣٢]

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٨ .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٣) سورة الحشر ، الآية ١٠ .

٧١ - وكتب الحجاج إلى أيوب بن القرية[١] : أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة في قومها ، ذليلة في نفسها ، مواتية لبعلها[٢] . فكتب إليه : وقد أصبتُها لولا عِظم ثدييها . فكتب إليه : لا يكمل حسن المرأة[٣] حتى يعظُم ثدياها ، فتُدفِيء الضجيع ، وتُروي الرضيع . [٦ / ١٠٧]

٧٢ - زكريا بن عيس عن ابن شهاب قال : خرجنا مع الحجاج حُجاجاً ، فلما انتهينا إلى البيداء[٤] وافينا ليلة الهلال ، هلال ذي الحجّة ، فقال لنا الحجاج : تبصّروا الهلال ، فأما أنا ففي بَصري عاهة ، فقال له نوفل بن مُساحِق[٥] : أوتدري لم ذلك أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أدري ، قال : لكثرة نظرك في الدفاتر . [٥ / ٤٦]

٧٣ - قالوا : أُتى الحجاج بسفط قد أُصيب في بعض خزائن كسرى مُقفل ، فأمر بالقُفل فكسر فإذا فيه سفطٌ آخر مقفل ، فقال الحجاج : من يشتري منّي

---

(١) أيوب بن يزيد بن قيس بن زُرارة بن سلمة بن حَنْتَم بن مالك بن عمر بن عامر بن زيد مناة ، ويعرف بابن القرية ، نسبة إلى جدته ، وهي خُماعة بنت جُشَم بن ربيعة بن زيد مناة ، تزوجها مالك بن عمرو ، فولدت له حنتم بن مالك . وكان أيوب بن القرية وفد على عبد الملك بن مروان ، وكان يضرب به المثل في الفصاحة ، خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث فقتله الحجاج بن يوسف سنة أربع وثمانين ، وقيل : لم يقتله الحجاج . انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠٤ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٥ / ١٣١ - ١٣٦ .

(٢) في البيان والتبيين ٤ / ٨ أمة لبعلها .

(٣) في البيان والتبيين : لا يحسن نحرُ المرأة .

(٤) البيداء : اسم لأرض مَلسَاء بين مكة والمدينة ، وهي إلى مكة أقرب . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ١ / ٦٢٠) .

(٥) نوفل بن مُساحِق بن عبد الله الأكبر بن مَخْرمة بن عبد القُريشيُّ العامريّ ، أبو سعد ، وقيل : أبو سعيد وأبو مَساحِق المدنيّ القاضي ، كان من أشراف قريش ، ويقال انه كان من شرطة مسلم بن عقبة المرى في وقعة الحرة ، وتوفى في زمن عبد الملك سنة (٧٣ هـ) . انظر : (ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٣٧ - ٤٣٨) .

هذا السفط بما فيه ولا أدري ما فيه ؟ فتزايد فيه أصحابه ، حتى بلغ خمسة آلاف دينار ، فأخذه الحجاج ونظر فيه ، فقال : ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم ! ثم أنفذ البيع وعزم على المشتري أن يفتحه ويُريه ما فيه ففتحه بين يديه فإذا فيه رقعة مكتوب فيها : من أراد أن تطول لحيتُه فلْيمشطها من أسفل . [٦ / ٤٤٣ - ٤٤٤]

٧٤ - كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العَتكي[١] ، فلما أثنى الوفدُ على الحجاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجاج سيفك الذي لا يَنْبو ، وسهْمك الذي لا يطيش ، وخَادِمُك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم ، فلم يكن بعد ذلك أحد أخفّ على الحجاج ولا أحبَّ إليه منه . [٢ / ٦٣٧]

٧٥ - قال الحجاج : الكوفة بِكرٌ حَسْنَاء ، والبصرة عجوز بخراء ، أوتيت من كل حلى وزينة . [٦ / ٢٤٩]

٧٦ - لما مات أسماء بن خارجة الفزاري[٢] قال الحجاج : ذلك رجل عاش ما شاء ومات حين شاء . [٤ / ٢٩٠]

دراسة النصوص :

النص رقم (٦٨) أورده ابن سعد من طريقين[٣] ، عن عاصم بن بُهدلة عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، واسناده حسن . وهكذا كان سلفنا الصالح يتهربون

---

(١) هو زياد بن عمرو بن الأشرف بن البَخْتريّ بن ذهل العتكي الأزديّ ، كان رأس قبيلة الأسد بعد قتل أخيه مسعود . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٠ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٨٣ .

(٢) أسماء بن خارجة بن حصين بن حذيفة ، أبو حسّان ، وقيل أبو محمد الفزاريّ الكوفيّ ، وفد على عبد الملك ، كان له خصال كريمة شريفة وكان سيّداً ، توفى سنة ست وستين ، وهو ابن ثمانين سنة . (مختصر تاريخ دمشق ٤ / ٣٧٩ - ٣٨٥) .

(٣) الطبقات الكبرى ٦ / ٩٧ - ٩٨ وفيه : حديث سعيد بن منصور قال حدثنا أبو عوانة قال : حدثنا عاصم بن بهدلة عن أبي وائل . والطريق الثاني : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثنا روح بن القاسم عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل .

من الإمارة ولم يكونوا يقتحمون السلطة فضلاً عن سؤالها ، وخاصة مع الحجاج .

النص رقم (٦٩) أورد كل من ابن قتيبة[١] والجاحظ[٢] وابن العديم[٣] وابن كثير[٤] ما يوافقه .

النص رقم (٧٠) لم أجد من ذكره من المؤرخين . كما لم أجد من ذكر أن عبد الرحمن بن أبي ليلى كان يَسُب أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولَعلّ ما ذكر في هذه الرواية على فرض صحتها أن بعض الناس وشى به إلى الحجاج وحينما سأله الحجاج عرف حقيقة الأمر . أو أن الحجاج تصور ذلك استنتاجاً من بعض المواقف . فقد أورد ابن سعد : أن عبد الرحمن كان يحب علياً ، وأن عبد الله بن عُكيم يحب عثمان ، ومع ذلك كانا متآخيين ، وقالت ابنة عبد الله بن عُكيم : فما سمعتُهما يتذاكران شيئاً قط إلا إني سمعت أبي يقول لعبد الرحمن بن أبي ليلى : لو أن صاحبك صبر أتاه الناس[٥] - يعني علي بن أبي طالب ، وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى قد شهد مع علي حرب الخوارج بالنهروان[٦] . وميل عبد الرحمن لعلي بن أبي طالب وحبه له ليس معناه أنه كان يبغض عثمان بن عفان ، وقد كان ابن أبي ليلى ممن روى عن عثمان رضي الله عنه[٧] . واستدلاله يالآيات في هذا النص دليل واضح على ما ذكرنا .

النص رقم (٧١) أورده الجاحظ[٨] ولكن فيه أنه كتب إلى الحكم بن أيوب

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٣٦٦ .

(٢) البيان والتبيين ٤ / ٩٨ بدون اسناد .

(٣) بغية الطلب ٥ / ٢٠٦٢ .

(٤) البداية والنهاية ٩ / ١٢٨ .

(٥) الطبقات الكبرى ٦ / ١١٤ .

(٦) ابن الجوزي : مصدر سابق ٦ / ٢٥٢ .

(٧) راجع تهذيب التهذيب ٦ / ٢٦٠ ؛ والمنتظم ٦ / ٢٥٢ .

(٨) البيان والتبيين ٤ / ٨ .

بدلاً من أيوب بن القرية . وذكر الزمخشري أن عبد الملك بن مروان بعث إلى الحجاج يطلب فيه إمرأة من أجمل نساء أشراف العراق ، فأرسل في كل ناحية حتى وصفت له كاملة في الجمال غير أنها طرطبة[١] . فقال : زوّجنيها فإنها أدفأ للضجيع وأسقى للرضيع[٢] . وفي مكان آخر ذكر الزمخشري أن الحجاج طلب من ابن القرية أن يذكر له أي النساء أحب إليه ؟ فذكر له بعض صفات النساء[٣]. والعرب لم تكن تعيب المرأة بعظم ثديها .

وقد أورد ابن قتيبة أن علي بن أبي طالب قال : لا تحسن المرأة حتى تروي الرضيع وتُدفِيء الضّجيع[٤] . ونقل عن الحجاج أنه قال : لا يحسن نحر المرأة حتى يعظُم ثدياها[٥] .

النص رقم (٧٢) لم أجد من أشار إليه غير المصنِّف ، وقد كان الحجاج بن يوسف تولى إمرة الحج سنة ثلاث وسبعين وأربع وسبعين[٦] .

النص رقم (٧٣) لم أجد من ذكره من المؤرخين ، وقد ذكره المصنِّف بدون إسناد وإنما صدره بقوله : قالوا ، و لم يذكر هؤلاء الذين قالوا . وصيغة هذا البيع غير جائزة شرعاً لأنه من بيوع الغرر المنهي عنها .

أما النص رقم (٧٤) فقد أورد الجاحظ[٧] والمبرد[٨] وابن عبد البّر[٩] والزمخشري[١٠] ما يوافق الرواية .

---

(١) طرطبة : الثّدْيُ الضّخْمُ المُسْترخي الطويل . (اللسان ١ / ٥٥٩) .

(٢) ربيع الأبرار ٤ / ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ٤ / ٢٩٢ .

(٤) عيون الأخبار ٤ / ٣٠ .

(٥) نفس المصدر والمكان .

(٦) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٩٨ .

(٧) البيان والتبيين ٢ / ٨٤ .

(٨) الكامل في اللغة ٣ / ١٥٥ .

(٩) بهجة المجالس ١ / ٥٠٨ .

(١٠) ربيع الأبرار ٤ / ١٥٨ .

النص رقم (٧٥) ذكره ابن قتيبة بنحوه[١] .

النص رقم (٧٦) أورد ابن العديم ما يوافقه[٢] . ولكن أسماء بن خارجة كانت وفاته سنة ست وستين[٣] ، وهذا قبل ولاية الحجاج على العراق مما يلقي ظلالاً من الشك على صحة الخبر .

٤ - عروة بن الزُّبير* .

١ - كان عروة بن الزّبير عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصّل به أن الحجاج مُجْمع على مُطالبته بالأموال التي بيده وعَزْله عن عَمله ، ففرّ إلى عبد الملك وعاذ به تخوُّفاً من الحجاج ، واستدفاعاً لضَرره وشرّه . فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد : فإنّ لواذ المُعترضين بك ، وحلول الجانحين إلى المُكث بساحتك ، واستلانتهم دَمِث[٤] أخلاقك ، وسَعة عفوك ، كالعارض المُبرق لا يَعْدم له شائماً ، رجاء أن ينالَه مطره وإذا أُدني الناس بالصَفح عن الجرائم كان ذلك تَمْريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل وال والناسُ عبيد العصا ، هم على الشدّة أشد استباقاً منهم على اللِّين . ولنا قِبل عروة بن الزُّبير مال من مال الله ، وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره ، فَلْيبعث به أمير المؤمنين ، إن رأى ذلك . والسلام .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٢٢٠ .

(٢) بغية الطلب ٥ / ٢٠٨٧ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٢٦٤ .

* عروة بن الزبير بن العوّام بن خويلد أبو عبد الله القريشيُّ الأسديّ المدنيّ ، الفقيه ، الإمام عالم المدينة وأحد فقهائها السبعة ، أخو أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير . ولد عروة سنة ثلاث وعشرين ، وكان مع أخيه عبد الله بمكة ، ولم يدخل في شيء من الفتن ، وكان يتألّف الناس على حديثه ، وكان ثقة ، ثبتاً ، مأموناً ، وتوفى سنة ثلاث وتسعين ، وهو ابن تسع وستين سنة رحمه الله . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٢١ - ٤٣٧) .

(٤) دَمِثَ : لاَنَ وسَهُلَ ، والدِّماثة : سهولة الخلق . (اللسان ٢ / ١٤٩) .

فلما قرأ الكتاب بعثَ إلى عروة ، ثم قال له : إن كتاب الحجاج قد وَرد فيك ، وقد أبى إلا إشخاصك إليه . ثم قال لرسول الحجّاج : شأنك به . فالتفت إليه عروةُ مقبلاً عليه ، وقال : أما وا لله ما ذلَّ وخَزِى من مات ، ولكن ذلَّ وخَزى من مَلَكتموه ، وا لله لئن كان المُلك بجواز الأمر ، ونفاذ النَّهي ، إنّ الحجاج لسلطان عليك ينفّذ أُموره دون أُمورك ، إنّك لتريد الأمرَ يزينك عاجله ، ويَبقى لك أُكْرُومَةً آجلُه ، فيَجذِبُكَ عنه ويَلقاه دونك ، وليتولّى من ذلك الحُكم فيه ، فيحظَى بشرف عَفْوٍ إن كان ، أو بجُرم عقوبة إن كانت . وما حاربَك إلا على أمرٍ هذا بعضُه . قال : فنظر في كتاب الحجّاج مرّة ، ورفع بصَرَه إلى عُروة تارة ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب إليه : أما بعد فإن أمير المؤمنين ، رآك مع ثقته بنصيحتك خابطاً في السياسة خبط عَشواء الليل . فإن رأيك الذي يُسَول لك أنّ الناس عبيدُ العصا هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليك ، وإذا أحرجت العامة بعُنف السياسة كانوا أوشك وثوباً عليك عند الفُرصة ، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الدّاعي ولا هُداه ، إذا رَجَوا بذلك إدراك الثأر منك . وقد وَلِيَ العراق قبلك ساسة ، وهم يومئذ أحمى أنوفاً وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلحَ منك عليهم ، وللشدّة واللين أهلون ، والافراط في العفو أفضل من الافراط في العقوبة . والسلام . [٥ / ٤٤ - ٤٦]

دراسة النص :

هذا النَّص لم أجد من ذكره غير المصنف وقد أورده من غير إسناد كعادته في كثير من أخباره ، و لم تذكر المصادر أن عروة بن الزبير قد تولى اليمن لعبد الملك بن مروان ولا يعرف ذلك[1] ، مما يدل على ضعف الرواية . والذي تذكره المصادر التاريخية أن عروة بن الزبير قدم من مكة على عبد الملك بعد مقتل

(١) انظر الجندى : السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ١٧٧ حيث يسرد أسماء ولاة اليمن في عهد ابن الزبير وكذلك في عهد عبد الملك دون أن يذكر عروة

أخيه عبد الله بن الزبير على يد الحجاج بن يوسف وجيشه سنة (٧٣ هـ)[١] .

وكان سبب قدومه خوفه من بطش الحجاج وظُلمه ، لذلك استجار بعبد الملك فأجاره ، بل قربه إليه وأظهر إكرامه وأقام عنده[٢] . و لم يقبل جميع محاولات الحجاج في استرجاع عروة وردّه إليه .

٥ - نافع بن علقمة* .

١ - استعمل عبدُ الملك بن مروان ، نافع بن عَلْقمة بن صفوان على مكة ، فخطب ذات يوم ، وأبان بن عثمان قاعدٌ عند أصل المنبر ، فنال من طلحة والزّبير ، فلما نزل قال لأبان : أرضيتُك من المُدهنين في أمر أمير المؤمنين ؟ قال لا ، ولكنّك سُؤتنى ، حسبى أن يكونا بريئين من أمره . [٤ / ٣٠٤]

دراسة النص :

هذا النص يظهر أن ابن عبد ربه نقله من الجاحظ الذي أورده بدون إسناد[٣].

وفي النص أمرين هما :

الأول : استعمال عبد الملك بن مروان ، نافع بن علقمة على مكة ، وهو ما أشار إليه خليفة بن خياط[٤] ، ومصعب الزبيري[٥] ، والفاكهى

---

(١) أبو حنيفة : الأخبار الطوال ص ٣١٥ - ٣١٦ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٧٠ ؛ الفسوى : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٥٤ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ١٨ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٣٢ - ٤٣٣ ؛ النجم عمر بن فهد : : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢ / ١٠٠ .

(٢) أبو حنيفة : المصدر السابق ص ٣١٥ .

* نافع بن علقمة بن حارث بن مَحْرث الكناني ثم الفقيمي ، وهو خال مروان بن الحكم ، وكان والي مكة . انظر : (الأصفهاني : الأغاني ٢٢ / ١٥١ ؛ الفاسى : العقد الثمين) .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٣٠٢ .

(٤) تاريخ خليفة ص ٢٩٣ .

(٥) نسب قريش ص ٢٨٣ .

والفاسى[١] ، وكان ذلك عقب عزل قيس بن مخرمة ، ولم يزل نافع عليها حتى مات عبد الملك[٢] ، وأقرَّه الوليد بعد ذلك سنتين ، ثم عزله وولى خالد بن عبد الله القسري ، وذلك سنة (٨٩ هـ)[٣] .

الثاني : ما جاء في النص من خطبة نافع ، وما قاله أبان بن عثمان ، لم أجد من ذكره غير المصنِّف . وجواب أبان بن عثمان هو اللائق بمكانته وعلمه وتقواه .

٦ - خالد بن عبد الله بن خالد*

٧ - أمية بن عبد الله بن خالد**

١ - جلس يوماً عبد الله بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد ، وعند رجليه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأُدخلت عليه الأموالُ التي جاءت من قبل الحجّاج حتى وُضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التَّوفير وهذه الأمانة ! لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، استعملته على العراق فاستعمل كلّ مُلِطّ[٤] فاسق ، فأدّوا إليه العَشرة واحداً ، وأدَّى إليّ من العشرة

---

(١) أخبار مكة ٣ / ١٧١ ؛ العقد الثمين ٧ / ٣٢٤ .

(٢) خليفة : المصدر نفسه ص ٢٩٣ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٠ ؛ الذهبي : سر أعلام النبلاء ٥ / ٤٢٦ نقلاً عن خليفة .

* خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموي القرشي ، كان مع مصعب بن الزبير بالعراق ، ثم لحق بعبد الملك وشهد معه قتال مصعب ، وولاه البصرة ، ثم عزله وضم البصرة إلى أخيه بشر بن مروان ، وكان خالد معه ، وأحضره عند وفاته بدمشق ، واستوثق منه بالبيعة للوليد ، وسليمان . (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ٣٦٦ - ٣٦٧) .

** أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموي القرشي ، أحد الأشراف وأخو خالد بن عبد الله ، وَلِيَ إمْرة خراسان لعبد الملك بن مروان . وتوفى سنة سبع وثمانين . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٧٢) .

(٤) ملط : الخبيث من الرجال الذي لا يُدْفَع إليه شيء إلا أَلْمَأَ عليه وذهب به سَرَقاً واستحلالاً . (اللسان ٧ / ٤٠٦) .

واحداً ؛ واستعملتُ هذا على خراسان ، وأشار إلى أُمية، فـأَهدى إليّ بِرْذونـين[١] حَطِمَـين[٢] ، فـإن استعملتكم ضيّعتـم ، وإن عزلتُكـم قلتـم استخفّ بنـا وقَطـع أرحامنا ، فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهلُه رجلان : سـامع مطيع مناصح ، وعدّو مُبغض مُكاشح[٣] ، فأمّا المُطيع المناصح ، فإنّا جزيناه ليزداد وُدّاً إلى وُدّه ، وأمّا المبغض المكاشح ، فإنّـا دَارَيناه ضِغْنَـة[٤] ، وسَـللنا[٥] حِقـده ، وكثّرنا لك المَودّة في صُدور رَعيتك ؛ وإنّ هذا جَنَى الأموالَ ، وزَرع لك البَغْضاءَ في قلوب الرجال ، فيوشك أنْ تَنْبُت البغضاء ، فلا أموال ولا رجال . فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد . [٤ / ٢٤]

٢ - فرّ خالد بن عبد الله بن خـالد بـن أسيد عـن مصعب بـن الزُّبـير يـوم الجُفْرة[٦] بالبصرة ، فقال فيه الفرزدق :

وكُلُّ بنى السَّـوداءِ قـد فـرَّ فـرَّةً   فلم يبق إلا فرَّة في اسـدِ خـالدِ
فَـضـحتـم أمـيرَ المـؤمـنين وأنـتـم   تمُرّون سُـودانـاً غِـلاظَ السَّواعِدِ

[١ / ١٥١]

دراسة النصوص :

النص رقم (١) أورد الجهشياريّ رواية قريبة[٧] وفي النص عدّة أمور أهمها :

١ - ولاية خالد بن عبد الله بن خالد علـى العـراق : ذكـر بعـض المؤرخـين أن عبد الملك وليّ خالد على البصرة[٨] وذلك بعد مقتل مصعب بن الزبير ، فقدمها

---

(١) البراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العرب . (لسان العرب ١٣ / ٥١) .

(٢) يقال فرس حَطِمٌ : إذا هزِل وأَسَنَّ فضعف . (اللسان ١٢ / ١٣٨) .

(٣) مُكاشح : هو العدّو الذي يظهر لك العداوة . (اللسان ٢ / ٥٧٢) .

(٤) الضِغْن : الحِقْد ، والجمع أضْغَان . (اللسان ١٣ / ٣٥٥) .

(٥) سللنا : يقال : سَلَلْتُ ضِغنَ فلان وضغينته إذا طلبت مرضاته . (اللسان ١٣ / ٣٥٥) .

(٦) الجُفْرة : بالضم ، آخره هاء ، موضع بالبصرة ، والجفرة سعة من الأرض مستديرة . ويوم الجفرة وقعة كانت بين جيش عبد الملك بن مروان بقيادة خالد بن عبد الله وبين أتباع مصعب بن الزبـير من أهل البصرة ، وكانت سنة ٧٠ هـ أو ٧١ هـ . (معجم البلدان ٢ / ١٧١) .

(٧) الوزراء والكتاب ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٨) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٩٣ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٥١ ؛ ابن حزم : جمهرة

خالد في آخر سنة (٧٢ هـ)[١] ثم عزله عبد الملك بعد مدة عن ولاية البصرة ، لأنه خالف أوامر الخليفة في إرسال المهلّب بن أبي صفرة في حرب الأزارقة ، فلم يفعله ، وأرسل أخاه عبد العزيز[٢] ، وضمّها إلى بشر بن مروان[٣] .

٢ - ولاية أمية بن عبد الله خالد على خراسان :

وهو ما أشارت إليه المصادر وكان ذلك سنة (٧٤ هـ)[٤] وتولى أمية ولاية خراسان عقب بكر بن وشاح الصريمي[٥] ، وكان قد ضمّ إليه ولاية سجستان مع خراسان وذلك سنة (٧٣)[٦] .

لكن عبد الملك عزل أمية عن خراسان سنة (٧٩ هـ) حيث ولاها المهلّب ابن أبي صفرة ، كما عزله عن ولاية سجستان أيضاً[٧] .

وكان أمية سخيّاً جواداً[٨] ، وربما جعلته هذه الصفة يصرف الأموال الكثيرة للرعية ، لذا لم يستطع أن يرسل إلى الخليفة ما كان يتمنّاه من قبله .

٣ - دفاع خالد بن عبد الله عن سياسته في الولاية وجباية الأموال وأنها كانت أصلح من سياسة الحجاج التي زرعت الأحقاد في القلوب لخلفاء بني أمية حتى كرههم الجميع ، وقد صدقت الحوادث صحة نظره وخطأ سياسة الحجاج الغاشمة .

أنساب العرب ص ٢١٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٣٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ١٤٧ .

(١) النويري : المصدر السابق ٢١ / ١٤٧ .

(٢) ابن أعثم : الفتوح ٣ / ٤١٦ - ٤١٧ ؛ النويري : المصدر السابق .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٣ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٧ / ٣٦٦ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٥ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٩٩ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٠٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٦٧ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٢٠٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٧٢ ؛ ابن خلدون : التاريخ ٣ / ٤٠ ، ٤٥ .

(٥) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٥ .

(٦) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٥ .

(٧) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٥ .

(٨) ابن أعثم : المصدر السابق ٣ / ٣٩٣ .

أما النص رقم (٢) فيشير إلى فرار خالد بن عبد الله عن جيش مصعب بن الزبير يوم الجُفْرة ، وهي وقعة كانت بين خالد من قبل عبد الملك بن مروان وبين أهل البصرة من أصحاب مصعب بن الزبير ، كما ذكر ذلك المؤرخون[١] ودامت هذه الوقعة أربعة وعشرين يوماً[٢] ، وقيل أربعين يوماً[٣] ، وانهزم أتباع خالد بن عبد الله ، بعدما أمّد مصعب أصحابه بألف فارس رجحت كفتهم[٤] .

و لم أجد من أشار إلى فرار خالد في ذلك اليوم على الرغم من هزيمة أتباعه ، ولو حصل منه الفرار من غير موجب لذكر ، لا سيما أن المؤرخين أشاروا إلى فرار أحد أصحابه وهو مالك بن مسمع الربعي ، بعد أن فَقِئَتْ عينه حيث هرب إلى ثاج - وهي قرية بالبحرين - ولحق بنجدة الحروريّ[٥] .

والمراد بالفرار الهزيمة ولكن الفرزدق سماها فراراً .

٨ - هشام بن إسماعيل المخزومي* .

١ - كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وكان عامله على المدينة ، أن يدعو الناسَ إلى البيعة لابنيه الوليد وسليمان . فبايع الناسُ ، غير

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٥٢ وما بعدها ؛ ابن أعثم : الفتوح ٤ / ٣٧٠ وفيه يوم المربد ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١١٠ - ١١١ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ١٧١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٠٦ وما بعدها .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٥٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٠٧ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ٢ / ١٧١ .

(٤) انظر المصادر السابقة .

(٥) انظر المصادر السابقة ، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ٥٨٧ : " أن مالك بن مسمع ذهبت عينه بالجفرة " .

* هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، أُمُّه : أمَةُ الله بنت المُطّلب بن أبي البَخْتريِّ بن الحارث بن أسد . كان هشام من وجوه قُرَيش ، ولاه عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان مسدَّداً في ولايته ؛ وتزوّج عبد الملك ابنته فولدت له هشاماً ، وعزله الوليد بن عبد الملك عن المدينة ، واستعمل بدله عمر بن عبد العزيز . انظر : (مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣٢٨ - ٣٢٩) .

سعيد بن المُسيَّب ، فإنّه أبَى وقال : لا أُبـايع وعبـد الملـك حـيٌّ . فضربـه هشـام ضرباً مُبرحاً ، وألبسه المسَوح[1]، وأرسله إلى ثنيَّة المدينة يقتلونه عندها ويصلبونه، فلما انتهوا به إلى الموضع ردّوه . فقال سَعيد : لو علمـتُ أنّهـم لا يصلبونـي مـا لَبسْتُ لهم التُّبّان . وبلغ عبدَ الملك خبرُه فقال : قبّح الله هشاماً ، مثل سعيد بـن المُسيّب يضرب بالسياط ، إنما كان ينبغي له أن يدعوه إلى البيعة فإن أبـى يَضـرِب عنقه . [٤ / ٤٢١]

دراسة النص :

النص رقم (١) ذكره ابن سعد[2] وابن منظور[3] ونقله اليافعي مختصـراً دون أن يذكر قول عبد الملك[4] .

والنص فيه قضية ولاية العهد للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان .

وقد سبق أن عهد مروان بن الحكم بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيـز علـى الترتيب ، وذلك سنة (٦٥ هـ)[5] .

فلما تولّى عبد الملك الخلافة أراد أن يعهد من بعده لابنه الوليد بدلاً من أخيه عبد العزيز ، ولكن صاحب خاتمة قبيصة بن ذؤيب نصحه بعدم تنفيذ ذلك حتـى لا يثير أخاه .

وحينما توفى عبد العزيز أراد عبد الملك أن يحقق مـا كـان يحلـم بـه سـابقاً ، وهـو أن يعقـد مـن بعـده العهد لولديـه : الوليـد ثم سليمان ، وكتب ببيعته لهما

---

(١) المسَوح : جمع مسح بالكسر وهو كساء من شعر (اللسان ٢ / ٥٩٦) .

(٢) الطبقات الكبرى ٥ / ١٢٦ من طريق محمد بن عمر الواقدي .

(٣) مرآة الجنان ١ / ٢٠٥ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٢٢٦ ؛ خليفة : المصدر السـابق ص ٢٦١ ؛ البـلاذري : أنسـاب الأشراف ٥ / ١٤٥ ، ٢٥٨ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٦١٠ ؛ ابـن الجـوزي : المنتظـم ٦ / ٣٧ ؛ اليافعي : المصدر السـابق ١ / ١٧٣ وفيـه عبـد الملـك فقـط ؛ ابـن العمـاد : شـذرات الذهب ١ / ٧٣ وفيه عبد الملك فقط .

(٥) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٢٣٣ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٢ .

إلى البلدان[١] .

فبعث إلى عامله على المدينة هشام بن إسماعيل المخزوميّ ليبايع له الناس بذلك ، فامتنع عليه سعيد بن المسيب ، وصمّم على ذلك حتى ضربه هشام ستين سوطاً[٢] ، وطوّف به في المدينة ، وكان ذلك سنة (٨٥ هـ)[٣] .

وسبب رفض سعيد لهذه البيعة هو أن لا تجتمع عليه بيعتان[٤] ولشدة تمسك سعيد بذلك قال لهشام بن إسماعيل : ((إن أحبّ عبد الملك أن أبايع الوليد فليخلع نفسه))[٥] .

فلما رأى هشام إصرار سعيد على رأيه طلب منه أن يتظاهر بقبول بيعة الوليد وقال : ((أدخل من هذا الباب واخرج من هذا الباب ليرى الناس أنه قد بايع ، فأبى وقال : لا يَغْتَرّ بي أحد))[٦] .

وليس هذا أول مرة يرفض سعيد مثل ذلك ، فقد رفض قبل بيعة ابن الزبير في المدينة حينما عرض عليه عامل ابن الزبير على المدينة جابر بن الأسود بن عوف النهريّ يلومه ، وقال : مالنا ولسعيد ، دَعْه[٧] .

وأما ما أورد المصنِّف في آخر النص من قول عبد الملك ، أن يضرب عنق سعيد بن المسّيب إذا رفض البيعة ، فقد ذكره خليفة وابن الأثير فقط[٨] .

---

(١) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٧ / ٨١ ؛ الذهبي : العبر ١ / ٧٣ .

(٢) في تاريخ خليفة مائة سوط .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٠ وفيه سنة (٨٤ هـ) ؛ ابن قتيبة: المعارف ص ٤٣٧ ؛ الطبري: المصدر السابق ٦ / ٤١٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٥١٤ ؛ الذهبي : العبر ١ / ٧٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ اليافعي : المصدر السابق ١ / ٢٠٥ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٢٨٩ ؛ ابن العماد : المصدر السابق ١ / ٩٥ .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٨٩ من طريق أبي اليقظان .

(٦) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٠ .

(٧) ابن قتيبة : المعارف ص ٤٣٧ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤١٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٥١٥ .

(٨) تاريخ خليفة ص ٢٩٠ ؛ الكامل في التاريخ ٤ / ٥١٤ - ٥١٥ - وهي في تاريخ خليفة ليست في أصله ولكنها في الهامش كما ذكر محققه .

أما ابن سعد والطبري وابن منظور فيذكرون خلاف ذلك ، وهو أنه لما بلغ عبد الملك ما فعله هشام بن إسماعيل بسعيد بن المسيّب ، كتب إليه يلومه فيما صنع وقال : ((سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه[١] من أن تضربَه ، وإنا لنعلم ما عنده من شِقاق ولا خِلافٍ))[٢] .

وقول هؤلاء المؤرخين أقرب إلى الصواب ، لأن خليفة وابن الأثير يذكران تردد عبد الملك : ((يضرب عنقه أو يكفّ عنه)) .

وما ورد في آخر النص من كتاب عبد الملك يلوم فيه هشاماً يناقض الأمر بضرب عنقه .

ولما قرأ سعيد كتاب عبد الملك الذي يلوم فيه هشام لأجل ضربه لِسعيد ، قال : ((الله بيني وبين من ظلمني))[٣] .

وعلى أية الحال فإن هذه الواقعة كانت في ولاية هشام بن إسماعيل على المدينة ، وكان عبد الملك قد ولاّه على المدينة عقب عزله أبان بن عثمان بن عفان[٤] ، فلم يزل هشاماً عليها حتى مات عبد الملك[٥] ، ولما جاء الوليد أقرّه سنتين ثم عزله وولّى عمر بن عبد العزيز وذلك سنة (٨٧ هـ)[٦] .

وكانت إمرة هشام على المدينة أربع سنين غير شهر أو نحوه[٧] .

---

(١) لأن هشام مخزوميّ وكذلك سعيد بن المسيّب مخزوميّ .

(٢) الطبقات ٥ / ١٢٦ ؛ تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤١٧ ؛ مختصر تاريخ دمشق ٢٧ / ٨١ ؛ وانظر الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ١٤٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ١٢٦ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ١٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ١٥٢ ؛ خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٣ ؛ ص ٢٩٦ .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٩٣ ، ص ٣١١ .

(٦) خليفة : المصدر نفسه ص ٣١١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٢٧ ؛ وانظر الكتبي : المصدر السابق ٤ / ١٨٧ .

(٧) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٤٢٧ .

٩ – قتيبة بن مسلم* .

١ – قال قتيبة : يا أهل خُراسان قد جَرّبكم الولاة قبلي ، أتاكم أُمَيَّة[١] فكان كاسمه ، أميّة الرأي وأميّة الدّين ، فكتب إلى خليفته : إنّ خراج خراسان لو كان في مَطْبخه لم يَكْفه ، ثم أتاكم بعده أبو سعيد ثلاثاً[٢] ، لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته : ثم لم يَجْب فيئاً ، ولم يَبْلُ عدوّاً ، ثم أتاكم بنوه بعده مثلَ أطباء[٣] الكَلْبةِ ، منهم ابن دَحْمة ، حِصان يَضرب في عانة[٤] ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمّهات أولاده ، ثم أصْبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، حتى إنّ الظَّعينة لتخرج من مَرْو[٥] إلى سَمَرقند[٦] في غير جوار .

---

* قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة الباهلي ، أبو حفص ، ولد سنة تسع وأربعين ، كان أبوه أو صالح مسلم بن عمرو كبير القدر عند يزيد بن معاوية ، وتولى قتيبة إمرة خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفيّ لأنه كان أمير العراقين ، وقام بها ثلاث عشرة سنة ، وتولى خراسان بعد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وكان قبلها على الري ، وكان قتيبة صاحب الفتوحات العظيمة ، حيث افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى ، وقد كانوا نقضوا وكفروا ، ثم فتح فرغانة في سنة (٩٥ هـ) في أواخر أيام الوليد بن عبد الملك ، وتوغّل في بلاد ما وراء النهر ، حيث افتتح القلاع واستباح البلاد وأخذ الأموال . فلما مات الوليد سنة (٩٦ هـ) وتولى الأمر أخوه سليمان بن عبد الملك خاف منه قتيبة وخلع بيعة سليمان وخرج عليه وأظهر الخلاف ، فلم يوافق على ذلك أكثر الناس ، ومن بينهم رئيس تميم وكيع بن حسان الغداني ، الذي سعى في تأليب الجند سراً ، حتى استطاع بقتله في فرغانة سنة (٩٦ هـ) أو (٩٧ هـ) (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ / ٨٦ – ٨٨) .

(١) هو أُميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي ، تقدمت ترجمته .

(٢) يريد ثلاث سنين .

(٣) الأطباء : جمع طبى (كقفل) . وهو لذات الحق والظعف ، كالندى للمراة .

(٤) العانة : الأتان .

(٥) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو هجان التي هي أشهر مدن خراسان ، وقصَبتها وبنينها خمسة أيام . ومرو الرُّوذ على نهر عظيم وهي صغيرة بالنسبة إلى مرو الأخرى . (معجم البلدان ٥ / ١٣٢) .

(٦) سمرقند : بلد معروف مشهور ، وهو قصبة الصُّغد مبنية على جنوبى وادي الصغد مرتفعة عليه ، ويقال بناها ذو القرنين ، وقيل شمر أبو كرب ، وفتحها سعيد بن عثمان في عهد معاوية . (معجم البلدان ٣ / ٢٧٩) .

قوله : أبو سعيد ، يريد المهلّب بن أبـي صفـرة ، وقولـه : ابـن دحمـة ، يريـد يزيد بن المهلب . [٤ / ١٢٦ - ١٢٧]

خطبته لأهل العراق :

٢ - يا أهل العراق ، ألست أعلمَ الناس بكم . أما هذا الحيّ من أهل العاليـة فَنَعمُ الصَّدقة ؛ وأما هذا الحــيُّ مـن بكـر بـن وائـل ، فَعِلجـة[١] بَظـراء[٢] لا تَمنـع رجلَيها ؛ وأما هذا الحيّ من عبد القَبس ، فما ضَـربَ العَـيْر[٣] بذنبـه ؛ وأمـا هـذا الحيّ من الأزد ، فَعُلُوج خَلْق الله وأنباطه .

وأيم الله ، لو ملكتُ أمر الناس لَنَقَشْتُ أيديَهم ؛ وأمّا هذا الحــيّ مـن تميـم ، فإنهم كانوا يُسمّون الغَدْرَ في الجاهلية كَيْسان . [٤ / ١٢٦]

٣ - أبو الحسن المدائني قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان بن عبد الملك عَزله[٤] عن خراسان واستعمل يزيد بن المهلَّب ، كتب إليه ثلاث صُحف ، وقـال للرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دفَعها إلى يزيد فادفع إليه هذه ، فإن شتمني فـادفع إليه هذه . فلما سار الرسولُ إليه دفع الكتاب إليه ، وفيه : يا أمـير المؤمنـين ، إنّ من بلائي في طاعة أبيك وأخيك كَيتَ وكَيتَ .

فدفع كتابَـه إلى يزيـد . فأعطـاه الرسـولُ الكتـابَ الثـاني ، وفيـه : يـا أمير المؤمنين ، كيف تأمن ابنَ دَحْمة على أسرارك وأبوه لم يأمنه على أُمهات أولاده ؟ فلما قرأ الكتاب شَتمه وناوله ليزيد . فأعطاه الثالثَ وفيه : مـن قتيبـة بـن مسـلم إلى سليمان بن عبد الملك . سلام على من اتبع الهدى : أما بعد : فوا لله لأُوثقنّ

---

(١) العلجة : أُنثى العلج ، وهو الرجل من كفار العجم . (لسان العرب ٢ / ٣٢٦) .

(٢) بظراء : بينة البظر طويلته . والبَظر : ما بين الاسكتين من المرأة (اللسان ٤ / ٧٠) .

(٣) العَير : الحمار ، أيّاً كان أهليّاً أو وحشيّاً ، وكَنَـى بمـا يضربـه العير بذنبـه عـن جاعرتيـه ، وهمـا موضع الرقمتين من أســت الحمـار . يصفهـم بالضعفـة والمهانـة . (لسـان العـرب ٤ / ٦٤٠) وانظر العقد ٤ / ١٢٦ هامش رقم (٦) .

(٤) في عيون الأخبار ١ / ١٩٦ : ((لما بلغ قتيبة أن سليمان يريد عزله ...)) .

له أخِيّةً[١] لا ينزعها المُهر الأَرِن[٢] .

فلما قرأها قال سليمان : عَجّلنا على قتيبة ، يا غلام ، جدد له عهداً على خراسان . [٤ / ٤٢٦ - ٤٢٧]

٤ - قال : وهجا نهار بن تَّوسِعة[٣] قتيبة بن مسلم ، وكان وليَ خراسان بعد يزيد بن المهلّب ، فقال :

كانت خراسان أرضاً إذا يزيد بها ... وكلّ باب من الخيرات مَفتُوح

فبُدلت بعده قِرْداً نطوف به ... كأنها وَجْهه بالخل مَنْضُوح

فطلبه فهرب منه ، ثم دخل عليه بكتاب أُمّه[٤] ، فقال له : ويحك ! بأي وَجْه تَلْقاني ؟ قال بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك . فقرّبه وَوصله وأحسن إليه . [٢ / ١٤٦]

دراسة النصوص :

النص رقم (١) أورد الجاحظ[٥] ما يوافق ذلك وقد أرسلها المصنف من دون إسناد وفيها ألفاظ منكرة لا يتوقع صدورها من قائد مجاهد مثل قتيبة التابعي الجليل .

أما النص رقم (٢) وقد أورد الجاحظ مثله[٦] .

أما النص رقم (٣) يَبدوا أن المصنِّف نقله من ابن قتيبة[٧] ، وذكر النويري نحوه[٨] . وأورد بعض المؤرخين الرواية بمعناها[٩] وكان سبب عزل قتيبة أنه كان

---

(١) الأخيّةً : عود يعرض في حائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كعروة تشد إليه الدابة .

(٢) الأرِن : النشاط ، والأران : النشيط . (اللسان ١٣ / ١٤) .

(٣) هو نهار بن توسعة بن تميم بن عرفجة بن عمرو بن خَنْتَمْ بن عدي بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن عكاية . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣١٥) .

(٤) أي أم قتيبة بن مسلم .

(٥) البيان والتبيين ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ .

(٦) المصدر السابق ٢ / ١٣٣ - ١٣٤ .

(٧) عيون الأخبار ١ / ١٩٦ - ١٩٧ من طريق المدائني .

(٨) عيون التواريخ ٤ / ٢٩٠ - ٢٩٢ ؛ نهاية الأرب في فنون الأدب ٢١ / ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٠٦ - ٥٠٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك ٧ / ١٨ - ١٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ١٢ - ١٣ ؛ ابن نباته : سرح العيون ص ١٩١ - ١٩٢ نقلاً عن الجاحظ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٧٤ .

ضمن الذين أيدوا عزل سليمان من ولاية العهد أيام الوليد بن عبد الملك ، وتوليه عمر بن الوليد مكانه[١] . وتذكر المصادر أن سليمان جدد الولاية ، ولكن قتيبة استعجل فنزع الطاعة قبل أن يعود إليه رسوله[٢] . وتألبوا عليه فقتلوه ، وذلك سنة (٩٦ هـ)[٣] .

النص رقم (٤) أورد ابن قتيبة نصاً مشابهاً[٤] ، ويضيف أشعاراً أخرى منها قوله :

أَقُتَيبَ قد قُلْنا غَدَاةَ لقيتَنا ... بَدَلٌ لعمْرك من يزيد أعْور[٥]

فلما بلغ ذلك وغيرُه من هجائه قتيبة ، طلبه فهرب منه لكنه استطاع بعد فترة أن يتوسل إلى قتيبة بواسطة أمه ، حيث أخذ منها كتاباً إلى ابنها قتيبة في الرضى عنه وترك مؤاخذته بما كان منه فرضي عنه[٦] ، وأعطاه عطاءً ، فقال نهار مادحاً لقتيبة بعد ما استقرت نفسه وهدأ منه الخوف :

ما كان فيمن كان في الناس قَبْلَنا ... ولا هو فيمن بعدنا كابن مسلم
أشدَّ على الكفّار قتلاً بسيفه ... وأكثر فينا مقسماً بعدَ مَقْسمَ[٧]

وهكذا الشعراء يرضون إذا اعطوا ويهجون إذا منعوا . أما بالنسبة لولايته على خراسان ، فقد ذكر المؤرخون أن قتيبة بن مسلم الباهليّ تولى ولاية خراسان من قبل الحجاج بن يوسف أيام عبد الملك بن مروان ، حيث قدم قتيبة إليها

---

(١) راجع المصادر السابقة .

(٢) راجع المصادر السابقة .

(٣) راجع المصادر السابقة مع ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ / ٨٨ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٤١٠ ؛ وانظر عبد الشافي : العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ١٦٦ .

(٤) الشعر والشعراء ١ / ٥٣٧ - ٥٣٨ .

(٥) ابن قتيبة : المصدر السابق ١ / ٥٣٧ .

(٦) ابن قتيبة : المصدر السابق ١ / ٥٣٨ .

(٧) ابن قتيبة : المصدر السابق ١ / ٥٣٨ ؛ القالى : الأمالى ٢ / ١٩٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ / ٨٧ .

سنة (٨٦ هـ) قبل وفاة الخليفة عبد الملك[١] وقيل قدم قتيبة على خراسان سنة (٨٥ هـ)[٢] . ولم يزل قتيبة أميراً على خراسان أيام الوليد[٣] حتى خلفه سليمان[٤] . وكانت خراسان قبله في ولاية يزيد بن المهلب الذي خلف والده المهلب بن أبي صفرة[٥] .

١٠ - خالد بن عبد الله القسري* .

١ - كان خالد بن عبد الله القسري والياً على المدينة للوليد ، ثم أقره سليمان ، وكان قاضي مكة طلحة بن هَرَم[٦] ، فاختصم إليه رجلٌ من بني شيبة ، الذين إليهم مفتاح الكعبة ، يقال له الأعجم[٧] ، مع ابن أخ له في أرض لهما ، فقضى للشيخ على ابن أخيه ، وكان متّصلاً بخالد بن عبد الله ، فأقبل إلى خالد

---

(١) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٩٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٥٢٣ ؛ وانظر : الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ١٨٨ وفيه : سنة ٨٧ هـ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٥٢٤ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٠ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٨ .

(٥) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٥ .

* خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسيد بن كرز البَجَلي القَسْري الدِّمشقي ، أبو الهيثم ، كان جواداً ممدَّحاً مُعظّماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال ، تولى إمرة مكة للوليد بن عبد الملك بعد عزل نافع بن علقمة وذلك سنة (٨٩ هـ) ، واستمرت إمرته حتى عزله سليمان بن عبد الملك ، ثم تولى إمرة العراقين لهشام بن عبد الملك سنة (١٠٦ هـ) ، غير أن هشام عزله سنة (١٢٠ هـ) حيث ولاّها يوسف بن عمر الثّقفي . ومن حسنات خالد أنه ذبح الجعد بن درهم لما أنكر بعض صفات الله سبحانه وتعالى ولكنه كان ناصبي سباب ومات خالد سنة (١٢٦ هـ) تحت تعذيب والي العراق يوسف بن عمر الثقفي بأمر من الوليد بن يزيد . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢٥ - ٤٣٢ ؛ الفاسي : العقد الثمين ٤ / ٢٧٠ - ٢٨٢) .

(٦) طلحة بن هرم : لم أقف له على ترجمة .

(٧) هو عبد الله بن شيبة الأعجم . انظر الفاكهي : أخبار مكة ٣ / ١٧٠ .

فأخبره ، فحال خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي . فكتب القاضي كتاباً إلى سليمان يشكو له خالداً ، ووجَّه الكتاب إليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان إلى خالد : لا سبيل لك على الأعجم ولا ولده ، فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وقال : لا سبيل لك علينا ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فأمر به خالد فضرب مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان ، فبعث القاضي ابنَه المضروب إلى سليمان ، وبعث ثيابه التي ضرب فيها بدمائها . فأمر سليمان بقَطْع يد خالد ، فكلّمه يزيد بن المهلب ، وقال : إن كان ضربَه يا أمير المؤمنين بعدما قرأ الكتاب تُقطع يده ، وإن كان ضَربه قبل ذلك فَعفو أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان إلى داود بن طلحة بن هرم : إن كان ضَرب الشيخَ بعدما قرأ الكتاب الذي أرسلته فاقطع يده ، وإن كان ضَربه قبل أن يقرأ كتابي فاضربه مائة سوط ، فأخذ داود بن طلحة ، لمّا قرأ الكتاب ، خالداً فضربه مائة سوط . فجزع خالد من الضّرب ، فجَعل يَرفع يديه . [٤ / ٤٢٨ - ٤٢٩]

دراسة النص :

هذه الرواية ذكرها كل من الفاكهي[١] والمسعودي[٢] والفاسي[٣] وكان خالد ابن عبد الله القسري والياً على مكة ، كما ذكره المؤرخون[٤] .

ولم يزل عليها حتى مات الوليد بن عبد الملك[٥] وأقره سليمان بن عبد الملك وكانت المدينة ومكة ولاية واحدة . وفي سنة ست وتسعين عزل سليمان خالداً عن مكة وولاها طلحة بن داود[٦]

---

(١) أخبار مكة ٣ / ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) مروج الذهب ٣ / ١٨٩ .

(٣) العقد الثمين ٤ / ٢٧٧ .

(٤) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣١٧ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٤٤٠ ، ٥٢٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٥٣٦ .

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٥٥٤ .

(٦) الكتبى : عيون التواريخ ٤ / ٢٨٩ .

والنص يدل على انتصار سليمان بن عبد الملك للقاضي وانفاد قضائه . كما يدل على عدالة سليمان وإنصافه ، ورغم أن المدعى عليه عامله وواليه إلا أنه أقاد منه .

وقد ندم خالد القسري في تسرعه وعدم قراءته كتاب الخليفة ، وما جاء فيه ، وقال : لما فتح الكتاب وقرأه : ((لو كنت دريت بما في كتاب أمير المؤمنين لما ضربتك))[1] فدفع ثمن تسرعه .

١١ – موسى بن نصير* .

١ – وحبس سليمانُ بن عبد الملك موسى بن نصير وأوحى إليه : اغرم ديتك خمسين مرة . فقال موسى : ما عندي ما أغرمه . فقال : وا لله لتغرمنّها مائة مرة ، فحملها عنه يزيد بن المهلب ، وشكر ما كان من موسى إلى أبيه المهلَّب أيامَ بشر بن مروان ، وذلك أن بشراً هَمَّ بالمهلَّب ، فكتب إليه موسى يُحذّره ، فتمارض المهلّب و لم يأته حين أرسل إليه . [٤ / ٤٢٨]

---

(١) الفاكهي : المصدر السابق ٣ / ١٦٩ ؛ المسعودي : المصدر السابق ٣ / ١٨٩ ؛ الفاسي : المصدر السابق ٤ / ٢٧٧ .

* موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي صاحب فتح الأندلس ، وكان أمير افريقية والمغرب وليها سنة تسع وسبعين ، وكان أعرج مهيباً ذا رأي وحزم ، ووَلِيَ غزو البحر لمعاوية بن أبي سفيان ، فغزى قبرس ، وبنى هناك حُصوناً وظل أميراً على المغرب حتى مات عبد الملك ، وشخص إلى الشام آخر أيام الوليد ، مستخلفاً ابنه عبد ا لله وراءه . وخرج مع سليمان في سنة الحج حيث مات في هذه الرحلة في مكان يُسمى بمر الظهر سنة سبع أو تسع وتسعين . (الضبي : بغية الملتمس ص ٤٥٧ – ٤٥٨ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٩٦ – ٥٠٠) خليفة ص ٣٠٧ ، وفي سنة ٩٥ هـ قفل موسى من افريقية واستخلف ابن عبد ا لله بن موسى بن نصير وحمل الأموال على العجل والظهر ، ومعه ثلاثون ألف رأس ، فقدم على الوليد . انظر : صفات الذهبي تاريخ الإسلام ٣ / ٣٢٨ لكنه لم يذكر واستخلف ابنه . كان موسى والياً على إفريقية حتى مات عبد الملك ثم شخص إلى الوليد سنة (٩٥ هـ) واستخلف ابنه عبد ا لله حتى مات الوليد. خليفة ٣١١ .

دراسة النص :

لم يذكر المصنف فيما يتعلق بولاية موسى بن نصير غير هذا النص و لم يسند الرواية .

ويؤكد بعض المؤرخين مضمون الرواية ويروون أن سبب ذلك يرجع إلى أن موسى كتب إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بالغنائم والهدايا التي اصطحبها من الأندلس وهو في مصر ، وكان الوليد يكتب إلى موسى يستعجله في ذلك ، وهو مريض ، بينما كان سليمان بن عبد الملك يكتب إلى موسى يطلبه المكث والمقام ، ليموت الوليد ، ويصير ما مع موسى إليه غير أن موسى لم يلتزم ما أمر به سليمان فقدم على الوليد وهو مريض مرضه الذي مات فيه . فنكبه سليمان لأول ولايته وأغرمه مائة ألف دينار ، وأخذ ما كان له ، وأقامه للشمس[١] .

ولكن المتتبع للنصوص التاريخية يجد ما يخالف هذه الرواية .

فيذكر ابن عبد الحكم أن سليمان بن عبد الملك أمر موسى برفع حوائجه وحوائج من معه . وذلك حينما كان سليمان يتفقد الهدايا والغنائم التي جاء بها موسى من الأندلس[٢] .

وهذه العبارة لا تقال لرجل في موضع الغضب والنقمة من الخليفة[٣] .

كما أن سليمان بن عبد الملك قد جعل موسى بن نصير من كبار مستشاريه، وخاصة فيما يتعلق بالجهاد[٤] إضافة إلى أن سليمان بن عبد الملك اصطحب موسى معه إلى الحج ، وذلك حين عزم على الحج في سنة (٩٧ هـ)[٥] كل هذه

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ١ / ٤٥ - ٤٦ ؛ ابن الابار : الحُلّة السيراء ص ٣٣٤ ؛ وانظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٩٨ .

(٢) انظر : فتوح مصر ص ٢١١ .

(٣) عبد الشافي : العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ١٦٥ ، وفيه مناقشة مفيدة ترد على الروايات التي تتهم سليمان بأنه نقم على موسى لأجل المال .

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ١٧٩ وانظر البيان المغرب ٢ / ٢١ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ١ / ٤٦ ، ٢ / ٢٢ ؛ ابن منظور : متخصر تاريخ دمشق ٢٦ / ٢٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٠٠ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ١٧٤ .

الأحداث تدل على خلاف الرواية التي أوردها ابن عبد ربه وتوضح أن العلاقة بين سليمان وموسى كانت طيبة .

وإذا كان هناك شيء حدّث فربما أن سليمان شك بأن موسى أبقى عنده شيئاً من الغنائم والهدايا ، وما قدمه لم يكن كافياً ، وخاصة أن ابن عبد الحكم يذكر « أنه بينما سليمان يقلب تلك الهدايا ، إذ انبعث رجل من أصحاب موسى ابن نصير ، يقال له : عيسى بن عبد الله الطويل ، من أهل المدينة ، وكان على الغنائم ، فقال يا أمير المؤمنين إن الله قد أغناك بالحلال عن الحرام ، وإني صاحب هذه المقاسم وإن موسى لم يخرج خمساً من جميع ما أتاك به »(1) .

وأيما كان الأمر فإن موسى بن نصير تولى إمرة إفريقية سنة (٧٨ هـ) من قبل عبد العزيز بن مروان(2) ، وقيل سنة (٧٩ هـ)(3) ، لأنه كان مع عبد العزيز ابن مروان في مصر منذ أن رجع من العراق ، « وكان - موسى - من أثر الناس عند عبد العزيز بن مروان »(4) .

وكان عامل إفريقية قبل ذلك حسان بن النعمان الغساني(5) وخلال ولاية موسى في إفريقية غزا بلاد المغرب حتى قدر الله على يديه فتح أماكن كثيرة ، وانتهى إلى طبنة* وطنجة** ، ثم تحول إلى فتح بلاد الأندلس حيث توغّل فيها ،

---

(١) فتوح مصر ص ٢١١ .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٢٧٧ ؛ ابن الابار : الحلّة السيراء ٢ / ٣٣٢ .

(٣) ابن الأبار : المصدر السابق ٢ / ٣٣٢ .

(٤) ابن منظور : المصدر السابق ٢٦ / ١٣ ، ١٦ .

(٥) خليفة : المصدر السابق ص ٢٩٨ ، وقال خليفة : « في سنة ٧٨ هـ قفل حسان بن النعمان من القيروان ، وقدم على عبد الملك فردّه إلى إفريقية وزاده أطرابلس ، فقدم على عبد العزيز بن مروان بمصر فلم ينفذه عبد العزيز ، وولى موسى بن نصير ، فقدم حسان على عبد الملك فأمره بلزوم بيته » . (انظر تاريخ خليفة ص ٢٧٧) ؛ انظر : ابن العذارى : البيان المغرب ١ / ٤٥ .

* طبنة : بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على صفة الزاب . (معجم البلدان ٤ / ٢٤) .

** طنجة : بلدة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء . (معجم البلدان ٤ / ٤٩) .

وبلغ إلى سرقسطة ، وأصاب غنائم كثيرة[١] .

وفي سنة (٩٤ هـ) قدم موسى بن نصير من الأندلس ، وأوفد وفداً إلى الوليد يخبره بما فتح الله على يديه ، وما معه من الأموال والتيجان ، وبعث إليه بالخمس[٢] .

١٢ - يزيد بن المهلّب* .

١ - قال ابنُ عَياش : فلما هلك الوليد واستُخلف سليمانُ استعمل يزيد بن المُهلَّب على العراق وأمره بقتل آل ابن عقيل ، فقتلهم . [٥ / ٥٦ - ٥٧]

٢ - دخل كُرَيز بن زُفَر بن الحارث على يزيد بن المهلّب فقال : أصلح الله الأمير ، أنت من أعظم من أن يُستعان بك ويُستعان عليك ، ولستَ تفعل من الخير شيئاً إلا وهو يَصغُر عنك وأنت أكبر منه ، وليس العجبُ أن تفعل ، ولكن العجبُ أن لا تفعل قال : سَلْ حاجتك . قال : قد حَملت عن عَشيرتي عشر دِيات . قال : قد أمرتُ لك بها وشَفعتها بمثلها . [١ / ٢٥٥]

٣ - الأصمعيّ قال : قدم على يزيد بن المهلَّب قوم من قُضاعة[٣] من بني

---

(١) راجع عن سلسلة هذه الفتوح كتاب (مختصر تاريخ دمشق ٢٦ / ١٥ - ١٩) .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٣٠٦ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٢٦ / ١٦ .

* يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأمير ، أبو خالد الأزدي وَلِيَ المشرق بعد أبيه ، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم عزله عمر بن عبد العزيز وحبسه ، فلما استخلف يزيد بن عبد الملك خرج عليه وقلب على البصرة فسار لحربه مسلمة بن عبد الملك ، فالتقوا فقتل يزيد في صفر سنة اثنين ومئة عن عمر يناهز تسع وأربعين سنة . انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٠٣ - ٥٠٦) .

(٣) قضاعة : قبيلة عربية تنتسب إلى عدنان . وقال قوم : قضاعة بن مالك بن حِمْيَر ، وقال الكلبي : هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر . ولم يعقب لقضاعة إلا ولده الحاقي بن قضاعة . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٠) . وانظر : (القلقشندي : قلائد الجمان ص ٤١ - ٤٢) .

ضنة[1] ، فقال رجل منهم :

والله ما نَدْري إذا ما فاتنا ... طَلَبُ إليك مَن الذي نتطَّلبُ

ولقد ضَرَبنا في البلاد فلم نَجدْ ... أحداً سواكَ إلى المَكارم يُنسبُ

فاصبِرْ لعادَتِنا التي عَوّدْتنا ... أولاً فأرْشِدنا إلى من نَذْهب

فأمر له بألف دينار . فلما كان في العام المُقبل وفد عليه فقال :

مالي أرى أبوابَهم مَهْجورة ... وكأنّ بابَك مَجْمع الأسواقِ

حابوك أم هابوك أم شامُوا النَّدَى ... بَيَديك فاجتمعوا منَ الآفاق

إنّي رأيتك للمكارم عاشِقاً ... والمَكْرُماتُ قليلةُ العُشَّاق

فأمر له بعشرة آلاف دِرْهم . [١ / ٣٠٥ - ٣٠٦]

٤ - وَمرَّ يزيد بن المهلّب في طريق البَصرة بأعرابية فأهدت إليه عَنزاً فقَبلها ، وقال لابنه معاوية : ما عندك من نفقة ؟ قال : ثمانمائة درهم ، قال : ادفعها إليها. قال : إنها لا تعرفك ويُرضيها اليسير . قال : إن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي ، وإن كان يُرضيها اليسير ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير . [١ / ٣٠٦]

٥ - وقيل ليزيد بن المهلّب : مالَك لا تبني داراً ؟ قال : منزلي دار الإمارة أو الحَبْس . [١ / ٣٠٣] ومثله [٣ / ٢٢٣]

٦ - قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلَّب : في من العِزُّ بالبصرة؟ قال : فينا وفي خلفائنا من ربيعة . قال سليمان[2] : الذي تحالفتما عليه أعزّ منكما .

[٤ / ٣٥] ونحوه [٤ / ٤٨]

دراسة النصوص :

النص رقم (١) يحدد ولاية يزيد بن المهلب للعراق من قبل الخليفة سليمان ابن عبد الملك وذلك عقب عزل يزيد بن أبي مسلم عنها سنة (٩٦ هـ)[3] .

---

(١) بنو ضِّنة : هم ولد ضِّنة بن سعد بن هُذَيْم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة. وهم : تميم ، وغنيم ، وقطيعة ، وعوذ . (ابن حزم : المصدر السابق ص ٤٤٧) .

(٢) في عيون الأخبار : قال عمر بن عبد العزيز ١ / ٢٩١ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٧ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٠٦ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ١٨ .

ويزيد بن المهلّب من الذين جمعت لهم المصران - الكوفة والبصرة[١] .

وتشير الرواية إلى أمر سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب بقتل آل أبي عقيل ، وأن يزيد تولى قتلهم ، والمراد بهم آل الحجاج بن يوسف الثقفيّ .

ولكن ابن عبد ربه ذكر روايته معلقة عن ابن عياش فهي ضعيفة وذكر المبرد ما يوافق ذلك ولكن بدون إسناد[٢] .

وتروي المصادر التاريخية والأدبية أن سليمان بن عبد الملك أمر لصالح بن عبد الرحمن - وكان على خراج العراق - أن يأخذ آل أبي عقيل ويحاسبَهم[٣] ، أي يستخرج منهم الأموال التي أخذوها بغير حق ويصادرها . ولم تذكر المصادر الأمر بقتلهم .

وذكر ابن الجوزي أمر سليمان لصالح بقتلهم ولكن بدون إسناد[٤] .

النص رقم (٢) أورد ابن قتيبة نصاً مماثلاً[٥] .

والنص رقم (٣) أورد صاحب الأمالي مثله[٦] ولكن عبد الملك بدلاً من يزيد بن المهلّب .

والنص رقم (٤) أورد المبرد مثله[٧] .

وهذه النصوص الثلاثة الأخيرة تحكي سخاء يزيد بن المهلب وجوده ، وهو ما عرف عن يزيد في حياته ، وقد روي أن سعيد بن عمرو ورد عليه وهو في السجن ، وأعطاه خمسين ألف درهم ، بمجرد أن زاره في السجن مدعياً أن له ديناً

---

(١) خليفة : المصدر السابق ص ٣١٧ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٥٧١ .

(٢) الكامل في اللغة ٢ / ١٠٠ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣١٨ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٠٦ ؛ الزمخشري : ربيع الأبرار ٤ / ٧٢ ؛ الدميري : كتاب حياة الحيوان الكبرى ١ / ٨٤ .

(٤) المنتظم ٧ / ١٨ .

(٥) عيون الأخبار ٣ / ١٢٤ .

(٦) أبو علي القالي : كتاب الأمالي ٢ / ٢٨٣ .

(٧) الكامل في اللغة ١ / ١٣٨ .

عليه ، فقال عدي بن الرقَاع :

لم أرد محبوساً من الناس واحداً حَبا زائراً في السجن غيرَ يزيد
سعيدُ بن عمرو إذ أتاه أجازه بخمسين ألفاً عُجلت لسعيد[1]

أما النص رقم (٥) أورد ابن قتيبة نحوه[2] .

وقد فسر يزيد بن المهلب مقصود كلامه ذلك حين قيل له :لما لا تبني داراً فقال : لأني لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً ، فإن كنت أسيراً فالسجن داري ، وإن كنت أميراً فدار الإمارة داري[3] .

النص رقم (٦) ذكر ابن قتيبة مثله[4] ، وكان عندهما – أي عند الخليفة وابن المهلب – عمر بن عبد العزيز فقال : ينبغي أن يكون العزّ فيمن تُحُوِلفَ عليه يا أمير المؤمنين .

١٣ – عدي بن أرطأة* .

١ – كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدّي بن أرطأة عامله على العراق : إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق القادر عليك ، واعلم أن مَا لَكَ عند الله أكثر مما لَكَ عند الناس . [٤ / ٤٣٦] ونحوه [١ / ٤٠]

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٣٤٣ – ٣٤٤ .

(٢) ابن قتيبة : المصدر السابق ١ / ٢٣٦ .

(٣) ابن قتيبة : المصدر السابق ١ / ٣١٢ .

(٤) المصدر السابق ١ / ٢٩٧ من طريق الأصمعي .

* عديّ بن أرطأة بن جداية بن لَوذان الفَزَاريّ ، ويقال : من بني خزامة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي ابن فزارة بن ذُبْيَان الدمشقي ، أمير البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز ، فلما قدم عليها قيّد يزيد ابن المهلب ، وأنفذه إلى عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عمر ، انفلت يزيد من سجن عمر ودعا إلى نفسه وهجم على البصرة ، فقتله عدياً وجماعة صبراً وذلك سنة (١٠٢ هـ) . انظر : (ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٦ / ٢٩٠) ، (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٥٣) .

هذا النص ذكر ابن قتيبة رواية مقاربة له[١] وكذا ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق[٢] ، وفي النص جانب من سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه ولاته ونصيحتهم وتذكيرهم حتى يتمكنوا من إقامة العدل والإنصاف .

وقد كان عدي بن أرطأة تولى ولاية البصرة سنة (٩٩ هـ) وقدم عليها من قبل عمر بن عبد العزيز ، وذلك بعد عزل يزيد بن المهلب عنها[٣] .

١٤ - مسلمة بن عبد الملك* .

١ - قال[٤] : ولما قُتل يزيد بن المهلَّب جمع يزيدُ بن عبد الملك العراقَ لأخيه مَسلمة بن عبد الملك . فيبعث هلالَ بن أَحْوز المازنيّ[٥] إلى قندابيل[٦] في طلب آل المهلب ، فالتقوا ، فقُتل المُفضل بن المهلّب[٧] ، وانهزم الناس ، وقَتل هلال بن أحوز خمسة من ولد المهلّب ، ولم يُفتِّش النساء ولم يَعّرض لهن ، وبَعث العيالَ والأسرى إلى يزيد بن عبد الملك . [٤ / ٤٤٢ - ٤٤٣]

دراسة النص :

النص السابق يشير إلى أمور عدة :

---

(١) عيون الأخبار ٤ / ١١٥ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ١١٦ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٢٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٥٣ .

* مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الأمير ، أبو سعيد يُلَقّبُ بالجرادة الصفراء . وكان موصوفاً بالشجاعة والإقدام والرأي والدهاء . ولي أرمينية وأذربيجان غير مرة وإمرة العراقين وله غزوات كثيرة . انظر : (الذهبي : العبر ١ / ١١٨) .

(٤) ابن الحسن المدائني .

(٥) هلال بن أحوز بن أربد بن مَحْرر بن لأي بن سهل ، وأخوه سلم بن أَحْوز . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١١) .

(٦) قندابيل : مدينة بالسند وهي قصبة الولاية يقال لها الندهة كانت فيها وقعة هلال بن أحوز . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٤٥٦) .

(٧) المفضل بن المهلب بن أبي صفرة ، له عقب ، ومن ولده : عثمان ، وحبان ، وغسان ، وحاجب وغيرهم . انظر : (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٨ - ٣٦٤) .

أولاً : جمع يزيد بن عبد الملك العراق لأخيه مسلمة بن عبد الملك بعد انتصاره على يزيد بن المهلب وقتله .

وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين[١] ويضيف هؤلاء المؤرخون إلى ذلك ولاية خراسان[٢] ، وذلك نتيجة نجاح مسلمة بن عبد الملك في إضماد فتنة يزيد ابن المهلّب .

غير أن خليفة بن خياط[٣] وابن منظور[٤] يذكران أن يزيد بن عبد الملك لما جمع العراق لأخيه مسلمة أمره بمحاربة يزيد بن المهلّب ، وذلك سنة (١٠١هـ) .

وما ذهب إليه خليفة وابن منظور هو أرجح ، لأن الخليفة جمع العراق لمسلمة لتكون له بذلك حافزاً على محاربة ابن المهلب ، واستئصال شأفته ، وعلى ذلك وافق ابن العماد[٥] .

وبذلك أصبح مسلمة من القرشيين القلائل الذين جمعت لهم العراق[٦] .

ثانياً : إرسال مسلمة بن عبد الملك هلال بن أحوز المازنيّ إلى قندابيل ، وتتبع مسلمة بن عبد الملك فلول آل المهلب الذين فروا إلى قندابيل ، ذكره ابن الأثير[٧] ، وكان في من قَتَل هلال بن أحوز خمسة من آل المهلب ، وهؤلاء الخمسة هم : يزيد ، والمفضل ، وعبد الملك ، وزياد ، ومروان[٨] .

---

(١) ابن الجوزي : شذور العقود مخطوط لوحة ٢٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٨٩ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٢٦٣ ، ٢٤ / ٢٦٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٩٠ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) تاريخ خليفة ص ٣٢٥ .

(٤) المصدر السابق ٢٤ / ٢٦٢ نقلاً عن خليفة .

(٥) شذرات الذهب ١ / ١٢٢ .

(٦) ابن قتيبة : المعارف ص ٥٧١ .

(٧) ابن الأثير : المصادر السابقة ٥ / ٨٦ – ٨٧ .

(٨) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٨٦ .

١٥ - يزيد بن أبي مسلم* .

١ - قال محمد بن يزيد الأنصاري : فلما ولي عمر بن عبد العزيز ، بعثني ، فأخرجتُ من السجن مَن حَبَس سليمان ، ما خلا يزيد بن أبي مُسلم فقد رُدّ ، فلما مات عمر بن عبد العزيز ولاّه يزيد بن عبد الملك إفريقية ، وأنا فيها ، فأُخِذتُ فأتى بي إليه في شهر رمضان عند الليل ، فقال : محمد بن يزيد ؟ قلت : نعم . قال : الحمد لله الذي مكنني منك بلا عهد ولا عَقْد ، فطالما سألتُ الله أن يُمكنني منك . قلت : وأنا ، والله طالما استعذت بالله منك . قال : فوالله ما أعاذك الله منّي ، ولو أنّ ملك الموت سابقني إليك لسبقتُه . قال : فأقيمت صلاة المغرب ، فصلى ركعة ، فثارت عليه الجُند فقتلوه ، وقالوا لي : خُذ أيّ طريق شِئتَ . [٤ / ٤٢٧]

دراسة النص :

النص السابق يظهر أن ابن عبد ربه نقله من تاريخ خليفة بن خياط[(١)] وذكر الجهشياري نصاً مماثلاً ، عن الوضاح بن خيثمة بدلاً من محمد بن يزيد[(٢)] ، وكذا ذكر التنوخيّ[(٣)] وفي النص عدة أمور منها :

أولاً : ولاية يزيد بن أبي مسلم على إفريقية :

أورد المؤرخون أن يزيد بن عبد الملك استعمل يزيد بن أبي مسلم على إفريقية سنة (١٠١ هـ)[(٤)] .

---

* يزيد بن أبي مسلم ، أبو العلاء بن دينار الثقفي ، مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه ومشيره ، استخلفه الحجاج عند موته على الجباية الخراج ، فضبط ذلك وأقره الوليد ، ولم تطب علاقته مع سليمان بن عبد الملك ، غير أنه لما استخلف يزيد بن عبد الملك ولاّه على الإفريقية ، وفي سنة (١٠٢ هـ) ثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٣ - ٥٩٤) .

(١) تاريخ خليفة ص ٣٢٦ ؛ وانظر : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ٣ / ٣٥٦ ، ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) الوزراء والكتاب ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) الفرج بعد الشدّة ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٣٢٦ ، ٣٣٤ ؛ التنوخي : المصدر السابق ٢ / ١٤٤ ؛ ابن الأبار : إعتاب الكتاب ص ٥٨ ؛ الحُلّة السيراء ٢ / ٣٣٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٤ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٤٠١ .

وقدم يزيد بن أبي مسلم إفريقية سنة (١٠٢ هـ)[١] وكان إسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم والياً عليها قبل ذلك[٢] .

ثانياً : مقتل يزيد بن أبي مسلم .

تروي المصادر التاريخية أن يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية قد قتل على يد بعض الجند من حرسه بإفريقية سنة (١٠٢ هـ)[٣] .

ويقال أن سبب قتله أنه أراد أن يسير في الحجاج من أهل العراق ، من حيث الشدة والحزم وأخذ أراضيهم بالخراج ، رغم إسلامهم[٤] .

وتولى أمر إفريقية بعد يزيد بن أبي مسلم، بشر بن صفوان عاملاً على مصر، وقدم على إفريقية في شهر شوال سنة (١٠٢ هـ)[٥] .

وقيل : أن أهل إفريقية لما قتلوا يزيد بن أبي مسلم ، أعادوا الوالي قبله وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك[٦] .

ولكن الأمر الأول أرجح ، لأن خليفة بن خياط يهتم أكثر من غيره في أمر الولاة والكتاب ، إضافة أنه أقدم ممن خالفه .

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ٢ / ٣٣٦ .

(٢) خليفة : المصدر السابق ص ٣٢٣ .

(٣) خليفة : المصدر السابق ص ٣٢٦ ؛ التنوخي : المصدر السابق ٢ / ١٤٥ ؛ ١ / ٢٨٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٨١ ؛ ابن أبار : الحلة السيراء ٢ / ٢٢٦ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٤ / ٥٩٤ وفيه قتله الخوارج .

(٤) الجهشياري : المصدر السابق ص ٥٧ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٨١ ؛ انظر : الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٤٠١ .

(٥) خليفة : المصدر السابق ص ٣٣٤ .

(٦) الجهشياري : المصدر السابق ص ٥٧ ؛ التنوخي : المصدر السابق ٢ / ١٤٥ ، ١ / ٢٨٨ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٨١ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٤٠١ .

الفصل الرابع

الروايات المتعلقة بالحركات المعارضة للحكم الأموي

- حركة عبد الله بن الزبير .
- حركة المختار بن أبي عبيد .
- حركات الخوارج .
- حركات الطالبيين .

أولاً : حركة عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه -

بيعة عبد الله بن الزبير بالخلافة :

١ - هشام بن عروة عن أبيه قال : كان عثمان استخلف عبد الله بن الزبير على الدار يوم الدار ، فبذلك ادّعى ابن الزبير الخلافة . [٤ / ٤١٨]

٢ - فلما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلّهم ابن الزبير إلا أهل الأردن ، وبايع أهل مصر أيضاً ابن الزبير ، واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهري على الشام . [٤ / ٣٩٣]

دراسة النصوص :

استخلاف عثمان بن عفان لابن الزبير رضي الله عنهما على الدار يوم الدار ذكره ابن سعد بإسناد صحيح ؛ وفيه قول عثمان : ((من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله ابن الزبير))[١] لكن دون قوله : فبذلك ادعى ابن الزبير الخلافة . وهذا القول من عثمان رضي الله عنه لا يترتب عليه أنه استخلف عبد الله بن الزبير على المسلمين جميعاً ، و لم يفهم ابن الزبير ذلك ، ولو فهم ذلك لادّعى الخلافة في عهد علي بن أبي طالب . و لم يرد في المصادر أن ابن الزبير ادعى ذلك، وما طلب البيعة إلا بعد وفاة يزيد بن معاوية . وقد كان طوال خلافة يزيد بن معاوية مطالباً بالشورى[٢] . فلما قتل الحسين بن علي ، ومات يزيد بايعه أهل الحجاز ومن ثم جاءته بيعة أهل الأمصار بما فيهم أهل الشام ، لأن معاوية بن يزيد

---

(١) الطبقات الكبرى ٣ / ٧٠ ؛ انظر : أبو بكر بن أبي شيبة : كتاب المصنّف في الأحاديث والآثار ١٥ / ٢٠٤ حديث رقم ١٩٥٠٨ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف القسم الرابع ١ / ٥٦٤ . وانظر الآثار التي وردت في حصار عثمان وتخريجها عند سعد الموسى : النصوص التاريخية في مسند الإمام أحمد بن حنبل في فترة الخلفاء الراشدين ص ٢٧٠ - ٢٨٢ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٢٥٨ ؛ البلاذري : المصدر السابق ٤ / ٣٣٩ القسم الرابع ١ / ٣٣٩ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ٦ / ١٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٢٢ . وانظر : عبد الله بن عثمان بن عبد الكريم الخراشي : عبد الله بن الزبير والأمويّون ص ٥٨ .

تنازل عن الأمر ثم لم يلبث أن مات سنة ٦٤ هـ[١] .

قتل مصعب والإستيلاء على العراق :

٣ - لما استقرت البيعةُ لعبد الملك بن مروان ، أراد الخُروج إلى مُصعب بن الزبير ، فجعل يستنفر أهل الشام فيُبطئون عليه ، فقال له الحجّاج بن يوسف : سَلِّطني عليهم ، فوا لله لأخرجنّهم معك . قال له : قد سلَّطتك عليهم . فكان الحجّاج لا يَمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلّف عن الخروج إلا أحرق عليه دارَه . فلما رأى ذلك أهلُ الشام خرجوا ، وسار عبدُ الملك حتى دنا من العراق . وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة ، فالتقوا بين الشام والعراق . وقد كان عبد الملك كتب كُتباً إلى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها إلى نَفسه ويجعل لهم الأموال ، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر بمثل ذلك ، على أن يَخْذلوا مُصعباً إذا التَقوا . فقال إبراهيم بن الأشتر لمُصعب : إن عبد الملك قد كتب إليّ هذا الكتاب ، وقد كتب إلى أصحابي بمثل ذلك ، فادعُهم الساعةَ فاضرب أعناقهم . قال : ما كنت لأفعل ذلك حتى يَستبين لي أمرهم . قال أخرى . قال : ما هي ؟ قال : احبسْهم حتى يَستبين لك ذلك . قال : ما كنت لأفعل . قال : فعليك السلام ، وا لله لا تراني بعدُ في مجلسك هذا أبداً . وقد كان قال له : دَعْني أدعو أهلَ الكوفة بما شرطه ا لله . فقال : لا وا لله ، قتلتُهم أمس وأستنصر بهم اليوم ! قال : فما هو إلا أن التقوا فحوّلوا وجُوههم وصاروا إلى عبد الملك . وبقى مُصعب في شِرذمة قليلة ، فجاءه عبيد ا لله بن زياد بن ظبيان ، وكان مع مُصعب ، فقال : أين الناس أيها الأمير ؟ فقال : قد غدرتم يا أهل العراق ! فرفع عبيد ا لله السيف ليضرب مُصعباً ، فبدره مصعب فضربه

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٥٣٠ - ٥٣١ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٦٦ ؛ الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ١٧٦ ؛ وانظر : جميل المصرى : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب ص ٥٠١ ؛ وعبد ا لله بن عثمان : المرجع السابق ص ١١٩ - ١٤٣ وفيه مناقشة مفيدة .

بالسيف على البَيضة ، فَنشِب السيفُ في البيضة ، فجاء غلام لعبيد ا لله بن زياد ابن ظبيان فضرب مُصعباً بالسيف فقتله ، ثم جاء عبيد ا لله برأسه إلى عبد الملك ابن مروان وهو يقول :

نُطيع مُلوك الأرض ما أقْسَطوا لنا   وليس علينا قتْلهم بمحَرَّمِ

قال : فلما نظر عبدُ الملك إلى رأس مُصعب خرَّ ساجداً . فقال عبيد ا لله بن زياد بن ظبيان ، وكان من فُتّاك العرب : ما ندمتُ على شيء قطُّ نَدمي على عبد الملك بن مروان إذ أتيتُه برأس مُصعب فخرّ ساجداً أن لا أكون ضربتُ عنقه ، فأكونَ قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد . وقال في ذلك عبيد ا لله بن زياد بن ظبيان :

هَممتُ و لم أفعل وكِدْتُ وليتني   فعلتُ فأذْمنت البُكا لأقاربه

فأوردتُها في النار بكر بن وائل   وألحقتُ من قد خَرَّ شُكْراً بصاحبه

[٤ / ٤١٠ – ٤١١]

٤ – الرياش عن الأصمعي قال : لما أُتى عبد الملك برأس مصعب بن الزبير نظر إليه مليّاً ، ثم قال : متى تَلد قُريش مثلَك ! وقال : هذا سيّد شباب قريش .
[٤ / ٤١١]

٥ – وقيل لعبد الملك : أكان مصعب يشرب الطلاء ؟ فقال : لو علم مُصعب أن الماء يُفسد مروءته ما شربه . [٤ / ٤١٢]

٦ – وقالوا : كان مصعب أجلَّ الناس ، وأسخى الناس ، وأشجع الناس . وكان تحته عَقيلتا قُريش : عائشة بنت طلحة ، وسُكَينةُ بنت الحسين . ولما قُتل مُصعب خرجت سُكينة بنت الحُسين تُريد المدينة ، فأطاف بها أهل العراق ، وقالوا : أحسن ا لله صحابتك يابنَةَ رسول ا لله . فقالت : لا جزاكم ا لله عني خيراً ، ولا أخلف عليكم بخير من أهل بلد ، قتلتم أبي وجدّي وعمّي وزَوْجي ، أيتمتموني صغيرةً وأرملتموني كبيرة . [٤ / ٤١٢] ونحوه [٦ / ٢٥٠]

٧ – ولما بلغ عبد الله بن الزُّبير قتل مُصعب صَعِد المنبر فجلس عليه ، ثم سكت ، فجعل لونُه يحمرّ مرة ويصفرّ مرة ، فقال رجل من قريش لرجل إلى جنبه : ما له لا يتكلم ! فوالله إنه للخطيب اللّبيب . فقال له الرجل : لعلّه يريد أن يذكر مقتل سيّد العرب فيشتدّ ذلك عليه ، وغير ملوم . ثم تكلّم فقال : الحمد لله له الخلف والأمر ، والدنيا والآخرة ، يُؤتي المُلك مَن يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ويذل مَن يشاء . أما بعد : فإنه لم يَعِزّ من كان الباطل معه ، ولو كان معه الأنام طُرّاً ، ولم يَذِلّ من كان الحقّ معه ، ولو كان فرداً ، ألا وإنّ خبراً من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يَرْعوى ذوو الألباب إلى الصبر وكريم الأجر ؛ وأما الذي أفرحنا ، فإن قَتل مصعب له شهادة ولنا ذَخيرة . أسلمه الطَّغام[١] ، الصُّلْم[٢] الآذان ، أهل العراق ، وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابنُ عمه ، وكانوا الخيارَ الصالحين . أما والله لا نموت حَتْف أُنوفنا[٣] كما يموت بنو مروان ، ولكن قَعْصاً[٤] بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف[٥] ، فإن تقبل الدنيا عليّ لم آخذها مأخذ الاشر البطر ، وإن تُدْبر عنيّ لم أبك عليها بُكاء الخَرِف الزائل العَقْل .

[٤ / ٤١٢ – ٤١٣] ونحوه [٤ / ١٠٩ – ١١٠]

دراسة النصوص :

خبر مواجهة مصعب بن الزبير مع عبد الملك بن مروان وما جرى بينهما من قتال ، وهزيمة مصعب وقتله ذكره المصنف بدون إسناد وذكره بعض

---

(١) الطَّغام : أَرْذل الطّير والسباع . (ابن منظور : لسان العرب ١٢ / ٣٦٨) .

(٢) الصُّلْم : قطع الأذن والأنف من أصلهما . (اللسان ١٢ / ٣٤٠) .

(٣) يقال : مات حتف أنفه ، إذا مات على فراشه ، كأنه سقط لأنفه فمات . (اللسان ٩ / ٣٨) .

(٤) القعص : الموت الوحى ، ومات قعصاً : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه . (اللسان ٧ / ٧٨) .

(٥) ورد نحوه في (١ / ١٠١) ابتداء من قوله : « فإن يقتل فقد قُتِل إلى تحت ظلال السيوف » .

المؤرخين[١] . ويظهر أن عبد الملك بن مروان انتصر بسبب ما اتبعه من مكيدة وخديعة ، وذلك عندما راسل رجالاً من وجوه أهل العراق يدعوهم إلى خذلان مصعب ، على أن يجعل لهم الأموال . وقد وصلت إحدى الرسائل إلى إبراهيم الاشتر قائد قواد مصعب يغريه بولاية العراق إن بايعه[٢] وأيما كان الأمر فإن مصعب بن الزبير قتل على يد عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، واجتز رأسه ، وذلك عقب هزيمة جيشه نتيجة خذلان أهل العراق ، وذلك سنة ٧١ هـ أو ٧٢ هـ[٣] .

وفي النص بيان لأخلاق مصعب بن الزبير وشجاعته مع عدله وحرصه على أن لا يأخذ أحداً بمجرد الظن ، كما أنه يبين أثر الدنيا على بعض النفوس .

النص رقم (٤) ذكر بعض المؤرخين ما يوافقه دون قوله : " هذا سيد شباب قريش " [٤] .

النص رقم (٥) ذكره البلاذري[٥] وربما يكون هو مصدر ابن عبد ربه .

---

(١) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ٢٢٦ - ٢٢٨ من طريق الواقدي ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٣٣ وما بعده ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦٥ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٢١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٥١ - ١٥٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٢٣ - ٣٢٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٧١ - ١٠٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣١٨ - ٣٢٠ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٣٧ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١١١ ؛ ابن الجوزى : شذور العقود لوحة ٢٥ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ص ٦٠ حوادث سنة (٦٧ هـ) .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٥ / ٢٢٨ ؛ وانظر الطبقة الخامسة للسلمى ٢ / ٩٠ ؛ البلاذرى : المصدر السابق ٥ / ٣٢٠ - ٣٣٧ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٢٦٥ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٥٩ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٢١ ؛ العسكرى : الأوائل ٢ / ٥٨ - ٥٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٢٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٢١ .

(٤) أبو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣١٣ وفيه : متى تغدو وقريش مثل مصعب ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٦١ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١١٥ .

(٥) أنساب الأشراف ٥ / ٢٨٠ ، ٣٤٥ .

وفي النصّين انصاف عبد الملك رغم ما بينهما من الخلاف والصراع .

النص رقم (٦) ذكر صاحب كتاب نسب قريش : أن سكينة بنت حسين كانت عند مصعب بن الزُّبير ، ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خُوَيلد ؛ فولدت له حكيماً ؛ وعثمان : وهما " قُرَين " ؛ وربيحة[١] . وأورد البلاذري أن مصعب تزوجها حين قدم البصرة فولدت له جارية سماها فاطمة[٢] وأن زيد بن عمر بن عثمان تزوج سكينة بنت الحسين بن علي فنهاه سليمان بن عبد الملك عنها فطلّقها لأن عبد الملك خطبها بعد مصعب بن الزبير فَأبته[٣] . وذكر ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقا : أن مصعب تزوج سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة وجمعهما في داره . وكانتا من أعظم النساء قدراً ومالاً وجمالاً[٤] . وكان مصعب يتمنى ذلك من قبل[٥] .

أما الجزء الأخير من النص فلم أقف علي من ذكره .

النص رقم (٧) وخطبة عبد الله بن الزبير حين بلغه مقتل مصعب بن الزبير ، فقد أوردها جمع من المؤرخين[٦] .

ابن الزبير وبنى هاشم :

٨ - وخطب عبد الله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين ، فقال : أيها الناس إن فيكم رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصرَه ، قاتل أُمّ المؤمنين

---

(١) مصعب الزبيري: نسب قريش ص٥٩، ٢٣٣؛ وانظر ابن قتيبة: المعارف ص٢١٤ رواية أبي اليقطان.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٢٨٢ .

(٣) البلاذري : المصدر السابق ٤ / ٦١٤ ؛ وانظر ابن قتيبة : المعارف ص ٢١٤ .

(٤) الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٢٢٣ ، دار صادر - بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٢٨٥ ؛ ابن عبد البر : بهجة المجالس ١ / ١٢١ .

(٦) الزبير بن بكار : الأخبار الموفقات ص ٥٣٩ - ٥٤٠ من طريق عنوابة بن الحكم ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار ٥ / ٢٤٠ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠ وفيه اختصار للخطبة ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٦٦ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١١٩ .

وحواريّ رسول الله ﷺ ، وأفتى بزواج المتعة . وعبد الله بن عباس في المسجد ، فقام وقال لعكرمة : أقم وجهي نحوه يا عكرمة ، ثم قال هذا البيت :

إن يأخذ الله من عَيَنَيّ نورهما ففي فُؤادي وعَقْلي منهما نور

وأما قولك يا ابن الزبير إني قاتلت أمّ المؤمنين ، فأنت أخْرجتها وأبوك وخالك ، وبنا سُميت أمّ المؤمنين ، فكنا لها خيرَ بنين ، فتجاوز الله عنها . وقاتلتَ أنت وأبوك عليّاً ؛ فإن كان عليّ مؤمناً ، فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً ، فقد بُؤْتم بسخط من الله بفراركم من الزّحف . وأما المُتْعَة ، فإني سمعت عليّ بن أبي طالب يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ رخّص فيها فأفتيتُ بها ، ثم سمعتُه ينهى عنها ، وأول مِجْمر[١] سطع في المتعة مِجْمر آل الزبير .

[٤ / ٤١٣ - ٤١٤]

٩ - لما توطَّد لابن الزُّبير أمره وملك الحَرمين والعراقين[٢] أظهر بعضُ بني هاشم الطعنَ عليه ، وذلك بعد موت الحسن والحُسين ، فدعا عبدَ الله بن عبّاس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم إلى بيعته ، فأبوا عليه ، فجعل يَشْتمهم ويتناولهم على المنبر ، وأسقط ذكر النبي ﷺ من خُطبته ، فعُوتب على ذلك ، فقال : والله ما يمنعني أنى لا أذكره علانية من ذِكره سرّاً وأُصلّي عليه ، ولكن رأيتُ هذا الحيّ من بني هاشم إذا سمعوا ذِكره اشرأبت أعناقُهم ، وأبغض الأشياء إليّ ما يسرّهم ، ثم قال : لتبايُعنّ أو لأحرقنكم بالنار ، فأبوا عليه ، فحبس محمد ابن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم في السجن ، وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم[٣] . فقال في ذلك كُثّير عَزَّة ، وكان ابنُ الزبير يدعى

---

(١) المِجْمر : هو الذي يوضع فيه النار والبخور . اللسان ٤ / ١٤٤ .

(٢) العراقان : المصران ، والمقصود هنا الكوفة والبصرة . (انظر المعارف ٥٧١) .

(٣) سجن عارم : سجن في مكة ، وسمي سجن عارم بهذا الإسم ، إن عارماً واسمه ايداء ولقبه عارم كان غلاماً لمصعب بن عبد الرحمن بن عوف سجن فيه ، عقب مقتل ابن الزبير ، وكان معه ، وقيل ان قبر عارم في ذلك ، ويحدد مكان سجن عارم في دبر دار الندوة ، وقيل في دبر لبني زهرة . الفاكهي : اخبار مكة ٣ / ٣٤١ .

العائذ ، لأنه عاذ بالبيت :

تُخبرُ من لا قيتَ أنك عائذُ ... بل العائذ المظلوم في سِجْن عارمِ

سَميُّ النبيّ المصطفى وابنُ عمه ... وفكّاك أغلالٍ وقاضى مغارم

وكان أيضاً يدعى المُحِلّ ، لإحلاله القِتال في الحرم . وفي ذلك يقول رجل من الشعراء في رمله بنت الزَّبير :

ألا من لقلب مُعنَّى غزل ... بذكر المُحلّة أُخت المُحلّ

ثم إن المختار بن أبي عُبيد وجّه رجالاً يثق بهم من الشيعة ، يكمنون النهارَ ويسيرون الليل ، حتى كسروا سجنَ عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ، ثم ساروا بهم إلى مأمنهم . [٤ / ٤١٣]

دراسة النصوص :

النص رقم (٨) أورده ابن عبد ربه بدون إسناد . وفيه ألفاظ منكرة لا تليق بمقام الصحابة – رضوان الله عليهم – أمثال ابن عباس وابن الزبير ، وذكره المسعودي – وهو شيعي – بتفاصيل أكثر مما أورده ابن عبد ربه[١] . ومسألة رأي ابن عباس في نكاح المتعة ورَد ابن الزبير عليه رواها الإمام مسلم في صحيحه ، ولفظه : ((أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال : إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة ... ، يعرض بابن عباس))[٢] . وقد رجع ابن عباس عن رأيه هذا لما بلغه النسخ حيث كانت اباحتها رخصة موقتة ثم حرمت[٣] .

النص رقم (٩) ذكره ابن عبد ربه من غير إسناد ، ولبعض ما ورد في النص شواهد وذكر عند المؤرخين نذكرها كما يلي :

أولاً : طلب ابن الزبير البيعة من عبد الله بن العباس ، ومحمد بن الحنفية ، وذلك بعد أن بايعته أغلب الأمصار الإسلامية ، وأصبحت بيعته شرعية ،

---

(١) انظر مروج الذهب ٣ / ٨٩ – ٩١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب نكاح المتعة حديث (٢٧) .

(٣) انظر رسالة تحريم نكاح المتعة لأبي الفتح نصر بن إبراهيم الشافعي (ص ١١١ – ١١٧) .

ولكنهما لم يحباه وكرها البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وقالوا : ما عندنا من خلاف ، ولكن إذا اجتمعت الأمة بايعناك ، ثم خرجا من مكة ونزلا الطائف مع مواليهم وأقاما هناك[١] . وكان بنو أمية قد بايعوا لمروان ، ثم لابنه عبد الملك في الشام ونصبوا الحرب لابن الزبير ، فالزمن في نظرهما ونظر غيرهما من فقهاء الصحابة زمن فتنة ، والاعتزال في الفتنة هو المشروع . هذه هي صورة ما حدث كما تذكره الروايات الصحيحة .

وما جاء في بعض الأخبار أنه سجنهما أو هددهما بالقتل فلا يصح منه شيء .

والنصوص الصحيحة والشواهد من الوقائع تخالف هذا ولكن لم تكن العلاقة صافية تماماً لاختلافهم في الرأي . فقد ذكر الفاكهي في أخبار مكة ما يشير إلى أن الحسن بن محمد بن الحنفية قد سجنه ابن الزبير في سجن عارم عند دار الندوة ، وأن الحسن قد خرج من السجن هرباً[٢] . وليس معنى ذلك أن العلاقة بين ابن الزبير وبين بيت بني هاشم كانت سيئة ، وخاصة إذا عرفنا أن بعض بني هاشم كانوا في صف ابن الزبير ، أمثال عبد الله بن جعفر ، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب[٣] .

ثانياً : الزعم بأن ابن الزبير أسقط ذكر النبي ﷺ في خطبته : حتى لا يسر بني هاشم بذلك هو اتهام باطل لا يمكن أن يفعله أحد من المؤمنين فضلاً عن الصحابة . ولم أجد من ذكر هذا من المؤرخين إلاّ البلاذري بسند ضعيف[٤] ومن

---

(١) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١٠٠ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٨٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٦٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٥٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٨ .

(٢) أخبار مكة ٣ / ٣٤١ ؛ وانظر فتح الباري ٥ / ٧٦ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف القسم الرابع ١ / ٣٥٢ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠١ ؛ وانظر عبد الله بن عثمان : ابن الزبير والأمويّون ص ١٢٣ .

(٤) المصدر السابق ٥ / ٣٧٢ ، وفي سنده علتان : جهالة أحد الرواة وانقطاع السند .

له ميول شيعية مثل ، اليعقوبي[١] ، والمسعودي[٢] . وكيف يتصور أن يسقط ابن الزبير ذكر الرسول ﷺ من الخطبة وهو المتعبد بذكره سرّاً وعلناً ، ولا تصح بعض الشعائر الدينية مثل : خطبة الجمعة والعيدين والصلاة والآذان إلا بذكر اسمه والصلاة والسلام عليه ، ولو حدث ذلك لنقل إلينا متواتراً . لأن هذا من المسائل المهمة التي تتوافر الهمم على نقلها ، ولا يمكن أن يتواطأ الناس على عدم ذكرها .

ثالثاً : توعد ابن الزبير لبنى هاشم بالاحراق إذا استمروا في رفضهم لبيعته . وهو ما أوردته المصادر التاريخية[٣] ، لكن لا يوجد إسناد يعتمد عليه . وتوعد ابن الزبير الاحراق لمن تخلف عن بيعته إذا صح لا يقصد حرق أبدانهم وأجسادهم ، ولكن يعني حرق بيوتهم .

رابعاً : ذكر المسعودي أن كُثّير عزة قال هذا الشعر حينما حبس ابن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس عارم[٤] . وهذا هو الموافق للروايات من أن المحبوس ليس محمد بن الحنفية وإنما هو ابنه .

خامساً : ما ورد في الرواية من نجدة المختار بن أبي عبيدة لبنى هاشم ذكرته بعض المصادر التاريخية بوجه آخر وهو أنه قد وقع مشادة بين ابن الزبير وبعض بنى هاشم منهم ابن عباس وابن الحنفية فخرجوا لذلك إلى الطائف سنة (٦٦ هـ) وبقى ابن عباس بالطائف حتى مات سنة (٦٨ هـ) وصلى عليه محمد بن الحنفية[٥] . وكان محمد بن الحنفية يمثل تجمعاً مستقلاً عن الزبير وبنى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦١ .

(٢) مروج الذهب ٣ / ٨٨ .

(٣) انظر ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١٠١ من طريق الواقدي ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٢٥٠ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٣٨ .

(٤) مروج الذهب ٣ / ٨٥ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١ / ١٨٤ الطبعة الخامسة تحقيق د. السلمي ؛ أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٠٩ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧٥ ؛ ابن الجوزي : شذور العقود في تاريخ العهود لوحة ٢٥ مخطوط ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣٠٨ - ٣٠٩ .

أمية ، وقد كان له يوم عرفة سنة ٦٨ هـ لواء مستقل و معه أصحابه وأنصاره كما يذكر ذلك الطبري[١] .

وفود أهل العراق عليه :

١٠ - قال : لما قتل مصعب بن الزبير المختارَ بن أبي عبيدة خرج حاجّاً ، فقدِم على أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ، ومعه وُجوه أهل العراق ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، جئتك بوجوه أهل العراق ، لم أدع لهم بها نظيراً ، لتُعطيهم من هذا المال ؛ قال : جِئتَني بعبيد أهل العراق لأُعطيهم مال الله ! وا لله لا فعلتُ . فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسهم ، قال لهم : يا أهل الكوفة ، ودِدْت وا لله أن لي بكم من أهل الشام صَرْفَ الدّينار والدرهم ، بل بكل عشرة رجلاً[٢] ، قال عبيد الله بن ظبيان[٣] : أتدْري يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومَثلك فيما ذكرتَ ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : فإنّ مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام ، كما قال أعشى بكر ابن وائل :

عُـلِّقتُها عرضا وعُلِّقتْ رجلاً غيري وعُلِّق أخرى غيرها الرجل

أحببناك نحن ، وأحببتَ أنت أهلَ الشام وأحبَّ أهل الشام عبد الملك . ثم انصرف القوم من عنده خائبين ، فكاتبوا عبد الملك بن مروان وغَدَروا بمصعب ابن الزبير . [٢ / ٩٨] ونحوه [٣ / ٦٧]

دراسة النص :

النص السابق أورده ابن سعد في طبقاته بأطول مما هنا مع اختلاف في بعض الألفاظ وبإسناد جمعي فيه ضعفاء ومن لا يعرف[٤] . وذكر الجاحظ نصاً

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٢٨ .

(٢) في الطبقة الخامسة من الصحابة لابن سعد ٢ / ٨٦ تحقيق د. السلمي : « وا لله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل الشام » .

(٣) في الطبقات : أبو حاضر الأسدي - وكان قاصّ الجماعة بالبصرة - بدلاً من عبيد الله بن ظبيان .

(٤) الطبقة الخامسة من الصحابة ٢ / ٨٦ سند رقم (٥٥١) تحقيق د. محمد صامل السلمي .

مشابهاً ، وجعل الوفد بصحبة الأحنف بدل مصعب بن الزبير[١] وأشار ابن قتيبة إلى قول عبد الله بن الزبير لأهل العراق إلى آخر النص والمتحدث عنهم أبو حاضر بدلاً من عبيد الله بن ظبيان[٢] . وذكر ابن كثير رواية قريبة من رواية ابن سعد[٣] . وأشار البلاذري إلى أن مصعب وفد على أخيه ثلاث مرات ومنها حين قتل المختار ومع إبراهيم بن الاشتر[٤] .

والذي يظهر أن هذا لا يصح بهذا السياق الذي تضمن ألفاظاً وعبارات قصد منها اظهار عجز عبد الله بن الزبير عن إدارة الدولة وتولي منصب الخلافة .

مقتل عبد الله بن الزبير :

١١ - أبو عبيدة عن حجّاج عن أبي معشر قال : لما بايع الناسُ عبدَ الملك ابن مروان بعد مقتل مُصعب بن الزبير ودخل الكوفة ، قال له الحجّاج إني رأيتُ في المنام كأني أسْلُخ ابنَ الزُّبير من رأسه إلى قَدميه . فقال له عبد الملك : أنت له ، فاخرج إليه . فخرج إليه الحجاج في ألف وخمسمائة ، حتى نزل الطائف ، وجعل عبد الملك يُرسل إليه الجيوش رسلاً بعد رسل ، حتى توافى إليه الناسُ قَدْر ما يَظُن أنه يقوى على قتال ابن الزبير ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى ، فحجَّ بالناس ، وابنُ الزبير محصور ، ثم نصب الحجاجُ المجانيق على أبي قبيس[٥] وعلى قُعيقعان[٦] ونواحي مكة كُلِّها ، يرمى أهل مكة بالحجار . فلما كانت الليلةُ التي قُتل في صبيحتها ابن الزبير ، جمع ابنُ الزبير مَن كان معه من القرشيين فقال : ما ترون ؟ فقال رجلٌ من بني مخزوم من آل بني ربيعة : والله لقد قاتلنا معك حتى لا نَجد

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٠٠ وفيه وفد من أهل البصرة .

(٢) عيون الأخبار ٣ / ١٢ - ١٣ .

(٣) البداية والنهاية ٨ / ٣٢٢ .

(٤) أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٥) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . (معجم البلدان ٤ / ٣٥٠) .

(٦) قعيقعان : هو اسم جبل بمكة . (معجم البلدان ٤ / ٤٣٠) .

مقيلاً ، ولئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت ، وإنما هي إحدى خصْلتين : إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ، وإما أن تأذن لنا فنخرج . فقال ابن الزبير : لقد كُنت عاهدتُ الله أن لا يبايعني أحد فأقيله بيعته إلا ابن صفوان . فقال ابن صفوان : أما أنا فإني أقاتل معك حتى أموت بموتك ، وإنما لتأخذني الحفيظة أن أسْلمك في مثل هذه الحالة ، وقال له رجل آخر : اكتب إلى عبد الملك بن مروان . فقال له : كيف أكتب : من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الملك بن مروان ؟ فوالله لا تقبل هذا أبداً ، أم أكتب : لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير ؟ فوالله لأن تقع الخَضْراء على الغبراء أحبّ إليّ من ذلك . فقال عروة بن الزبير ، وهو جالس معه على السرير : يا أمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة . قال : من هو ؟ قال : حسن بن علي ، خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رِجْلَه فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير ، وقال : يا عروة ، قلبي إذاً مثلُ قلبك ! والله لو قبلتُ ما تقولون ما عِشْت إلا قليلاً ، وقد أخذت الدَّنِيَّة ، وإنّ ضربة بسيف في عِزّ خير من لَطْمة في ذُل . فلما أصبح دخل عليه بعضُ نسائه ، وهي أم هاشم بنت منصور بن زياد الفَزارية ، فقال لها : اصنعي لنا طعاماً ، فصنعت له كبداً وسَناماً . فأخذ منه لُقمة فلاكها ثم لفظها ، ثم قال : اسقوني لَبناً . فأُتي بلبن فشرب منه . ثم قال : هيئوا الى غسلاً ، فاغتسل ثم تحنّط وتطيَّب ، ثم نام نومة ، وخَرج ودَخل على أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النِّطاقين ، وهي عمياء وقد بلغت مائة سنة ، فقال : يا أماه ، ما ترين ، قد خَذَلنى الناس وخذلنى أهل بيتي ؟ فقالت : لا يلعبنَّ بك صبيان بنى أمية ، عِشْ كريماً ومُت كريماً . فخرج فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه نفرٌ يسير ، فجعل يُقاتلهم ويَهْزِمهم وهو يقول ويله ! ياله فَتْحاً لو كان له رجال ! فناداه الحجاج : قد كان لك رجال فضيّعتَهم . وجعل ينظر إلى أبواب المسجد والناس يَهْجمُون عليه فيقول : من هؤلاء ؟ فيقال له أهلُ مصر : قال : قتلة عثمان ! فحمل عليهم ، وكان فيهم رجل من أهل الشام ، يقال له خَلبوب ، فقال لأهل الشام : أما تستطيعون إذا ولّى ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم ؟ قالوا : ويمكنك أنت أن

تأخذه بيدك ؟ قال : نعم . قالوا : فشأنك . فَأقبل وهو يريد أن يحتضنه ، وابن الزبير يرتجز ويقول : لو كان قِرني واحداً كفيتُه

فضربه ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خَلبوب : حَسى. قال ابن الزبير : اصبر خَلبوب ، قال : وجاءه حجر من حجارة المنجنيق ، فأصاب قفاه فسقط . فاقتحم أهل الشام عليه : فما فهموا قتلَه حتى سمعوا جارية تبكي وتقول : وأمير المؤمنيناه ! فجزّوا رأسه وذهبوا به إلى الحجاج . وقُتل معه عبد الله بن صفوان[1] ، وعمارة بن حزم[2] ، وعبد الله بن مطيع[3] .
[٤ / ٤١٤ - ٤١٦]

١٢ - قال أبو معشر : وبعث الحجاج برؤوسهم إلى المدينة . فنصبوا للناس ، فجعلوا يقرّبون رأسَ ابن صفوان إلى ابن الزبير كأنه يسارّه ، ويلعبون بذلك . ثم بعث برءوسهم إلى عبد الملك بن مروان ، فخرجت أسماء إلى الحجاج ، فقالت له : أتأذن لي أن أدفنه فقد قضيت أربك منه ؟ قال : لا . ثم قال لها : ما ظنّك برجل قتل عبد الله بن الزبير ؟ قالت : حسيبُه الله . فلما

---

(١) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، ولد في عهد النبي ﷺ ، كان سيد أهل مكة في زمانه وسخائه وعقله ، روى عن أبيه وعمر بن الخطاب وأبي الدرداء وعنه ابن أبي مليكة وعمر ابن دينار . وقد قتل مع ابن الزبير وهو متعلق بأستار الكعبة . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤ / ١٥٠ - ١٥١) .

(٢) عمارة بن حزم : هو عمارة بن عمرو بن حزم الأنصاريّ البخاري روى عن عبد الله بن عمر وغيره ، وروى عنه أبو حازم المديني والأعمش وغيرهما ، قال يحيى بن معين وغيره : عمارة ثقة . انظر : (الجرح والتعديل ٦ / ٣٦٦) .

(٣) عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة ، وأمه أم هشام آمنة بنت أبي الخيار ، ولد على عهد النبي ﷺ ، وكان له أموال وبئر فيما بين السُّقيا والأبواء تعرف ببئر ابن مطيع يردها الناس ، وقد أراد أن يخرج من المدينة لياليَ فتنة يزيد بن معاوية ، ولحق عبد الله بن مطيع بمكة حيث عبد الله بن الزبير ، وكان معه في أمره كله وبايعه ، وولى ابن مطيع ولاية الكوفة لابن الزبير ، ثم رجع إلى مكة ولم يزل مقيماً بها مع ابن الزبير حتى قتل معه . (ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ١٤٤ - ١٤٩) .

منعها أن تدفنه قالت : أما إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج من ثقيف رجلان : الكذّاب والمبير[١] ، فأما الكذاب فالمختار ، وأما المبير فأنت . فقال الحجاج : اللهم مُبيرٌ لا كذاب . [٤ / ٤١٦]

١٣ - ومن غير رواية أبي عُبيد قال : لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير أظلتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق ، ففزع الناس وأمسكوا عن القتال ، فقام فيهم الحجاج فقال : أيها الناس لا يهولنّكم هذا ، فإني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد اصحرتُ[٢] لربي ، فلو ركبنا عظيماً لحال بيننا وبينه . ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكُرسي فطرح له ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين فكان أهلُ الشام إذا رموا الكعبة يَرْتجزون ويقولون هذا :

خطّارة[٣] مثل الفَنيق[٤] المُزْبِد يُرمى بها عُوّاد أهلِ المسجد

ويقولون أيضاً : دِري عُقاب ، بلبن وأشخاب . فلما رأى ذلك ابن الزبير خرج إليهم بسيفه ، فقاتلهم حيناً . فناداه الحجاج : ويلك يابن ذات النِّطاقين ! أقبل الأمان وادْخل في طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء ، فقال لها : سمعت - رحمك الله - ما يقول القومُ وما يَدْعونني إليه من الأمان ؟ قالت : سمعتُهم لعنهم الله ! فما أجهلهم وأعجب منهم إذ يُعيرُونك بذات النّطاقين ! ولو علموا ذلك لكان أعظم فخرك عندهم . قال : وما ذاك يا أُماه ؟ قالت : خرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره مع أبي بكر ، فهيأت لهما سُفرة ، فطلبا شيئاً يَرْبطانها بها ، فما وجداه ، فقطعتُ من مِئزري لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسول الله ﷺ : أما إن لك به نطاقين في الجنة ، فقال عبد الله : الحمد لله حمداً

---

(١) المراد بالمبير : المهلك ، يقال أباره الله أي أهلكه . اليافعي : مرآة الجنان ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) أصحر : برز . (اللسان ٤ / ٤٤٣) .

(٣) خطارة : الناقة تخطر بذنبها في السير نشاطاً . (اللسان ٤ / ٢٥٠) .

(٤) الفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم . (اللسان ١٠ / ٣١٣) .

كثيراً ، فما تأمريني به ، فإنهم قد أعطوني الأمان ؟ قالت : أرى أن تموت كريماً ، ولا تتّبع فاسقاً لئيماً ، وأن يكون آخرُ نهارك أكرم من أوله ، فقبّل رأسها وودّعها ، وضَمّته إلى نفسها . ثم خرج من عندها فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّ الموت قد تغشّاكم سحابُه ، وأحدق بكم ربَابُه[1] ، واجتمع بعد تفرّق ، وارجحّن بعد تمشّق[2] ، ورَجَس[3] نحوكم رعدُه ، وهو مُفْرِغ عليكم وَدْقه[4] ، وقاد إليكم البلايا تَتْبعها المنايا ، فاجعلوا السيوف لها غرضاً ، واستعينوا عليها بالصبر ، وتمثل بأبيات ثم اقتحم يقاتل وهو يقول :

قد جَدّ اصحابك ضربَ الأعناق　　　وقامت الحربُ لها على ساق

ثم جعل يقتل وحده ولا يَهُدّه شيء ، كلما اجتمع عليه القومُ فَرّقهم وذادهم[5] ، حتى أثخن بالجراحات و لم يستطع النهوض . فدخل عليه الحجاج ، فدعا بالنِّطع[6] ، فحزّ رأسَه هو بنفسه في داخل مسجد الكعبة - لا رحم الله الحجّاج - ثم بعث برأسه إلى عبد الملك بن مروان ، وقتل من أصحابه من ظفر به . ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزّيها ، فأذنت له ، فقالت له : يا حجّاج ، قتلتَ عبد الله ؟ قال : يابنة أبي بكر ، إني قاتلُ الملحدين . قالت : بل أنت قاتل المؤمنين الموحدين . قال لها : كيف رأيت ما صنعت بابنك ؟ قالت : رأيتُك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتَك ، ولا ضَير أن أكرمه الله على يديك ، فقد أُهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بَغيّ من يغايا بني إسرائيل . [٤ / ٤١٧ - ٤١٨]

---

(١) الرباب : السحاب الأبيض . (اللسان ١ / ٤٠٢) .

(٢) تمشّق : تمزق . (لسان العرب ١٠ / ٣٤٤) .

(٣) رجس : رعد شديد . (اللسان ٦ / ٩٥) .

(٤) الودق : المطر . (اللسان ١٠ / ٣٧٣) .

(٥) الذود : السوق والطرد والدفع (اللسان ٣ / ١٦٣) .

(٦) النِّطع : بِسَاط من الجلد ، كثيراً ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل . (المعجم الوسيط ٢ / ٩٣٠) .

١٤ – محمد بن سعيد[1] قال : لما نَصب الحجاج رايةَ الأمـان وتصـرّم النـاسُ عن ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان : قد أقلتُك بيعتي وجعلتُك في سَعة ، فخُـذ لنفسك أماناً . فقال : مه ، والله ما أعطيتُك إياها حتـى رأيتُـك أهـلاً لهـا ، ومـا رأيتُ أحداً أولى بها منك ، فلا تضرب هذه الصلعةَ فتيانُ بنى أمية أبـداً ، وأشـار إلى رأسه . قال : فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثه ، فقال : إنى كنت لأراه أعرجَ جباناً . فلما كانت الليلة التي قُتل في صباحها ابن الزبير ، أقبل عبد الله بن صفوان ، وقد دنا أهل الشام من المسجد ، فاستأذن . فقالت الجارية : هو نائم . فقال : أو ليلةُ نوم هذه ؟ أيقظيه ، فلم تفعل . فأقام ، ثم استأذن . فقالت : هو نائم ، فانصرف ، ثم رجع آخر الليل وقد هجـم القـومُ علـى المسـجد . فخـرج إليه ، فقال : والله ما نِمْتُ منذ عقلت الصلاة نومي هذه الليلة وليلة الجمل ، ثـم دعا بالسّواك ، فاستاك متمكّنـا ، ثـم توضـأ متمكنـا ، ولبـس ثيابَـه ، ثـم قـال : أنظرنى حتى أُودع أُمَّ عبد الله ، فلم يبق شيء ، وكان يكره أن يأتيها فتعزمَ عليه أن يأخذ الأمان ، فدخل عليها وقد كُفَّ بصرُها ، فسـلّم ، فقـالت : مـن هـذا ؟ فقال : عبد الله ، فشمّته ثم قالت : يا بنى مُت كريمـاً ، فقـال لهـا : إن هـذا قـد أمّننى – يعني الحجاج – قالت : يا بنى ، لا ترضى الدنيّة ، فإن الموت لا بد منه . قال : إني أخاف أن يمثِّل بـي . قـالت : إن الكَبْـش إذا ذُبـح لم يـأمن السَّـلخ[2] . قال : فخرج ، فقاتل قتالاً شديداً فجعل يَهْزِمهم ، ثم يَرجع ويقـول : يالـه فتحـا لو كان له رجال! أو كان المصعب أخي حَيّاً! فلما حضرت الصلاةُ صلّى صلاته، ثم قال : أين باب أهـل مصـر ؟ حنقـاً لعثمـان[3] فقـاتل حتـى قُتِـلَ ، وقُتـل معـه عبد الله بن صفوان . وأُتى برأسه الحجاج وهو فاتح عينيه وفاه ، فقال : هذا

---

(١) محمد بن سعيد : لعله محمد بن سعيد العوذي ، الذي وَلى امرة البصرة للحجاج في أيام الوليد بـن عبد الملك . انظر : (مختصر تاريخ دمشق ٢٢ / ١٨٦) .

(٢) أي لا يضره .

(٣) حنقاً لعثمان : ثأراً لعثمان .

رجل لم يكن يعرف القتل ولا يصير إليه المقتول ، فلذلك فتح عَيْنيه وفاه .

[٤ / ٤١٨ - ٤١٩]

١٥ - أيوب[١] عن أبي قلابة[٢] : شهدت ابنة أبي بكر غسّلت ابنها ابن الزبير بعد شهر ، وقد تقطعت أوصاله وذهب برأسه وكفنّته وصلّت عليه .

[٤ / ٤١٩ - ٤٢٠]

١٦ - هشام بن عروة قال : عبد الله بن عبَّاس للجائز به : جَنِّبني خَشبة ابن الزُّبير . فلم يَشعر ليلة حتى عَثر فيها ، فقال : ما هذا ؟ فقال : خشبة ابن الزبير . فوقف ودعا له ، وقال : لئن عَلتك رجلاك لطالما وقفتَ عليهما في صلاتك ، ثم قال لأصحابه : أما والله ما عرفتُه إلا صَوّاما قوّاماً ، ولكنني ما زلتُ أخاف عليه منذ رأيتُه أن تُعجبه بغلاتُ معاوية الشُّهب . قال : وكان معاوية قد حَجّ فدخل المدينة وخلفه خمس عشرةَ بغلة شهباء عليها رحائل الأرجوان ، فيها الجواري عليهن الجلابيبُ والمُعَصفرات[٣] ، ففُتن الناس . [٤ / ٤٢٠]

دراسة النصوص :

النصوص السابقة توضح نهاية دولة عبد الله بن الزبير ومقتله وهي تتضمن تفاصيل كثيرة لكن أسانيدها لا يعتمد عليها وفي متونها نكارة وفي بعضها تناقض ، ولبعض ما فيها شواهد عند المؤرخين . فقد ذكر المؤرخون أن عبد الملك بن مروان بعث الحجاج بن يوسف إلى مكة لملاقاة عبد الله بن الزبير

---

(١) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ، أبو بكر ، مولى عنزه ، ويقال مولى جهينة ، رأى أنس بن مالك وروى عن عمرو بن سلمة الجرمي ، وحميد بن هلال وابن قلابة وغيرهم وهو من أقران الأعمش ومن تلاميذ قتادة ، ويروي عنهما . ثقة ثبت توفى سنة ١٣١ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ١ / ٣٦١ - ٣٦٢) .

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو ، ويقال عامر بن نابل بن مالك بن عبيد ، أبو قلابة الجَرْمي البَصْريُّ ، أحد الأعلام ، يروى عنه أيوب بن أبي تميمة ثقة فاضل كثير الحديث ، وكثير الإرسال ، من فقهاء التابعين ، مات بالشام سنة ١٠٤ هـ هارباً من تولية القضاء . (ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥ / ٢٠٠ - ٢٠١) .

(٣) العُصْفُر : هذا الذي يصبغ به الثوب . (اللسان ٤ / ٥٨١) .

هناك ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين[١] . حيث خرج في ألفين من جند أهل الشام[٢] . خلافاً لما ذكره ابن عبد ربه من أن الحجاج خرج في ألف وخمسمائة[٣] وسلك الحجاج طريق العراق رغم طُوله دون أن يمر المدينة خوفاً من أهلها ، حتى لا يستنزف قواه ، ثم وصل إلى الطائف[٤] وذلك في شهر شعبان من هذا العام[٥] وبعد شهرين من وصوله إلى الطائف انطلق نحو مثله بعد أن أرسل له عبد الملك مدداً قوامه خمسة آلاف بقيادة طارق بن عمرو[٦] . وكان حصار الحجاج لعبد الله بن الزبير بمكة في ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين[٧] ولشدّة هذا الحصار لم يتمكن ابن الزبير وأتباعه من الوقوف بعرفة

---

(١) ابن سعد : الطبقة الخامسة من الصحابة في كتاب الطبقات الكبرى ٢ / ٩٣ ، تحقيق د. السلمي ؛ أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣١٤ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٥٧ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٧٤ من طريق الحارث بن أسامة عن محمد بن سعد ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١١٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٤٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣٢٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢ / ٩٣ الطبقة الخامسة ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٧٤ ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٣٥٧ ، وقيل ثلاثة آلاف ، وقيل خمسة آلاف ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١١٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٤٩ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٢٩ .

(٣) العقد ٤ / ٤١٤ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ٢ / ٩٣ ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٣٥٧ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٧٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١١٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٤٩ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / حوادث سنة ٧٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣٢٩ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٧٥ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١١٩ .

(٦) ابن سعد : المصدر السابق ٢ / ٩٣ الطبقة الخامسة ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٥٩ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٧٥ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١١٩ - ١٢٠ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٢٩ .

(٧) ابن سعد : المصدر السابق ، الطبقة الخامسة تحقيق د. السلمي ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٣٦٨ ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٧٥ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١٢٠ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٣٤ .

وأداء أعمال الحـج كاملة في هـذا العـام . كمـا أن أهـل الشـام لم يتمكنـوا مـن الطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمـروة[١] . وقـد اسـتمر هـذا الحصـار مـدة ثمانية أشهر وسبع عشر ليلة[٢] وقيل ستة أشهر وسبعة عشـر يومـاً[٣] وقيـل خمسـة أشهر وسبع عشرة ليلة[٤] . وخلال هـذه المـدة كـانت تـدور رحـى الحـرب بـين الطرفين وكانت الأحجارُ تنهال حول الكعبة ، كما كان الحجاج يشترك في رمـي الحجارة بالمنجنيق[٥] . وقد تفرق أكثر الناس عن مساندة عبد الله بن الزبير لشدّة الحرب ، وقذف الأحجار ، وامتلاء قلوبهم بـالذّعر والهلـع ، والتحقـوا بالحجـاج طالبين الأمان ، لأن عبد الملك كتب إلى أهل مكة الأمان إذا دخلوا في طاعته[٦] ، وحدد ابن كثير عدد الذين خرجوا إلى الحجاج وتركوا ابن الزبـير طـالبين الأمـان قرابـة عشـرة آلاف[٧] . وحينمـا شـعر ابـن الزبـير أن الموقــف ليــس لصالحــه ، وأن بعض أنصاره لجأوا إلى الحجاج ، دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديـق - رضي الله عنها - وأخبر لها بما آل إليه الأمر ثـم سألهـا عـن رأيهـا[٨] فقالـت :

---

(١) ابن حبيب : المحبّر ص ٢٤ ؛ الطبري : المصـدر السـابق ٦ / ١٧٥ ؛ ابـن عبـد الـبر : الاستيعاب ٣ / ٩٠٧ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١٢٠ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٢٩ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٨٧ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١٢٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقة الخامسة من الصحابة ٢ / ٩٣ ؛ البلاذري : المصـدر السـابق ٥ / ٣٦٨ ؛ ابـن عبد البر : المصدر السابق ٣ / ٩٠٧ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ١٢ / ٢٠٤ .

(٤) ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٣٤ .

(٥) ابـن سـعد : المصـدر السـابق ٢ / ٩٤ ؛ الطـبري : المصـدر السـابق ٦ / ١٨٧ ؛ ابـن الجـوزي : المصدر السابق ٦ / ١٢٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السـابق ٤ / ٣٥١ ؛ ابـن كثـير : البدايـة والنهايـة ٨ / ٣٣٤ .

(٦) الطبري : المصدر السـابق ٦ / ١٧٤ ؛ ابـن الجـوزي : المصـدر السـابق ٦ / ١١٩ ؛ ابـن كثـير : المصدر السابق ٨ / ٣٣٥ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣٣٥ .

(٨) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٨٨ ؛ ابـن الجـوزي : المصـدر السـابق ٦ / ١٢٥ ؛ ابـن الأثـير : المصـدر السـابق ٤ / ٣٥٢ ؛ اليـافعي : مـرآة الجنـان ١ / ١٨٠ ؛ ابـن كثـير : المصــدر السـابق ٨ / ٣٣٥ .

((أنت وا لله يا بُنيّ أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكّن من رقبتك يتلعّب بها غلمان بني أُميّة ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت ...))[١] .

ورغم التفوق العسكري للحجاج وتفكك معسكر ابن الزبير وانضمام غالبية أتباعه للحجاج ، فقد ظل ابن الزبير صامداً جلداً يدافع عن مواقعه بكل ضراوة وحسم ، حتى قُتِلَ يوم الثلاثاء لسبع عشر ليلة ، خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين[٢] عن عمر يناهز نيفاً وسبعين سنة[٣] . وبذلك انتهت خلافة عبد ا لله بن الزبير بعد سقوط آخر معقل له . وقد تضاربت روايات ابن عبد ربه في كيفية قتل عبد ا لله بن الزبير ، فمرة يذكر : ((أن حجراً من حجارة المنجنيق أصاب قفاه فسقط))[٤] . وتارة يذكر : ((أن الحجاج قتله وجزّ رأسه ، بعد أن أثخنته الجراحات))[٥] . وأخرى يذكر : ((أنه قاتل حتى قتل))[٦] .

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٨٨ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١٢٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٥٢ ؛ اليافعي : المصدر السابق ٤ / ١٨٠ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٣٥ .

(٢) ابن حبيب : المحبّر ص ٢٤ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٦٩ وفيه جمادى الآخرة ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦ / ١٩١ ؛ أبو القاسم الزجاجي : أخبار أبي القاسم ص ١٣٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٢٢ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧٨ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ / ٩٠٧ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٢٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٣٥٦ وفيه جمادى الثاني ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٤ .

(٣) ابن حبيب : المصدر السابق ص ٢٤ وفيه ثلاث وسبعين ، ويقال اثنتين وسبعين ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ١٩٤ وفيه : وثلاث وسبعين سنة وقيل اثنتين وسبعين وأشهر ؛ الربعي : المصدر السابق ص ٧٨ وفيه ثلاث وسبعين ؛ ابن عبد البر : المصدر السابق ٣ / ٩٠٧ وفيه ثنتين وسبعين سنة ؛ اين الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٥٦ وفيه ثلاث وسبعين سنة .

(٤) انظر العقد ٤ / ٤١٦ .

(٥) انظر العقد ٤ / ٤١٨ .

(٦) انظر العقد ٤ / ٤١٩ .

ويمكن القول بأنه نتيجة إصابة ابن الزبير بوجهه سقط مَغْشياً على الأرض ، ثم وجده أصحاب الحجاج فقتلوه[١] . ولما وصل خبر مقتل الزبير إلى الحجاج ، وتأكد صحته وقع ساجداً ، ثم ذهب إلى موقع مقتله[٢] . وهذا خلاف لما أورده ابن عبد ربه من أن الحجاج باشر قتله وجزّ رأسه . وفي طبقات ابن سعد باسناد صحيح : أن الحجاج صلب جثة ابن الزبير على عقبة المدينة ليري ذلك قريش المدينة[٣] وقد أخرج ذلك مسلم في صحيحه[٤] . ثم أنزلها بعد أن وقف عليها عبد الله بن عمر ودعا لابن الزبير وأثنى عليه[٥] .

وما ذكره المصنف في الرواية رقم (١٥) من أن عبد الله بن عباس وقف على جثة ابن الزبير مصلوبة ليس صحيحاً فإن ابن عباس رضي الله عنه قد مات بالطائف سنة ٦٨ هـ والذي وقف على جثة ابن الزبير هو عبد الله بن عمر . وفي رواية لابن أبي شيبة : أن الحجاج حين قتل ابن الزبير جاء به إلى منى فصلبه عند الثنية في بطن الوادي[٦] . لكن اسنادها ليس بالمستقيم ، وما في الصحيح

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، الطبقة الخامسة ٢ / ١٢٩ - ١٣٠ تحقيق د. محمد بن صامل السلمي ؛ الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٩٢ ؛ الحاكم : المستدرك ٣ / ٥٥٥ عن طريق الواقدي ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١٩٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٥٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٣٦ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٩٢ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦ / ١٢٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٣٥٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٣٣٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، الطبقة الخامسة ٢ / ١٢١ والمراد بعقبة المدينة ، العقبة التي مر بها أهل المدينة في خروجهم ، وهي عقبة كُدَىَ وهي الثنية السفلى وتسمى عقبة المدنيين ، وتعرف اليوم بريع الرسام بين حارة الباب وجرول . (معجم البلدان ٤ / ٤٣٩ ومعجم المعالم الجغرافية للبلاذري ص ١٦١) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كذاب ثقيف ومبيرها (١٦ / ٩٨ بشرح النووي) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصنف في الأحاديث والآثار ١٥ / ٨٢ - ٨٣ حديث رقم ١٩٠٧٦ حدثنا خلف بن خليفة عن أبيه قال : أخبرت أن الحجاج ... وهذا إسناد منقطع ، وخلف بن خليفة الأشجعي ، صدوق اختلط في الآخر ، كما في التقريب (ترجمة رقم ١٧٤١) .

أصح ومقدم على غيره . وأورد ابن عبد البر في الإستيعاب أن أبا مليكة قال : ((كنت أول من بشّرَ أسماء بنزول ابنها عبد الله بن الزبير من الخشبة ، فدعت بمركن وشبّ يمان ، وامرتني بغسله ، فكنا لا نتناول عضواً إلاّ جاء معنا ، فكنا نغسل العضو ونضعه في أكفانه ، ونتناول العضو الآخر ، حتى فرغنا منه ثم قامت فصلت عليه))[(١)] . وله شاهد صحيح من وجه آخر في مصنف ابن أبي شيبة[(٢)] . وعلى أية حال فقد قتل ابن الزبير وقتل معه عبد الله بن صفوان[(٣)] ، وعمارة بن عمرو بن حزم[(٤)] ، وعبد الله بن مطيع[(٥)] ، وغيرهم .

وكان الحجاج قد رفض أن تواري أسماء بنت أبي بكر ابنها عبد الله[(٦)] . ولما وصل الأمر إلى عبد الملك بن مروان عاتب الحجاج على ذلك[(٧)] . وذكر البلاذري روايتين مختلفتين وهما أن عبد الملك بن مروان أمر الحجاج أن ينزل جثة ابن الزبير ، فأنزلها وصلى عليه أخوه عروة . والثانية : أن جثة ابن الزبير أنزلت وعروة غائب فصلى عليه غيره ، وقد رجح البلاذري القول الأول[(٨)] .

وأورد ابن أبي شيبة في مصنفه قال حدثنا ابن عليه عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال : ((أتيت أسماء بعد قتل عبد الله بن الزبير فقالت : بلغني أنهم صلبوا

---

(١) الاستيعاب ٣ / ٩٠٩ ؛ وانظر ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٣٩ من طريق سعيد بن منصور وفيه قال ابن أبي مليكة .

(٢) المصنف ١٥ / ٨٢ .

(٣) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ١٨ ؛ الذهبي : العبر ١ / ٦٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣٣٧ ، ٣٥١ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٩٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٥٧ .

(٥) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ١٨ ؛ الذهبي : العبر ١ / ٦٠ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ١ / ١٨١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣٥١ .

(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، الطبقة الخامسة ٢ / ١١٥ تحقيق د. السلمي ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٢٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٣٤٦ .

(٧) ابن سعد : المصدر السابق ٢ / ١١٦ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٣٧٢ .

(٨) المصدر السابق ٥ / ٣٧٢ عن طريق الواقدي .

عبد الله مُنكسا ، وعلقوا معه هرة ، والله لوددت أنى لا أموت حتى يدفع إليّ فاغسله وأحنطه وأكفنه ثم أدفنه ، فما لبثوا أن جاءه كتاب عبد الملك أن يدفع إلى أهله ، قال : فأتيت به أسماء فغسلته وحنطته وكفنته ثم دفنته))[1] . وهذا إسناد صحيح . وجاءت الأخبار الصحيحة بما يوافق رواية ابن عبد ربه من قول أسماء بنت أبي بكر للحجاج : أني سمعت من رسول الله ﷺ : ((انه سيخرج من ثقيف رجلان ، كذاب ومبير)) فأما الكذاب ، فقد رأيناه ابن أبي عبيد ، وأما المبير ، فأنت ذاك[2] .

---

(١) مصنّف ابن أبي شيبة ١١ / ١٣٥ حديث رقم ١٠٧٢٤ و ١٥ / ٨٢ حديث رقم ١٩١٧٤ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦ / ٧٨ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ، حديث رقم (٢٥٤٥) طبعة دار الخير ؛ الحاكم : المستدرك ٣ / ٥٥٣ ؛ وانظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢ / ١٢١ الطبقة الخامسة تحقيق السلمي .

ثانياً : حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي .

سيطرة المختار بن أبي عبيد على الكوفة :

١ - أرسل عبد الله بن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة[١] أميراً على الكوفة ، ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عبيد ، وأرسل عبد الملك عبيد الله بن زياد ، فوجّه (المختار) إليهم إبراهيم بن الأشتر في جيش ، فالتقوا بالجازِر[٢] ، وقتل عبيدَ الله بن زياد وحصين بن نمير[٣] وذا الكلاع[٤] وعامة من كبار معهم . وبعث برءوسهم إلى عبد الله بن الزبير . [٤ / ٤٠٣ - ٤٠٤]

٢ - أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدّثنا شريك بن عبد الله[٥] عن ابن الجويرية الجرمي[٦] قال : كنت فيمن سار إلى أهل الشام يوم الخازر مع إبراهيم ابن الأشتر فلقيناهم بالزّاب[٧] ، فهبَّت الريحُ لنا عليهم ، فأدبروا ، فقتلناهم عَشيّتنا ، وليلتنا حتى أصبحوا ، فقال إبراهيم : إني قتلت البارحة رجلاً فوجدت

---

(١) إبراهيم بن محمد بن طلحة : تقدمت ترجمته في مبحث الحجاج بن يوسف والياً على العراق .

(٢) الجازر ويقال الخازر : بالخاء انظر العقد (٤ / ٤٠٤) وهي أصح ، والخازِر - بالزاي المكسور بعد الألف - نهر بين إربل والموصل ثم الزاب الأعلى والموصل ، ويصب في دجلة . (معجم البلدان ٢ / ٣٨٦) .

(٣) حصين بن نمير بن نابل ، أبو عبد الرحمن الكندي ثم السكوني ، من أهل حمص ، اشترك بالصفين مع معاوية ، وكان أميراً على جند حمص أيام يزيد بن معاوية ، كما تولى له الصائفة ، وكان ضمن الجيش الذي هاجم المدينة من دمشق لقتال أهل الحرّة ، وقاتل ابن الزبير ، وكان من الذين بايعوا مروان بالجابية . (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٩٠) .

(٤) هو شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع الحمْيري ، قتل أبوه ذو الكلاع يوم صفين مع معاوية ، وكان شرحبيل من كبار أمراء الشام قتل يوم جازر مع عبيد الله بن زياد ، و لم يبق من اسرته في صدر دولة بنى العباس إلاّ غلام واحد . انظر (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٣٤ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ص ١٢٤ حوادث وفيات ٦١ - ٨٠) .

(٥) شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر ، أبو عبد الله المدني ، صدوق يخطيء . من الخامسة . انظر : (ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٢٦٦) .

(٦) هو حِطّان بن خُفَان الجرمي ، ثقة من الثالثة . (تقريب التهذيب ص ١٧١) .

(٧) الزاب : نهر بين الموصل وأربل . انظر : (معجم البلدان ٣ / ١٣٨) .

عليه ريح طيب ، فالتمسوه ، فما أراه إلا ابن مرجانة[١] فانطلقنا فإذا هو وا لله مَعْكوس في بطن الوادي . ولما التقى عُبيد ا لله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر بالزّاب ، قال : مَن هذا الذي يُقاتلني ؟ قيل له : إبراهيم بن الأشتر . قال : لقد تركتُه أمسِ صبيًّاً يلعب بالحَمام . قال[٢] : ولما قُتِلَ ابن زياد بعث المختار برأسه إلى علي بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : فقدمتُ به عليه انتصاف النهار وهو يتغذّى ، قال : فلما رآه قال : سبحان ا لله : ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عُنقه نِعمة ! لقد أُدخل رأس أبي عبد ا لله على ابن زياد وهو يتغذّى – وقال يزيد ابن مُفَرّغ[٣] :

إنّ الذي عاش ختّاراً[٤] بذمّته ... ومات عبداً قتيل ا لله بالزّاب

[٤ / ٤٠٤]

دراسة النصوص :

النص رقم (١) يشير إلى أن ابن الزبير ولّى المختار بن أبي عبيد على الكوفة بعد أن عزل إبراهيم بن محمد بن طلحة . والذي في المصادر يخالف هذا ، فقد ذكر البلاذري وابن الأثير والذهبي بأن عبد ا لله بن الزبير بعث إبراهيم بن محمد بن طلحة على خراج الكوفة بجانب المختار بن أبي عبيد[٥] . وأن ابن الزبير عزل إبراهيم ابن محمد عن الكوفة لعدم قدرته على السيطرة على الوضع هناك وولّى عبد ا لله ابن مطيع عليها[٦] ، وقدم المختار في ولاية عبد ا لله بن مطيع . وكان

---

(١) هو عبيد ا لله بن زياد ، نسبة إلى أمه مرجانة . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٨٦) .

(٢) أي أبو بكر بن أبي شيبة .

(٣) هو يزيد بن معن بن ربيعة بن مُفرّغ ، ولُقّب جَدُّه مفرغاً لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه كله حتى فرغه ، ويكنى أبا عثمان ، وهو من حمير . انظر : (الأصفهاني : الأغاني ١٨ / ٢٦٢) .

(٤) الختّار : الغادر . (اللسان ٤ / ٢٢٩) .

(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ١٩٠ وليس فيه بجانب المختار ؛ الكامل في التاريخ ٤ / ١٦٣ ؛ سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٤٠ .

(٦) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٢٣٠ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٥١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٦٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٣ .

المختار قدم إلى مكة وأظهر المناصرة لابن الزبير ثم ألحّ على ابن الزبير في الإذن لـه في الخروج إلى الكوفة فأذن له وكتب معه كتاباً إلى عامله على الكوفة عبد ا لله ابن مطيع ويذكر له حال المختار عنده ، ثم ما لبث أن سيطر على الكوفة(١) .

وهناك من يشير إلى أن المختار رحل إلى الكوفة من تلقاء نفسه ، لتحقيق طموحاته الشخصية ، وذلك حينما أخبره هانيء بن جبة الوَادعيُّ أن طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم مَنْ يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما . فلما سمع هذا الخبر قال : أنا أبو إسحق ، أنا وا لله لهم أن أجمعهم على الحق ... ثم رحل نحو الكوفة(٢) .

وفي النص خبر مقتل عبيد ا لله بن زياد على يد أتباع المختار في مكان يدعى الخازر ، وكذا في النص رقم (٢) وذلك في معركة جرت بين جيش المختار بقيادة إبراهيم الأشتر ، وبين أنصار أهل الشام بقيادة عبيد ا لله بن زياد(٣) . وقتل مع عبيد ا لله عدد كبير من أتباعه أمثال : الحصين بن نمير وشرحبيل ابن ذي الكلاع(٤). وذكر بعض المؤرخين بأن رأس عبيد ا لله بن زياد بُعِثَ به إلى

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ١٤٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٦٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ١٩٣ وفيه ان المختار سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٧١ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٦٣ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٢٥٠ ؛ أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٢٩٥ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٨٦ - ٩٠ ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٦٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٢٦١ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٤١ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ص ٥٥ - ٥٧ حوادث سنة (٦١ - ٨٠) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٨٤ .

(٤) خليفة : المصدر السابق ص ٢٦٣ ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٢٥٠ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٩ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٩٠ - ٩١ ؛ المسعودي : مروج الذهب٣ / ١٠٥ ؛ الربعي : المصدر السابق ص ٧٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٦٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٢٦٤ ؛ الذهبي : دول الإسلام ١ / ٥١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٨٥ .

محمد بن الحنفية وعلي بن الحسين وسائر بنى هاشم خلافاً لما أورد ابن عبد ربه في النص رقم (١)[١] من ارسال رأس ابن زياد إلى ابن الزبير في مكة[٢] . وفي النص رقم (٢) ما يؤيد ارسال رأس ابن زياد إلى علي بن الحسين .

والنص رقم (٢) فقد علقه ابن عبد ربه عن ابن أبي شيبة وساق سنده ، وهو سند حسن إلى ابن أبي شيبة . وبيت الشعر الذي أورده ابن عبد ربه لابن مفرّغ أورده الأصفهاني في كتاب الأغاني ضمن أبيات شعرية قالها ابن مفرّغ يهجو عبيد الله بن زياد[٣] . وأورد ابن الأثير هذه الأبيات ما عدا البيت الذي أورده ابن عبد ربه[٤] .

مراسلته لابن الزبير وميله لابن الحنفية :

٣ – ثم إن المختار كتب كتاباً إلى ابن الزبير ، وقال لرسوله : إذا جئت مكة فدفعت كتابي إلى ابن الزُّبير فأتِ المهديّ – يعني محمد بن الحنفية – فاقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك أبو إسحاق : إني أُحبك وأُحب أهل بيتك . قال : فأتاه ، فقال له ذلك . فقال : كذبتَ وكذب أبو إسحاق ، وكيف يُحبني ويُحب أهل بيتي وهو يُجلس عمر بن سعد على وسائده وقد قتل الحسين ! فلما قدم عليه رسولُه وأخبره . قال المختار لأبي عمرو صاحب حرسه : استأجر لي نواح يَبكين الحُسين على باب عمر بن سعد ، ففعل . فلما بكين ، قال عمر لابنه حَفْص : يا بنى ، أئتِ الأمير ، فقل له : ما بال النوائح يبكين الحسين على بابي ؟ فأتاه فقال له ذلك . فقال : إنه أهلٌ أن يُبكى عليه . فقال : أصلحك الله ، انههن عن ذلك . قال : نعم . ثم دعا أبا عمرو صاحب حَرَسه ، فقال

(١) منهم : ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ١٠٠ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٩ .

(٢) أورد الربعي ما يوافق رواية ابن عبد ربه من أن المختار بعث رأس عبيد الله والحصين بن نمير إلى ابن الزبير ، فنصب بمكة والمدينة . انظر تاريخ مولد العلماء ص ٧٣ .

(٣) الأغاني ١٨ / ٢٩٥ .

(٤) الكامل في التاريخ ٤ / ٢٦٥ .

له : اذهب إلى عمر بن سعد فأتني برأسه . فأتاه ، فقال له : قم إليَّ أبا حفص . فقام إليه وهو مُلتحف بملحفة ، فجلّله بالسيف ، فقتله وجاء برأسه إلى المختار . ثم قال : ائتوني بابن عمر . فلما أحضر قال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، رحمه الله . قال : أتحب أن نُلحقك به ؟ قال : لا خير في العيش بعده . فأمر به فَضُرب عنقه . [٤ / ٤٠٤ – ٤٠٥]

دراسة النص :

النص رقم (٣) فيه عدة أمور :

أولاً : إرسال المختار كتاباً إلى ابن الزبير ، وهو ما تؤكده المصادر[١] وقد كان هذا بعد ما غلب المختار على الكوفة وهروب نائب ابن الزبير عبد الله بن مطيع خوفاً منه ، بعد حصار شديد وقتل أتباعه[٢] . وكان هدف الرسالة تبرير فعلته تجاه نائب ابن الزبير في الكوفة ، وأنه فعل ما فعل ذلك إلا لنصرة ابن الزبير ، وقال : ((إني رأيت عاملك مداهناً لبنى أمية فلم يسعني أن أقرَّه))[٣] . إضافة إلى أنه اراد إظهار طاعته لابن الزبير وولائه ، وكان قد حاول ذلك عدة مرات . وانخدع له ابن الزبير ، وكتب إليه بولاية الكوفة[٤] . وكان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس[٥] .

ثانياً : اتصال المختار بمحمد بن الحنفية : وتمَّ ذلك سراً وكان ابن الحنفية في مكة ، وذلك دون أن يعرف ابن الزبير ، وقد كان المختار يُثني على ابن الحنفية ،

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٥٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣١ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٤٠ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٢٠ .

(٣) الذهبي : المصدر السابق ٣ / ٥٤١ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٩٣ .

(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٢١٨ ؛ الذهبي : المصدر السابق ٣ / ٥٤١ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٩٣ .

(٥) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٢٢٠ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٩٣ .

ويدعُو إليه[١] ، حتى التف حوله الشيعة وعلا شأنه ، واستحوذ على الكوفة[٢] . وكان المختار يذكر للشيعة في الكوفة أنه نائب ابن الحنفية وأنه هو الذي بعثه ويريد الثأر من قتلة الحسين[٣] . فبعث المختارُ يزيدَ بن شراحيل الأنصاري إلى محمد بن الحنفية يخبره حاله وحال شيعته وولاءهم له[٤] .

ثالثاً : قتل المختار لعمر بن سعد وابنه حفص : تذكر المصادر أن المختار بن أبي عبيد قتل عمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وابنه حفص[٥] . وكان عمر بن سعد أمير السرية التي أرسلها ابن زياد لصد الحسين عن دخول الكوفة فقتلته ولذلك يتهم بقتله[٦] . يقول ابن الأثير : ((كان السبب في تهيج المختار على قتله – أي عمر بن سعد – أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد بن الحنفية وسلّم عليه وجرى الحديث إلى أن تذاكرا المختار ، فقال ابن الحنفية ، أنه يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدّثونه . فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك ، فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية وكتب إليه يُعلمه أنه قد قتل من قدر عليه ، وأنه في طلب الباقين ممّن حضر قتل الحسين))[٧] ، وكان الذي قام بقتله أبو عمرة صاحب حرَسه[٨] .

---

(١) الذهبي : المصدر السابق ٣ / ٥٤٠ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٩٣ .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٩٣ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٨ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ١٠٠ ؛ البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٥) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٥٣٧ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ٢ / ٢٥٩ وفيه وقتل عمر بن سعد وغيره ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٢٤١ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٣ ؛ الفخري : الآداب السلطانية ص ١٢٠ .

(٦) ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٩٣ .

(٧) الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤١ ؛ شذور العقود لوحة ٢٥ مخطوط .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٥٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٢٤١ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣١ .

ادعاؤه النبوة وظهور انحرافه :

٤ – ثم إن المختار لما قتل ابن مرجانة وعمر بن سعد جعلَ يتْبع قَتَلة الحسين ابن علي ومن خذَله ، فقتلهم أجمعين ، وأمر الحُسينية ، وهم الشيعة ، أن يطوفوا في أزقَّة المدينة بالليل ويقولوا : يا ثارات الحسين ! فلما أفناهم ودانت له العراق ، ولم يكن صادق النيَّة ولا صحيحَ المَذهب وإنما أراد أن يستأصل الناس ، فلما أدرك بُغيته أظهر قُبح نيّته للناس ، فادّعى أنّ جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحي من الله . وكتب إلى أهل البصرة : بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رُسلي ، وقد كُذبت الأنبياء من قبلي ، ولست بخير من كثير منهم . فلما انتشر ذلك عنه كَتب أهلُ الكوفة إلى ابن الزبير[1] ، وهو بالبصرة ، فخرج إليه . وبَرز إليه المختار ، فأسلمه إبراهيم بن الأشتر ، ووُجوه أهل الكوفة ، فقتله مُصعب وقَتل أصحابه . [٤ / ٤٠٥]

٥ – أبو بكر بن أبي شيبة قال : قيل لعبد الله بن عمر : إن المختار ليزعم أنه يُوحى إليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

[٤ / ٤٠٦] ونحوه [٦ / ٢٥٠]

٦ – أدعى المختار بن أبي عبيد النبوة . وكتب إلى الأحنف : بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رسلي ، وقد كذبت الأنبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم . [٦ / ٢٤٩ – ٢٥٠]

دراسة النصوص :

تتفق المصادر التاريخية على أن المختار بن أبي عبيد الثقفي تتبع قتلة الحسين ابن علي ، ومن خذله ، وذلك بعد انتصاره على جيش عبيد الله بن زياد[2] .

---

(١) المراد مصعب بن الزبير .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢ / ٨١ ، تحقيق السلمي ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ٣٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٥٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤١ – ٢٤٤ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ص ٥٠ حوادث سنة (٦٦ هـ) .

ويمتاز ابن الأثير بإضافة تفاصيل أكثر في هذا الأمر حيث أورد خبر معاقبة المختار لقتلة الحسين ومن عاونهم فذكر قتل عمر بن سعد وابنه وحكيم بن طُفيل الطائي ومُرّة بن مُنقد من عبد القيس ، وزيد بن رقاد الجنبيّ ، وعمرو بن الصُّبيح الصُّدائيّ ، وغيرهم[١] . وأنه لم يقتصر على معاقبة من قدر عليه من قتلة الحسين وإنما قام بهدم بيوتهم ودور من هرب وأفلت من القتل : أمثال سنان بن أنس[٢] وعبد الله بن عقبة الغَنَويّ[٣] ، وعبد الله بن عروة الخثمي[٤] ، ومحمد بن الأشعث[٥] وغيرهم[٦] . كما تتفق المصادر على أنه ادعى النبوة وأنه يوحى إليه ، ولتوضيح الأمر نذكر أقوال بعض المؤرخين في ذلك :

قال المبرد : ((فإن المختار كان يدّعي أنه يُلهم ضرباً من الشجاعة لأمور تكون ، ثم يحتال فيوقعُها ، فيقول للناس : هذا من عند الله عزّ وجلّ))[٧] .

ويقول الذهبي : ((وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي الكّذاب قد ظهر بالعراق والتفّت عليه الشيعة ، وكان يدّعى أن جبرائيل عليه السلام يأتيه بالوحي))[٨] . وقال في سير أعلام النبلاء : ((فكان الكذاب هذا - يعني المختار - ادَّعى أن الوحي يأتيه ، وأنه يعلم الغيبَ ... الخ))[٩] . وقال في الميزان : ((لا ينبغي أن يروى عنه شيئاً لأنه ضال مضل ، كان زعم أن جبريل ينزل عليه))[١٠] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤٢ - ٢٤٤ .

(٢) هرب إلى البصرة .

(٣) هرب إلى الجزيرة .

(٤) هرب إلى مصعب بن الزبير ، فهدم المختار داره .

(٥) هرب إلى مصعب ، فهدم المختار داره .

(٦) الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٧) الكامل في اللغة ٢ / ٢٦٤ .

(٨) دول الإسلام ١ / ٥١ .

(٩) ٣ / ٥٣٩ ؛ وانظر تاريخ الإسلام ص ٢٢٧ ترجمة المختار (حوادث وفيات ٦١ - ٨٠ هـ) .

(١٠) ميزان الإعتدال ٤ / ٨٠ .

ويذكر ابن كثير : ((أن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً يزعم أن الوحي يأتيه على جبريل))[1] . ونقل ابن كثير عن الإمام أحمد : ((أن رفاعة القِتْباني قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك))[2] .

وذكر صاحب البدء والتاريخ : ((أن المختار كان يروي الروايات ويستعمل المخاريق ويدّعي المعجزات ويزعم أن جبريل وميكائيل يأتيانه ويأمر بعض أصحابه أن يشهد له أنه رأى الملائكة نزلت لنصرته))[3] .

وقال السيوطي : ((في أيام ابن الزبير كان خروج المختار الكذّاب الذي ادعى النبوة))[4] .

وأشار ابن العماد الحنبلي أن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية ومرة لابن الزبير حتى ادعى اخراً أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء[5] .

قلت : ومع هذا الضلال الواضح والزيغ البين التّف حوله جمهور من الشيعة واتبعوه حتى أهلكهم في الدنيا والآخرة .

والنص رقم (٥) في خبر ادعاء المختار للنبوة وأنه حين بلغ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم . فقد أخرجه الطبراني في الأوسط باسناد رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثم[6] ، وذكر البلاذري مثله[7] وكانت صفية بنت

---

(١) البداية والنهاية ٨ / ٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق ٨ / ٢٩٤ نقلاً عن مسند الإمام أحمد قال حدثنا ابن نمير حدثنا عيسى القارىء أبو عمر حدثني السري عن رفاعة القتباني وهذا إسناد صحيح ؛ انظر مسند الإمام أحمد ٥ / ٤٣٦ .

(٣) البدء والتاريخ ٦ / ٧٤ .

(٤) تاريخ الخلفاء ص ١٩٩ .

(٥) شذرات الذهب ١ / ٧٤ .

(٦) مجمع الزوائد ٧ / ٣٣٣ ؛ انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٤ .

(٧) أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٦ .

أبي عبيد أخت المختار تحت عبد الله بن عمر ، ومع هذا فإن ابن عمر لم يسكت عن بيان الحق ، وهذا ما كان يفعله العلماء والمخلصون في بيان زيغ المبتدعين والمنحرفين حتى لا يغتر الناس بعقائدهم وآرائهم الفاسدة .

النص رقم (٦) أشار البلاذري إلى مثله[١] .

مقتل المختار وإرسال رأسه إلى عبد الله بن الزبير :

٧ - عليٌّ بن عبد العزيز عن حجَّاج عن أبي معشر قال : لما بعث مُصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير فوضع بين يديه ، قال : ما مِن شيء حدَّثنيه كعب الأحبار[٢] إلا قد رأيته ، غير هذا ، فإنه قال لي : يقتلك شابٌّ من ثقيف فأراني قتلتُه . قال محمد بن سيرين ، لما بلغه هذا الحديث ، لم يعلم ابن الزبير أنّ أبا محمد[٣] قد خُبِيء له . [٤ / ٤٠٦]

دراسة النص :

النص السابق أورده ابن عبد ربه معلقاً عن علي بن عبد العزيز عن الحجاج عن أبي معشر .

وعلي بن عبد العزيز هو علي بن غراب الفزاري الكوفي ، وهو صدوق وكان يدلّس ويتشيع ، وأفرط ابن حبان في تضعيفه[٤] .

وفي السند أيضاً أبو معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني ضعيف اختلط في آخر حياته[٥] .

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) كعب الأحبار : هو كعب بن ماتع الحِمْيريُّ اليماني العلاّمةُ الحبْرُ ، كان يهوديّاً فأسلم بعد رسول الله ﷺ ، وقدم المدينة من اليمن أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجالس أصحاب محمد ﷺ ، فكان يُحدّثهُم عن الكتب الإسرائيلية ، ويحفظ عجائب ، ويأخذ السنن عن الصحابة ، وكان حسن الإسلام متين الديانة ، من نبلاء العلماء . وكان يغزو مع الصحابة . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٨٩ - ٤٩٤) .

(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٤) ابن حجر : التقريب ٤٠٤ .

(٥) ابن حجر : المصدر نفسه ٥٥٩ .

أورد ابن أبي شيبة في مصنفه مثله[١] دون قول محمد بن سيرين ، عن طريق أبو أسامة عن الأعمش عن شمر عن هلال بن يساف .

وذكره الذهبي مختصراً[٢] ، وأشار البلاذري وابن كثير إلى أن مصعب بن الزبير بعث برأس المختار مع الشرط على البريد ، إلى أخيه عبد الله بن الزبير[٣] .

ومن المعروف أن كعب الأحبار هذا رغم إسلامه إلا أنه كان يروي قصصاً وروايات إسرائيلية مما كان ومما لم يكن مقتبساً من كتب أهل الكتاب . وهذا لا يلزم أن يكون صدقاً[٤]وقد قال النبي ﷺ: ((لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء))[٥].

ومن المعلوم أنه ليس كل ما نسب إليه في الكتب ثابت عنه ، فإن الكذابين من بعده قد نسبوا إليه أشياءاً كثيرة لم يقلها[٦] .

وكما أوضحنا سابقاً كان المختار بن أبي عبيد الثقفي يُظهر لعبد الله بن الزبير الولاء والطاعة ، بل كان يدعوا له على المنابر في صلاة الجمعة ، وذلك بعد تغلبه على الكوفة ، في حين كان يُخفي نواياه ودعوته لمحمد بن الحنيفة ، حتى استطاع جمع عدد كبير من الشيعة[٧] ، وحينما تبين لابن الزبير حاله وإنحرافه أرسل أخاه مصعب بن الزبير إلى العراق ، حيث زحف مصعب بجيشه إليها ، حتى دارت بينه وبين أتباع المختار حروب عظيمة ، كتب الله النصر فيها لمصعب ، وتحصن المختار بقصر الإمارة بالكوفة ، وكان يخرج كل يوم لمحاربة

---

(١) كتاب المصنّف في الأحاديث والآثار ١١ / ١٣٦ حديث رقم (١٠٧٢٧) وتكرر في ١٥ / ٨٣ حديث رقم (١٩١٧٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٧٨ عن طريق ابن سيرين .

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٤ ؛ البداية والنهاية ٨ / ٢٩٣ .

(٤) راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٣٦٦ عند تفسيره سورة النمل ؛ وانظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٨٩ - ٤٩٠ عند ترجمة كعب الأحبار .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح ١٣ / ٣٤٥) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ ((لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)) حديث رقم (٧٣٦١) .

(٦) انظر سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٨٩ - ٤٩٠ هامش رقم (٣) وفيه فوائد كثيرة .

(٧) ابن كثير البداية والنهاية ٨ / ٢٩٣ .

مصعب وأصحابه[١] ، حتى قتل ، حيث قتله ابنا عبد ا لله بن دجاجة ، طرف وطراف من بني حنيفة[٢] ، وانفرد المسعودي بأن عبد ا لله بن احد من بني حنيفة هو الذي قتله واحتز رأسه[٣] وكان على ميمنة مصعب المهلب بن أبي صفرة ، وعلى ميسرته عمر بن عبيد بن معمر التميمي وعلى الخيل عباد بن الحصين[٤] .

بينما كان على ميمنة المختار أحمد ابن شميط وميسرته عبد ا لله بن وهيب الجُشَمِّي[٥] ، وعلى الموالي أبو عَمرة مولى عرينة[٦] . وكان عدد جيش المختار عشرين ألف[٧]. وقد قتل من أصحاب المختار خمسة آلاف[٨]وقيل ستة آلاف[٩]، وقيل سبعة آلاف[١٠] .

وعلى أية حال فإن المختار الكذاب وزمرته انهزموا ، وقتل المختار من قبل جيش مصعب بن الزبير[١١] . لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦٣ ؛ المسعودي ٣ / ١٠٦ .

(٢) خليفة : التاريخ ص ٢٦٤ ؛ أبو حنيفة : الأخبار الطوال ص ٣٠٨ ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ١٠٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤ / ٢٧٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٤٣ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٠٦ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٦٥ ؛ أما ابن الأثير والنويري يذكران أن عمر بن عبيد ا لله على ميمنته والمهلب على ميسرته . الكامل في التاريخ ٤ / ٢٦٨ ؛ نهاية الأرب ٢١ / ٥٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٤ / ٢٦٨ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) الذهبي : سير أعلام ٣ / ٥٤٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٣ .

(٨) الذهبي : سير أعلام ٣ / ٥٤٤ عن طريق إسحاق بن سعيد عن أبيه .

(٩) ابن الأثير : الكامل ٤ / ٢٧٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٢ .

(١٠) المسعودي : مروج ٣ / ١٠٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٢ .

(١١) اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣ ؛ المسعودي : مروج ٣ / ١٠٦ ؛ ابن الجوزي : شذور العقود في تاريخ العهود لوحة ٢٥ ؛ المنتظم ٦ / ٦٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٤٥ ؛ ابن خلدون التاريخ ٣ / ٣٠ .

هجرية[١] ، وقيل ثمان وستين[٢] ، وقيل تسع وستّين[٣] ، وذلك بعد حصار دام أربعة أشهر في قصر الإمارة[٤] .

وكان عمر المختار حين قتل سبع وستين سنة[٥] .

وتذكر المصادر التاريخية أن مصعب احتز رأس المختار وأرسله إلى أخيه عبد الله بن الزبير في مكة[٦] .

وأورد بعض المؤرخين أن كف المختار سمر إلى جانب المسجد[٧] .

بينه وبين سراقة بن مرداس :

٨ - أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة قال : أُخذ سُراقة بن مِرداس[٨] البارقيّ أسيراً يوم جبّانة[٩] السُّبَيع ، فقدم في الأسْرى إلى المُختار ، فقال سُراقة :

امنُن عليّ اليوم يا خَيرَ مَعدّ وخَيْر من لبّى وصلّى وسَجَدْ

---

(١) خليفة : التاريخ ص ٢٦٤ ؛ دون ذكر الشهر ؛ الربعي : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ص ٧٤ دون أن يذكر الشهر ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٧٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٢ دون ذكر الشهر ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ١٩٩ دون ذكر الشهر .

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ٥٧ / ١٠٥ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٤ ؛ ابن الجوزي : شذور العقود في تاريخ العهود لوحة ٢٥ مخطوط .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٨/٢٩٥عن طريق الواقدي؛ النويري: نهاية الأرب ٢١/٥١-٥٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٢ .

(٦) أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٤ ؛ سير أعلام ٣ / ٣٧٨ ؛ البداية والنهاية ٨ / ٢٩٣ .

(٧) البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٢٦٤ ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ١١٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٥ .

(٨) سُراقة البارقيُّ الشاعر ابن مرداس بن أسماء بن خالد بن عَوف بن عمرو بن سَعد بن ثَعلبة بن كنانة بن بارق . الإشتقاق (ص ٤٨٠) .

(٩) جبّانة السبيع محلة بالكوفة ، وكان بها يوم للمختار بن أبي عبيد . معجم البلدان ٢ / ١١٦ .

فعفا عنه المختار وخلّى سبيلَه . ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث[1] ، فأُتِي به المختارُ أسيراً ، فقال له: ألم أعفُ عنك وامنُن عليك ؟ أما وا لله لأقتلنّك؛ قال: لا وا لله لا تفعل إن شاء ا لله ؛ قال : ولم ؟ قال : لأن أبي أخبرني أنّك تفتح الشامَ حتى تَهدِم مدينة دمشق حجراً وأنا معك ، ثم أنشده :

ألا أبْلِغ أبا إسحاق أنا حَملنا حَمْلةً كانت علينا[2]
خرَجنا لا نَرى الضُّعفاء شيئاً وكان خُروجنا بطراً وحَيْنا
تراهم في مَصَفِّهم قليلاً وهم مثل الدَّبَى لما التقينا
فأسْجح إذ قدَرت فلو قدرنا لجُرنا في الحكومة واعتدَينا
تقبَّل توبة منِّي فإني شاكرُ إن جعلتَ النَقَد دينا

قال : فخلّى سبيله ، ثم خرج إسحاق بن الأشعث ومعه سَراقة ، فأُخذ أسيراً وأُتي به المختار ؛ فقال : الحمد لله الذي أمْكنني منك يا عدوّ ا لله ، هذه ثالثة ؛ فقال سُراقة : أما وا لله ما هؤلاء الذين أخذوني ، فأين هم لا أراهم ؟ إنا لما إلتقينا رأينا قَوماً عليهم ثياب بيض ، وتحتهم خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض ؛ فقال المختار : خلّوا سبيلَه ليَخبُر الناس ؛ ثم دعا لقتاله فقال :

ألا أبْلِغ أبا إسحاق أنِّي[3] رأيتُ البُلْق دُهْماً مُصْمتاتِ
أُرِى عَينيّ ما لم تَرْأياه كِلانا عالم بالتُّرَّهات
كَفَرتُ بوَحْيِكم[4] وجَعلتُ نذراً على قتالكم حتى المَمات

[٢ / ١٧٠ - ١٧١]

---

(١) إسحاق بن الأشعث : لم أجد له ترجمة .

(٢) في عيون الأخبار نزون نزوة كانت علينا ٢ / ٢٠٣ .

(٣) في عيون الأخبار : ألا من مخبر المختار عني بأن البلق بيطن مصمتان

(٤) في عيون الأخبار : كفرت بدينكم .

دراسة النص :

النص رقم (٨) ساقه ابن عبد ربه عن أبي حاتم ، وهو سهل بن عثمان السجستانيّ النحوي والبصري ثقة[١] ، عن أبي عبيدة ، وهو مَعْمَر بن المُثَنَّى التَّيْميُّ مولاهم البصري النحويّ ، إخباريّ صدوق[٢] .

ولعل ابن عبد ربه نقل هذا النص من ابن قتيبة الذي ذكر النص وساقه بنفس السند[٣] .

وذكر أبو حنيفة الدينوري النص مختصراً[٤] كعادته كما ذكر الطبري[٥] نصاً قريباً منه .

ونقل ابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير مثل ذلك[٦] .

ويوم جَبّانة السُّبَيع كان بالكوفة ، وكان سببها كما ذكر ابن الجوزي : ((أن أهل الكوفة تغيروا على المختار ، قالوا : أتأمر علينا بغير رضاً منّا ، وزعم أن ابن الحنفية أمره بذلك و لم يفعل ، فاجتمع رأيهم على قتاله ، وصبروا حتى بلغ ابن الأشتر سَابَاط[٧] ؛ ثم وثبوا على المختار ، فمنعوا أن يصل إليه شيء وعسكروا ، فبعث المختار إلى إبراهيم بن الأشتر : لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إليّ . ثم بعث المختار إليهم: أخبروني ماذا تريدون ؟ قالوا : نريد أن تعتزلنا ، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك و لم يبعثك ، فقال المختار : ابعثوا إليه من قبلكم وفداً ، وأبعث من قبلي وفداً حتى تنظروا ؛ إنما أراد أن

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤ / ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) ابن حجر : المصدر نفسه ١٠ / ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٣) ابن قتيبة : المصدر السابق ٢ / ٢٠٣ .

(٤) الأخبار الطوال ص ٣٠٣ .

(٥) تاريخ الطبري ٦ / ٥٤ - ٥٥ من طريق أبي مخنف .

(٦) المنتظم ٦ / ٥٧ ؛ الكامل في التاريخ ٤ / ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ البداية والنهاية ٨ / ٢٧٢ .

(٧) كان إبراهيم بن الأشتر من قادته ، وساباط : بلدة معروفة بما وراء النهر قرب أشرو سنة على عشرة فراسخ من خُجند ، وعلى عشرين فرسخاً من سمرقند (معجم البلدان ٣ / ١٨٧ - ١٨٨).

يشغلهم بالحديث حتى يقدم ابن الأشتر ، فأسرع إبراهيم حتى قدم صبيحة ثلاث من مخرجهم على المختار . ثم خرج إليهم المختار فاقتتلوا كأشد قتال ، ونُصر عليهم المختار ، وهربوا ، وادرك منهم قوم فقتلوا منهم شمر بن ذي الجوشن ، وأسر سراقة بن مرداس ...))[١] .

وقد حاول سراقة التخلص من الأسر في كل مرة بأن يذكر للمختار ما يناسبه من الأكاذيب التي ربما أطمعته أو أراد استغلال الناس بها .

وقول سراقة في النص (إنا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض ، وتحتهم بُلْق تطير بين السماء والأرض) .

يقصد به أن الملائكة كانت تقاتل مع المختار وقد صرحت بعض المصادر بذلك[٢] .

لأن المختار بن أبي عبيد كان يدعي أنه نبي ، وأن الملائكة تقاتل معه ، فكذب عليه بأن رأى الملائكة تقاتل معه وكان المختار يعرف ذلك ، وان سراقة لم يرى شيئاً ، ولكنه أراد استغلال الجماهير بمثل هذه الكذبة والشهادة الباطلة .

قتل زوجة المختار :

٩ – لما قتل مصعب بن الزبير بنتَ النعمان بن بشير الأنصارية[٣] ، زوجة المختار بن أبي عبيد ، أنكر الناس ذلك عليه ، وأعظموه ، لأنه أتى بما نهى رسول الله ﷺ عنه في نساء المُشركين . [٦ / ١١٨] نحوه [٤ / ٤٥٧]

---

(١) المنتظم : ٦ / ٥٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٥٧ .

(٣) أم زيد الصغرى عمرة بنت النعمان بن بشير وكانت تحت المختار بن أبي عبيد ، وأمها أم طيّ (الطبقات الكبرى ٣ / ٣٨٢) .

دراسة النص :

لم يذكر ابن عبد ربه لروايته هذه أي سند كعادته ، و لم أجد من خرج النص مسنداً ، وقتل مصعب بن الزبير لزوجة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ذكرته أغلب المصادر التاريخية[1] .

ويذكرون أن السبب الذي جعل مصعب بن الزبير يقتلها هو أنه عرض عليها البراءة من زوجها المختار بن أبي عبيد فأبت ، فلذلك ضرب عنقها بعدما عرض أمرها على أخيه عبد الله بن الزبير ، وأذن في قتلها إذا استمرت على رفضها البراءة من[2] المختار الذي ارتد بادعائه النبوة . بل تذكر بعض المصادر التاريخية أنها صدقته في دعواه النبوة[3] .

بينما تذكر بعض المصادر أن مصعباً سألها عن رأيها في المختار فلم تقل أنه نبي ، وإنما قالت : رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين[4] .

وهذا ثناء وشهادة منها لرجل قد ثبتت ردته واشتهرت أنّه ادعى النبوة وأنه يأتيه الوحي من السماء ، وهذا أمر ثابت و لم يكن أمراً خفيّاً .

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٤ ؛ أبو حنيفة : الأخبار الطوال ص ٣٠٩ ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٢٦٤ ؛ الطبري : التاريخ ٦ / ١١٢ من طريق أبي مخنف ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٠٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٧٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٠ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ٦ / ٢٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ص ٥٨ حوادث (٦٧ هـ) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٢ ؛ وانظر عبد العزيز محمد نور ولى : أثر التشيع على الروايات التاريخية ص ٣٩٧ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ١٠٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٧٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٧٥ ؛ سير أعلام ٣ / ٥٤٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٥٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٩٢ .

(٤) انظر المصادر السابقة .

وما ذكره ابن عبد ربه من أن الناس أنكروا ما قام به مصعب من قتل عمرة بنت النعمان ، وأنه أتى بما نهى رسول ا لله ﷺ عنه في نساء المشركين . فإني لم أقف على من أنكر ذلك ممن يعتمد عليه وعمر بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر وسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري اللذان ذكرا ذلك في شعرهما لا يعول على قولهما، وقد ذكرا ذلك من باب الهجاء لمصعب بن الزبير .

قال ابن أبي ربيعة :

إن من أعجب العجائب عندي   قتل بيضاء حرة عطبول[1]
قتلتْ هكذا على غير جرم   إنَّ لله درُّها من قتيل
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا   وعلى الغانيات جرُّ الذيول[2]

وقال سعيد بن عبد الرحمن الأنصاري :

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب   بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسبْ
بقتل فتاة ذات دَلٍّ ستيرةٍ   مهذّبةِ الأخلاق والخيم والنّسَبْ

في شعر طويل[3] .

والرسول ﷺ نهى عن قتل النساء في الحرب لأنهن لسن من أهلها ولكنه أمر إقامة الحدود ، وما فعله مصعب مع امرأة المختار هو إقامة حَدّ الردة عليها لثبوت ذلك عنده ، فاستنكار من استنكره في غير محله ، وتصوير للواقعة على غير صورتها الصحيحة .

---

(١) العطبول : المرأة الفتية الممتلة الطويلة العنق . (اللسان ١٢ / ٤٥٦) .

(٢) ديوان ابن أبي ربيعة ص ٣٣٨ ، تحت عنوان مقتل حسناء ، دار صادر ، بيروت ، وانظر البلاذري : المصدر السابق ٥ / ٢٦٤ .

(٣) انظر : أبو حنيفة : الأخبار الطوال ص ٣١٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٧٦ .

ثالثاً : حركات الخوارج :

فرق الخوارج :

١ - افترقت الخوارج على أربعة أضرب : الإباضية ، أصحاب عبد الله بن إباض ؛ والصُّفرية ، واختلفوا في نسبهم ، فقال قوم : سُمُّوا بابن الصَّفار ، وقال قوم : نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ؛ ومنهم البَيْهسية ، وهم أصحاب أبي بيهس ؛ ومنهم الأزارقة ، أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ، وكانوا قبلُ على رأي واحد لا يختلفون إلاّ في الشيء الشاذّ . [٢ / ٣٩١]

دراسة النص :

النص رقم (١) أورده المبرد[١] ولعل المصنف نقل منه . ويتناول هذا النص بعض فرق الخوارج وأقسامها ؛ وهم قوم مبتدعون ، سموا بالخوارج لخروجهم عن الدِّين وخروجهم على خيار المسلمين[٢] . وكان أول أمرهم خروجهم على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم بينه وبين معاوية ، وكَفَّروا الفريقين - علي ومن معه ومعاوية ومن معه - ويتميزون عن غيرهم من فرق الضلال بتكفيرهم مرتكب الكبيرة[٣] .

ويطلق على الخوارج ألقاب عدة منها : الشراة ، والحرورية ، والمحكّمة ، والمارقة[٤] . وتنقسم الخوارج إلى فرق كثيرة أوصلها بعضهم إلى عشرين فرقة ، منها : المحكمة ، والأزارقة ، والنجدات ، والبيهسية ، والعجاردة ، والثعالبة ، والأباضية ، والصفرية ، وغيرهم[٥] .

ونوجز هنا خبر الفرق الأربع التي تناولتها الرواية ، وهي الفرق الرئيسية .

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٣ / ٢٧٥ ؛ ٣٠٤ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ١٢ / ٢٩٦ .

(٣) راجع البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٧٣ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٣٣ .

(٤) انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٣٣ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٧٢ .

أولاً : الأزارقة :

هذه الفرقة تنسب إلى نافع بن الأزرق الحنفي[١] الذي خرج في آخر خلافة يزيد بن معاوية[٢] حيث بايعته الأزارقة وسموه أمير المؤمنين[٣] . وقد خرج نافع وأصحابه في أيام عبد الله بن الزبير من البصرة إلى الأهواز ، فقلبوا عليها وعلى كورها ، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان ، كما قتلوا عمال ابن الزبير في هذه النواحي ، ونهبوا ما فيها من الأموال والكنوز[٤] . فلما بلغ ابن الزبير ما فعله الأزارقة ، أمر أميره في البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل النوفلي أن يخمد فتنة هؤلاء ، وأن يرسل إليهم رجلاً يرتضيه أهل البصرة ، قبل أن يستفحل أمرهم[٥] . فأرسل عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كريز ، ولكنه انهزم أمام الخوارج وقتلوه ، ثم أرسل عثمان بن عبد الله بن معمر ، ثم حارثة بن بدر الغداني ، غير أن هؤلاء لم يستطيعوا تحقيق نصر على الخوارج ، بل قويت شوكتهم حتى امتلأت قلوب أهل البصرة من الرعب والهلع ، وخافوا على أنفسهم وبلدهم من الخوارج[٦] . ثم بعد ذلك انتدب المهلب بن أبي صفرة في محاربة الأزارقة وذلك في خلافة عبد الله بن الزبير ، واستطاع أن يكبدهم الخسائر الفادحة حتى تفرقوا وتشتت شملهم ، واستمر المهلب في حربهم تسع عشرة سنة

---

(١) أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٢٦٩ ؛ المبرد : الكامل في اللغة والأدب ٣ / ٢٧٥ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٨٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٩٤ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث وفيات عام (٦١ - ٨٠ هـ) .

(٣) ابن أعثم : الفتوح ٣ / ١٩٦ ؛ البغدادي : المصدر السابق ص ٨٥ .

(٤) الشهرستاني : المصدر السابق ١ / ١٣٧ وانظر ابن أعثم ٣ / ١٩٥ ؛ البغدادي : المصدر السابق ص ٨٥ .

(٥) ابن أعثم : المصدر السابق المجلد الثالث ص ١٩٧ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٦١٣ - ٦١٥ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٨٥ وفيه عمر بن عبيد الله بن معمر بدلاً من عثمان بن عبد الله بن معمر ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ١ / ١٣٩ .

إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج بن يوسف[١] . أما نافع بن الأزرق رأس هذه الفرقة فقد توفى في تلك الهزائم المتتالية[٢] . وبايع الأزارقة بعده عبد الله بن الماحوز[٣] ، وقيل لقطري بن الفجاءة المازنى[٤] وقيل لعبيد الله بن ماحوز[٥] .

ثانياً : البيهسية :

تنسب هذه الفرقة إلى أبي بيهس هيصم بن عامر من بنى سعد بن ضيعة بن قيس[٦] . وكان عثمان بن حيان والي المدينة قطع يديه ورجليه[٧] لأن الحجاج بن يوسف كان طلبه أيام الوليد بن عبد الملك فهرب إلى المدينة ، فطلبه بها عثمان ابن حيان المرّي فظفر به وحبسه . وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ، ففعل به ذلك[٨] .

وانقسمت البيهسية إلى عدة شعب ، ويقولون الايمان : الاقرار والعلم با لله وبما جاء به الرسول ﷺ ، وإذا كفر الإمام كفرت الرعية ، والدار دار شرك ،

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٦١٥ ؛ ٦ / ١٢٧ ؛ البغدادي : المصدر السابق ص ٨٥ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ١٣٩ .

(٢) انظر مناقشة تاريخ ومكان وفاة ابن الأزرق في كتاب : الخوارج في العصر الأموي لنايف محمد معروف ص ١٤٠ في الهامش ٦٤ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٤٧٦ .

(٤) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٨٧ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ١ / ١٣٩ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٥ / ٤٧٦ وذلك بعد مقتل عبد الله بن الماحوز ؛ ابن أعثم الكوفي : الفتوح المجلد الثالث ص ٢٠٤ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٨٥ وفيه عبيد الله مأمون التميمي .

(٦) ابن قتيبة : المعارف ص ٦٢٢ ؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ١١٣ ؛ الملطي : التنبيه والرد ص ١٨٠ وفيه بهصيم ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٠٨ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٢٥ ؛ المقريزي : الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ٤ / ١٨٠ وفيه أبي البيهس بن خالد من بنى سعيد بن ضبعة .

(٧) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ٦٢٢ .

(٨) الشهرستاني : المصدر السابق ١ / ١٤٤ - ١٤٥ .

وأهلها جميعاً مشركون ، ولا يصلون إلاّ خلف من يعرفون[١] . وذهبوا إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال[٢] .

ثالثاً : الأباضية :

هم أصحاب عبد الله بن أباض الذي خرج مع نافع بن الأزرق[٣] وقيل الإباضية تنسب إلى أصحاب إباض بن عمرو الذين خرجوا من سواد الكوفة ، فقتلوا الناس . وسبوا الذرية وقتلوا الأطفال[٤] وقيل إنها نسبة إلى عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي ، الذي خرج أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[٥] . وذكر المقريزيَ[٦] أن الأباضية ينسبون إلى أباض ، بلدة في أرض اليمامة .

والصحيح القول الأول ، وهو ما ذكره الطبري ، وهذا القول يُؤيده مؤرخي الأباضية حيث ذكروا أن ابن أباض خرج أيام معاوية وعاش إلى زمن عبد الملك ابن مروان . وكان أول أمره مع نافع بن الأزرق ثم اختلف معه وفارقه بل وردّ عليه[٧] .

وافترقت الأباضية إلى عدة فرق منها : الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية .

والأباضية يرون أن مخالفيهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين وإنما هم كفار ، يجوز شهادتهم ومناكحتهم والتوارث منهم ، وأن دار مخالفيم دار إسلام

---

(١) الاشعرى : المصدر السابق ص ١١٦ .

(٢) الاشعرى : المصدر السابق ص ١١٦ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٥١٩ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٠٣ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٨ .

(٤) الملطي : التنبيه والردّ ص ٥٢ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٣٤ .

(٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ٤ / ١٨٠ ، انظر نايف محمد معروف : الخوارج في العصر الأموي ص ٢٣٨ .

(٧) انظر أحمد جلّى : دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة " ص ٦٢ ؛ سالم بن حمد سليمان : العقود الفضية في أصول الأباضية ص ١٢١ ؛ وانظر أحمد جلّى : دراسات عن الفرق ص ٦٢ ؛ نايف محمد معروف : الخوارج في العصر الأموي ص ٢٣٨ - ١٤٤ .

إلا معسكر السلطان . ويرون أن مرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن ، أو كافر كفر نعمة لا ملة ، واختلفوا في النفاق إلى ثلاثة أقوال وتوقفوا في أولاد الكفار(١).

ومناطق انتشار الأباضية في جنوب الجزيرة العربية في منطقة عمان والجبل الأخضر ، ووصلوا في فترة إلى أرض الحجاز . وكان لهم انتشار في الساحل الشرقي لأفريقيا وخاصة زنجبار . وقامت لهم دولة في عمان وتعاقب على الحكم فيها عدد من أئمتهم حتى العصر الحديث ، كما قامت لهم دولة في شمال افريقيا عرفت باسم الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت ، وقد دامت زهاء مائة وثلاثين سنة(٢) . وكان جبل نفوسة في ليبيا أهم معاقلهم التاريخية .

رابعاً : الصفرية :

اختلف في نسبة الصفرية هل هي نسبة إلى صفرة ألوانهم من كثرة صيامهم وقيامهم ، كما ذكر المرصفي ورجحه(٣) . أم هي نسبة إلى شخص بعينه ، مثلما نسب غيرهم من الفرق . وإذا كان الأمر كذلك ، فمن هو هذا الذي نسبت إليه فرقة الصفرية . هل هو عبد الله بن صفار ، كما يقول المبرد(٤) . أم هو زياد بن الأصفر ، كما يقول علماء الفرق مثل الأشعريّ والبغدادي والأيجي والشهرستانيّ(٥) . أم هو نسبة إلى المهلب بن أبي صفرة الذي تولى حربهم ، كما ذكر الملطيّ(٦) ويرجح بعض الكتاب المعاصرين أن الصفرية اشتهرت نسبتها إلى عبد الله بن صفار الذي خرج في عهد نافع بن الأزرق ، ثم انفصل عنه عند

---

(١) الأشعري : المصدر السابق ص ١٠٤ ؛ البغدادي : المصدر السابق ص ١٠٣ ، ١٠٦ .

(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٩ .

(٣) رغبة الآمل : المجلد الرابع ٧ / ٧٦ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب ٣ / ٢٧٥ ؛ انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١٨ .

(٥) مقالات الإسلاميين ص ١٠١ ؛ الفرق بين الفرق ص ٩٠ ؛ المواقف ص ٤٢٤ ؛ الملل والنحل ١ / ١٥٩ .

(٦) التنبيه والردّ ص ٥٢ .

حدوث الخلاف بين قيادات الخوارج(١) . والصفرية كغيرها من الفرق انقسمت على نفسها إلى فرق عدة . وهم يخالفون الأزارقة وغيرهم في تكفير القعدة عن القتال وفي إسقاط الرجم وفي أطفال الكفار ، ومنع التقية في القول ، وقالوا : المعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها(٢) . وكان نشاطهم يركز في الشمال الافريقي في الخلافة الأموية وكذلك العباسية ، وقد قاموا عدة ثورات بها في هذا القطر مثل : ثورة ميسرة المضفري بنواحي طنجة ، وثورة عيسى بن أبي يزيد في مكناسة(٣) . وتعتبر مدينة سجلماسة من أهم مراكزهم وهم الذين بنوا بها ، وأقاموا فيها ولاية مستقلة لهم بقيادة أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي(٤) .

من مشاهير فرسان الخوارج :

٢ - ومن مشاهير فرسان الخوارج : عمرو القَنا ، من بني سَعد بن زَيد مناة ، وعبيدة بن هلال ، من بني يَشْكُر بن بكر بن وائل ، وهو الذي طعن صاحب المهلّب في فخذه ؛ فشكّها(٥) مع السَّرْج(٦) وهما اللذان يقول فيهما ابن المُنْجِب السَّدُوسي(٧) من فرسان المهلّب ، وكان قال له مولاه خِلاج : ودِدْت أنا

---

(١) انظر الخوارج في العصر الأموي ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ؛ أحمد جلّى : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة ص ٦٠ " .

(٢) الأشعري : المصدر السابق ص ١٠١ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٩٠ - ٩١ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٥٩ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ١ / ٥٢ - ٥٤ ؛ ١ / ٩٧ ؛ انظر أحمد جلى : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ٦١ - ٦٢ .

(٤) ابن عذاري : المصدر السابق ١ / ١٥٦ .

(٥) شكّة بالرمح والسهم ونحوهما يشكّه شَكّاً : أي انتظمه وخزقته ، وقيل : لا يكون الإنتظام شكّاً إلاّ أن يجمع بين شيئين بسهم أو رمح أو نحوه . (اللسان ١٠ / ٤٥٢) .

(٦) السَّرج : رحل الدابة . (لسان العرب ٢ / ٢٩٧) .

(٧) ابن المنجب السَّدُوسي : لم أقف له على ترجمة .

فضضنا عسكرَهم ، فأستلبَ منه جاريتين إحداهما لك وأُخرى لي :

أخِلاجُ إنك لـن تُعانق طَفْلةً[١] شَرِقا بها الجادىُّ[٣] كالتِّمثال

حتى تُعانقَ في الكَتِيبة[٢] مُعلماً عمرو القنا وعبيدة بن هلال

وترى المُقَعْطر في الكتيبة مُقدِماً في عُصبة قَسَطوا[٤] مع الضلال[٥]

والمُقعطَر : من مشاهير فرسانهم . وقطريّ : أنجدهم قاطبة ، وصالح بن مِخْراق : من بُهَمهم[٦] ، وكذلك سعد الطّلائع . [١ / ٢٢٢]

دراسة النص :

النص رقم (٢) ذكر فيه بعض فرسان الخوارج وأبطالهم الشجعان وهؤلاء المذكورون هم كلهم من فرقة الأزارقة ، وسوف نذكر موجز من أخبار كل واحد منهم .

عمرو القنا :

عمرو القنا : من بنى سعد بن زيد مناه بن تميم[٧] ، ويُكَنى أبا المصُدَّى[٨] أحد قيادات الأزارقة وفرسانها ، وقد اشتهر بكثرة حروبه مع المسلمين ، وكان يحث الخوارج على حرب جيش الخلافة[٩] ، ومن شدّة إخلاصه لحركته أنه استهزأ بابن عمه العلاء بن مُطَرِّف السَّعْدِي ، وذلك عقب انهزام العلاء أمام عمرو القنا

---

(١) طَفْلة : بالفتح ناعمة . المبرد : الكامل في اللغة ٣ / ٣٨٦ .

(٢) الجادِيُّ : الزعفران . المصدر نفسه .

(٣) الكتيبة : الجيش . المصدر نفسه .

(٤) قَسَطوا : جاروا ، والقِسط : الجَوْر . (اللسان ٧ / ٣٧٨) .

(٥) الأبيات الشعرية وما قاله ابن المنجب السَّدوسي أورده المبرد في الكامل ٣ / ٣٨٦ .

(٦) البُهْمُ : الشجاع ، وقيل هو الفارس الذي لا يُدْرى من أين يُؤتى له من شدّة بأسه . (اللسان ١٢ / ٥٨) .

(٧) المبرد : الكامل في اللغة والأدب ٣ / ٣٨٨ .

(٨) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٥٧ .

(٩) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٨٣ .

في بعض حروبه[١] . وكان عمرو القنا وجماعته التقو يوماً مع حبيب بن المهلب قائد جيش الخلافة في قتال مرير ، وفي أثناء الحرب أراد عمرو القنا أن يقتل حبيب ، إلاّ أن سيف حبيب كان أسبق ، فطعنه طعنة نكسته عن فرسه ، وسارعت الأزارقة بحمله[٢] وذلك في خلافة ابن الزبير .

عبيدة بن هلال :

عبيدة بن هلال من بنى يشكر بن بكر بن وائل من بنى تميم وهو الذي طعن صاحب المهلب في فخذه ، فشكّها مع السَّرْج[٣] ، كان من أتباع نافع بن الأرزق حتى أصبح من رؤساء الأزارقة[٤] . وكانت له منزلة كبيرة عند الخوارج ، حتى أرادوا أن يسندوا إليه أمرهم ، ويجعلوه قائداً لهم ، ولكنه أبى وقال : أدلكم على من هو خير لكم منّي : من يُطاعِن في قُبل ، ويحمي في دُبُر ، عليكم بقطريّ بن الفجاءة المازنيّ ، فبايعوه[٥] . وكان عبيدة بن هلال شديداً في الحروب ، ولم يكن أحد يرغب في مبارزته لذلك قال المهلب لأصحابه بعد وفاة عبيدة بن هلال : إن الله قد أراحكم من اقران أربعة . وذكر منهم عبيدة بن هلال[٦] . ولم يكن عبيدة بن هلال مجرد قائد محارب بل كان من فحول شعراء الخوارج ، وقد ألقى قصائد كثيرة يحمس أتباعه في الحروب وينال من خصومه[٧] . وكانت وفاته سنة سبع وسبعين[٨] .

---

(١) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٥٧ .

(٢) ابن أعثم : المصدر السابق ٣ / ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) المبرد : المصدر السابق ٣ / ١٣٨ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٣٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٤٤٣ .

(٥) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٤٧ .

(٦) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٩٥ .

(٧) انظر الخوارج في العصر الأموي ص ٢٤٨ ، ٢٥٣ ؛ الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٣٤٧ .

(٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٣٠٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ١٥٩ .

المقعطر :

المقعطر العَبديّ من عبد القيس[١] أحد فرسان الأزارقة وعلمائها ، حتى عزم قطري بن الفجاءة – زعيم الأزارقة – أن يبايع له لولا رفض بعض الخوارج ، ولا غرابة في ذلك فإن المُقعطر كان من علماء الخوارج وفقهائهم وخطبائهم ، وكان قاضي عسكر الأزارقة أيام قطريّ[٢] . وأحد عماله على ناحية كرمان[٣] . ويذكر الطبري[٤] : أن الخوارج قد وقع بينهم الإختلاف سنة سبع وسبعين بسبب قتل المقعطر رجلاً من الخوارج ، فأرادت الخوارج إقامة الحد على المُقعطر ، فرفض قطريّ ، وعلل ذلك بأن المُقعطر تأوّل فأخطأ التأويل ، وهو من ذوي السابقة فيكم ، ما أرى أن تقتلوه .

قطريّ بن الفجاءة :

قطريّ بن الفجاءة من بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وكان يكنى أبا نعامة ، وخرج زمن مصعب بن الزبير ، فبقى عشرين سنة يُقاتل ، ويسلَّم عليه بالخلافة . فوجه إليه الحجاج جيشاً بعد جيش ، وكان آخرهم بقيادة سفيان بن الابرد الكلبى فقتله[٥] ، سنة سبع وسبعين[٦] . ويقال إن الأزارقة بايعته بعد وفاة نافع بن الأزرق[٧] أو بعد عبيد الله بن مأمون التميمي ، وسموه أمير المؤمنين[٨] . وكان له مع المهلب حروباً كثيرة ، وكذلك مع أنصار المهلب حتى هدم مدينة اصطخر ، لأن أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره ،

---

(١) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٨٨ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٣٤٧ وفيه المُقَعطل .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٣٠٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٣٠٣ .

(٥) ابن قتيبة : المعارف ص ٤١١ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٣٠٨ .

(٧) الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٨٧ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٣٩ .

(٨) البغدادي : المصدر السابق ص ٨٥ .

وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها ازاد مرد بن الهربذ[١] . واختلف الخوارج في عهده وفارقه منهم عدد كبير وعلى رأسهم عبد ربه الكبير[٢] .

صَالح بن مِخراق :

أحد أتباع نافع بن الأزرق ، ثم صار من زعماء الأزارقة[٣] وكان من الخوارج الذين حاربهم المهلب بن أبي صفرة[٤] . وكان صالح حريصاً على وحدة الأزارقة وعدم اختلافهم أمام هجمات المهلّب[٥] . وكانت نهايته كما يقول أبو العباس المبرد : بأن حمل عليه فتى من العرب ، فطعنه فأنفذه وأجَرَّه الرمح فقتله[٦] .

سعد الطّلائع :

كان من زعماء الخوارج البارزين ، واشتهر كغيره من زعماء الخوارج بحروبه مع الدولة الأموية ، وكان شديد القتال ، حتى قال المهلب لأصحابه بعد قتل بعض زعماء الخوارج ومنهم سعد الطّلائع : ((إن الله عزّ وجلّ قد أراحكم من أقران أربعة : قطري بن الفجاءة ، وصالح بن مخراق ، وعبيدة بن هلال ، وسعد الطّلائع ..))[٧] .

خروجهم على أهل البصرة :

٣ - ولما خرجت الأزارقة على أهل البصرة لاقاهم حارثة بن بدر[٨] ، وتولّى

---

(١) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٩٠ .

(٢) البغدادي : المصدر السابق ص ٨٦ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٣٧ - ١٣٨ .

(٤) المبرد : الكامل في اللغة ٣ / ٣٦٩ .

(٥) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٨٣ .

(٦) المصدر السابق ٣ / ٣٩٣ .

(٧) المبرد : الكامل ٣ / ٣٩٥ .

(٨) هو حارثة بن بدر بن ربيعة بن زيد بن سيف بن جارية بن سليط ، كان مشهوراً بقتال الخوارج . (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٥) .

حربهم في أصحابه في فرسان من بني مِربوع ، حتى أصيب في تلك الحروب ، وقال فيه الشاعر :

فلولا ابن بدرٍ للعراقين لم يقم لما قام فيه للعراقين انسان

إذا قيل من حامى الحقيقة أومأت إليه معدٌّ بالأكفِّ وقحطانُ

[٦ / ٣٤٢]

دراسة النص :

النص السابق يشير خروج الأزارقة على أهل البصرة وعدوانهم عليهم ، وكانت ولاية البصرة في هذا الوقت تحت نفوذ عبد الله ابن الزبير ، فبعث إليها عدداً من الأمراء واحداً تلو الآخر في سبيل إزاحة هذا الخطر . وقد كان حارثة بن بدر أخذ راية الجهاد من غير ولاية وذلك عقب هزيمة جيش عمر بن عبيد الله ابن معمر بقيادة أخيه عثمان أمام الخوارج حتى وصلت فلول جيشه إلى البصرة ، فخاف الناس من الخوارج خوفاً شديداً[١] . ولم يستطع حارثة بن بدر الوقوف أمام الخوارج طويلاً فهرب وأصحابه بالسفينة ، فأتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمي بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة إلى شاطيء النهر ، فلما وثب التميمي إليها غاصت بجميع من فيها فغرقوا[٢] . ولما استفحل أمر الخوارج واقتربوا من البصرة ، طلب أهلها من الأحنف بن قيس أن يتولّى حرب الخوارج ، ولكن الأحنف أشار بالمهلب بن أبي صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب[٣] ، ولما اتصل القوم بالمهلب في خراسان رفض طلبهم في أول وهلة ، ثم وضعوا له كتاباً عن ابن الزبير يأمره يقتال الخوارج ، ولما قرأ المهلب الكتاب قبل بشرط أن يجعلوا له ما غلب عليه ويقطعوه من بيت المال ما يقوى به من معه[٤] .

---

(١) المبرد : الكامل في اللغة ٣ / ٣٠٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ١٩٥ .

(٢) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٩٦ .

(٣) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٩٥ .

(٤) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٩٦ .

فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثنـى عشـر ألفـاً ، ثم خرج إلى الخوارج[١] يحاربهم ويقاتلهم حتى أضعف شوكتهم .

خروجهم على أصبهان :

٤ – ولما مالت الخوارج إلى أصبهان حاصرت بها عتّاب بـن ورقـاء[٢] سـبعة أشهر يقاتلهم في كل يوم ، وكان مع عتّاب بن ورقاء رجل يقال له شُرَيح ويكنى أبا هُريرة[٣] ، فكان يَخرُج إليهم في كل يوم فيناديهم :

يا بـنَ أبـي المَـاحوز[٤] والأشـرار كيـف تَـرون يـا كِـلاَبَ النـار
شَـدَّ أبـي هُريـرة الهَـرَّار يَعرُوكـم بالليـل والنهـار
وهو من الرحمن في جوَار

فتعاظَمهم ذلك . فكمن له عبيدة بـن هـلال فضربـه ، واحتملـه أصحابُـه ، فظنَّت الخـوارج أنـه قـد قُتـل ، فكـانوا إذا تواقفُـوا يُنـادونهم : مـا فعـل الهَـرَّار ؟ فيقولون : ما به من بأس . حتى ابلَّ من عِلَّته ، فخرج إليهم ، فقـال : يـا أعـداء الله ، أترون بي بأساً ؟ فصاحوا به : قد كنا نرى أنك لَحِقـت بـأمِّك الهاويـة في النار الحامية .

فلما طال الحصار على عتّاب ، قال لأصحابه : ما تنتظرون : إنكـم والله مـا تُؤتَون من قلّة ، وإنكـم فرسـان عشـائركم ، ولقـد حَـاربتُموهم مِـراراً فـانتصفتم منهم ، وما بَقي من هذا الحصار إلا أن تَفْنى ذخائرُكم ، فيموت أحدُكـم فيَدْفِنَـه صاحبُه ، ثم يموت هو فلا يجد من يَدْفنه ، فقاتِلوا القـومَ وبكـم قُـوَّة مـن قبـل أن يضعَف أحدكم عن أن يمشي إلى قِرْنِه . فلما أصبحَ صلى الصبحَ ، ثـم خـرج إلى

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ١٩٦ .

(٢) عتّاب بن ورقاء الرياحيّ يكنى أبا ورقاء ، كان من أجواد العرب ولي أصبهان في عهد ابن الزبير ، ووجهه الحجاج إلى حرب الأزارقة وولي المدائن وناحيتيها ، وقتل في قتاله مـع شـبيب الخـارجيّ . انظر ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٥ .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) يريد الزبير بن علي بن الماحوز . انظر العقد ١ / ٢١٩ هامش (٣) .

الخوارج وهم غَارُّون ، وقد نصب لواء لجارية يقال لها ياسَمين ، فقال : من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسَمين ، ومن أراد الجهاد فليلحق بلوائي . قال : فخرج في ألفين وسبعمائة فارس ، فلم تشعُر بهم الخوارج حتى غَشُوهم ، فقاتلوهم بجِدّ لم تَرَ الخوارج مثلَه . فقتلوا أميرهم الزُّبير بن عليّ وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتّاب بن ورقاء . [١ / ٢١٩ - ٢٢٠]

دراسة النص :

النص رقم (٤) أورد المبرد مثله[١] .

ويتضمن النص أخبار حصار الخوارج لأصبهان ، وذلك أن الخوارج لما يئسوا من ناحية المهلب لشدته وقوته ، مالوا إلى ناحية أصبهان[٢] وكان عليها يومئذ عتّاب بن ورقاء الرِّياحيّ[٣] .

واستطاع عتاب بن ورقاء وأصحابه أن يفكّوا حصار الخوارج عنهم ، بعد قتال مرير دار بين الفريقين[٤] وقد قتل أمير الخوارج الزبير بن علي في المعركة على يد الحارث بن عميرة الهمداني[٥] وانحاز عتاب بن ورقاء وأهل أصبهان إلى المهلب إمتثالاً لأوامر الحجاج بن يوسف وذلك في سنة ستة وتسعين[٦] ولم يزل عتاب مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب الخارجي فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالقدوم عليه ليوجهه إلى شبيب[٧] فشخص عتّاب بن ورقاء إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين . فوجَّهه إلى شبيب ، فقتله شبيب[٨] .

بين الحجاج والمهلب في محاربة الخوارج :

---

(١) المبرد : الكامل في اللغة ٣ / ٣٤٣ - ٣٤٤ وفيه تقديم وتأخير .

(٢) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٣١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٨ / ٢٦٤ .

(٣) ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ٢٦٤ .

(٤) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٤٣ .

(٥) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٤٨ .

(٦) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٧٩ .

(٧) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٨٠ .

(٨) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٨٢ .

٥ – وكتب الحجاج إلى المهلّب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب إليه : إنّ من البلية أن يكون الرأي بين من يملكه دون من يُبصره . [١ / ١٢٣]

دراسة النص :

ذكر المبرد بأن الحجاج وجه الجراح بن عبد الله إلى المهلب بن أبي صفرة ، وكتب معه كتاباً يبين فيه استبطاءه في لقاء الخوارج ومنازلتهم .

فلما قرأ المهلب الكتاب قال للجراح : يا عقبة والله ما تركتُ حيلة إلاّ احتَلْتُها ، ولا مكيدة إلاّ اعملتُها ، وما العَجب من إبطاء النصر وتَرَاخِي الظَّفَرِ ، ولكنّ العجب أن يكون الرأيُ لمن يملكُه دونَ من يُبصِرُه[١] !

ثم كتب المهلب إلى الحجاج : أتاني كتابك تستَبْطِئُني في لقاء القوم ، على أنك لا تَظنّ بي معصية ولا جُبْناً ، وقد عاتبتني معاتبة الجبان ، وأوعدتني وَعِيدَ العاصي ، فأسأل الجرَّاح ، والسلامُ .

فلما وصل الحجاجَ كتاب المهلَّب سأل الجراح قائلاً : كيف رأيت أخاك ؟ فأخبر الجراح بما رأى عند المهلب وحروبه الشديدة مع الخوارج[٢] .

وكان الحجاج قبل ذلك قد وجّه إلى المهلّب البَرَاءَ بن قَبيصةَ يَسْتَحِثُّهُ في مناجزةِ القوم[٣] .

كما وجّه إليه رجلين يستحثانِه مناجزة القوم ، أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن ، من بني عامر بن صَعصَعة ، والآخر من آل أبي عقيل جدِّ الحجاج[٤] .

والمهلّب كان كثير الحرب مع الخوارج لا يملّ ولا يتقاعس ، حتى أنه لم يكن يَتَّكِلُ في الحراسة على أحد ، حيث كان يتولاها بنفسه ، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحَلَّهُم في الثقةِ عنده[٥] .

---

(١) المبرد : الكامل في اللغة والأدب ٣ / ٣٧٧ ؛ انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٢٥٣ .

(٢) المبرد : المصدر نفسه ٣ / ٣٧٨ .

(٣) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٧٣ .

(٤) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٧٩ .

حتى قال أحد من أرسل الحجاج إلى المهلب وهو الجراح بن عبد ا لله ؛ حيث سأله الحجاج عن المهلب : وا لله ما رأيت أيها الأمير مثله قطٌّ ولا ظَننتُ أحداً يبقى على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدت أصحابه أياماً ثلاثة يغدُون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ، ويتجالدون بالسيوف ويتخاطبون بالقمد ، ثم يَرُوحُون كأن لم يصنعوا شيئاً ، رَواحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتَهم[١] .

وكلمة المهلب حكمة بالغة فإن الشاهد يرى مالا يرى الغائب ويصرف الأمور حسبما يشاهد ، والذي يملك إصدار الأوامر لا تكون أوامره دقيقة إذا كان غائباً عن الأمور غير مطلع على جليتها .

شجاعة الخوارج وشدة قتالهم :

٦ - وقيل للمُهلَّب بن أبي صُفْرة : ما أعجبُ ما رأيت في حرب الأزارقة ؟ قال : فتى كان يخرج إلينا منهم في كل غَداة فيقِف فيقول :

وسائلةٍ بالغَيْب عنّي ولو درت ... مُقارَعتي الأبطال طال نَحيبُها
إذا ما التَقْينا كنتُ أول فارس ... يجُود بَنفْس أثقَلتها ذُنوبها

ثم يَحمِل فلا يقوم له شيء إلا أقعده . فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك .

[١ / ١٠٣ - ١٠٤]

٧ - ومنهم - أي من الخوارج - الذي طُعن فأنقذ الرمح فجعل يسعى إلى قاتله ويقول : ﴿ **عجلت إليك رب لترضى** ﴾[٢] . [١ / ٢١٩]

ومن الفرارين : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فرّ من الأزارقة وكان في عشرة آلاف ، وكان قد بعث إليه المُهلَّب : يا ابن أخي خَندِق على نفسك وعلى أصحابك فإني عالم بأمر الخوارج ولا تغترّ .

---

(٥) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٧٤ .

(١) المبرد : المصدر السابق ٣ / ٣٧٨ .

(٢) سورة طه الآية ٨٤ .

فبعث إليه : أنا أعلم بهم منك وهم أهْون عليّ من ضَرطة الجمل . فبيَّته قَطَرِيّ صاحبُ الأزارقة ، فقتل من أصحابه خَمسمائة وفرّ لا يَلْوِ على أحد . فقال فيه الشاعر :

تَركْتَ وِلْدَاننا تَدْمَى نُحُورُهم وجئتَ منهزماً يا ضَرْطَةَ الجمل

[١ / ١٤٢]

٩ – ومن الفرَّارين : أُميةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فرّ يوم مَرْداء هَجَر[١] من أبي فُدِيك[٢] . فسار من البَحْرَين إلى البَصَرة في ثلاثة أيام ، فجلس يوماً بالبصرة فقال : سِرْتُ على فرس المهرجان من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام . فقال له بعض جلسائه : أصلح الله الأمير ، فلو ركبت النيرُوز لسِرْت إليها في يوم واحد . فلما دخل عليه أهلُ البصرة لم يَروا كيف يُكَلِّمونه ولا ما يُلقونه من القول ، أيهنئونه أم يعزّونه ، حتى دخل عليه عبد الله بن الأهتم[٣] فاستشرف الناس له وقالوا : ما عسى أن يقال للمنهزم ؟ فسلّم ثم قال : مرحباً بالصابر المخذول ، الذي خذَله قومُه ، الحمد لله الذي نظر لنا عليك و لم يَنظُر لك علينا ، فقد تَعرّضت للشّهادة ، جُهدَك ، ولكن علم الله تعالى حاجة أهل الإسلام إليك فأبقاك لهم بخذلان من معك لك . فقال أمية بن عبد الله : ما وجدت أحداً أخبرني عن نفسي غيرك . وفيه يقول الشاعر :

إذا صوّت العصفور طار فؤاده وَليتُ حَديدُ النّاب عند الثّرائد

[١ / ١٤٢ - ١٤٣]

---

(١) مرداء هجر : موضع بهجي وقال ابن السكيف : هي رملة دونها لا تنبت شيئاً ؛ وهي قرية كان بها يوم بين أبي فديك الخارجي وأمية بن عبد الله . وتسمى دار مضر (انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ١٢٢) .

(٢) أبي فديك : هو عبد الله بن ثور بن سلمة ، من بني سعد بن قيس بن بكر بن وائل . ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٩ .

(٣) عبد الله بن الأهتم : لم أقف له على ترجمة .

١٠ - أُتي الحجّاج بدوابٍّ من دوابّ أميَّة قد وُسم على أفخاذها " عُـدّة " فأمر الحجاج أن يكتب تحت ذلك " للفرار " .

دراسة النصوص :

النص رقم (٦) لم أجد من ذكره من المؤرخين وغيرهم ، وفيه شهادة المهلّب بشدّة الخوارج في الحروب وقوة عزيمتهم في ذلك . والمهلّب كا من أكثر الناس معرفة بهم لطول مجاهدته لهم .

أما النص رقم (٧) فقد أورده المبرد في كتابه[١] .

وفيه صبر الخوارج في الحروب وشدتهم وأن الدافع لهم هو العقيدة التي آمنوا بها بصرف النظر عن صحة العقيدة التي اعتقدوها .

أما النص رقم (٨) فقد أورد الطبري في حوداث سنة (٧٢ هـ) مشاركة عبد الرحمن بن الأشعث في حرب الخوارج بالأهواز أميراً على بعث أهل الكوفة[٢]، ونقله ابن الجوزي[٣] وابن الأثير[٤] كذلك . غير أن هؤلاء المؤرخين لم يذكروا هزيمة عبد الرحمن بن الأشعث وفراره ، بل أشاروا إلى انتصار جيش الخلافة بقيادة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

وأما النص رقم (٩) فذكره البلاذري[٥] والطبري من وجه آخر مختصراً[٦] ، وكذا ابن الجوزي[٧] و لم يذكرا تهنئة أهل البصرة له . وكانت الوقعة في سنة (٧٢ هـ)[٨] وزاد الطبري وابن الأثير أن أبا فديك أخذ جارية لأمية فاتخذها

---

(١) الكامل : ٣ / ٢٢٠ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ١٧٢ .

(٣) المنتظم ٦ / ١١٨ .

(٤) الكامل في التاريخ ٤ / ٣٤٤ .

(٥) أنساب الأشراف ٥ / ٣٤٦ .

(٦) المصدر السابق ٦ / ١٧٤ ؛ وانظر ياقوت : معجم البلدان ٥ / ١٢٢ .

(٧) المنتظم ٦ / ١١٩ .

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٣٤٥ .

لنفسه . ولكن عمر بن عبيد الله بن معمر استطاع أن ينزل بأبي فديك الخارجي هزيمة أدت إلى مقتله ، وأسر عدد كثير من أصحابه من بينهم جارية أمية بن عبد الله التي أسرها أبو فديك ، ووجدت حُبلَى من أبي فديك ، وذلك سنة ثلاث وسبعين[١] .

النص رقم (١٠) لم أجد من ذكره غير ابن عبد ربه ، ويظهر أنه حكاية ملفقة .

عمر بن عبد العزيز والخوارج :

١٢ – الهيثم بن عَدِيّ قال : أخبرني عَوانة بن الحكم عن محمد بن الزبير قال : بعثني عمر بن عبد العزيز مع عون بن عبد الله بن مسعود إلى شَوّذب الحارخيّ[٢] وأصحابه إذ خرجوا بالجزيرة ، وكتب معنا كتاباً ، فقدمنا عليهم ودفعنا كتابه إليهم ، فبعثوا معنا رجلاً من بني شَيْبان ورجلاً فيه حَبشيّة يقال له شَوْذب . فقدما معنا على عمَر وهو بخُناصرة[٣] ، فصعدنا إليه ، وكان في غرفة ومعه ابنه عبدُ الملك وحاجبُه مزاحم[٤] ، فأخبرناه بمكان الخارجيّين ؛ فقال عمر : فتّشوهما لا يكن معهما حديد وأدخلوهما ، فلما دخلا قالا : السلام عليكم ، ثم جلسا ؛ فقال لهما عمر : أخبراني ما الذي أخرجكم عن حُكْمي هذا وما نَقِمتم عَلّي ؟ فتكلَّم الأسود منهما ، فقال : إنّا والله ما نقمنا عليك في سيرتك ، وتَحَرِّيك العَدْل والإحسان إلى مَن وَليت ، ولكنَّ بيننا وبينك أمراً إن أعطيتناه فنحن منك وأنت منّا ، وإن منعتناه فلستَ منا ولسنا منك ؛ قال عمر : ما هو ؟ قالا : رأيناك خالفتَ أهلَ بيتك وسَمَّيتها مظالم وسلكت غيرَ طريقهم ، فإن زعمتَ أنك على هُدى وهم على ضلال فالْعنهم وابرأ منهم ؛ فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٩٣ .

(٢) اسمه بسطام ، كما في الطبري (٦ / ٥٥٦) .

(٣) خناصر ، سبق التعريف بها في ص ١٨٤ من هذا البحث .

(٤) مزاحم : مولى عمر بن عبد العزيز وحاجبه ، وكان فاضلاً . (مختصر تاريخ دمشق ١٩/١١١).

يُفرِّق . فتكلم عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني قد علمتُ أو ظننتُ أنكم تخرجوا مَخْرجكم هذا لطلب الدنيا ومتاعها ، ولكنَّكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلَها ، وإني سائلُكما عن أمر ، فبا لله اصدقاني فيه مبلغ عِلْمكما ؛ قالا : نعم ؛ قال : أخبراني عن أبي بكر وعُمر ، أليسا من أسلافكما ، ومن تتولَّيان وتَشْهدان لهما بالنجاة ؟ قالا : اللهم نعم ؛ قال : فهل عَلِمْتما أن أبا بكر حين قبض رسول الله ﷺ فارتدّت العرب قاتلهم فسفك الدِّماء وأخذ الأموال وسَبَى الذَّراري ؟ قالا : نعم ؛ قال : فهل عَلِمتم أن عمر قام بعد أبي بكر فردّ تلك السَّبايا إلى عشائرها ؟ قالا : نعم ؛ قال : فهل بَرِئ عمر من أبي بكر ، أو تبرأون أنتم من أحد منهما ؟ قالا : لا ، قال : فأخبراني عن أهل النَّهروان ، ألَيْسوا من صالحي أسلافكم وممَّن تشهدون لهم بالنجاة ؟ قالا : نعم ؛ قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا[١] كفُّوا أيديَهم ، فلم يسفكوا دَماً ، ولم يخيفوا آمناً ، ولم يأخذوا مالاً ؟ قالاً : نعم ؛ قال : فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا مع مِسْعَر بن فُدَيك استعرضوا الناس يَقتلونهم ، وَلَقُوا عبد الله بن خَبّاب بن الأرَتّ[٢] ، صاحب رسول الله ﷺ ، فقتلوه وقتلوا جاريتَه ، ثم قتلوا النساء والأطفال ، حتى جعلوا يُلْقونهم في قُدُور الأقط[٣] ، وهي تفور ؟ قالا : قد كان ذلك ؛ قال : فهل بَرِئ أهل الكوفة من أهل البصرة ؟ قالا : لا ؛ قال : فهل تَبرءُون أنتم من إحدى الفئتين ؟ قالا : لا ؛ قال : أفرأيتم الدِّين ، أليس هو واحد أم الدِّين اثنان ؟ قالا : بل واحد ؛ قال : فهل يَسعكم منه شيء يُعجزاني ؟ قالا : لا ؛ قال : فكيف وَسِعكم أن تولَّيتم أبا بكر وعمر وتولَّى كلُّ واحد منهما

---

(١) في مروج الذهب ٣ / ٢٠١ حين خرجوا إليهم .

(٢) عبد الله بن خبّاب بن الأرت التميميّ ، أدرك النبي ﷺ ، ومن الأوائل الذين ولدوا في الإسلام ، وأن رسول الله ﷺ هو الذي سماه عبد الله ، وقال لأبيه : أنت أبو عبد الله . (ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ٦٩) .

(٣) الاقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل . (اللسان ٧ / ٢٥٧) .

صاحبَه ، وتولّيتم أهلَ الكوفة والبصرة وتولّى بعضُهم بعضاً وقد اختلفوا في أعظم الأشياء : الدّماء والفُروج والأموال ؛ ولا يَسَعني إلاّ لَعْن أهل بيتي والتبرُّؤ منهم ؟ أورأيت لَعْن أهل الذُّنوب فريضةً مفروضةً لابدّ منهم ؟ فإن كان ذلك فمتى عَهْدك بلَعْن فِرعون ، وقد قال : أنا ربكم الأعلى ؟ قال : ما أذكر أني لعنته ؛ قال : ويحك ! أيَسعك أن لا تلعن فِرعون وهو أخبثُ الخَلْق ، ولا يَسَعُني إلا أن ألعن أهلَ بيتي والبراءةُ منهم ؟ ويحكم إنكم قوم جهّال أردتم أمراً فأخطأتموه ، فأنتم تردّون على الناس ما قَبل منهم رسولُ الله ﷺ ، بعثه الله إليهم وهم عَبَدة أوثان ، فدعاهم إلا أن يَخْلعوا الأوثان ، وأن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فمن قال ذلك حَقَن بذلك دَمَه ، وأحْرز مالَه ، ووَجبت حُرْمَتُه ، وأَمِن به عند رسول الله ﷺ ، وكان إسوة المسلمين ، وكان حسابُه على الله ، أفلستم تَلقَون من خَلع الأوثان ، ورفض الأديان ، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تَستحلون دَمَه ومالَه ، ويُلْعن عندكم ، ومن تَرَك ذلك وأباه من اليهود والنّصارى وأهل الأديان فَتُحرِّمون دَمَه ومالَه ويأمن عندكم ؛ فقال الأسود : ما سمعتُ كاليوم أحداً أبين حُجّة ولا أقرب مأخذاً ، أمّا أنا فأشهد أنك على الحق وأني برِئ ممن برئ منك . فقال عمر لصاحبه : يا أخا بني شيبان ، ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسَنَ ما قلتَ ووصفتَ ، غير أني لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرتَ وانظر ما حُجّتهم ؛ قال : أنت وذاك ، فأقام الحبشي مع عمر وأمر له بالعَطاء فلم يَلْبث أن مات ، ولحِق الشيباني بأصحابه ، فقتل معهم بعد وفاة عمر رضي الله عنه . [٢ / ٤٠١ - ٤٠٣]

دراسة النص :

هذه الرواية ساقها ابن عبد ربه معلقة عن الهيثم بن عديّ ، وهو ضعيف[١] ، وعوانة بن الحكم وهو أخباري ضعيف[٢] ، ومحمد بن الزبيري ، وهو الحنظلي ،

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠٤ .

(٢) الذهبي : المصدر نفسه ٤ / ٢٠١ .

ضعيف[١] ، والرواية أشار إليها الطبري[٢] من وجه آخر مختصرة ، نقلاً عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وكذا من طريق الواقدي .

ونقلها ابن الجوزي[٣] ، وابن كثير[٤] ، وأوردها المسعودي بطولها[٥] ، ومزج ابن الأثير[٦] بينها وبين رواية الطبري .

والحادثة التي أشارت إليه الرواية كانت في سنة مائة[٧] فقد خرج شوذب ، واسمه بسطام من بني يشكر في جُوخى[٨]* وكان في ثمانين رجلاً[٩] .

فكتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ، إلاّ تحركهم إلاّ أن يسفكوا دماً ، أو يفسدوا في الأرض فإن فعلوا فَحُلْ بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صليباً حازماً فوجّهه إليهم ، ووجّه معه جنداً ، وأوصيه بما أمرتك به[١٠] .

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩ / ١٦٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٥٥ - ٥٥٦ .

(٣) المنتظم ٧ / ٥٣ - ٥٤ .

(٤) البداية والنهاية ٨ / ١٩٦ .

(٥) مروج الذهب ٣ / ٢٠٠ - ٢٠٢ عن طريق عباد المهلبي عن محمد بن الزبير الحنظلي .

(٦) الكامل في التاريخ ٥ / ٤٥ - ٤٨ .

(٧) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٥٥ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٥٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٥ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٨ / ١٩٦ .

(٨) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٥ وفيه خرج شوذب على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز .

المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٠٠ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٥٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٥٩ .

* جُوخى : بالضم ، والقصر ، وقد يفتح ، وهو اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، وهي بين خانقين وخوزستان . (معجم البلدان ٢ / ٢٠٧) .

(٩) المصادر السابقة . ونص الطبري والمسعودي وابن الجوزي أن أكثر هؤلاء كانوا من ربيعة .

(١٠) المصادر السابقة ما عدا ابن الجوزي .

كما كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ[١] .

فبعث عبد الحميد ، إلى شوذب ، محمد بن جَرير بن عبد الله البَجَلّي في ألفين وأمره بما أمر به عمر[٢] .

وذكر المسعودي أن عمر بن عبد العزيز أرسل إلى شوذب رجلين وهما محمد ابن الزبير الحنظلي (راوي الخبر) وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[٣] ، وهو فقيه من أهل الكوفة لحق بعمر بن عبد العزيز بعد استخلافه[٤] . وكان الرجلان من خاصته[٥] ولم يذكر ابن عبد ربه كتاب عمر إلى شوذب ، ولكن بعض المؤرخين ومنهم الطبري أوردوا نص الكتاب وهو : ((بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيّه ﷺ ولسَ أولى بذلك منّي ، فهلّم إليّ أناظرْك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلتَ فيما دخل فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا))[٦] .

وأورد المؤرخون أن شوذب الخارجي حين وصل إليه كتاب عمر بن عبد العزيز بعث له كتاباً قال فيه : ((قد أنصفت ، وقد بعثتُ إليك رجلين يُدارِسانك ويناظرانِك))[٧] وأرسل إلى عمر رجلين أحدهما مولى لبني شيبان اسمه

---

(١) ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٥٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٤ / ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٥٥ وفيه ألفين من أهل الكوفة ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٥٣ وفيه ألفين من أهل الكوفة ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٥ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٣٥٩ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٠٠ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ١٠٤ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٩٥ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٥٦ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٥٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤٥ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٤ / ٣٥٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٦٠ .

(٧) المصادر السابقة .

ممزوج[١] ، وقيل اسمه عاصم[٢] والآخر من صليبة بني يشكر[٣] وفي رواية الطبري أن شوذب أرسل نفراً فيهم هذان الرجلان فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ، فاختاروهما ، فدخلا عليه فناظراه[٤] .

وينفرد المصنف بأن اسم أحد الرجلين هو شوذب ، وليس هو شوذب قائد الخوارج بسطام الذي بعث الكتاب والرسل إلى الخليفة . وقد دخل الرجلان على عمر ومعه ابنه عبد الملك وكاتبه مزاحم مولاه[٥] كما ذكر المصنف .

ثم تناظرا فيما بينهما حتى نراجع أحد الرجلين عن فكرته الخارجية ، فأجلسه عمر عنده وأمر له عمر بالعطاء إلاّ أنه توفى بعد خمسة عشر يوماً[٦] .

أما الآخر فأبى إعلان الرجوع عن فكرته ، حتى يعرض ما دار بينه وبين الخليفة على أصحابه[٧] ، فرجع إليهم ، وقتل مع أصحابه بعد موت عمر بن عبد العزيز[٨] .

وذكر المصنِّف تفاصيل المناظرة بين عمر بن عبد العزيز والخوارج وفيها بعض الوقائع التي تحتاج إلى إثبات تاريخي لوقوعها مثل الزعم بأن عمر رَدّ سبايا الردة في خلافته ، و لم أقف على من ذكر ذلك من غير هذا الطريق الضعيف .

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٥٦ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٥ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٣٦٠ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٦ / ٥٥٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٤٥ ؛ النويري : المصدر السابق ٢١ / ٣٦٠ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٥٥٦ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٠٠ .

(٦) المسعودي : المصدر نفسه ٣ / ٢٠٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٤٨ ويسمى الرجل عاصماً ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٣٦٣ .

(٧) المصادر السابقة .

(٨) المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢٠٢ .

رابعا : حركات الطالبيين .

في عهد عبد الملك :

١ - وكتب محمد بن الحنفيّة ببيعته[١] لما قتل ابن الزبير ، وكان في كتابه : إني اعتزلتُ الأمة عند اختلافها ، فقعدتُ في البلد الحرام الذي من دخله كان آمناً ، لأحُرز ديني وأمْنع دَمي ، وتركتُ الناسَ ، ﴿ **قل كلٌّ يعمل على شاكِلته فربُّكم أعلمُ بمن هو أهدى سبيلا** ﴾[٢] وقد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ، ونحن عصابة من أُمتنا لا نفارق الجماعة ، وقد بعثتُ إليك منّا رسولاً ليأخذ لنا منك ميثاقاً ، ونحن أحقُّ بذلك منك . فإن أبيتَ فأرضَ الله واسعة والعاقبة للمتّقين . فكتب إليه عبد الملك : قد بلغني كتابُك بما سألتَه من الميثاق لك وللعصابة التي معك . فلك عهدُ الله وميثاقه أن لا تُهاج في سلطاننا غائباً ولا شاهداً ، ولا أحد من أصحابك ما وَفَوا ببيعتهم ، فإن أحببتَ المقَام بالحجاز فأقم ، فلن نَدع صِلتك وبرَّك ، وإن أحببتَ المقام عندنا فاشخَص إلينا ، فلن ندع مواساتك ، ولعمري لئن ألجأْتُك إلى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمناك ، وقطعنا رحِمك ، فاخرج إلى الحجَّاج فبايع ، فإنك أنت المحمود عندنا ديناً ورأياً ، وخير من ابن الزبير وأرضى وأتقى . وكتب إلى الحجاج بن يوسف : لا تَعْرِض لمحمد ولا لأحد من أصحابه ، وكان في كتابه : جنّبني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الحَرب ، وإني رأيت بني حَرْب سُلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي . فلم يعرض الحجّاج لأحد من الطالبيّين في أيامه .

[٤ / ٤٠٠ - ٤٠١]

دراسة النص :

النص السابق أخرجه ابن سعد[٣] من طريق الواقدي مع اختلاف في السياق

---

(١) أي لعبد الملك بن مروان .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٨٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ٥ / ١١١ .

ودون قوله: جنبني دماء بني عبد المطلب. وأشار بعض المؤرخين إلى بيعة محمد بن الحنفية لعبد الملك بن مروان بعدما استتّب له الأمر ، واجتمع الناس عليه[(١)] . وكان محمد بن الحنفية قد امتنع من البيعة لعبد الملك ، وكذلك لعبد الله بن الزبير[(٢)] . رغم كثرة من بايع لابن الزبير ، ما خلا بنى أمية وأنصارهم في الشام . وكان محمد بن الحنفية لا يرى أن يبايع لأحد حتى تجتمع الأمة عليه[(٣)] . وكان يقول : ((أنا رجل ليس عندي خلاف ، لما رأيت الناس اختلفوا اعتزلتهم حتى يجتمعوا))[(٤)] . وهذا منهج صحيح مستقيم ، سلكه كثير من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم مثل ابن عباس وابن عمر ، فقد اعتزلوا وقت الفتنة والفرقة ولما اجتمع الناس على الخليفة أرسل ابن عمر بيعته وبيعة أولاده ، وحث ابن الحنفية على ذلك ، أما ابن عباس فكان قد توفى رحمه الله سنة ٦٨ هـ وقبل أن يحصل الاجتماع .

ولشدة تمسك ابن الحنفية بهذا الرأي ، فقد تباطأ في المبايعة لعبد الملك ، حتّى عقب مقتل ابن الزبير ، إلاّ أن عبد الله بن عمر ألحّ عليه في المبايعة وقال : ((ما بقى شيء فبايع))[(٥)] . وذكر ابن سعد أنه حينما وصلت بيعة ابن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان ، أشار عليه قبيصة بن ذُؤيب ، وروح بن زنباع بقبول بيعة محمد

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٢٥٣ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ١١٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٤٠ .

(٢) خليفة : تاريخ خليفة ص ٢٦٢ وفيه لابن الزبير فقط ؛ أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٢٦٤ وفيه رفضه لبيعة ابن الزبير فقط ؛ ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١٠٨ ، ١١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٢٤٩ ؛ ٢٥٣ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ١١٨ ؛ ٤ / ١٢٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٤٠ .

(٣) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٤ / ٢٤٩ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ١١٨ ؛ ٤ / ١٢٤ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١١٠ .

(٥) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١١١ ؛ انظر ابن كثير : المصدر السابق ٩ / ٤١ .

وأن يكتب إليه بالعهد والميثاق بالأمان له ولأصحابه[١] . وقد وفد ابن الحنفية على عبد الملك بدمشق سنة ثمان وسبعين ، واستقبله عبد الملك أحسن استقبال ، وقرّبه ، وأحسن إليه وقضى جميع حوائجه[٢] . أما ما ذكر ابن عبد ربه في آخر النص ، من قول عبد الملك للحجاج : جنّبني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء ، من الحرب ... الخ . فقد أورد ابن أبي الدنيا والمسعودي رواية قريبة منها[٣] وهذا دليل على حرص عبد الملك على تحسين علاقته مع الطالبيين ، وحبه لحقن دماء المسلمين وخاصة بين علي بن أبي طالب ، ونتيجة لذلك لم يعرض الحجّاج لأحد من الطالبيين في أيامه ، وكانت العلاقة بين البيتين مستقرة .

في عهد هشام بن عبد الملك :

٢ - كتب يوسف بن عمر[٤] إلى هشام بن عبد الملك : إنّ خالد بن عبد الله[٥] أودع زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب[٦] مالاً كثيراً . فبعث هشام إلى زيد ، فقدم عليه ، فسأله عن ذلك ، فأنكر ، فاستحلفه ، فحلف له ، فخلى سبيله ، وأقام عند هشام بعد ذلك سنة ، ثم دخل عليه في بعض

---

(١) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١١١ .

(٢) ابن سعد : المصدر السابق ٥ / ١١٢ ؛ الذهبي : سير أعلام ٤ / ١١١ - ١١٢ .

(٣) مروج الذهب ٣ / ١٧٩ وفيه جنبني دماء آل أبي طالب ؛ الاشراف في منازل الأشراف ص ٢٥٥ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٤٩ هامش (٣) في عمال هشام بن عبد الملك .

(٥) سبقت ترجمته في أمراء بني أمية في الفصل الثالث .

(٦) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه سنديه ، ولد سنة (٨٠ هـ) ، نشأ وترعرع في الدوحة الكريمة ، وبيت العلم النبوي ، وكان ذا علم وجلالة وصلاح ، وفد على يوسف بن عمر والي العراق ، ثم خرج على هشام متأولاً ، وقتل شهيداً سنة ١٢٢ هـ عن عمر يناهز (٨٠) . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٨٩ - ٣٩١) انظر : (محمد أبو زهرة : الإمام زيد ص ٢٢ وما بعدها) .

الأيام ، فقال له هشام : بلغني إنّك تحدِّث نفسك بالخلافة ، ولا تَصْلح لها لأنك ابن أمة . قال : أمّا قولّك إني أُحدِّث نفسي بالخلافة فلا يَعْلم الغيبَ إلاّ الله ، وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل ﷺ ابن أمة ، أخْرَجَ الله من صُلبه خير البشر محمداً ﷺ ، وإسحاق ابن حُرة ، أخرج الله من صلبه القِردة والخنازير ، وعَبدة الطاغوت . وخرج زيدُ مغضباً . فقال زيد : ما أحبَّ أحدُ الحياة إلا ذلّ . قال له الحاجب : لا يَسمع هذا الكَلام منك أحد .وخرج زيد حتى قدم الكوفة فقال :

شّرَّده الخوفُ وأزْرى به ... كذاك من يَكْره حَرّ الجلاد
مُحتفي الرَّجلين يَشْكو الوجى ... تَنكُبه أطراف مَرْوٍ حداد[1]
وقد كان في الموت له راحة ... والموتُ حَتْم في رِقاب العِباد

ثم خرج بخراسان ، فوجّه يوسف بن عمر إليه الخَيل ، وخرج في إثرها حتى لقيه ، فقاتله ، فرُمى زيد في آخر النهار بنشّابة في نحره فمات ، فَدفنه أصحابه في حمأة كانت قريبة منهم . وتتبع يوسف أصحاب زيد ، فانهزم من انهزم ، وقُتل من قُتل . ثم أُتى يوسف فقيل له : إنّ زيداً دُفن في حَمأة . فاستخرجه وبعث برأسه إلى هشام ، ثم صلبه في سوق الكُناسة[2] .

[٤ / ٤٨٢ - ٤٨٣] وانظر [٤ / ٣٢] و [٥ / ٨٩ - ٩٠] و [٦ / ١٢٨]

٣ - وقتل يحيى بن زيد في خراسان . [٥ / ٨٤]

دراسة النص :

أورد ابن عبد ربه هذا النص رقم (٢) في عدة مواضع من كتابه وبعبارات متقاربة وشبيهة بعضها ببعض وجملة هذه النصوص تتضمن قصة خروج زيد بن علي وأصحابه على هشام بن عبد الملك ، بعد ما ساءت العلاقة بينهما ، وهذا

(١) المرو : حجارة بيض رقاق .

(٢) الكُناسة : بالضمّ هي محلة بالكوفة . انظر ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٥٤٦ .

الأمر ذكره المؤرخون وغيرهم بين مطول ومختصر[1] وعلى الرغم من أن زيد بن علي لم يكن يشكل في بداية أمره حركة خارجية على الخلافة إلا أنه بتأثير بعض الشيعة أصبح يقود معارضة مسلحة ضد الحكم الأموي في عهد هشام بن عبد الملك .

ولمناقشة النص ننظر في النقاط الآتية :

أولاً : سبب قدوم زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك : تختلف الروايات التاريخية في سبب قدومه على هشام بن عبد الملك بالرصافة ؛ ففي بعض الروايات أن هشام استقدم زيداً من المدينة ليستفسر منه عما أبلغه يوسف بن عمر – واليه في العراق – من أن خالد بن عبد الله القسرى استودع زيد بن عليّ ، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش ، مالاً كثيراً – أيام كان خالد والياً على العراق – ولذلك كتب هشام إلى إبراهيم بن هشام – عامله على المدينة – يأمره بحمل هؤلاء إليه[2] .

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢١٦ ؛ عيون الأخبار ١ / ٢١٣ ؛ أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٤٤ ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢ / ٣٢٥ – ٣٢٦ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ١٦٠ – ١٧٣ ، ١٨٠ – ١٩١ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣١٧ – ٣١٩ ؛ أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ١ / ١٣٦ – ١٣٧ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٠٧ – ٢١٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٢٩ – ٢٣٦ ، ٢٤٢ – ٢٤٧ ؛ ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٩ / ٤٠٢٧ – ٤٠٥١ ؛ أبو الفداء : التاريخ ١ / ٢١٥ ؛ الذهبي : العبر ١ / ١١٨ ، تاريخ الإسلام حوادث وفيات سنة ١٢١ – ١٤٠ هـ ص ١٠٥ – ١٠٨ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ١٤٩ – ١٥٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢١ / ٤٥٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٤٠ – ٣٤٤ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٦٢ من رواية ابن عبيدة ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٠٧ – ٢٠٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٢٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ٩ / ٤٠٢٨ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٢ .

وأشارت بعض الروايات الأخرى أن زيد بن علي قدم الرصافة لأجل مخاصمة مع بنى الحسين بن الحسن بن علي في صدقة رسول الله ﷺ ؛ وفي أثناء وجود زيد بالرصافة وصلت إلى هشام كتب يوسف بن عمر تخبره بأن يزيد بن خالد القسرى أدّعى مالاً قبل زيد بن علي ، ومحمد بن علي ، وداود بن علي ، وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف ، وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، فبعث هشام إلى هؤلاء يخبرهم بما ذكر يوسف بن عمر[١] . وأيّما كان الأمر فإن زيد بن علي قدم على هشام بالرصافة قادماً من مقر إقامته في الحجاز . ويظهر مما سبق أن النصوص تختلف في الشخص الذي استودع الأموال لدى زيد بن علي وغيره . فتارة تذكر الروايات أن ذلك الرجل هو خالد بن عبد الله القسري ، كما تذكر بعض الروايات الأخرى أنه ابنه يزيد ابن خالد بن عبد الله القسرى ، وهناك من يجمع بينهما بأن كلا الرجلين قد أودع لدى زيد مالاً كثيراً[٢] . وقد أنكر زيد بن علي وغيره ذلك الادّعاء كما أن خالد بن عبد الله القسرى وابنه يزيد لم يُقِرّا أن لهما أموالاً لدى هؤلاء بعد مواجهتهما لزيد ، وربما يكون سبب ادّعاء الرجلين السابق كان ناتجاً عن شدة ما لاقوه من التحقيق والاستجواب والتعذيب من قبل عامل هشام في العراق يوسف بن عمر[٣] .

ثانياً : سبب خروج زيد على هشام : تذكر الرواية أن الدافع لزيد بن علي في الخروج هو ما لقيه من معاملة سيئة من قبل هشام بن عبد الملك ، ولكن هذه

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٦٠ - ١٦١ من طريق هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنق ، وانظر ٧ / ١٦٣ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٠٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٣٠ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ٩ / ٤٠٢٨ ؛ ٤٠٣٦ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٩ / ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ٩ / ٤٠٣٧ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٩ / ١٥٧ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٦٢ من طريق أبي عبيدة ؛ ٧ / ١٦٧ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢٠٨ .

الرواية ذكرها المصنف من غير إسناد فلا يعتمد عليها . في حين تشير بعض الروايات الأخرى إلى أن سبب خروجه كان نتيجة إلحاح من الشيعة الذين لحقوا زيد بن علي في أثناء عودته إلى المدينة وألحوا عليه بالرجوع معهم والخروج على هشام[١] .

وربما كان السببان قد اجتمعا لدى زيد فعمل على الخروج لما يرى من فساد يوجب الخروج وكان ذلك في صفر سنة ثمان عشرة ومائة [٢] .

ثالثاً : بيعة أهل الكوفة لزيد بن علي :

كانت الشيعة تختلف إلى زيد وتغريه بالخروج ، ويقولون : إنا لنرجو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلكُ فيه بنو أمية[٣] ، وما زالت الشيعة به حتى التفت حوله جموع كثيرة وهو في الكوفة ، وأخذوا له البيعة[٤] ، واغتر زيد بن علي بجموع الشيعة ووعودهم له في النصرة إن خرج على الرغم مما أشار به عليه خواصه وأهل بيته - أمثال مسلمة بن كهيل وداود بن علي[٥] ، وعبد الله بن حسن[٦] ومحمد بن عمر بن أبي طالب[٧] - بعدم الخروج ، وأن لا يثق بمثل هؤلاء الشيعة في الكوفة ، ولكن زيد لم يعتبر بما حصل من خذلان

---

(١) ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٠٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ٩ / ٤٠٣٦ ؛ ٤٠٣٧ ؛ ٤٠٤٩ ؛ ابن منظور : المصدر السابق ٩ / ١٥٥ ؛ ١٥٧ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢ مخطوط .

(٢) أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٤٤ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٦٦ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٠٩ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٦ / ١٦٧ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٠٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٣٣ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٦٧ ؛ ١٦٨ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٣٤ ؛ ٢٣٥ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ٩ / ٤٠٤٤ .

(٦) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٦٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٣٥ .

(٧) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٧١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٢٣٢ - ٢٣٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٤٠ .

الشيعة لأجداده ، على الرغم من أن داود بن علي ذكّره بذلك وقال : ((يا ابن عم ، إن هؤلاء يغرونك ، أليس قد خذلوا من كان أعز منك عليهم ؛ جدك علي ابن أبي طالب رضي الله عنه حتى قتل ، والحسين بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتهبوا فسطاطة وجرحوه ، أوليس قد أخرجوا جدك الحسين ، وحلفوا له ثم خذلوه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه . فلا تفعل ولا ترجع معهم))[١] . ولكن الشيعة أغروه بالخروج وزينوا له ذلك ، وأعطوه عهودهم ومواثيقهم حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل[٢] ، وقيل أربعين ألفا[٣] ، ثم تطلّع إلى بيعته خارج الكوفة ليجد أكبر عدد ممكن فأرسل إلى السواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه[٤] .

رابعاً : هزيمة زيد ومقتله عقب إلتقائه بالعسكر العراقي :

تذكر الروايات التاريخية أن زيد بن علي قد وقّت موعداً لوثوبه ، وأعطى أنصاره هذا الموعد ، وهو ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة[٥] . غير أن الخبر شاع حتى وصل إلى يوسف بن عمر[٦] ، فأخذ احتياطاته ، حيث جمع الناس في المسجد الأعظم وحاصرهم فيه ، وذلك يوم

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ١٦٧ – ١٦٨ مختصراً ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٢٠٩ – ٢١٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٣٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٥ / لوحة ٢ مخطوط .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٧١ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٣٣ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٦٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٣٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٣٤٠ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٧١ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢١٠ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ١٨١ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢١١ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٤٣ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٤ .

(٦) يورد الكتبي في عيون التواريخ ٥ / لوحة ٤ ، أن رجلاً يقال له سليمان بن سراقة أخبر يوسف ابن عمر نائب العراق خروج زيد بن علي ومن معه من أهل الكوفة .

الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم[١] ، وعرف زيد خذلان أهل الكوفة له فلم يبق عنده في تلك الليلة سوى مائتين وثمانية عشر رجلاً[٢] ، كما عرف زيد أن خبره وصل إلى يوسف بن عمر[٣] . فاستطاع أن ينجو بنفسه ، وهرب تحت جنح الليل في ليلة شديدة البرد ، مختفياً عن أعين أتباع يوسف بن عمر حتى وصل إلى الكناسة[٤] ثم إلى الجبانة[٥] في الكوفة . وأورد بعض المؤرخين أن سبب خذلان الشيعة لزيد بن علي ، هو أنهم طلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وقالوا : سُبّ أبا بكر وعمر ، نقوم معك وننصرك ، فأبى فرفضهم فسموا يومئذ روافض[٦] . وتتّبع والي الكوفة يوسف بن عمر زيد بن عليّ وأتباعه ، واستطاع أن ينزل بهم هزيمة ساحقة أدت إلى مقتله[٧] . وأخفى أصحاب زيد وفاة زعيمهم ودفنوه في نهر يعقوب فيما قيل[٨] ، غير أن أصحاب

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٨١ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٤٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ٩ / ٤٠٣٧ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ١٥٧ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٤ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٨٢ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٤٤ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٤ .

(٣) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٨٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٤٢ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٨٣ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٤٤ .

(٥) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٨٣ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٧ / ٢١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٤٤ .

(٦) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ١ / ١٣٧ طبعة المكتبة العصرية - بيروت ؛ ابن العديم : المصدر السابق ٩ / ٤٠٣٦ ؛ ٤٠٣٨ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ١٥٧ ؛ الذهبي : العبر ١ / ١١٨ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ١ / ٢٨٣ .

(٧) الطبري : التاريخ ٧ / ١٨٥ - ١٨٦ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢١١ - ٢١٢ ؛ أبو الفداء : التاريخ ١ / ٢١٥ .

(٨) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٨٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٤٦ .

يوسف بن عمر اكتشفوا مكانه بمساعدة أحد غلمان زيد بن علي ، فاستخرجوه[١] ، وقيل بواسطة الحجام الذي أخرج السهم منه[٢] ثم قطعوا رأسه ، وبعثوا به إلى هشام ابن عبد الملك ، حيث نصب على باب دمشق[٣] ، وصلبوا جسده بكناسة الكوفة[٤] . قال الذهبي : خرج متأولاً ، وقتل شهيداً ، وليته لم يخرج[٥] . وحدد تاريخ مقتله في صفر سنة ١٢٢ هـ[٦] . وقد ورد في النص أن زيد بن علي خرج بخراسان ، وهذا خلاف المعروف عند عامة المؤرخين بأن مكان خروجه هو الكوفة وأنه قتل هناك ، والذي خرج بخراسان هو ابنه يحيى كما في النص الآتي .

النص رقم (٣) أشار إلى نهاية يحيى بن زيد وأنه قتل في خراسان . وهذا ما ذكره المؤرخون ، وكان خروجه بخراسان قي عهد الوليد بن يزيد[٧] ، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة[٨] ، وقيل سنة ست وعشرين ومائة[٩] .

---

(١) الطبري : المصدر السابق ٧ / ١٨٧ ؛ ١٨٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ٥ / ٢٤٦ ؛ ابن العديم : بغية الطلب ٩ / ٤٠٣٨ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ١٥٧ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٥ .

(٢) المسعودي : المصدر السابق ٣ / ٢١٩ .

(٣) أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٤٤ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٧ / ١٨٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢١٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٢١٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ / ٢٤٦ ؛ أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١٥ ؛ الكتبي : عيون ٥ / لوحة ٥ .

(٤) أبو حنيفة الدينوري : المصدر السابق ص ٣٤٤ ؛ ابن حبيب : المحبّر ص ٤٨٣ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ١٥٩ ؛ أبو الفداء : المصدر السابق ١ / ٢١٥ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٥ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩١ .

(٦) المصدر السابق ٥ / ٣٩٠ ؛ وانظر الخلاف في ذلك في تاريخ الطبري ٧ / ١٦٠ .

(٧) ابن حبيب : المحبّر ص ٤٨٣ ؛ الطبري : التاريخ ٧ / ٢٢٨ ؛ ابن أعثم : الفتوح ٤ / ٣٢٥ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٢٥ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ٩ / ١٥٩ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ص ٣٠٠ حوادث سنوات ١٢١ - ١٤٠ هـ .

(٨) الطبري : التاريخ ٧ / ٢٢٨ ؛ الكتبي : المصدر السابق ٥ / لوحة ٥ ، ١٩ .

(٩) المصادر السابقة .

الخاتمة

في نهاية بحثي هذا وبعد تلك الرحلة الممتعة مع كتاب "العقد" لابن عبد ربه، ودراسة رواياته التاريخية المتعلقة بالخلفاء الأمويين (٦٤ هـ - ١٣٢ هـ) .

أود أن أُدون ، بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الكتاب ورواياته التاريخية ، وهي :

١ - تعدد التخصصات وسعة ثقافة ابن عبد ربه في مختلف فنون العلم والمعرفة من فقه وأدب وتاريخ ، وكتابه صورة لذلك .

٢ - ترجيح أن اسم كتاب ابن عبد ربه " العقد " دون ما اشتهر به من نعته بالفريد ، وذلك ان هذا النعت اضيف فيما بعد .

٣ - غزارة النصوص التاريخية في المصادر الأدبية التي منها كتاب " العقد " لابن عبد ربه ، وهذه النصوص والأخبار تتضمن جوانب الحياة السياسية والفكرية والاقتصادية والعسكرية ، كما تشمل عصور تاريخية متباعدة ومختلفة من تاريخ الأمم السابقة ، وتاريخ العرب قبل بعثة نبينا محمد ﷺ ، وتاريخ صدر الإسلام ، والأمويين والعباسيين حتى عصر المؤلف .

٤ - النصوص التاريخية التي يوردها ابن عبد ربه في كتابه العقد ، مفرقة ومتناثرة في أبواب شتى ولو جمعت ورتبت كل فترة تاريخية على حدة لربما يمكن دراستها وتقديمها لعدة رسائل جامعية .

٥ - أن كتاب العقد غني بالروايات التاريخية المتعلقة بالعصر الأموي ، وتصل إلى نحو (٨٠٠) رواية .

٦ - كثرة الروايات التاريخية ذات الطابع المشرقي بالقياس إلى الروايات المغربية في كتاب العقد ، رغم أن مؤلفه أندلسيّ . وذلك نتيجة لتعويله على المصادر المشرقية .

٧ – عدم اهتمام ابن عبد ربه بالإسناد عند عرضه للرواية التاريخية في أحيان كثيرة .

٨ – أهمية نقد النصوص والروايات التي ترد في هذا النوع من المصادر ، وخطورة الاعتماد عليها دون فحص وتدقيق ، ودون تقديم دراسة علمية نقدية لها بمحاكمة تلك النصوص والأخبار إلى الموازين النقدية .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة .

- ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧ هـ) .

١ - شذور العقود في تاريخ العهود ، ميكرو فيلم مصور بمركز البحث العلمي ، برقم ١٦٥٨ / تاريخ .

مصور عن مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، برقم ٧١ .

- ابن حبيب (بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .

٢ - جهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار .

ميكرو فيلم مصور بمركز البحث العلمي بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة برقم ١٨١٨ / تاريخ .

مصور عن مكتبة كوبرلى بتركيا برقم ١٦٩ .

- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م) .

٣ - تاريخ مدينة دمشق (مخطوط مصور) في المكتبة العامة بجامع الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني ، مكة المكرمة .

- الكتبي (صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي الدمشقي ت ٧٦٤ هـ) .

٤ - عيون التواريخ .

حـ٣ ، ميكرو فيلم مصور بمركز البحث العلمي ، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة ، برقم ١٤٢١ / تاريخ عن الأصل في مكتبة جامعة برنسون (مجموعة يهودا) برقم ٤٩٧ / ٤٤٠٨ .

حـ٤ ، ميكرو فيلم مصور بمركز البحث العلمي ، برقم ٩٨٨ / تاريخ مصور عن دار الكتب المصرية برقم ١٤٩٧ - تاريخ .

حـ٥ ، ميكرو فيلم مصور بمركز البحث العلمي ، برقم ٩٨٩ / تاريخ مصور عن مكتبة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، برقم ٤٥ / تاريخ .

ثانياً : المصادر المطبوعة .

- القرآن الكريم .

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .

٥ - إعتاب الكتاب تحقيق : صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

٦ - الحلة السيراء ، تحقيق : د . حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

- الآجري (أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ت ٣٦٠ هـ) .

٧ - أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرَم محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) .

٨ - الكامل في التاريخ ، ط بيروت ، دار صادر .

- ابن الأثير (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ٦٠٦ هـ) .

٩ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة الإسلامية ، بيروت .

- الإمام أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد محمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١) .

١٠ - المسند ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١١ - الأشربة ، تحقيق : صبحي السامرائي ، عالم الكتب ، بيروت ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- الادريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسني المعروف بالشريف الادريسي ، من علماء القرن السادس الهجري) .

١٢ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد الظاهر .

- الأزدي (أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) .

١٣ - تاريخ الموصل ، تحقيق : الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

- الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ت بعد٢٢٤هـ) .

١٤ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : رشدي الصالح محيسن ، الطبعة السابعة ، مكة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، مطابع دار الثقافة .

- الأصبهاني (حمزة بن الحسن الأصفهاني ت ٣٦٠ هـ) .

١٥ - الدّرة الفاخرة في الأمثال السائرة ، تحقيق : عبد المجيد قطاهشي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم القرشي الأموي) .

١٦ - كتاب الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه الاستاذ عبد الأعلى مهنا ، والاستاذ سمير جابر ، ط ٢ ، بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

١٧ - الأغـاني ، تحقيـق : علـي محمـد البجـاوي ، مؤسسـة جمـال للطباعـة والنشر ، بيروت - لبنان .

- الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت ٢١٦ هـ) .

١٨ - الأصمعيات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبـد السلام هـارون ، دار المعارف بمصر ، ط ٤ .

- ابن أبي أُصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بـن القاسـم ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) .

١٩ - عيون الأنباء في طبقات الأطبـاء ، تحقيـق : نـزار رضـا ، ط بـيروت ، ١٩٦٥ م .

- ابن أعثم الكوفي (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م).

٢٠ - الفتوح ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، دار الكتب العلمية.

- بحشل (أسلم بن سهل الرَّزَّاز الواسطيّ المعـروف ببحشَـل ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) .

٢١ - تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عوّاد ، مطبعـة المعـارف ، بغـداد ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

- ابن بدران (الشيخ عبد القادر بن بدران ت ١٣٤٦ هـ) .

٢٢ - تهذيب تاريخ مدينة دمشق الكبير لابن عساكر ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- ابن بَسَّام (أبو الحسن علي بن بَسَّام الشنتريني ت ٥٤٢ هـ) .

٢٣ - الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : الدكتور إحسان عبَّاس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- البغدادي (عبد القادر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) .

٢٤ - الفرق بين الفرق ، منشورات دار الآفاق الجديـدة ، بـيروت ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

- البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكر الأندلسي ت ٤٨٧ هـ) .
٢٥ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
- البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
٢٦ - فتوح البلدان ، عنى بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، ط بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، دار الكتب العلمية .
٢٧ - أنساب الأشراف ، القسم الرابع الجزء الأول ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار النشر فرانتس شتاينر بغيسبادن ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .
- المجلد الخامس ، تحقيق : غوتين ، القدس ١٩٣٦ م .
- البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت ٥٠٧ هـ) .
٢٨ - البدء والتاريخ ، نشره علماء هوار ، باريس ، ١٨٩٩ م .
- ابن تغري بردى (جمال الدّين أبو المحاسن بن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ت ٨٧٤ هـ / ١٣٦٩ م) .
٢٩ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة القاهرة .
- التنوخي (أبو علي المحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ) .
٣٠ - الفرج بعد الشدة ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ت ٤٢٩ هـ) .
٣١ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

٣٢ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) .

٣٣ - البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٣٤ - كتاب الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي .

٣٥ - كتاب القيان ، ضمن رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

٣٦ - كتاب التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق : الاستاذ أحمد زكي باشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

- ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل).

٣٧ - طبقات الأطباء والحكماء (ألفه سنة ٣٧٧ هـ) ، تحقيق : فؤاد سيّد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- الجَنَديّ (أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السَّكسَكيّ الكَنَديَّ ت ٧٣٢ هـ) .

٣٨ - السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكْوع الحِوَالي ، مكتبة الارشاد ، صنعاء ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ) .

٣٩ - كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .

- ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧ هـ) .
٤٠ - صفوة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ، دار الوعي ، حلب .
٤١ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
٤٢ - أخبار الأذكياء ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ١٩٧٠ م .
٤٣ - سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضبطه وشرحه وعلّق عليه : الاستاذ نعيم زَرزُور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- الجرْجَاني (علي بن محمد بن علي ت ٨١٦ هـ) .
٤٤ - كتاب التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي ت ٣٢٧ هـ) .
٤٥ - الجرح والتعديل ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، الهند .
- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ١٠٦٧ هـ) .
٤٦ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المثنى ، بيروت .
- الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت ٤٠٥ هـ) .
٤٧ - المستدرك على الصحيحين في الحديث ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- ابن حبَّان (أبو حاتم محمد بن حبَّان بن أحمد التميمي البستي ت ٣٥٤هـ/ ١٩٦٥ م) .

٤٨ - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، وهي من كتاب الثقات ، تعليق : السيد عزيز بك وجماعة من العلماء ، مؤسسة كتب الثقافة ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

٤٩ - كتاب الثقات ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

- ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) .

٥٠ - كتاب المحبّر ، باعتناء : الدكتورة ايلزة ليختن شتيتر ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

- ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت٨٥٣هـ/ ١٤٤٩ م) .

٥١ - الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : الدكتور طه محمد الزيني ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١ .

٥٢ - تقريب التهذيب ، تحقيق : محمد عوَّامة ، دار الرشيد ، سوريا حلب ، ط ٤ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

٥٣ - تقريب التهذيب ، تحقيق : أبو الأشبال ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

٥٤ - تهذيب التهذيب ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

٥٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق : محبُّ الدّين الخطيب بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .

٥٦ – لسان الميزان ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م .

– ابن أبي حديد (أبو حامد عزّ الدين بن هبة الله بن محمد بن الحسين ت ٦٥٥ هـ وقيل ٦٥٦ هـ) .

٥٧ – شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م .

– ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ – ١٠٦٤ م) .

٥٨ – جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

– أبو الحسن الأشعري (علي بن إسماعيل الأشعري ت ٣٣٤ هـ) .

٥٩ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين ، بعناية هلموت رينر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ .

٦٠ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

– الحسن بن مسعود اليوسي ت ١١٠٢ هـ) .

٦١ – زهرة الأكم في الأمثال والحكم ، تحقيق : الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

– ابن حمدون (أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .

٦٢ – التذكرة الحمدونية ، تحقيق : الدكتور إحسان عبّاس ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .

– حمزة بن الحسن الأصفهاني .

٦٣ – تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مكتبة الحياة .

- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح الأزدي ت ٤٨٨هـ).
٦٤ - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م .
- الحميري (محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد الله الحميري ت ٩٠٠هـ).
٦٥ - الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان صادق / مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ م .
- أبو حنيفة (أحمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢ هـ) .
٦٦ - الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الاقليم الجنوبي ، الادراة العامة للثقافة .
- أبو حيّان (علي بن محمد بن العباس التوحيدي ت ٤١٤ هـ) .
٦٧ - البصائر والدخائر ، تحقيق : الدكتور إبراهيم الكيلاني .
- الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي ت ٣٦١ هـ) .
٦٨ - قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، باعتناء : السيد عزت العطّار الحسيني ، ١٩٧٢ م .
- الخطيب (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ).
٦٩ - الكفاية في علم الرواية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٧٠ - تاريخ البغدادي ، دار الفكر .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت ٨٠٨ هـ) .
٧١ - تاريخ ابن خلدون المسمّى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مطبعة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١ هـ) .

٧٢ - وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

- خليفة (أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة ، خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب بـ" شباب " ت ٢٤٠ هـ) .

٧٣ - تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : الدكتور أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٧٤ - كتاب الطبقات ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥ هـ) .

٧٥ - سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة الإسلامية ، استانبول - تركيا .

- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) .

٧٦ - الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- كتاب وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّواد من البقاع ، تحقيق : عز الدين التنوخي ، دمشق ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .

- الدميري (الشيخ كمال الدين الدميري ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .

٧٧ - حياة الحيوان الكبرى ، المكتبة الإسلامية .

- ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ت ٢٨١ هـ) .

٧٨ - الاشراف في منازل الاشراف ، بتحقيق : الدكتور نجم عبد الرحمن خلف ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

- الديار بكر (حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م) .
٧٩ - تاريخ الخميس في أنفس النفيس ، مؤسسة شعبان ، بيروت .
- الذهبي (الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
٨٠ - الأمصار ذوات الآثار ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٨١ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ، ١٣٦٩ هـ .
٨٢ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : الدكتور عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م .
٨٣ - دول الإسلام ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .
٨٤ - سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وزملاءه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
٨٥ - العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٨٦ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .
- الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦ هـ) .
٨٧ - مختار الصحاح ، دائرة المعاجم مكتبة لبنان ، ١٩٨٩ م .
- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ) .
٨٨ - محاضرة الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، مطبعة العامرية الشرقية بمصر ، ١٣٢٦ هـ .
- ابن أبي ربيعة (عمر بن أبي ربيعة المخزومي) .
٨٩ - ديوان ابن أبي ربيعة ، دار صادر - بيروت .

- الرقام (أبو الحسن محمد بن عمران العبدي ، المعروف بالرقام) .
٩٠ - كتاب العفو والاعتذار ، تحقيق : الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .
- الزبيدي (محمد بن الحسن ت ٣٧٩ هـ) .
٩١ - طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط ١ .
- الزبير بن بكار (أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت القرشي الأسدي ت ٢٥٦ هـ) .
٩٢ - الأخبار الموفقيات ، تحقيق : الدكتور سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد .
- الزبيري (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) .
٩٣ - نسب قريش ، عنى بنشره إ . ليفي بدو فنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ .
- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النهاوندي الصيمري النحوي ت ٣٣٧ هـ) .
٩٤ - أخبار أبي القاسم الزجاجي ، تحقيق : الدكتور عبد الحسين المبارك ، دار الرشيد للنشر ، ودار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠م.
- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) .
٩٥ - المستقصى في أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

٩٦ – ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق : الدكتور سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، بغداد .

– ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م).

٩٧ – الطبقات الكبرى ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

– الطبقات الكبرى ، الطبقة الخامسة من الصحابة دراسة وتحقيق : الدكتور محمد بن صامل السلمي ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

٩٨ – الطبقات الكبرى : القسم المتَمّم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ، دراسة وتحقيق : زياد محمد منصور ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

– ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العَنْسي الأندلسي المعروف بابن سعيد ت ٦٨٥ هـ) .

٩٩ – المقتطف من أزهار الطرف ، تحقيق : الدكتور سيد حنفي حَسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م .

– ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى ، أبو محمد بن الحجاري ، أحمد ، عبد الملك بن سعد ، أحمد بن عبد الملك ، محمد بن عبد الملك ، محمد بن عبد الملك ، موسى بن محمد) .

١٠٠ – المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ م .

– السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ /١٥٠٥م).

١٠١ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

١٠٢ – تاريخ الخلفاء ، دار الفكر .

- الشوكاني (محمد علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ) .

١٠٣ - نيل الأوطار من أحاديث سيّد الأخيار شرح منتقى الأخيار ، دار القلم ، بيروت .

- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .

١٠٤ - الملل والنحل ، تحقيق : عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فَاعور ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

- الشيباني (محمد بن الحسن الشيباني ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) .

١٠٥ - شرح السير الكبير ، تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد .

- ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله الكوفي القيس ت ٢٣٥ هـ) .

١٠٦ - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : عامر العمري الأعظمي ، الدار السلطنية ، بومباي ، الهند .

- الصابئ (غرس النِعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابئ ت ٤٨٠ هـ) .

١٠٧ - الهفوات النادرة ، تحقيق : الدكتور صالح الأشتر ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . بدون طبعة ومكان النشر .

- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤ هـ) .

١٠٨ - تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق : إحسان بنت سعيد خُلوصي ، وزهير حميدان الصمصام ، منشورات وزارة الثقافة - سوريا دمشق ١٩٩٢ م .

- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) .

١٠٩ - أدب الكتّاب ، باعتناء محمد بهجة الأثري .

- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت ٥٩٩ هـ) .

١١٠ - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م .

- ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م) .

١١١ - الفخري في أدب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت- لبنان ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .

١١٢ - تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت - لبنان .

- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد ا لله بن محمد بن عبد البر النّمري القرطبي ت ٤٦٣ هـ) .

١١٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، الفجالة / القاهرة .

١١٤ - بهجة المجالس ، وأنسُ المُجالس وشحذ الذاهِنْ والهَاجسْ ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن عبد ا لله بن عبد الحكم بن أمين القرشي المصري ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) .

١١٥ - فتوح مصر وأخبارها ، الناشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد ا لله بن عبد الحكم ت ٢١٤هـ /٨٢٩م).

١١٦ - سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق : أحمد عبيد ، الناشر : مكتبة وهبة ، ط ٢ .

- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م) .

١١٧ - كتاب العقد ، بعناية : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي المرداسي القرطبي أبو مروان ت ٢٣٨ هـ .

١١٨ - كتاب التاريخ ، دراسة وتحقيق : خورخي أغوادي ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ١٩٩١ م .

- أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م .

١١٩ - كتاب الأمثال ، تحقيق : عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

١٢٠ - كتاب الأموال ، تحقيق : محمد خليل هراس ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

تحقيق : عبد الحميد قطاش الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، دار المأمون للتراث دمشق ، وبيروت، ط١، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م .

- أبو عبيدة (معمر بن المثنى التيمي ت ٢٠٩ هـ) .

١٢١ - كتاب الديباج ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع والدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ت ٦٦٠ هـ) .

١٢٢ - بغية الطلب في تاريخ الحلب ، تحقيق : الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .

- ابن عذارى (أحمد بن محمد ابن عذارى المراكشي ، كان حياً سنة ٧١٢ هـ) .

١٢٣ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، حققه ج . س . كولان و إ . ليفي يدوقنسال ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ١٩٤٨ م .

- ابن عربي (محي الدين بن عربي ت ٦٣٨ هـ) .

١٢٤ - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، دار اليقظة العربية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

- أبو العرب (محمد أحمد بن تميم التميمي ت ٣٣٣ هـ) .
١٢٥ - كتاب المحن ، تحقيق : الدكتور يحيى وهيب الجبوري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ابن أبي العز (القاضي علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ت ٧٩٢ هـ).
١٢٦ - شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي ت ٩٢٢ هـ) .
١٢٧ - غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، من مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م) .
١٢٨ - تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ت ٣٨٢ هـ) .
١٢٩ - المصون في الأدب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٨٢ هـ/٩٩٢م).
١٣٠ - كتاب الأوائل ، تحقيق : محمد المصري ، ووليد قصاب ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٥ م .
١٣١ - جمهرة الأمثال ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م .

١٣٢ - كتاب الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط ٢ .

- العصامي (عبد الملك بن حسين المكي ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) .

١٣٣ - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ .

- العظيمي (محمد بن علي العظيمي الحلبي ت ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م) .

١٣٤ - تاريخ حلب (أو تاريخ العظيمي) تحقيق : إبراهيم زعرور ، دمشق ١٩٨٤ م .

- العقيلي (أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ت ٣٢٢ هـ) .

١٣٥ - الضعفاء الكبير ، تحقيق : الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ .

- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ) .

١٣٦ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، من منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت .

- الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكيّ ت ٨٣٢ هـ) .

١٣٧ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيِّد ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٦٧ م .

- الفاكهي (أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي كان حياً سنة ٢٧٢ هـ) .

١٣٨ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، دراسة وتحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- الفتح بن خاقان (أبو نصر الفتح بن عبد الله بن خاقان بن عبد الله القيس الاشبيلي ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م) .

١٣٩ - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، دراسة وتحقيق : محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسيّ الشافعي ت ٤٩٠ هـ) .

١٤٠ - رسالة تحريم نكاح المتعة ، تحقيق : الشيخ حمّاد بن محمد الأنصاري ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٢ .

- أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبي الفداء ت ٧٣٢ هـ) .

١٤١ - تاريخ أبي الفداء ، بدون التاريخ والمكان والطبعة نسخة قديمة .

- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ت ٤٠٣ هـ) .

١٤٢ - تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- الفسوي (أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ت ٢٧٧ هـ) .

١٤٣ - كتاب المعرفة والتاريخ ، تحقيق : الدكتور أكرم ضياء العُمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) .

١٤٤ - كتاب الأمالي ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م .

١٤٥ - كتاب ديل القالي والنوادر ، دار الفكر .

- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م) .

١٤٦ - كتاب الأشربة ، تحقيق : محمد كرد علي ، مطبعة الترقى بدمشق ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

١٤٧ - الامامة والسياسة ، ط ١ ، سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م ، القاهرة .

١٤٨ - الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .

١٤٩ - عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة .

١٥٠ - المعارف ، تحقيق : الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ .

- ابن قدامة (موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ت ٦٢٠ هـ) .

١٥١ - التبيين في أنساب القريشيين ، تحقيق : محمد نايف الدليمي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- القضاعي (أبو عبد الله القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي القضاعي ت ٤٥٤ هـ) .

١٥٢ - تاريخ القضاعي ، كتاب عيون المعارف وفنون الأخبار والخلائف ، تحقيق : د . جميل عبد الله محمد المصري ، من مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ هـ) .

١٥٣ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء مطابع كوستاتوماس ، القاهرة .

١٥٤ – قلائل الجمال في تعريف قبائل الزمان .
– ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) .
١٥٥ – تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشرون : دار الكتب الإسلامية – دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
– القيرواني (أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) .
١٥٦ – زهر الاداب وثمر الألباب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
١٥٧ – ـ ذيل زهر الاداب ـ أو جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
– ابن كثير (عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
١٥٨ – البداية والنهاية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
١٥٩ – تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
– الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ٣٥٠ هـ) .
١٦٠ – الولاة وكتاب القضاة ، هذّبه وصححه رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م .
– ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف (بابن ماجه) ت ٢٧٣ أو ٢٧٥ هـ) .
١٦١ – تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، مؤسسة الرسالة .

- المباركفُوري (أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت ١٣٥٣ هـ) .
١٦٢ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المبرِّد (أبو العباس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) .
١٦٣ - كتاب التعازي والمراثي ، تحقيق : محمد الديباجي ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
١٦٤ - الفاضل في اللغة والأدب ، تحقيق : عبد العزيز الميمني الراجكوتي .
١٦٥ - الكامل في الأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد شحاتة ، دار نهضة مصر .
- المؤلف المجهول (من علماء القرن الرابع) .
١٦٦ - العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، مكتبة المثنى ببغداد .
١٦٧ - كتاب التعازي ، تحقيق : ابتسام مرهون الصفار ويوى محمد فهد ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، صفر ١٣٩١ م / نيسان ١٩٧١ م .
- المرتضى (الشريف المرتضى علي بن الحسين الموتسوي العلوي ت ٤٣٦ هـ) .
١٦٨ - كتاب الامالي المرتضى (عزر الفوائد ودر القلائد) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ت ١٠٣٣ هـ .
١٦٩ - الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة .
- المزي (جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ت ٧٤٢ هـ) .

١٧٠ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م).

١٧١ - التنبيه والاشراف ، تحقيق : عبد الله بن إسماعيل الصاوي ، القاهرة .

١٧٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط ٥ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي البشاري ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) .

١٧٣ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، ط ٢ ، سنة ١٩٠٦ م .

- المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري القرشي التلمساني ت ١٠٤١ هـ) .

١٧٤ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر .

- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ت ٨٤٥هـ).

١٧٥ - كتاب الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة النيل ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ .

١٧٦ - كتاب النِّزاع والتّخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم ، تحقيق : الدكتور حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة .

- المنذري (أبو حمد زكي الدين عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشامي ثم المصري ت ٦٥٦ هـ) .

١٧٧ - مختصر سنن أبي داود ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .

١٧٨ - لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٧٩ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري ت ٥١٨ هـ) .

١٨٠ - مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٢ م .

- ابن نباتة (أبو بكر جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن شرف القارقيّ الجذاميّ ، ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) .

١٨١ - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ومطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م.

- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحق ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) .

١٨٢ - الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

- (النجم بن عمر بن فهد بن محمد ت ٨٨٥ هـ) .

١٨٣ - اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت من مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .

- النووي (أبو زكريا محي الدين بن شرف ت ٦٧٦ هـ) .

١٨٤ - تهذيب الأسماء واللغات ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

١٨٥ - شرح صحيح مسلم ، دار الخير ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) .
١٨٦ - نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة .
١٨٧ - نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الحادي والعشرون ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، المكتبة العربية بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي ت ٧٤٩ هـ) .
١٨٨ - تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) تحقيق : أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .
- وكيع (محمد بن خلف بن حيّان ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م) .
١٨٩ - أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت .
- الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ) .
١٩٠ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- اليافعي (عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي اليَمني ت ٧٦٨ هـ) .
١٩١ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حَوادث الزمان ، تحقيق : عبد الله الجَبُوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م .
- ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .
١٩٢ - المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، مكتبة المثنى - بغداد .
١٩٣ - معجم الأدباء ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

١٩٤ – معجم البلـدان ، تحقيـق : فريـد عبـد العزيـز الجنـدي ، دار الكتـب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

– اليزيدي (أبو عبد الله محمد بن المبارك اليزيدي ٣١٠ هـ) .

١٩٥ – الأمالي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

– اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بـن وهـب بـن واضـح الكـاتب العباس المعروف باليعقوبي ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) .

١٩٦ – كتاب البلدان ، طبع في مدينـة ليـدن ، ١٨٩١ م علـى ذيـل كتـاب الأعلاق النفيسة لابن رسته .

١٩٧ – تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

– أبو يوسف (القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ت ٣٨٢ هـ) .

١٩٨ – كتاب الخراج ، اعتمد على نسخة مخطوطة في الخزانة التيموريـة مـع معارضتها بطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ .

ثالثاً : المراجـع .

– إحسان عباس .

١٩٩ – تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – دار الثقافة، بيروت، ط ٧ ، ١٩٨٥ م .

– أحمد أمين .

٢٠٠ – فجـر الإسـلام ، مكتبـة النهضـة المصريـة ، القـاهرة ، ط ١٠ ، ١٩٦٥م .

٢٠١ – ظهر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٢٠٢ – ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٨ .

– أحمد حسن الزيات .

٢٠٣ – تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

- أحمد زكي صفوت .
٢٠٤ - جمهرة خطب العرب في عصر العربية الزاهرة ، شركة مصطفى البابي وأولاده ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٣ م .
٢٠٥ - جمهرة رسائل العرب ، شركة مصطفى البابي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .
- أحمد فكري .
٢٠٦ - قرطبة في العصر الإسلامي - تاريخ وحضارة - الناشر : مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ م .
- أحمد محمد أحمد جلي .
٢٠٧ - دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين " الخوارج والشيعة " شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- أحمد مكي .
٢٠٨ - دراسة في مصادر الأدب ، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٠م .
- أحمد ناصر بن محمد الحمد .
٢٠٩ - كتاب السحر بين الحقيقة والخيال ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- أحمد هيكل .
٢١٠ - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، ط ٦ ، ١٩٧١ م .
- إسماعيل باشا البغدادي .
٢١١ - هدّية العارفين إسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الألباني : محمد ناصر الدين الألباني .
٢١٢ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها على الأمة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٨ هـ / المجلد الأول .

- بركلمان : كارل بركلمان .
٢١٣ - تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ .
- جبرائيل سليمان جبور .
٢١٤ - ابن عبد ربه وعقده ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٩ م .
- جميل محمد عبد الله المصري .
٢١٥ - أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول ، مكتبة الدّار بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .
- حسين عطوان .
٢١٦ - الوليد بن يزيد " عرض ونقد " دار الجيل بيروت ، مكتبة المحتسب عمّان - الأردن ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- الخفاجي (محمد عبد المنعم خفاجي) .
٢١٧ - قصة الأدب في الأندلس ، المطبعة المنيرية ، الأزهر ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٦ م .
٢١٨ - الزركلي (خير الدّين الزركلي) .
- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٠ م .
- سالم بن حمد سليمان بن حميد الحارثي الاباضي .
٢١٩ - العقود في الفضة في أصول الاباضية ، دار اليقظة العربية ، سوريا ولبنان .
- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ت ١٢٣٣ هـ .
٢٢٠ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، بدون ذكر المطبعة والمكان والتاريخ .
- شوقي ضيف .

٢٢١ - التطوّر والتجديد في الشعر الأموي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط ٤ .

٢٢٢ - الشعر وطوابعُه الشعبيّة على مرّ العصُور ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

٢٢٣ - الشعر والغناء في مكة والمدينة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة، ط٤ .

٢٢٤ - الفن ومذاهبه في الشعر العربيّ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط ٧ .

- صلاح الدين المنجد .

٢٢٥ - معجم بني أمية ، استخرجه من تاريخ دمشق وزاد فيه ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧١ م .

- عاتق بن غيث البلادي .

٢٢٦ - معجم المعالم الجغرافية في السيرة، دار مكة للنشر، ط١، ١٤٠٢هـ .

- عبد الشافي محمد عبد اللطيف .

٢٢٧ - العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م) الطبعة ٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م ، بدون مكان ومطبعة النشر .

- عبد العزيز بن عبد الله السلومي .

٢٢٨ - ديوان الجند (نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ، مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- عبد العزيز عتيق .

٢٢٩ - الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

- عبد العزيز محمد بن عيسى .

٢٣٠ - الأدب العربي الأندلسي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

- عبد العزيز محمد نور ولي .

٢٣١ - أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري ، دار الخضيري ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

- عبد الواحد ذنون طه .

٢٣٢ - العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، من الناحية السياسية والإدارية (٧٥ - ٩٥ هـ) ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- علي صافي حسين .

٢٣٣ - الحجاج حياته وخطابته ، مطابع الدار القومية .

- عمر رضا كحالة .

٢٣٤ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- عمر فرّوخ .

٢٣٥ - تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .

- كامل كيلاني :

٢٣٦ - نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ، مطبعة المكتبة التجارية ، ط ١ ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م .

- محمد التونجي :

٢٣٧ - ديوان ابن عبد ربه ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

- محمد رضوان الداية :

٢٣٨ - ديوان ابن عبد ربه ، دار الفكر ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- محمد أبو زهرة .

٢٣٩ - الإمام زيد بن علي - حياته وعصره - آراءه وفقهه ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

- محمد سيد الوكيل .

٢٤٠ - الأمويون في المشرق والمغرب - دراسة وصفية تحليلية - دار القلم ، دمشق ، الدّار الشاميّة - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

- محمد بن صامل العلياني السّلميْ .

٢٤١ - منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين ، دار طيبة الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- محمد العربي التباني .

٢٤٢ - تحذير العبقري من محاضرات الحضري أو " افادة الاخبار ببراءة الأبرار " مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

- محمد محمد زيتون .

٢٤٣ - المسلمون في المغرب والأندلس ، دار الوفاء للطباعة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- المرصفي (سيّد علي المرصفي ت ١٣٤٩ هـ) .

٢٤٤ - رغبة الأمل من كتاب الكامل للمبرد ، مكتبة دار البيان ، بغداد ، ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- مشهور (أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان) .

٢٤٥ - كتب حذر منها العلماء ، دار الصميعي ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

٢٤٦ - معجم الوسيط : أخرجه نخبة من اللغويين ، القاهرة ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

- نايف محمد معروف .

٢٤٧ - الخوارج في العصر الأموي - نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم- دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

- الندوة الإسلامية للشباب الإسلامي .

٢٤٨ - الموسوعة الميسرة في المذاهب المعاصرة ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

رابعاً : الرسائل الجامعية غير المنشورة .

- الساعاتي : فوزي محمد عبده الساعاتي .

٢٤٩ - جهود المسلمين لفتح بلاد السند والبنجاب ونشر الإسلام فيهما حتى نهاية عصر الدولة الأموية ، ١٥ هـ - ١٣٢ هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية لكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- سعد بن موسى بن حمد الموسى .

٤٥٠ - النصوص التاريخية في مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) عن فترة الخلفاء الراشدين ، دراسة تحليلية مقارنة بالمصادر التاريخية .
رسالة دكتوراة غير منشورة ، مكة ، قسم الدراسات التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى ، ١٤١٥ هـ / ١٤١٦ هـ .

- عبد الله بن الحسين الشنبري الشريف .

٢٥١ - الدولة الأموية في عهد يزيد بن عبد الملك ، رسالة ماجستير غير منشورة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤١٠هـ .

- عبد الله بن سالم الخلف .

٢٥٢ - مجتمع الحجاز في العصر الأموي ، بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية ، رسالة دكتوراة غير منشورة في جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية – كلية اللغة العربية بالرياض ، الدراسات العليا ، قسم الأدب ، عام ١٤٠٧ هـ .

– عبد الله بن عثمان بن عبد الكريم الخراشي .

٢٥٣ – عبد الله بن الزبير والأمويّون ، رسالة ماجستير غير منشورة في جامعة الملك سعود بالرياض ، كلية الأداب قسم التاريخ ، شهر ذي القعدة ١٤٠٨ هـ .

– يحيى بن إبراهيم اليحيى .

٢٥٤ – الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري ، أطروحة دكتوراة قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١١ هـ .

خامساً : الدوريات .

– حسن عيسى أبو ياسين و د . وفاء فهمي السنديوني .

٢٥٥ – النظرات التربوية في كتاب العقد ، مقال من أعلام التربية العربية والإسلامية ، المجلد الثاني – مكتبة التربية العربي لدول الخليج .

– سعيد الأفغاني .

٢٥٦ – تقريظ لكتاب جبرائيل جبور : ((ابن عبد ربه وعقده)) ، مجلة المجتمع العلمي العربي – المجلد الخامس سنة ١٩٣٧ م دمشق .

– محمد خليفة التونسي .

٢٥٧ – مقال بعنوان " ابن عبد ربه " في مجلة تراث الإنسانية ، المجلد الثاني ، المؤسسة المصرية العامة .

فهرس الموضوعات